

عجائب الآثار في التراجم والأخبار (المجلد الثاني)

عبد الرحمن الجبرتي

- سنة إحدى ومائتين وألف في يوم الاثنين سابع المحرم
- شهر جمادى الآخرة استهل يوم الأربعاء
- الشيخ الإمام العلامة الشيخ محمد المصلي الشافعي
- يوم الاثنين ثالث حضر المرسل من الجهة القبلية
- الشيخ العلامة المتقن البحات المتقن أبو العباس المغربي
- شهر جمادى الآخرة فيه حضر فرمان من الدولة
- العمدة المفضل الشيخ عبد الجواد بن محمد
- الإمام العلامة الشيخ عمر البالي الشافعي
- تابع
- الأمير علي بك الحسني
- الإمام المفوه الحسين ابن النور علي بن عبد الشكور الحنفي
- المحذوب المعتقد السيد علي الكري
- العمدة الحليل السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي
- شهر صفر سنة 1213
- شهر ربيع الأول يوم الاثنين سنة 1213
- واقعة الحاج محمد بن قيمو المغربي
- شهر جمادى الأولى يوم الخميس الموعود سنة 1213
- تابع
- يوم الأحد سادسه نادى القبطان الفرنساوي السكاكن بالهشد الحسيني
- ليلة الأربعاء ثالث عشرته خرج عدة كبيرة من العسكر
- يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل
- تابع
- العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي الشافعي الأزهرى
- يوم الثلاثاء سابعه حضر جماعة أيضًا من العسكر بأثقالهم
- يوم السبت تاسع عشرته قدم ساري عسكر كلهر صيحة ذلك اليوم
- شهر شوال سنة 1214 في سابعه وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية
- والعثمانية
- شهر ذي الحجة يوم الجمعة سنة 1215
- العمدة الفاضل والنبه الكامل صاحبنا العلامة الوجهه الشيخ شامل
- سئل هل أن أحمد آغا أو ياسين آغا ما حدثاه أصلا عن الوزير
- تابع
- شهر صفر يوم الثلاثاء سنة 1215
- حادي عشره وجدت امرأة مقتولة
- شهر القعدة سنة 1215
- تابع
- زيادة النيل الزيادة المفرطة التي لم يعد مثلها
- تابع
- الأمير حسن بك الجداوي مملوك علي بك
- تابع
- ثاني عشرة نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر
- تابع
- شهر ربيع الأول يوم الأحد سنة 1216
- يوم الأحد وردت أخبار من اسكندرية بتملك العساكر الإسلامية
- يوم السبت عملوا جمعية بيت الشيخ السادات
- من مات في هذه السنة

- تابع
- وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالي والعثمانية
- يوم السبت حادي عشرة وفي خامس عشرينه حضر أحمد باشا والي دمياط
- تابع 0
- يوم الخميس وقت العصر حضر الآغا والوفاقلية إلى بيت القاضي
- وفي يوم الخميس مر الوالي والمناداة أمامه على الأتراك والانكشارية
- وصلت الأخبار بأن البرديسي وصل إلى رشيد
- شهر جمادى الأولى سنة 1218
- يوم الثلاثاء ثامن عشرينه
- ليلة الجمعة خامسه وصلت مكاتبات من يحيى بك البرديسي
- شهر ذي الحجة الحرام استهل بيوم الثلاثاء سنة 1218

سنة إحدى ومائتين وألف في يوم الاثنين سابع المحرم

حضر اسمعيل بك في تجريدة الى مصر فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل وحضر عند حسن باشا وقابله وهو أول اجتماعه به وجلس معه مقدار درجتين لا غير واستأذنه في القيام فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت مملوكه علي بك جركس وهو بيت أيوب بك الصغير الذي في الحبانية وكان السبب في حضوره على هذه الصورة أنه في يوم الخميس ثالث المحرم التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية وهجمت القبالي وألقوا بأنفسهم في نار الحرب وطلب كل غريم غريمه ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدي باشا ما تحدث به الفريقان في شجاعته وأصيب اسمعيل بك برشة رصاص دخلت في فمه وطلعت من خده فولى منهزمًا وألقى نفسه في البحر وركب في قنجة وحضر الى مصر على الفور ولم يدر ماذا جرى بعده فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل واختلفت الروايات وكثرت الأكاذيب وارتج العثمانيون وأرسل حسن باشا الرسل لإحضار العساكر التي بالإسكندرية وكذلك أرسل الى بلاد الروم وفي يوم السبت ثاني عشره حضر حسن بك الى حسن باشا وقابله وقد أصيب بسيف على يده فخلع عليه فروة ثم ذهب الى بيته القديم وهو بيت الداودية وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق وأصيب قاسم بك بضربة جرحت أنفه وكذلك حضر عابدي باشا وطلع الى قصر العيني وأقام به.

وفيه حضر ططري وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدي باشا مكانه وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضًا عن عابدي باشا فشرع عابدي باشا في نقل عزاله الى بولاق فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أمورًا باطنية وفي يوم الاثنين عمل حسن باشا ديوانًا في بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ وألبس اسمعيل بك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها وألبس حسن بك خلعة وقلده أمير الحاج فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم هذا واسمعيل بك متململ من جرحه والسيد عثمان الحمامي يعالجه وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ فإن الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص في الجسد فغاص نفس الزرد فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد وفيه حضر الى اسمعيل بك رجل بدوي وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا الى بحري ووصلت أوائلهم الي بني سويف وأخبر أنه مات منهم مصطفى بك الداودية ومصطفى بك السلحدار وعلي آغا خازندار مراد بك سابقًا ونحو خمسة عشر أميرًا من الكشاف وأن نفوسهم قويت على الحرب.

وفي يوم الثلاثاء حضر اسمعيل آغا كمشيش وكان ممن تخلف في الأسر عند القبليين فأفرجوا عنه وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة واستعدادهم للحرب إن لم يجابوا في ذلك.

وفي يوم الأربعاء نزل محمد باشا من القلعة وذهب الى بولاق.

وفي يوم الخميس نودي على النفر والالضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطلاً ولم يكن معه ورقة يستحق العقوبة وكذلك حضور الغائبين بالأرياف.

وفيه أخذ أحمد القبطان المعروف بحمامجي أوغلي المراكب الرومية التي بقيت في النيل وجملة نقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريبًا من التبين وشرعوا في عمل متاريس وحفر خنادق هناك ونقلوا جملة مدافع أيضًا وكان أشيع طلوع عابدي باشا الى القلعة في ذلك اليوم فلم يطلع وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلامًا كثيرًا وقال: كيف أطلع وأتسلطن في هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد وأولاد أخي قتلوا في حربهم ولا أطلع حتى أخذ بثأرهم أو أموت ثم قام من عنده ورجع الى القصر العيني.

وفيه سافر عمر كاشف الشعراوي لملاقاة الحجاج الى القلزم وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة وأخبروا بالأمن والراحة.

وفي يوم الجمعة خرج رضوان بك بلفيا وسليمان الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان وبرزوا خيامهم ناحية البساتين.

وفيه عمل حسن باشا ديوانًا وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بك الجداوي وقلدهم صناجق وهم شاهين وعلي وعثمان.

وفيه حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب كاشف الفيوم المعروف بأبي سعدة.

وفي يوم السبت خرج غالب الأمراء ناحية البساتين وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين في ناحية بني سويف.

وفيه أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر فأعطى اسمعيل بك عشرين ألف دينار وحسن بك خمسة عشر ألفًا ولكل صنق عشرة آلاف ولكل طائفة وفاق أربعة آلاف فاستقل وفيه طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسمرونها وكذلك البيوت وطلبوا أيضًا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها وعزت الخيول جدًا وغلت أثمانها.

وفي يوم الاثنين قبض حسن باشا على اسمعيل آغا كمشيش المتقدم ذكره وأمر بقتله وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفة فشفع فيه الوراقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرًا خطابًا لبعض أنفار فظهروا على ذلك فوقع له ما وقع.

وفيه عمل حسن باشا ديوانًا عظيمًا جمع فيه الأمراء والأعيان وقرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ويذكرون العابدي باشا ما نهب له في المعركة وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه فقال عابدي باشا لحسن بك الجداوي: ما تقول في هذا الكلام قال: أقول لا نأخذه إلا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابًا عن رسالتهم ملخصه إن كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فإنهم يجابون الى ذلك ويحضر ابراهيم بك ومراد بك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانًا شافيًا من مولانا السلطان أينما يريدون في غير الإقليم المصري يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاؤوا من مماليكهم وأتباعهم وأما بقية الأمراء فإن شاؤوا حضروا ي حصر وأقاموا بها وكانوا من جملة عسكر السلطان وإن شاؤوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها وإن أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال.

وفي يوم الثلاثاء قبض حسن باشا على عمر كاشف الذي سكنه بالشيخ الظلام وعلي محمد آغا البارودي وأمر بحبسهما عند اسمعيل بك وسبب ذلك المكاتبات التي تقدم ذكرها مع اسمعيل آغا كمشيش.

وفي يوم الأربعاء سافر محمد أفندي مكتوبجي حسن باشا بالمكاتبة الى القبلين.

وفي يوم الخميس نزل الآغا والجاويشية ونادوا على جميع اللضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا في المراكب صعبة الوراقلية وكل من بات في بيته استحق العقوبة وطاف الآغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل على من بها منهم ويأمرهم بالخروج فأغلق الناس حوانيتهم وبطل سوق خان الخليلي في ذلك اليوم وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ومنهم من طلع الى الأبواب حسب الأمر وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سباط بلكهم ويعلقون على دوابهم وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لا غير وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده فإن اللحم الصاني بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة إن وجد والجاموسي بثمانية أنصاف وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط وكذلك السمن والزيت.

وفي يوم الأحد سابع عشرينه حضر محمد أفندي المكتوبجي من عند الجماعة وصحبته علي آغا مستحفظان بجواب الرسالة السابق ذكرها فأخبر أنهم ممثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر فإن فراق الوطن صعب ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شيء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد أعني اسمعيل بك وحسن بك وذلك هو السبب الحامل لهم على القدوم والمحاربة فإن لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم أخصامهم دون العساكر العثمانية فتكون الغلبة لنا أو علينا فإن كانت علينا وظفروا بنا استحقوا الإمارة دوننا وإن كانت لنا وظفروا بهم فالأمر لكم بعد ذلك إن شئتم قبلتم توبتنا ورددتم لنا مناصبنا وشرطتم علينا ظروفكم فقمنا بها قيامًا لا نتحول عنه أبدًا ما بقينا وإن شئتم وجهتمونا الى أي جهة امثلنا ذلك فلما ذكرنا ذلك لحسن باشا قال لعلي آغا: أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم وإنما السلطان أمرني بما أمرت به فإن كانوا مطيعين فليمثلوا الأمر وإلا فسيقولون وبال عصيانهم وكتب لعلي آغا جوابًا بذلك وخلع عليه فروة سمور وسافر من وقته ورجع الى أصحابه وصحبته شخص من طرف الباشا ولما ذهب إليهم محمد أفندي المكتوبجي أنعموا واستهل شهر صفر الخير أوله يوم الخميس فيه حضرت خزينة حسن باشا من ثغر إسكندرية فدفع باقي النفقة للعسكر والأمراء.

وفيه وصل الخبر أن الأمراء القبالي زحفوا الى بحري ووصلت أوائلهم الى بر الجيزة وأخبرهم بالرقق وفردوا الكلف على بلاد الجيزة.

وفيه طلب اسمعيل بك دراهم سلفة من التجار فاعتذروا بقلّة الموجود بأيديهم وأغنياؤهم جلوا الى الحجاز ولم يدفعوا له شيئًا وادعى على تجار البن بمبلغ دراهم باقي حساب من مدته السابقة فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار.

وفي يوم الجمعة نودي علي المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون الى اسمعيل بك ويقابلونه سواء كان جنديًا أو أميرًا أو مملوكًا ومن تأخر استحق العقوبة وقبض على أنفار منهم وسجنوا بالقلعة وختم على دورهم من جملتهم جعفر كاشف الساكن عند بيت القاضي من ناحية بين القصرين.

وفي تلك الليلة أعني ليلة الأحد وقعت حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسمعيل كاشف أبو الشراميط بيته في عطفة بخت الخيمية قتله مماليكه وسبب ذلك على ما سمعنا تقصيره في حقهم وفي تصرفه عدة حصص جارية في التزامه فكتب تقاسيها بتمامها

باسم زوجته ولم يكتب لهم شيئاً من ذلك وكان جباراً ظالماً معدوداً في جملة كشاف مراد بك فلما حصلت المنادة على المحمدية الى اسمعيل بك وقابله فطرده وأمره بلزوم بيته وأن لا يخرج منه فذهب الى بيته وأرسل الى اسمعيل بك حصانين بعددهما أحدهما مركوبه والثاني لأحد مماليكه.

وأرسل معهما درعين على سبيل التقدم والهدية ليستميل خاطره وكان مملوكه صاحب الحصان غائباً في شغل فلما حضر لم يجد الجواد فسأل عنه فأخبره خشداشه بصورة الحال فدخل الى سيده وسأله فنهزه وشتمه فخرج مقهوراً وجلس يتحدث مع رفيقه فقالوا لبعضهم هذا الرجل سيدنا لا نرى منه إلا الأذى ولا نرى منه إحساناً ولا حلاوة لسان وكذلك الحصص كتبها لزوجته ولم يفعل معنا خيراً عاجلاً ولا أجلاً وحملهم الغيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء وقتلوه فصرخت زوجته من أعلى ونزلت إليهم فقتلوها أيضاً هي وجاريتها فسمعت الجيران وكثر العائط وحضر الوالي فوقف المملوكان وضربا عليه بنادق الرصاص ونقبا بيوت الجيران ونطا منهم فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلها على رأس العطفة.

وأصبح الخبر شائعاً بين الناس بذلك.

وفي يوم الأحد المذكور حضر نجاب الحج وأخبر أن العرب وقفت للحجاج في طريق المدينة وحاربوهم سبعة أيام وانجرح أمير الحاج وقتل غالب أتباعه وخازن داره ومن الحجاج نحو وفي يوم الاثنين شق الأغا وأمامه المنادي يقول: إن ابراهيم بك ومراد بك مطرودا السلطان ومن كان مختفياً أو غائباً وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر وعليه الأمان ولا بأس عليه ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه.

وفيه انتقل عساكر القليونجية وعدوا الى البر الغربي ونصبوا هناك متاريس وأما الأمراء القبليون فإنهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها بأجمعها وتركوا المراكب ذهبت الى حال سبيلها واحازوا جميعاً عند الأهرام.

وفي يوم الثلاثاء نودي على جميع الألباشات بالخروج الى الوطاق وكذلك المقيمون بالقلعة فتكدر الناس لذلك واختفوا في الدور ولبس كثير منهم ملابس الفقهاء والمجاورين وسبب ذلك عدم قدرتهم على الخروج من غير مصرف فإذا خرج فقير الحال لا يجد ما يأكله ولا ما ينفقه عياله في غيبته ولا يفيدته إلا مقاساة الجوع والبرد والغربة والمشقة.

وفي يوم الأحد حادي عشره نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة وهم في أسوأ حال من العري والجوع ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم وأسر العرب جميع النساء بالأحمال وكان أمراً شنيعاً جداً ثم إن الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي فتكلم مع العرب في أمر النساء فأحضرهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان وأجلسوهن جميعاً في مكان وخرجت الناس أفواجا فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها ممن هي في أسره وصارت المرأة من نساء العرب تسوق الأربعة من الجمال والخمسة بأحمالها فلا تجد مانعاً وسبب ذلك كله رعونة أمير الحاج فإنه لما أراد أن يتوجه بالحجاج الى المدينة أرسل الى العرب فحضر إليه جماعة من أكابرهم فدفع لهم عوائد سنتين وقسط البواقي على السنين المستقبلية بموجب فرمان وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم فبلغ ذلك أصحابهم فقعدها للحجاج في الطريق فبلغ أمير الحاج ذلك فذهب من طريق أخرى فوجدهم رابطين فيها أيضاً فقاتلوا قتالاً هيباً ففر هارباً وترك الحجاج والعرب فنهبوا حملته وقتلوا مماليكه ولم يبق معه إلا القليل فهرب بمن بقي معه واختفى عن الحجاج

ثلاثة أيام ولم يره أحد وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوا وأخذوا ما أخذوه فلم ينج منهم إلا من طال عمره وسلم نفسه أو افتداها الى غير ذلك وأخذوا المحمل أيضًا ولم يردوه.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره هجمت القبليون على المتاريس وأرادوا أن يملكوها في غفلة آخر الليل لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا الى مصر واشتغلوا بالحجاج وكان حسن باشا ذلك اليوم لما بلغه حضور الحجاج ركب من فوره وذهب الى العادلية فقابل أمير الحاج ورجع من ليلته الى الوطاق فلما هجموا على المتاريس كان المتترسون مستيقظين فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر من الفجر الى شروق الشمس فرجعوا الى مكانهم من غير طائل ثم هجموا أيضًا يوم الثلاثاء بعد الظهر فضربوا عليهم ورجعوا.

وفي يوم الأربعاء ركب الأمراء القبليون وحملوا أحمالهم وصعدوا الى دهشور وجلسوا هناك وحضر منهم جماعة من الأجناد بأمان وانضموا الى البحرين.

وفي أواخره أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول فذهب إليه أرباب الخدم والعكاكيز واختيارية الوجاقات والأفندية وذهبوا إليه ببوراق وتحاسبوا معه ودققوا عليه في الحساب فطلع عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيسًا فطلب أن يخصم منها باقي عوائده التي بذم الأمراء وغيرهم فعرفوا حسن باشا عن ذلك فلم يقبل وقال: إن كان له شيء عند أحد يأخذه منه ولا بد من إحضار الدراهم التي طلعت عليه فأني محتاج الى ذلك في المصاريف اللازمة للعسكر فشددوا عليه في الطلب فضاق خناقه واعتذر وبكى وكتب على نفسه تمسكًا بذلك واستوحشا من بعضهما فسعى فيض الله أفندي الرئيس بينهما في إزالة ذلك ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا واجتمع معه في قصر الآثار.

وفيه حضرت مكاتبة من القبالي يطلبون الأمان وأن يعينوا لهم أماكن في الجهة القبيلة يقيمون بها ويعيشون هناك فأجيبوا الى ذلك وبخاروا مكانًا يريدونه بشرط أن يكونوا جماعة قليلة وبخض باقي الأمراء الى مصر بالأمان فلم يرضوا بالافتراق ولم يجابوا إلا بمثل الجواب الأول واستقروا ناحية بني سويف ورجعت عنهم عرب الهنادي وفارقوهم.

واستهل ربيع الأول بيوم الجمعة فيه حضر ططري من الدولة وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ولا يخرج مع العساكر بل يستمر محافظًا في المدينة فتحقق الناس إقامته وعدم سفره.

وفي شرع حسن باشا في عمل شر كفلك فشرعوا في عمله على ساحل بوراق تجاه الديوان وهو عبارة عن متريز مصنوع من أخشاب ممتدة على مقصات من خشب وهي قطع مفصلات يجمعها أغربة من حديد وعلى تلك المدادات عدة حراب حديد مستمرة عليها محددة الأطراف وبين كل مقصين سفل الأخشاب الممتدة مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب ومساحة ذلك نحو أربعمئة وخمسين ذراعًا وهو يوضع على هيئات مختلفة مربعًا ومدورًا والعسكر من داخله متحصنين به وإذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحرب.

وفي يوم الاثنين رابعه ركبت طوائف العسكر والوجاقات ومروا بنظامهم من تحت قصر الآثار وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زهم ثم تتابعوا في التعدية.

وفي ليلة الخميس رابع عشره كسف جرم القمر جميعه وكان ابتداءه من رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل.

وفي منتصفه حضرت عساكر من الأضات مثل قبرس وقرمان وغير ذلك وجاء الخبر عن الأمراء القبالي أنهم وصلوا الى أسيوط وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع في نواحي المنية وغيرها فمنهم من حضر الى مصر ومنهم من اختفى في البلاد.

وفيه اشتكت الناس من غلاء الأسعار وتكلم الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك وقال له: في زمن العصاة كان الأمراء ينهبون وأيخذون الأشياء من غير ثمن والحمد لله هذا الأمر ارتفع من مصر بوجودكم وما عرفنا موجب الغلاء أي شيء فقال: أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم وتشاور مع الاختيارية في شأن ذلك فوقع الاتفاق على عمل جمعية في باب البنكجارية وإحضار الآغا والمحتسب والمعلمين ويعملون تسعيرة وينادون بها ومن خالف أو احتكر شيئاً قتل فلما كان يوم السبت سادس عشره اجتمعوا في باب مستحفظان وحضر الشيخ العروسي أيضاً واتفقوا على تسعيرة في الخبز واللحم والسمن وغير ذلك وركب الآغا وبجنبه المحتسب ونادوا في الأسواق فجعلوا اللحم الضاني ثمانية أنصاف وكان بعشرة والجاموسي ستة بعد سبعة والسمن المسلي ثمانية عشر والزبد بأربعة عشر والخبز عشرة أواق بنصف فضة وهكذا فعزت الأشياء وقل وجود اللحم وإذا وجد كان في غاية الرداء مع ما فيه من العظم والكبد والفسحة والكرشة.

وفي أواخره وصل الخبر بأن رضوا بك قرابة علي بك الكبير المنافق وعلي بك الملط وعثمان بك وجماعة علوية حضروا الى عرضي التجريدة وأخذوا الأمان من اسمعيل بك وعابدي باشا وأنهم قادمون الى مصر وأن القبالي استقروا بوادي طحطا مكانهم الأول الذي قاتلوا فيه.

شهر ربيع الثاني في يوم الخميس خامسه وصل المذكورون الى مصر وقابلوا حسن باشا وتوجهوا الى بيوتهم.

وفي يوم الأحد ثامنه ضربوا مدافع كثيرة وقت الضحى وكان أشيع في أمسه أن التجريدة نصرت وقتل من القبالي أناس كثيرة فلما سمعت الناس تلك المدافع ظنوا تحقيق ذلك وكثرت الأكاذيب والأقاويل ثم تبين أن لا شيء وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحية الفشن بسبب قلة ماء النيل ومن عادتهم أنهم إذا وصلوا للمرساة ضربوا مدافع فيجأوا بمثلها وفي منتصفه حضر محمد كتحدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصرف فهيئت وأرسلت وكذلك قبل ذلك مراراً كثيرة وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا وأن القبالي ارتحلوا منها وصعدوا الى فوق وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات ثم انقطعت الأخبار.

واستهل شهر جمادى الأولى فيه زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة.

وفيه عين حسن باشا علي محمد باشا برشيد وشد عليه في طلب الدراهم وضايقوه حتى باع أمتعته وحوايجه وغلق ما عليه وتوفيت زوجته فحزن عليها حزناً شديداً مع ما هو فيه من الكرب ولم يفده من فعائله وهمته التي فعلها بمصر قدوم حسن باشا شيء وجازاه بعد ذلك بأقبح المجازاة فإنه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذيبه ما تمكن حسن باشا من دخول مصر فإنه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ويهول تهويلات كثيرة عليهم وعلى المشايخ واختيارية الوجاقات ويقول إياكم والعناد وإياكم أن توقعوا حرباً فإنكم تخربون بلادكم وتكونون سبباً في هلاك أهلها فإنه بلغني أنه تعين مع حسن باشا كذا كذا ألفاً من الجنس الفلاني وكذا كذا ألفاً من جنس العسكر الفلاني وأنهم متأخرون في الحضور عنه تحت الاحتياج وكذلك في عساكر البر الواصلة من الجهة الشامية ومعهم ثمانون ألف ثور مائة ألف جاموس برسم جر المدافع وفي المدافع ما يصحبه خمسون ثوراً ونحو ذلك حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه وانحلت عرا الناس عنهم وخصوصاً بما مناهم به من إقامة العدل ومنع الظلم والجور وغير ذلك حتى جذب قلوب العالم

وتحولوا عن الأمراء وتمنوا زوالهم في أسرع وقت وهيج الناس وأثارهم قبل وصول حسن باشا وملك القلعة ومهد له الأمور فجزاه بعد تمكنه بالخدلان والعزل والحساب والتدقيق وغير ذلك.

وفي يوم الأربعاء ثلثه ورد نجاب وصحبته مكتوب من عابدي باشا الى حسن باشا وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين في يوم الجمعة ثامن عشرين ربيع الآخر عند الأمير ضرار وكانت الهزيمة على القبالي ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين وهجموا على شركفلك فضربوا عليهم من داخله بالمدافع والبنادق وقتل لاجين بك عند شركفلك وقتل الكثير من عرب الهنادي وقبض على كبيرهم أسيرًا ومات من المصاحبين للعسكر ذو الفقار الخشاب وجماعة من الوجاقلية منهم علي جرجي المشهدي وكانت الحرب بينهم نحو ست ساعات وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى وكان حضور هذا النجاب على الفور من غير تحقيق فلما ورد ذلك سر الباشا سرورًا كثيرًا وأمر بعمل شنك فضربوا مدافع كثيرة من قصر العيني والقلعة وضربوا النوبة السلطانية في برج القلعة وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر وأرسل المبشرين الى الأعيان كالشيخ البكري والشيخ السادات وأكابر الوجاقات وحضروا جميعًا للتهنئة.

وفي سادسه حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة فأخبروا فيها بتلك الواقعة وأن القبالي صعدوا بعد الهزيمة الى عقبة الهو على جرائد الخيل فلم يصعدوا خلفهم لصعوبة المسلك على الأجمال والأثقال وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة فيحملوا الأحمال ويسيروا بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم التي توصل الى خلف العقبة وأخبروا أيضًا أنهم استولوا على حملاتهم ومناعمهم حتى بيع الجمل وعليه النقاير بخمسة ريال ونحو ذلك.

وقوع الموت الذريع في الأبقار حتى صارت تتساقط في الطرقات.

ومات لابن بسيوني غازي بناحية سنديون خاصة مائة وستون ثورًا وقس على ذلك.

وفي عاشره طلب الباشا حوصًا ليعمله حنفية فأخبره الحاضرون وعرفوه بالحوض الذي تحت الكباش المعروف بالحوض المرصود فأمر بإحضاره فأرسلوا إليه الرجال والحمالين وأرادوا رفعه من مكانه فازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء لما تسامعوا بذلك لينظروا ما شاع.

وثبت في أذهانهم من أن تحته كنزًا وهو مرصود على شيء من العجائب أو نحو ذلك وأن الباشا يريد الكشف عن أمره فلما حصل ذلك الازدحام ووجده الحمالون ثقيلًا جدًا وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال وحركوه عن مكانه يسيرًا وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة أمر بتركه فتركوه ومضوا فذهب العامة في أماذيبهم كل مذهب فمنهم من يقول إنهم لما حركوه وأرادوا جره رجع بنفسه ثانيًا ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره وصل نيف وثلاثون رأسًا من قتلى القبليين فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة على سرير من جريد النخل وأبقوهم ثلاثة أيام ثم دفنوهم ووجد فيهم رأس عزوز كتحدا عزبان.

وفي ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم وأخذوا سلاحهم ورفعت الشكوى الى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلمًا على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل معهم أمتعة و ثياب مرسله إلى القبالي من نسائهم فركبوا خلفهم فلم يدركوهم وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل ووصل خبرهم حسن باشا فاغتاز من الآغا والوالي وأمرهما بالذهاب إلى بيوتهم ويسمرونها عليهن ففعلوا ذلك وقبضوا على الأغوات الطواشيه والسقائين.

وحصلت ضجة في البلد بين الظهر والعصر بسبب ذلك وفرت زوجة ابراهيم بك إلى بيت شيخ السادات ثم إن رضوان بك قرابة علي بك تشفع في تسمير البيوت فقبلت شفاعته وأرسل لمعادي الخيري والجيزة ومنعهم من التعدي وحجزهم إلى البر الشرقي.

وفي يوم الثلاثاء وردت نجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدي باشا يخبر فيها بأن يحيى بك وحسن كتحدا الجربان حضرا إليه بأمان وخلع عليهم فراوي وصحبتهم عدة من الكشاف والمماليك وذلك بعد أن وصلوا إلى أسنا وأن القبالي ذهبوا إلى ناحية ابريم فتخلف عنهم المذكورون.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه حضر اسمعيل القبطان وكان بصحبته حمامجي أوغلي وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان وأن الأمراء القبالي ذهبوا إلى ابريم وأنهم في أسوأ حال من العري والجوع وغالب مماليكهم لابسون الزعابيب مثل الفلاحين وتخلف عنهم كثير من أتباعهم فمنهم من حضر إلى عابدي باشا بأمان ومنهم من تشتت في البلاد ومنهم من قتله الفلاحون وغير ذلك من المبالغات.

وفي يوم الاثنين خلع حسن باشا علي رضوان بك العلوي وقلده كشوفية الغربية وقلد علي بك الملط كشوفية المنوفية وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة ونزلا إلى طندتا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوي.

وفي هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران في سائر الأقاليم البحري ووصل إلى مصر حتى أنها صارت تتساقط في الطرقات وغيطان المرعى وجافت الأرض منها فمنا ما يدركونه بالذبح ومنها ما يموت ورخص سعر اللحم البقري جدًا لكثرت حتى صار يباع بمصر آخر النهار كل رطلين بنصف فضة مع كونه سميئًا غير هزيل وعافته الناس وبعضهم كان يخاف من أكله وأما الأرياف فكان يباع فيها بالأحمال وبيت البقرة بما خلفها بدينار.

وكثر عويل الفلاحين وبكاؤهم على البهائم وعرفوا بموتها قدر نعمتها وغلا سعر السمن واللبن والأجبان بسبب ذلك لقلتها.

شهر جمادى الآخرة استهل بيوم الأربعاء

وكان ذلك يوم النوروز السلطاني وانتقال الشمس لبرج الحمل.

وفي يوم الاثنين سافر حمامجي أوغلي بالجوابات إلى الجهة القبلية وفيها الأمر بحضور عابدي باشا واسمعيل بك وباقي الأمراء إلى مصر وأن حسن بك ومحمد بك المبدول وبحيى بك يقيمون بأسنا محافظين.

وفي يوم الخميس سادس عشره نودي على النساء أن لا يخرجن إلى موسم الخماسين المعروف عند القبط بشم النسيم وذلك يوم الاثنين صبيحة عيدهم.

وفي عشرينه نودي بإبطال المعاملة بالذهب الفندقلي الجديد واستمرت المنادة على النساء في عدم خروجهن إلى الأسواق وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر منها أنهم وجدوا

بيت يوسف بك سكن حمامجي أوغلي نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالإسطنبولات ومن النساء من لعبت على العسكر وأخذت ثيابه وأمثال ذلك فنودي عليهن بسبب ذلك فتضرر المحترفات منهم مثل البلاطات والدايات وبياعات الغزل والقطن والكتان ثم حصل الإطلاق وسومحن في الخروج وفي خامس عشرينه حضرت نجابة من قبلي وحضر أيضًا حمامجي أوغلي وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا الى دجرجا.

شهر رجب الفرد استهل بيوم الخميس فيه قبض حسن باشا على أحمد قبودان المعروف بحمامجي أوغلي وحبس وحبس أيضًا تابعه عثمان التوقتي كان يسعى معه في الخبائث. وكذلك رجل يقال له مصطفى خوجة.

وفي يوم الخميس سابعه نودي على النساء أنهن إذا خرجن لحاجة يخرجن في كمالهن ولا يلبسن الحبرات الصندل ولا الإفرنجي ولا يربطن على رؤوسهن العمائم المعروفة بالقازدغلية.

وذلك من مبتدعات نساء القازدغلية وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات ويجعلنها شبه الكعك ويملئها على جباههن معقوصات بطريقة معلومة لهن وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبته ومنهن من تعطي الصانعة لذلك دينارًا أو أكثر أو أقل وفعل ذلك جميع النساء حتى الجواري السود.

وفي يوم الأحد حادي عشره حضر عابدي باشا واسماعيل بك وعلي بك الدفتردار ورضوان بك بلفيا وحسن بك رضوان ومحمد بك كشكش وعبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وباقي الوجاقلية الى مصر وذهبوا الى بيوتهم وبات الباشا في مصر القديمة.

وفي صباحها يوم الاثنين ركب عابدي باشا وطلع الى القلعة من غير موكب وطلع من جهة الصليبية وذلك قبل أذان الظهر بنحو خمس درجات فلما استقر بها ضربوا له مدافع من الأبراج وبعد انقضاء المدافع أرعدت السماء رعدًا متتابعًا الى العصر وأمطرت مطرًا غزيرًا وذلك رابع عشرين برموده القبطي وتاسع عشر نيسان الرومي وأما حسن بك الجداوي فإنه خلف بقنا هو وأتباعه وكذلك عثمان بك وسليم بك الاسماعيللي بأسنا وعلي بك جركس بأرمنت وعثمان بك وشاهين بك الحسينين ويحيى بك باكير بك ومحمد بك المبدول كذلك تخلفوا متفرقين في البنادر لأجل المحافظة وقاسم بك أبو سيف في منصبه بدجرجا.

وأراد الباشا واسماعيل بك أن يبقوا طائفة من الوجاقلية ومعهم طائفة من العسكر فأبوا وقالوا حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا وبعد ذلك نأتي.

وفي ذلك اليوم وصل الخبر بأن القبالي رجعوا الى أسوان وشرعوا في التعمية الى أسنا فأرسل اسماعيل بك الى الاختيارية فحضره عند بعد العصر وتكلموا في شأن ذلك بحضرة علي بك أيضًا وكذلك اجتمعوا في صباحها يوم الثلاثاء وانفصل المجسر كالأول.

وفي أواخره وصل الخبر أنهم زحفوا الى بحري وأن حسن بك تأخر عنهم.

شهر شعبان المكرم في أوائله جاء الخبر أنهم وصلوا الى دجرجا وأن حسن بك والأمراء صدوا في التأخر الى المنية وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك وشرعوا في طلوع تجريدة ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمراء واستقر الأمر بينهم في الرأي أن يرسلوهم في الصلح وأنهم يقيمون في البلاد التي كانت بيد اسماعيل بك وحسن بك ويرسلوا أيوب بك الكبير والصغير وعثمان بك الأشقر وعثمان بك المرادي يكونوا بمصر رهائن وكتبوا

بذلك مكاتبات وأرسلوها صحبة محمد أفندي المكتوبجي وسليمان كاشف قبور والشيخ سليمان الفيومي.

وفيه قررت المظالم على البلاد وهي المعروفة برفع المظالم وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر أبطلها وكتب برفعها فرمات الى البلاد فلما حضر اسمعيل بك حسن له إعادتها فأعيدت وسموها التحرير وكتب بها فرمات وعينت بها المعينون وتفرقوا في الجهات والأقاليم بطلبها مع ما يتبعها من الكلف وحق الطرق وغيرها فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيًا على ما هم فيه من موت البهائم وهياف الزرع وسلاطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقايث وغيرها وما هم فيه من تكلف المشاق الطارئ عليهم أيضًا بسبب موت البهائم في الدراس وأداروا السواقى بأيديهم وعوافيهم أو بالحمير أو الخيل أو الجمال لمن عنده مقدرة على شرائها وغلث أثمانها بسبب ذلك الى الغاية فتغيرت قلوب الخلق جميعًا على حسن باشا وخاب ظنهم فيه وتمنوا زواله وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية في الناس وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم وانتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية.

وفي خامسه يوم الأربعاء توفي أحمد كتخدا المجنون وقلدوا مكانه في كتخدائية مستحفظان وفيه قتل عثمان التوقتي بالرميلة رفيق حمامجي أوغلي بعد أن عوقب بأنواع العذاب مدة حبسه واستصفيت منه جميع الأموال التي كان يملكها واختلسها ودل على غيرها حمامجي أوغلي واستمر حمامجي أوغلي في الترسيم.

وفيه قبض على سراج متوجه الى قبلي ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك فأخذت منه ورمي عنقه ظلمًا بالرميلة.

واستهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد فيه اختصرت الأمراء من وقدة القناديل في البيوت عن العادة وعبى اسمعيل بك هدية جليلة وأرسلها الى حسن باشا وهي سبع فروق بن وخمسون تفصيلة هندي عال مختلفة الأجناس وأربعة آلاف نصفية دنانير نقد مطروقة وجملة من بخور العود والعنبر وغير ذلك فأعطى للشياطين على سبيل الإنعام أربعة عشر قرشًا رومية عنها خمسمائة وستون نصفًا فضة.

وفي يوم الثلاثاء عاشره حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف وذلك أنه لما وقع للحجاج من العربان ما وقع في العام الماضي ونهبوا الحجاج وأخذوا المحمل بقي عندهم الى أن جيش عليهم الشريف سرور وحاربهم وقاتلهم قتالًا شديدًا وأفنى منهم خلائق لا تحصى واستخلص منهم المحمل وأرسله الى مصر صحبة ذلك الشريف وقيل إن الشريف الذي حضر به هو الذي افتداه من العرب بأربعمائة ريال فرانس فلما حضر خرج الى ملاقاته الأشاير والمحملدارية وأرباب الوظائف ودخلوا به من باب النصر وأمامه الأشاير والطبول والزمور.

وذلك الشريف راكب أمامه أيضًا.

وفي ذلك اليوم بعد أذان العصر بساعتين وقعت حادثة مهولة مزعجة يخط البندقانيين وذلك أن رجلًا عطارًا يسمى أحمد ميلاد وحانوته تجاه خان البهار اشترى جانب بارود انكليزي من الفرنج في برميلين وبطة ووضعها في داخل الحانوت فحضر إليه جماعة من أهل الينع وساوومه على جانب بارود وطلبوا منهم شيئًا ليروه ويجربوه فأحضر البطة وصب منها شيئًا في المنقد الذي يعد فيه الدراهم ووضعوه على قطعة كاغد وأحضرُوا قطعة يدك وطيروا ذلك البارود عن الكاغد فأعجبهم ومن خصوصية البارود الانكليزي إذا وضع منه شيء على كاغد وطير فالنار لا تؤثر في الكاغد ثم رموا بالقطعة اليدك على مصطبة الحانوت وشرع يزن لهم وهم يضعونه في ظرفهم ويتساقط فيما بين ذلك من

حياته وانتشر بعضها الى ناحية اليدك وهم لا يشعرون فاشتعلت تلك الحبات واتصلت بما في أيديهم وبالبطة ففرقت مثل المدفع العظيم واتصلت النار بدينك البرميلين كذلك فارتفع عقد الحانوت وما جاوره بما على تلك العقود من الأبنية والبيوت والربع والطباق في الهواء والتهبت بأجمعها نارًا وسقطت بمن فيها من السكان على من كان أسفلها من الناس الواقفين والمارين وصارت كومًا يظن من لم يكن رآه قبل ذلك أنه له مائة عام وذلك كله في طرفة عين بحيث أن الواقف في ذلك السوق أو المار لم يمكنه الفرار والبعيد أصيب في بعض أعضائه إما من النار أو الردم وكان السوق في ذلك الوقت مزدحمًا بالناس خصوصًا وعصرية رمضان وذلك السوق مشتمل على غالب حوائج الناس وبه حوانيت العطارين والزياتين والقبانية والصيارف وبياعي الكنافة والقطائف والبطيخ والعبداوي ودكاكين المزينين والقهاوي وغالب جيران تلك الجهة وسكان السبع قاعات وشمس الدولة يأتون في تلك الحصة ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلي والخاصل أن كل من كان حاصلًا بتلك البقعة في ذلك الوقت سواء كان عاليًا أو متسفلًا أو مارًا أو واقفًا لحاجة أو جالسًا أصيب البتة وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف من رصاص وقصدير ونحاس وكحل وكبريت وعنده موازين شبه الجلل فلما اشتعل ذلك البارود صارت تلك الجلل وقطع الرصاص والكحل والمغنطيس تتطاير مثل جلل المدافع حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها وكان خان البهار مقفولًا متخربًا وبابه كبير مسماري فصدمه بعض الجلل وكسر واشتعل بالنار واتصل بالطباق التي تعلو ذلك الخان ووقعت ضجة عظيمة وكل من كان قريبًا وسلم أسرع يطلب الفرار والنجاة وما يدري أي شيء القضية فلما وقعت تلك الضجة وصرخت النساء من كل جهة وانزعجت الناس انزعاجًا شديدًا وارتجت الأرض واتصلت الرجة الى نواحي الأزهر والمشهد الحسيني طنوها زلزلة وشرع تجار خان الحمزاوي في نقل بضائعهم من الحواصل فإن النار تطايرت إليه من ظاهره وحضر الآغا والوالي فتسلم الآغا جهة الحمزاوي وتسلم الوالي جهة شمس الدولة وتبعوا النار حتى أخدموها وختموا على دكاكين الناس التي بذلك الخط وأرسلوا ختموا بيت أحمد ميلاد الذي خرجت النار من حانوته بعد أن أخرجوا منه النساء ثم أخرجوا عنهم بأمر اسمعيل بك وأحضروا في صباحها نحو المائتين فاعل وشرعوا في نبش الأتربة وإخراج القتلى وأخذ ما يجدونه من الأسباب والأمتعة.

وما في داخل الحوانيت من البضائع والنقود وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النساء وغير ذلك شيئًا كثيرًا حتى الحوانيت التي لم يصيبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها وأصحابها ينظرون ومن طلب شيئًا من متاعه يقال له هو عندنا حتى تثبته هذا إذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى إليه وقيامه قائمة ومن يقرأ ومن يسمع ووقفت أتباعهم بالنبايت من كل جهة يطردون الناس ولا يمكنون أحدًا من أخذ شيء جملة كافية وأما القتلى فإن من كان في السوق أو قريبًا من تلك الحانوت والنار فإنه احترق ومن كان في العلو من الطباق انهرس ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقيه وإذا ظهر وكان عليه شيء أو معه شيء أخذه وإن كانت امرأة جردوها وأخذوا حليها ومصاعها ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم إلا بدراهم يأخذونها وكأنما فتح لهم باب الغنيمة ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته وجدوه تمزق واحترق وصار قطعًا مثل الفحم فجمعوا منه ست قطع وأخذوا شيئًا كثيرًا من حانوته ودراهم وودائع كانت أسفل الحانوت لم تصيبها النار وكنتم عليها الردم والتراب.

وكذلك حانوت رجل زيات انهدم على صاحبه فكشفوا عنه وأخرجوه ميتًا وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوي انهدمت داره أيضًا وأخذوا ما فيها ومن جملتها صندوق ضمنه دراهم لها صورة ونحو ذلك واستمر الحال على ذلك أربعة أيام في حفر ونبش وإخراج قتلى وجنائز وبلغت القتلى التي أخرجت نيقًا عن مائة نفس وذلك خلاف ما بقي تحت الردم منهم أمام الزاوية المجاورة لذلك فإنها انخسفت أيضًا على الامام وبقي تحت الردم ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد وفقدوا

دماغه فجمعوا أعضائه ووضعوها في كيس قماش ودفنوه وسدوا على تلك الخطة من الجهتين وتركوها كما هي مدة أيام ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة.

وفي يوم الخميس حضر الرسل من عند القبليين وحضر أيوب بك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية وعثمان بك الطنبرجي عن مراد بك وعبد الرحمن بك عن إبراهيم بك فذهبوا إلى حسن باشا وقابلوه وكذلك قابلوا عابدي باشا ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا وتكلموا في شأن هؤلاء الجماعة وقالوا هؤلاء ليسوا المطلوبين ولم يأت إلا أيوب بك الكبير من المطلوبين ولم يأت عثمان بك الأشقر وأيوب بك الصغير فاتفق الرأي على إعادة الجواب فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صعبة سلحدار حسن باشا.

وفي هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها ووصل بوقوع حريق عظيم ببندر جدة وتوفي أحمد باشا واليها وعبي علي بك الدفتردار كساوي للأمراء فأرسل إلى اسمعيل بك وحسن بك الجداوي ورضوان بك وباقي الصناجق والأمراء حتى لحريمهم وأتباعهم وأرسل أيضًا لطائفة الفقهاء وفتح السفر لجهة المستو وتقليد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا.

وفي منتصفه وقعت حادثة بثمر بولاق بين طائفة القليونجية والفلاحين باعة البطيخ وذلك أن شخصًا قليونجيًا ساوم على بطيخة وأعطاه دون ثمنها فامتنع وتشاجر معه فوكزه العسكري بسكين فزرق الفلاح على شيعته وزعق الآخر على رفقاءه فاجتمع الفريقان ووقع بينهم مقتلة كبيرة قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين إنسانًا ومن القليونجية نحو أربعة.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه قررت تفريده على بلاد الأرياف أعلى وأوسط وأدنى الأعلى خمسة وعشرون ألفًا نصف فضة والأوسط سبعة عشر ألف والأدنى تسعة آلاف وذلك وفيه رفعوا خفارة البحرين عن بن حبيب وكذلك الموارد والتزم بها رضوان بك على خمسين كيسًا يقوم بها في كل سنة لطرف الميري وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين بن حبيب فإنه لما تولى المنوفية ومر على دجوة أرسل له بن حبيب مقدمة فاستقلها ثم أرسل إليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جملاً وأشياء فامتنع بن حبيب فأرسل يطلبه ليقابله فلم يذهب إليه واعتذر ولما رجع نزل إليه ابنه علي بالضيافة فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته وأضمر له في نفسه وتكلم معه حسن باشا في رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور وطريقة العثمانية الميل إلى الدنيا بأي وجه كان فأخرج فرمًا بذلك.

وفي ثاني شوال برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم سليم بك الاسماعيلي للغربية وشاهين بك الحسيني لإقليم المنصورة علي بك الحسيني لإقليم المنوفية ومحمد بك كشكش للشرقية وعثمان بك الحسيني للجيزة وعثمان كاشف الاسماعيلي للفيوم ويوسف كاشف الاسماعيلي للبهنسا وأحمد كاشف للجيزة.

وفي ثامن شهر سلحدار الباشا وسليمان كاشف قنبر المسافرين بالجوابات إلى الأمراء القبليين وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ما عينوا لهم وقالوا إن هذه البلاد لا تكفي فأمروا لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى فقال اسمعيل بك: اطلبوا منهم حلواتًا فقال وفي عاشره حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور يخبر فيها بعضيان عرب جرب وغيرهم وقعودهم على الطريق ومنعهم السبيل ويحتاج أن أمير الحاج يكون في قوة واستعداد وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف وخرج إليهم في نحو خمسة عشر ألفًا.

وفي منتصفه كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العيني المعروفة بتكية البكتاشية وخبرها أن هذه التكية موقوفة على طائفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب وصارت في غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بك وغلّام يدعي أنه من ذرية مشايخها المقبورين فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه الى الأمراء وسافر الى اسكندرية فصادف مجيء حسن باشا واجتمع به وهو بهيئة الدراويش وهم يميلون لذلك النوع وصار من أخصائه لكونه من أهل عقيدته وحضر صحبتة الى مصر وصار له ذكر وشهرة ويقال له الدراويش صالح فشرع في تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التي توسط لأربابها مع حسن باشا فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها المحيطة بها وأنشأ بها صهريجًا في فسحة القبة.

ورتب لها تراتيب ومطبخًا وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا فلما تم ذلك عمل وليمة ودعا جميع الأمراء فحصل عندهم وسوسة واعتدوا وركبوا بعد العصر بجميع مماليتهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين فمد لهم سماءًا وجلسوا عليه وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسمومًا وقاموا وتفرقوا خارج القصر والمراكب وعمل شنك وحرقة نفوط وبارود ظنوا غرابته ثم ركبوا في حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه خرج المحمل وأمير الحجاج غيطاس بك في موكب محتقر بدون الينكجارية والعزب مثل العام الماضي فخرجوا الى الحصوة وأقاموا هناك ولم يذهبوا الى البركة.

وفي يوم الثلاثاء غايته ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر وارتحلوا في ضحوة يوم لأربعاء غرة شهر القعدة.

شهر القعدة الحرام في ثلثه يوم الجمعة الموافق لثالث عشر مسرى القبطي أو في النيل المبارك أذرعه ونودي بذلك وعمل الشنك وركب حسن باشا في صباحها وكسروا السد بحضرته وجرى الماء في الخليج ولم يحضر عابدي باشا لمرضه.

وفي سادسه نودي على المماليك أن لا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدًا فترك ذلك في جملة المتروكات وتزوج المماليك وصار لهم بيوت وخدم ويركبون ويغذون ويروحون ويشربون الدخان وهم راكبون في الشارع الأعظم وفي أيديهم شبكات الدخان من غير إنكار.

وهم في الرق ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم إنكار أسيادهم وترخيصهم لهم في الأمور فإذا مات بعض الأعيان بادر أحد المماليك الى سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت فيجيبه الى ذلك ثم تراه ركب في الوقت والساعة وذهب الى بيت المتوفى ولو قبل خروج جنازته ونزل في البيت وجلس فيه وتصرف في تعلقاته وحازه وملكه بما فيه وأقام بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ويأمر وينهي ويطلب الغداء والعشاء والفطور والقهوة والشربات من الحریم ويتصرف تصرف الملاك وربما وافق ذلك غرض المرأة فإذا رآته شابًا مليحًا قويًا وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك أظهرت له المخبات والمدخرات فيصبح أميرًا من غير تأمر وتتعدد عنده الخيول والخدم والفراشون والأصحاب ويركب ويذهب ويجيء الى بيت سيده وفي حاجاته وغير ذلك فجرى يومًا بمجلس حسن باشا ذكر ركوب المماليك على انفرادهم في الأسواق بحضرة بعض الاختيارية.

فقالوا إنه قلة أدب وخلاف العادة القديمة التي رأيناها وتربينا عليها فقال الباشا اكتبوا فرماتًا بمنع ذلك ففعلوا ذلك ونادوا به من قبيل الشغل الفارغ.

وفي سابعه ثقل عابدي باشا في المرض وأشيع موته.

وفي حادي عشره حضر حسين بك المعروف بشفت من قبلي في جملة الرهائن وقابل الباشا وأقام بمصر.

وفي منتصفه عوفي عابدي باشا من مرضه وشرعوا في طلب المال الشتوي فضج الملتزمون وتكلم الوجافلية في الديوان وقالوا: من أين لنا ما ندفعه وما صدقنا بخلاص المظالم والصيفي والفردة ولم يبق عندنا ولا عند الفلاحين شيء أعطونا الجامكية وفرح الناس بذلك ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة إلا بقدر ما عليه من الميري وإن زاد له شيء يبقى له وديعة بالدفتر وإن لم يكن له جامكية يدفع ما عليه نقدًا فصار بعض الملتزمين يأتي بأسماء برانية وينسبها لنفسه لأجل غلاق المطلوب منه فاتضحت تلك النسبة له بمراجعة الدفتر ثم منعوا كتابة الرجوع وصار الأفندية يكشفون على الدفاتر ويملون ويسددون بأنفسهم فمن زاد له شيء تبقى بالدفتر ومن زاد عليه شيء طلب منه.

وفي عشرينه ذهب الأمراء إلى حسن باشا وهم اسمعيل بك وحسن بك وعلي بك وباقي الأمراء فتكلم معهم بسبب الأموال التي جعلها عليهم والميري المطلوب منهم ومن أتباعهم.

وقال لهم: أنا مسافر بعد الأضحى ولا بد من تشهيل المطلوب فاعتذروا وطلبوا المهلة فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركي ومن جملة ما قال لهم: أنتم وجوهكم مثل الحيط وأمثال ذلك.

فخرجوا من عنده وهم في غاية من القهر وكان ذلك بإغراء اسمعيل بك ولما ذهب اسمعيل بك إلى بيته طلب أمراءه وشنع عليهم كما شنع عليه الباشا وحلف أن كل من تبقى عليه شيء ولو ألف وفي يوم الخميس غابته طلعوا عند عابدي باشا فطالبهم بالميري أيضًا وشنع عليهم وخصوصًا قاسم بك أباسيف وحلف أنه يحاسبهم حتى يدفعوا ما عليهم.

واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة وفيه حضر الآغا وعلى يده مقرر لعابدي باشا على السنة الجديدة.

وفيه أيضًا قوي عزم حسن باشا على السفر إلى بلاد الروم وأعطى لاسمعيل بك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب وصنع له قليوًا صغيرًا وقرر ألقًا وخمسائة عسكري يقيمون بمصر.

وفي يوم الخميس رابع عشره عمل حسن باشا ديوانًا بالقصر وحضر عنده عابدي باشا والمشايخ وسائر الأمراء بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا إلى الديار الرومية بسبب حركة السفر إلى لجهاد وإن الموسقو زحفوا على البلاد واستولوا على ما بقي من بلاد القرم وغيرها والثاني فيه ذكر العفو عن إبراهيم بك ومراد بك من القتل وأن يقيم إبراهيم بك بقنا ومراد بك بأسنا ولا إذن لهم في دخول مصر جملة كافية.

وفيه نودي على صرف الريال الفرنسية بمائة نصف فضة وكان وصل إلى مائة وعشرة فتضرر الناس من ذلك.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا وكان في عزمه النزول في المراكب بعد صلاة الجمعة فلما تكاملوا عنده قبض على الرهائن وهم عثمان

بك المرادي المعروف بالطنجري وحسين بك شفت وعبد الرحمن بك الابراهيمي ثم أمر بالقبض على حسن كتحدا الجربان وسليمان كاشف قبور فهرب حسن كتحدا وساق جواده فقبه جماعة من العسكر فلم يزل رامحاً وهم خلفه حتى دخل بيت حسن بك الجداوي ودخل الى باب الحريم وكان حسن بك بالقصر فرجع العسكر وأخبروا الباشا بحضرة اسمعيل بك فطلب حسن بك وسأله اسمعيل بك فقال: إن كان في بيتي خذوه فأرسلوا وأحضروه ووضعوه صحبة المقيدين.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن وسافر صحبته ابراهيم بك قشطة ليشيعه الى رشيد وزار في طريقه سيدي أحمد البدوي بطندتا ولم يحصل من مجيئه الى مصر وذهابه منها إلا الضرر ولم يبطل بدعة ولم يرفع مظلمة بل تقرررت به المظالم والحوادث فإنهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة ويخافون من إشاعتها وبلوغ خبرها الى الدولة فينكرون عليهم ذلك وخابت فيه الآمال والظنون وهلك بقدمه إليها ثم التي عليها مدار نظام العالم وزاد في المظالم التحرير لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم ثم أعاده بإشارة اسمعيل بك وسماه التحرير فجعله مظلمة زائدة وبقي يقال رفع المظالم والتحرير فصار يقبض من البلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف والبراني وعوائد الكشوفية والفرد المتعددة ورفع المظالم والتحرير ومال الجهات وغير ذلك ولو مات حسن باشا بالإسكندرية أو رشيد لهلك عليه أهل الإقليم أسفاً وبنوا على قبره مزاراً وقبة وضريحاً يقصد للزيارة.

من مات في هذه السنة من الأعيان توفي الإمام العالم العلامة أوجد وقته في الفنون العقلية والنقلية شيخ أهل الإسلام وبركة الأنام الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي الالكي الأزهرى الخلوتي الشهير بالدردير ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة 1127 وحفظ القرآن وجوده وحب إليه طلب العلم فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء وسمع الأولية عن الشيخ محمد الدقري بشرطه والحديث على كل من الشيخ أحمد الصباغ وشمس الدين الحفني وبه تخرج في طريق القوم وتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه في جل درسه حتى أنجب وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني وصار من أكبر خلفائه كما تقدم وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة والزهد والعفة والديانة وحضر بعض دروس الشيخين الملوي والجوهري وغيرهما ولكن جل اعتماده وانتسابه على الشيخين الحفني والصعيدي وكان سليم الباطن مهذب النفس كريم الأخلاق وذكر لنا عن لقيه أن قبيلة من العرب نزلت ببلده كبيرهم يدعى بهذا اللقب فولد جده عند ذلك فلقب بلقبه تفاؤلاً لشهرته وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال ومتمن في فقه المذهب سماه أقرب المسالك لمذهب مالك ورسالة في متشابهات القرآن ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها وتحفة الأخوان في آداب أهل العرفان في التصوف وله شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكري ورسالة في المعاني والبيان ورسالة أفرد فيها طريقة حفص ورسالة في المولد الشريف ورسالة في شرح قول الوفاية: يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم.

وشرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام والأصل للشيخ البيلي وشرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش ورسالة في الاستعارات الثلاث وشرح على آداب البحث ورسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي وشرح على الشمائل لم يكمل ورسالة في صلوات شريفة اسمها المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق والتوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنی.

ومجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ ورسالة جعلها شرحًا على رسالة قاضي مصر عبد الله أفندي المعروف بططر زاده في قوله تعالى: يوم يأتي بعض آيات ربك الآية وله غير ذلك.

ولما توفي الشيخ علي الصعيدي تعين المترجم شيخًا علي المالكية ومفتيًا وناظرًا علي وقف الصعايدة وشيخًا علي طائفة الرواق بل شيخًا علي أهل مصر بأسرها في وقته حسًا ومعنى.

فإنه كان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق ولا يأخذه في الله لومة لائم وله في السعي علي الخير يد بضياء تعلل أيامًا ولزم الفراش مدة حتى توفي في سادس شهر ربيع الأول من هذه السنة وصلي عليه بالأزهر بمشهد عظيم حافل ودفن بزوايته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدي يحيى بن عقب وعندما أسسها أرسل إلي وطلب مني أن أحرر له حائط المحراب علي القبلة فكان كذلك وسبب إنشائه للزاوية أن مولاي محمد سلطان المغرب كان له صلات يرسلها لعلماء الأزهر وخدمة الأضرحة وأهل الحرمين في بعض السنين وتكرر منه ذلك فأرسل علي عادته في سنة ثمان وتسعين مبلغًا وللشيخ المترجم قدرًا معيّنًا له صورة وكان لمولاي محمد ولد تخلف بعد الحج وأقام بمصر مدة حتى نفذ ما عنده من النفقة فلما وصلت تلك الصلة أراد أخذها ممن هي في يده فامتنع عليه وشاع خبر ذلك في الناس وأرباب الصلات وذهبوا الي الشيخ بحصته فسأل عن قضية بن السلطان فأخبروه عنها وعن قصده وأنه لم يتمكن من ذلك فقال: والله هذا لا يجوز وكيف أننا نتفكه في مال الرجل ونحن أجانب وولده يتلظى من العدم هو أولى مني وأحق أعطوه قسمي.

فأعطاه ذلك ولما رجع رسول أبيه أخبر السلطان والده بما فعل الشيخ الدردير فشكره علي فعله وأثنى عليه واعتقد صلاحه وأرسل له ف يثاني عام عشرة أمثال الصلة المتقدمة مجازاة للحسنة فقبلها الأستاذ وحج منها ولما رجع من الحج بنى هذه الزاوية مما بقي ودفن بها رحمه الله ولم يخلف بعده مثله. ومات

الشيخ الإمام العلامة المتفنن المتقن المعمر الضرب

الشيخ محمد المصليحي الشافعي أحد العلماء أدرك الطبقة الأولى وأخذ عن شيوخ الوقت وأدرك الشيخ محمد شنن المالكي وأخذ عنه وأجازه الشيخ مصطفى العيزي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ أحمد الملوي والحفني والدفري والشيخ علي قايتباي والشيخ حسن المدابغي وناضل ودرس وأفاد وأقر وانتفع عليه الطلبة ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري وانقرض أشياخ الطبقة الأولى نوه بذكره واشتهر صيته وحف به تلامذته وغيرهم ونصبوه شبكة لصيدهم وآلة لاقتناصهم وأخذوه الي بيوت الأمراء في حاجاتهم وعرضوا به المتصدرين من الأشياخ في الرئاسة ويرى أحقيته لها لسنة وأقدميته ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري وتقدم الشيخ أحمد العروسي في مشيخة الأزهر كان المترجم غائبًا في الحج فلما رجع وكان الأمر قد تم للعروسي أخذه حمية المعاصرة وأكثرها من إغراء من حوله فيحركونه للمناقضة والمناكدة حتى أنه تعدى علي تدريس الصلاحية بجوار مقام الإمام الشافعي المشروطة لشيخ الأزهر بعد صلاة الجمعة فلم ينازعه الشيخ أحمد العروسي وتركها له حسمًا للشر وخوفًا من ثوران الفتن والتزم له الإغضاء والمسامحة في غالب الأطوار ولم يظهر الالتفات لما يعانوه أصلًا حتى غلب عليهم بحلمه وحسن مسابرتة حتى أنه لما توفي المترجم ورجع إليه تدريس الصلاحية لم يباشر التصدر في الوظيفة بل قرر فيها تلميذه العلامة الشيخ مصطفى الصاوي وأجلسه وحضر افتتاحه فيها وذلك من حسن الرأي وجودة السياسة توفي المترجم ثاني عشر شوال من هذه السنة وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين.

ومات الإمام العلامة واللوزعي الفهامة لسان المتكلمين وأستاذ المحققين الفقيه النبيه المستحضر الأصولي المنطقي الفرضي الحيسوب الشيخ عبد الباسط السنديوني الشافعي تفقه على أشياخ العصر المتقدمين وأجازه أكابر المحدثين ولازم الشيخ محمد الدفري وبه تخرج في الفقه وغيره وأنجب ودرس وأفاد وأفنى في حياة شيوخه وكان حسن الإلقاء جيد الحافظة يملئ دروسه عن ظهر قلبه وحافظته عجيب الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى في مسألة مشكلة في المناسخة فتصدى لتحريرها وقسمتها جماعة من الأفاضل ومنهم الشيخ محمد الشافعي الجناحي وناهيك به في هذا الفن وتعبوا فيها يومًا وليلة حتى حرروها على الوجه المرضي ثم قالوا دعنا نكتبها في سؤال على بياض ونرسلها للمتصدرين للإفتاء وننظر ماذا يقولون في الجواب وهو لا يعلم بشيء مما عانوه فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذي تعب فيه الجماعة يومًا وليلة فقضوا عجبًا من جودة استحضاره وحدة ذهنه وقوة فهمه إلا أنه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور اتفق أنه تنازع مع عجوز في فدان ونصف طين مدة سنين وأهين بسببها مرارًا في أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ الحفني ورأيت مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ أحمد العروسي فنهاه الشيخ العروسي عنها ولامه فلم ينته ولم يزل ينازعها وتنازعه الى أن مات وغير ذلك أمور يستحي من ذكرها في حق مثله وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه توفي في أول جمادى الآخرة من السنة وصلي عليه بالأزهر ودفن بترية المجاورين رحمه الله وغفر لنا وله.

ومات الشيخ الفاضل الصالح المجذوب صاحب الأحوال محمد ابن أبي بكر بن محمد المغربي الطرابلسي الشهير بالأثرم ولد بقرية أنكوان من أعمال طرابلس في حدود سنة خمس وأربعين وبها نشأ وتتنسب جدوده الى خدمة الولي الصالح الشهير سيدي أحمد زروق قدس سره وغلب عليه الجذب في مبادئ أمره وحفظ جملة من كلام الشيخ المشار إليه ومن كلام غيره وكان مبدأ أمره فيما أخبرنا أنه توجه الى تونس برسم التجارة فاجتمع على رجل من الصالحين هناك ولازمه فلما قربت وفاته أوصى إليه بملبوس بدنه فلما توفي جمع الحاضرين وأراد بيعه فأشار إليه بعض أهل الشأن أن يرض به ولا يبيعه فتنافس فيه الشارون وتزايدوا فدفع الدراهم من عنده في ثمنه وأبقاه وكان المتوفى فيما قيل قطب وقته.

فلبسه الوجد في الحال وظهرت له أمور هناك واشتهر أمره وأتى الى الإسكندرية فسكنها مدة ثم ورد مصر في أثناء سنة 1185 وحصلت له شهرة تامة ثم عاد الى الاسكندرية فقطعها مدة ثم عاد الى مصر وهو مع ذلك ينجر في الغنم وأثرى بسبب ذلك وتمول وكانت الأغنام تجلب من وادي برقة فيشارك عليها مشايخ عرب أولاد علي وغيرهم وربما ذبح بنفسه بالثغر فيفرق اللحم على الناس ويأخذ منهم ثمن ذلك وكان مشهورًا بإطعام الطعام والتوسع فيه في كل وقت وربما وردت عليه جماعة مستكثرة فيقربهم في الحال وتنقل له في ذلك أمور.

ولما ورد مصر كان على هذا الشأن لا بد للداخل عليه من تقديم مأكول بين يديه وهادته أكابر الأمراء والتجار بهدايا فاخرة سنية وكان يلبس أحسن الملابس وربما لبس الحرير المقصب يقطع منها ثيابًا واسعة الأكمام فيلبسها ويظهر في كل طور في ملبس آخر غير الذي لبسه أولًا وربما أحضر بين يديه آلات الشرب وانكبت عليه نساء البلد فتوجه إليه بمجموع ذلك نوع ملام إلا أن أهل الفضل كانوا يحترمونه ويقرون بفضله وينقلون عنه أخبارًا حسنة.

وكان فيه فصاحة زائدة وحفظ لكلام القوم وذوق للفهم ومناسبات للمجلس وله أشرف على الخواطر فيتكلم عليها فيصادف الواقع ثم عاد الى الإسكندرية ومكث هناك الى أن

ورد حسن باشا فقدم معه وصحبته طائفة من عسكر المغاربة ولما دخل مصر أقبلت عليه الأعيان وعلت كلمته وزادت وجاهته وأتته الهدايا وكانت شفاعته لا ترد عند الوزراء ولما كان آخر جمادى الأولى من هذه السنة توجه الى كرداسة لإيقاع صلح بين العرب وبين جماعة من القافلة المتوجهة الى طرابلس فمكث عندهم في العزائم والإكرامات مدة من الأيام ثم رجع وكان وقتًا شديد الحر فخلع ثيابه فأخذه البرد والرعدة في الحال ومرض نحو ثمانية أيام.

حتى توفي نهار الثلاثاء ثالث جمادى الثانية وجهز وكفن وصلي عليه بمشهد حافل بالأزهر.

ودفن تحت جدار قبة الإمام الشافعي في مدافن الرزازين وحزنت عليه الناس كثيرًا وقد رآه أصحابه بعد موته في منامات عدة عدل على حسن حاله في البرزخ رحمه الله.

ومات الإمام العلامة والفاضل الفهامة صفوة النبلاء ونتيجة الفضلاء الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السحيمي الحنفي القلعاوي تفقه على والده وعلى الشيخ أحمد الحماقي وحضر معنا على شيخنا الشيخ مصطفى الطائي الهداية وأنجب ودرس في فقه المذهب والمعقول مع الحشمة والديانة ومكارم الأخلاق والصيانة توفي سادس عشر شوال ودفن عند والده بباب الوزير.

ومات الأجل العمدة الشريف الصالح السيد عبد الخالق بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد تاج العارفين المنتهي نسبه الى سيدي عبد القادر الحسني الجيلي المصري ويعرف بابن بنت الجيزي وهو أخو السيد محمد الجيزي المتوفى قبل ذلك من بيت الثروة والعز والسيادة تولى بعد أخيه الكتابة ببيت النقابة ومشخة القادرية وأحسن السير والسلوك مع الوقار والحشمة.

وكان إنسانًا حسنًا كثير الحياء متجمعًا عن الناس مقبلًا عن شأنه وفيه رقة طبع مع الأخلاق المهذبة والتواضع للناس والانكسار رحمه الله.

ومات الأمير الصالح المبجل أحمد جاويش أرنؤد باش اختيار وجاه التفكجية وكان من أهل الخير والدين والصلاح عظيم اللحية منور الشبيبة مبجلًا عند أعاضم الدولة يندفع في نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسمعون لقوله وينصتون لكلامه ويتقون ويحترمونه لجلالته ونزهته عن الأغراض وكان يحب أهل الفضائل وبحضر دروس العلماء ويزورهم ويقتبس من أنوار علومهم ويذهب كثيرًا الى سوق الكتبيين ويشتري الكتب ويوقفها على طلبة العلم واقتنى كتبًا نفيسة ووقفها جميعها في حال حياته ووضعاها بخزانة الكتب بجامع شيخون العمري بالصليبة تحت يد الشيخ موسى الشيوخوني الحنفي وسمع على شيخنا السيد مرتضى صحيح البخاري ومسلم وأشياء كثيرة والشمائل والثلاثيات وغير ذلك وبالجملة فكان من خيار من أدركنا من جنسه ولم يخلف بعده مثله توفي في ثامن شوال من السنة وقد ناهز التسعين.

ومات الأمير المبجل أحمد كتخدا المعروف بالمجنون أحد الأمراء المعروفين والقراصنة المشهورين وهو من مماليك سليمان جاويش القازدعلي ثم انضوى الي عبد الرحمن كتخدا وانتسب إليه وعرف به وأدرك الحوادث والفتن التليدة والطارفة ونفي من نفي في إمارة علي بك الغزاوي في سنة ثلاث وسبعين الى بحري ثم الى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة نحو اثنتي عشرة سنة وقادًا بالحرم المدني ثم رجع الى الشام وأحضره محمد بك أبو الذهب الى مصر وأكرمه ورد إليه بلاؤه وأحبه واختص به وكان يسامره ويأنس بحديثه ونكاته فإنه كان يخلط الهزل بالجد يأتي بالمضحكات في خلال المقبضات فلذلك سمي بالمجنون وكان يلدترسا بالجيزة جارية في التزامه وعمر بها قصرًا وأنشأ بجانبه بستانًا عظيمًا زرع فيه أصناف الأشجار والنخيل والرياحين ويجلب من ثماره الى مصر

للبيع والهدايا وبرغب فيها الناس لجودتها وحسنها عن غيرها وكذلك أنشأ بستانًا بجزيرة المقياس في غاية الحسن وبنى بجانبه قصرًا يذهب إليه في بعض الأحيان ولما حضر حسن باشا إلى مصر ورأى هذا البستان أعجبه فأخذه لنفسه وأضافه إلى أوقافه وبنى المترجم أيضًا داره التي بالقرب من الموسكي داخل درب سعادة ودأبًا على الخليج المرخم أسكن فيه بعض سراريه وكان له عزوة ومماليك ومقدمون وأتباع وإبراهيم بك أوده باشه من مماليكه ورضوان كتخدا الذي تولى بعده كتخدا الباب وكان مقدمه في المدد السابقة يقال له المقدم فوده له شأن وصوله بمصر وشهرة في القضايا والدعاوى ولم يزل طول المدد السابقة جاويسيًا فلما كان آخر مدة حسن باشا قلدوه كتخدا مستحفظان ولم يزل ومات الأمير الجليل محمد بك الماوردي وهو مملوك سليمان آغا كتخدا الجاويشية زوج أم عبد الرحمن كتخدا وخشداشيه حسن بك الأزيكاوي الذي قتل بالمساطب كما تقدم وحسن بك المعروف بأبي كرش فكان الثلاثة أمراء يجلسون بديوان الباشا وسيدهم كتخدا الجاويشية واقف في خدمته على أقدامه وممرت له محن في تنقلاته ورحلاته إلى البلاد عندما تملك علي بك وخرج المترجم منفياً وهارباً من مصر مع من خرج وباشر الحروب بأسبوط وذهب إلى الشام وغيرها لكن لم أتحقق وقائعه ولم يزل حتى حضر إلى مصر في أيام أبي الذهب وقد صار ذا شعبة وتزوج بنت الشيخ العناني وأقام بينهم بسوق الخشب خاملاً حتى مات في هذه السنة وكان لا بأس به وتقلد في المدد السابقة أغاوية مستحفظان ثم الصنجدية ونظارة الجامع الأزهر.

سنة اثنتين ومائتين وألف استهل المحرم بيوم السبت فيه عزل المحتسب وتولى آخر يسمى يوسف آغا الخربتاوي.

وتولى عثمان بك طبل الاسماعيلي على دجرجا.

وفيهما انفرد اسمعيل بك الكبير في إمارة مصر وصار بيده العقد والحل والإبرام والنقض.

واستوزر محمد آغا البارودي وجعله كتخداه واستمر اسمعيل كتخدا حسن باشا بمصر لقبض وفيه قبض اسمعيل بك على الحاج سليمان بن ساسي وحبسه ببيت محمد آغا البارودي وصادره في خمسين كيسًا.

وفي خامسه طلب اسمعيل بك دراهم قرضة مبلغًا كبيرًا فوزعوا منها جانبًا على تجار البن والبهار وجانبًا على الذين يقرضون البن بالمرايحة للمضطرين وجانبًا على نصارى القبط وعلى الأروام والشوام وعلى طوائف المغاربة بطولون والغورية وعلى المتسبيين في الغلال بالسواحل والرقع وكذلك يباعو القطن والبطانة والقماش والمنجدون واليهود وغير ذلك.

فانزعج الناس وأغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان.

وفي يوم السبت خامس عشره اجتمع جملة من الطوائف المذكورة وحضروا إلى الجامع الأزهر وضجوا واستغاثوا من هذا النازل وحضر الشيخ العروسي فقاموا في وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع فمنعهم من ذلك فصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم إلى جهة رواق الشوام.

فمنع عنه المجاورون وأدخلوه إلى الرواق ودافعوا عنه الناس وقفلوا عليه باب الرواق.

وصحبته طائفة من المتعممين وكتبوا عرضًا إلى اسمعيل بك بسبب ذلك وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومي وانتظروه حتى رجع إليهم ومعه تذكرة من اسمعيل بك مضمونها الأمان والعفو عن الطوائف المذكورة.

وفيهما أن هذا المطلوب إنما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذلك فلما قرئت عليهم التذكرة قالوا: هذه مخادعة وعندما ينفض الجمع وتفتح الدكاكين يأخذونا واحدًا بعد واحد ثم قام الشيخ وركب وحوله الجم الغفير والغوغاء وبعض المجاورين يدفع الناس عنهم بالعصي والعامة يصيحون عليه ويسمعونه الكلام غير اللائق إلى أن وصل إلى باب زويلة.

فنزل بجامع المؤيد وأرسل إلى اسمعيل بك يخبره بهذا الحال فحنق اسمعيل بك ووطن أنها مفتعلة من الشيخ وأنه هو الذي أغراهم على هذه الأفعال فأجابه الرسل وحلفوا له ببراءته من ذلك وليس قصده إلا الخلاص منهم فقال: أنا أرسلت إليهم بالأمان ودعوهم ينفضوا وما أحد يطالبهم بشيء فانفضوا وتفرقوا ومضى على ذلك يومًا فأرسلوا إلى أهل الصاغة والجواهرجية والنحاسين وطلبوهم بالمقرر والموزع عليهم فلم يجدوا بدًا من الدفع ثم طالبوا وكالة الجلاية وتطرق الحال إلى باقي الناس حتى بياعي الفسيخ ومجموع ذلك نحو اثنين وسبعين حرفة.

وفي منتصفه حضر علي كاشف من جهة قبلي وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة إلى الأمراء القبالي وأخبر أنهم مستقرون في أماكنهم ولم يتحركوا.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه سافر أمير القلزم بملاقة الحاج وكان من عاداته السفر في أول الشهر ولم يحضر في هذه السنة نجاب الجبل وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين وأخذوا أيضًا بيته الذي كان سكن به فلما استقر يحيى بك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بك وهو بيت أبيها وهو أحق به.

ثم استهل شهر صفر الخير وفيه كملت القيسارية التي عمرها اسمعيل بك بجانب السبيل الذي بسوقه لاجين فأنشأ بها إحدى وعشرين حانوتًا وقهوة وجعلها مربعة الأركان وهذا السبيل من إنشاء سيده إبراهيم كتحدا ولما أتمها نقل إليها سوق درب الجماميز بعد العصر وانتقل إليه الدلالون والناس والقماشون في عصرية يوم الثلاثاء ثانية ويطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم وليس لاسمعيل بك من المحاسن إلا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه في هذه الجهة كما لا يخفى.

وفي اشتد العسف في الرعية بسبب طلب السلفة وتعدى الحال إلى بيع المخلل والصوفان وتضرر الفقراء من ذلك.

وفي سابعه سافر محمد باشا والي جدة إلى السويس.

وفي يوم السبت ثالث عشره طلع اسمعيل بك والأمراء إلى الديوان بالقلعة وأخرج قوائم مزاد البلاد التي تأخر على ملتزميها الميري فتصدر لشرائها محمد آغا البارودي فاشترى نحو سبعين بلدًا وفي الحقيقة هي راجعة إلى مخدومه يفرقها على من يشاء من أغراضه.

فشرع أولًا في طلب الشتوي وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفًا ثم ادعى أن حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ودخلت في حسابه وطلب سنة ونصف أخرى وطلب المال الصيفي أيضًا فعجزت الملتزمون ففعل هذه الفعلة وأخرج قوائم مزادهم إلى الديوان واستخلصها من ملتزميها.

وفي تلك الليلة حضرت جماعة من كشاف النواحي القبلية وأخبروا أن الأمراء القبالي حضروا إلى أسيوط وأوائلهم تعدى منفلوط فهرب من كان هناك من الكشاف وغيرهم وحضروا إلى مصر فلما تحققت هذه الأخبار طلع في صباحها اسمعيل بك إلى الديوان

واجتمع الأمراء والوجاقلية أو المشايخ فتكلم اسمعيل بك وقال: يا أسيادنا يا مشايخ يا أمراء يا وجاقلية إن الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان وانتقلوا من أماكنهم وزحفوا على البلاد.

فهل الواجب قتالهم ودفعهم فقالوا: نعم فقال إن المخالفين إذا نقضوا عهد السلطان ولزم الحال إلى قتالهم يصرف المقاتلين من العسكر من خزينة السلطان وليس هنا خزينة فكل منكم يقاتل عن نفسه فأجابه اسمعيل أفندي الخلوتي وقال: ونحن أي شيء تبقى عندنا حتى نصرفه وقد صرنا كلنا شحاتين لا نملك شيئاً فقال له الباشا: هذا الكلام لا يناسب ولا ينبغي أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام والأولى أن تقول لهم أنا وأنتم شيء واحد إن جعت جوعوا معي وإن شبعنا اشبعوا معي ثم انحط الرأي بينهم على أن يكتبوا عرساً للدولة والإخبار عن نقضهم وعرضاً لهم بالتحذير ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرياف بالحضور وبكى اسمعيل بك بالمجلس ونهذه في بكائه ثم كتبوا مكانة من الباشا ومن الوجاقلية والمشايخ وأرسلوها صحة واحد من طرف الباشا وسراج من طرف اسمعيل بك.

وأرسلوا إلى محمد باشا المسافر إلى جدة بالرجوع من السويس إلى مصر بأمر من الدولة.

وفي ذلك اليوم أعني يوم الأحد رابع عشره حضر جاويش الحاج من العقبة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره نهبوا على ممالك الأمراء القبليين وكشفاهم الكائنين بمصر بالاجتماع والحضور فأرسل كل من كان مستخدماً عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم فجمعهم في مكان في بيته ومن كان غائباً في حاجة أرسلوا إليه وأحضروه فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم وأبقوهم في الترسيم وأما علي بك الدفتردار فإنه لم يسلم فيمن عنده وكان منقطعاً في الحريم لصداق برأسه ووجع في عينيه من مدة شهرين.

وفي يوم الجمعة كان نزول الحجاج ودخولهم إلى مصر وكانوا أغلقوا أبواب مصر وأجلسوا عليها حرسية فلم يدخل الحجاج إلا من باب النصر فقط فتضرر الناس من الازدحام في ذلك الباب وارتاح الحجاج في هذا العام ولم يحصل لهم تعب وزاروا المدينة الشريفة.

وفيه نزل الآغا وصحبته كتحدا الباشا وأمامهما المنادة على كل من كان مختفياً من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم بالظهور ويطلعوا يقابلوا الباشا وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام فإنه يستأهل الذي يجري عليه.

وفي صباحها يوم السبت دخل أمير الحاج غيطاس بك وصحبته المحمل.

وفيه شرع اسمعيل بك في طلب تفريضة من البلاد والقرى فجعلوا على كل بلد مائة دينار وعشرة خلاف ما يتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك وعين لقبضها خازن داره وغيره.

وفي تاسع عشره قبضوا على جماعة من المماليك والأجناد وهم الذين كانوا في الترسيم.

وأنزلوهم في مراكب وأرسلوهم إلى ثغر الاسكندرية وحبسوهم بالبرج ومنهم جماعة بأبي قير وكان علي بك توقف في تسليم المنتسبين إليه فلم يزل به اسمعيل بك حتى سلم فيهم.

وفي عشرينه قبضوا على بواقيهم وأنزلوهم المراكب أيضًا وبعضهم أنزلوه عرباتًا ليس عليه سوى القميص والصديري واللباس وطاقيّة أو طربوش معمم عليه بمحرمة أو منديل ونحو ذلك ولم تزل الحرسجية مقيمين على الأبواب وحصل منهم الضرر للناس والرعية والمتسبين والفلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ونحو ذلك وكل من أراد العبور من باب منعه من الدخول حتى يأخذوا منهم دراهم ولو كان بنفسه.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه نزل الآغا وأمامه الوالي وأوده باشة البوابة وأمامهم المناداة على جميع الألباشات المنتسبين الى الوجاقات بأنهم يأخذوا لهم أوراقًا من أبوابهم وكل من وجد وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام يحصل له مزيد الضرر ويبدد المنادي فرمان من الباشا.

وفيه ركب اسمعيل بك ونزل الى بولاقل ليتفرج على شركفلك الذي صنعه وتم شغله وقد زاد في صنعه عما فعله حسن باشا بأن ركب على عجل يجروه وزاد في إتقانه وسبك جلاّ كثيرة للمدافع فلما رآه أعجبه وشرع أيضًا في عمل شركفلكين اثنين وجهاز ذخيرة عظيمة من بقسيمات وغيره.

وفي يوم الاثنين حضر الرسول الذي كان توجه بالرسالة للأمراء القليبيين وهو الذي من طرف الباشا وصحبته آخر من طرف اسمعيل بك وعلى يدهما جوابان: أحدهما خطاب للباشا والثاني خطاب للمشايخ فاجتمعوا بالديوان في صباحها يوم الثلاثاء وقرأوا الجوابات.

وملخصها: إنكم نسبتونا لنقض العهد والحال أن النقص حصل منكم بتفسير إخواننا الرهائن وذهابهم مع قبطان باشا الى الروم وما فعلتم في بيوتنا وحريمنا ولما حصل ذلك احتد البعض منا وزحفوا الى بحري فركبنا خلفهم نردهم فلم يمثلوا فأقمنا معهم فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع اقتضى الرأي كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ وفيها الملاطفة في الخطاب والاعتذار وأرسلوها واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأربعاء وفي ثانيه ركب الآغا وشق الأسواق وصار يقف على الوكائل والخانات ويفتش على الألباشات ودخل سوق خان الخليلي ونبه على أفرادهم وقال لهم: في غد أحضر في التبديل وكل من وجدته من غير ورقة جدك فعلت به وفعلت وقطعت أذنيه أو أنفه.

وفيه عزل أحمد أفندي الصفائي الروزنامجي من الروزنامة لمرضه وتقلد أحمد أفندي المعروف بأبي كلية قلعة الأنبار روزنامجي عوضًا عنه.

وفي سادسه أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس وكتبوا لهم أيضًا سمهود وبرديس زيادة على ما بأيديهم من البلاد والحال أن الجميع بأيديهم.

وفي يوم الثلاثاء حضر عابدي باشا واسمعيل بك الى بيت الشيخ البكري باستدعاء المولد النبوي فلما استقر بهم الجلوس التفت الباشا الى جهة حارة النصارى وسأل عنها فقيل له إنها بيوت النصارى فأمر بهدمها وبالمناداة عليهم بالمنع من ركوب الحمير فسعوا في المصالحة وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال منها على الشوام سبعة عشر ألفًا وباقياها على الكتبة.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الجمعة فيه كتب الباشا فرمانًا على موجب الفتوى ونزل به أغات مستحفظان ونادى به جهازًا وكذلك التنبيه على جميع الوجاقلية باتباع أبوابهم وحضور وفي ثالثه أنفق اسمعيل بك على الأمراء الصناجق وأرسل لهم الترحيلة فأرسل الى حسن بك الجدائي ثمانية عشر ألف ريال فغضب عليها وردّها ووبخ محمدًا كتحدا البارودي وركب مغضبًا وخرج الى نواحي العادلية فركب إليه في صباحها اسمعيل بك

وعلي بك الدفتردار وصالحاه وزاد له في الدراهم حتى رضي وتكلم مع اسمعيل بك في تشديده على الرعية والألضاشات.

وفي يوم الخميس ثامنه سافر إمام الباشا وعلي كاشف من طرف اسمعيل بك بجوابات للأمراء القبليين حاصلها إما الرجوع الى أماكنهم على موجب الاتفاق والصلح بشرط أن تدفعوا ميرى البلاد التي تعدت عليها وإلا فنحن أيضًا تنقض الصلح بيننا وبينكم ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بك ارتحل من طحطا غرة الشهر وحضر الى المنية عند قسيمه مراد بك.

وأن مراد بك فرق البلاد من بحري المنية على أتباعه وأتباع الأمراء الذين بصحبته ثم وقع التراخي في أمر التجريدة وحصل التواني والإهمال والتربك وخرجت الخيول الى المرعى.

وفي يوم الجمعة سادس عشره نزل عابدي باشا الى بولاك وركب إليه اسمعيل بك وبقية الأمراء وأمامه مدافع الزنبلك على الجمال فتفرج على الشركفلكات وسيروا أمامه الثلاث غلايين الى مصر القديمة وضربوا مدافعها ثم عاد وطلع الى القلعة.

وفي يوم الثلاثاء عزل أحمد أفندي أبو كلبة من الروزنامة وتقلدها عثمان أفندي العباسي على رشوة دفعها وضاع على أحمد أفندي ما دفعه من الرشوة.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه حضر إمام الباشا وعلي كاشف وأخبرا أن ابراهيم بك حضر عند مراد بك بالمنية وأن جماعة من صناجقهم وأمرائهم وصلوا الى بني سويف وبحريها.

وأنهم قالوا في الجواب إننا تركنا لهم الجهة البحرية وأخذنا الجهة القبلية فإن قاتلونا عليها قاتلناهم وإن انكفوا عنا فلسنا واصلين إليهم ولا طالبين منهم مصر ونعقد الصلح على ذلك.

فيرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية تتوافق معهم على أمر يحسن السكوت عليه فعملوا ديوانًا اجتمع به الجميع وتحالفوا واتفقوا على إرسال جواب صحبة قاصد من طرف الباشا مضمونه: إنهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين فيهما الكفاءة لفصل الخطاب ليحصل معهما التوافق ونرسل صحبتهم ما أشاروا به.

وفي يوم الاثنين حضر واحد بشلي وعلي يده مكاتبات من حسن باشا خطابًا الى الباشا واسمعيل بك وعلي بك وحسن بك ورضوان بك واسمعيل كتخدا والشيخ البكري وأخبر بوصول عسكر أرنؤد الى ثغر الاسكندرية وعليهم كبير ومعه هدية الى الأمراء.

وفي يوم الخميس طلع الأمراء الى الديوان وتكلموا من جهة النفقة فقال قاسم بك: أما أنا فلا يكفيني خمسون ألف ريال فقال له اسمعيل بك: فعلى هذا أمثالك ويحتاج حسن بك ورضوان بك وعلي بك كل واحد مائة ألف فلازم أننا نرسل الى السلطان يرسل لكم خزائنه حتى تكفيكم فرد عليه علي بك وقال: أنا صرفت على التجريدة الأولى وشهلت أربع باشاوات والأمراء والأجناد وأنت في جملتهم وما صادرت أحدًا في نصف فصة فاغتاظ اسمعيل بك وقال: اعمل كبير البلد وافعل مثل ما فعلت وأنا أعطيك المال الذي تحت يدي الذي جمعته من الناس خذه واصرفه بمعرفتك وقام من المجلس منتورًا فردّه الباشا واختلى به وبعلي بك وحسن بك ورضوان بك ساعة زمانية وتشاوروا مع بعضهم ثم قاموا ونزلوا.

واستهل شهر جمادى الأولى يوم السبت فيه حضر ططري ويده مرسومات فاجتمعوا بالديوان وقرأوها أحدها بطلب مشاق ويدك والثاني بسبب الجماعة القبليين إن كانوا مقيمين بالأماكن التي عينها لهم حسن باشا فلا تتعرضوا لهم وإن كانوا زحفوا وتعدو ونقضوا فاخرجوا إليهم وقتلوهم وإن احتجتم عساكر أرسلنا لكم والثالث مقرر لعابدي باشا على السنة الجديدة والرابع بالوصية على الفقراء وغلal الحرمين والأنبار والجامكية وأمثال ذلك من الكلام الفارغ.

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل من ولاية مصر. وفي

يوم الاثنين ثالثة حضر المرسل من الجهة القبلية

وصحبته صالح آغا الوالي بجوابات.

حاصلها أنهم يطلبون من طحطا الى قبلي ويطالبون حريمهم وأن يردوا لهم ما أخذوه من بلادهم وكذلك يطلبون أتباعهم ومماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكندرية فإن أجيبوا الى ذلك لا يتعدون بعدها على شيء أصلاً فلما قرئت المكاتبة بحضرة الجمع في الديوان قال اسمعيل بك للباشا: لا يمكن ذلك ولا يتصور أبداً وإلا افعلوا ما بدا لكم ولا علاقة لي ولا أكتب فرماًً فإنني أخاف على نفسي إن زدتهم علي ما أعطاهم حسن باشا ولا بد من دفعهم الميري ثم كتبوا لهم جواباً وسافر به صالح آغا المذكور وآخر من طرف اسمعيل بك.

وفي يوم السبت ثامنه وقع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة بسبب إفسادهم وتعديهم وفسقهم مع النساء وأذية السوقه وأصحاب الحوانيت وخطفهم الأشياء بدون ثمن فاجتمع جمع من أهل بولاق وخرجوا الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى اباشا يشكون ما نزل بهم من البلاء فلما علم عسكر القليونية ذلك اجتمعوا بأسلحتهم وحضروا إليهم وقتلوهم وانهزم القليونية فنزل الآغا وتلافى الأمر وأخذ بخاطر العامة وسكن الفتنة وخاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم.

وفي يوم الاثنين سابع عشره حضر صالح آغا بجواب وأخبر بصلح الأمراء القبليين على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها ويقوموا بدفع ميري البلد وغلالها ولا يتعدوا بعد ذلك وأنهم يطلبون أناساً من كبار الوجاقات والعلماء ليقع الصلح بأيديهم فعمل الباشا ديواناً وأحضر الأمراء والمشايخ واتفقوا على إرسال الشيخ محمد الأمير واسمعيل أفندي الخلوتي وآخرين وسافروا في يوم الأربعاء تاسع عشره.

وفي خامس عشرينه هبت رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثني عشر يوماً واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الأحد فيه ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بني سويف.

وفي ثالثة وصل الخبر بأن مراد بك حضر أيضاً الى بني سويف في نحو الأربعين فشرع المصريون في التشهيل والاهتمام وأخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين وفي يوم الخميس طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحري وطلبوه للنزول صحبتهم فقال لهم: حتى ترجع الرسل بالجواب أو نرسل لهم جواباً آخر وننظر جوابهم فامتثلوا الى رأيه فكتب مكتوباً مضمونه: إنكم طلبتم الصلح مراراً وأجبناكم بما طلبتم وأعطيناكم ما سألتم ثم بلغنا أنكم زحفتم ورجعتم الى بني سويف فما عرفنا أي شيء هذا الحال والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم وكيفية حضوركم إن كنتم نقضتم الصلح وإلا لا فترجعوا الى ما حددناه لكم وما وقع عليه الاتفاق وأرسله صعبة مرسل من وفي يوم الجمعة سحبوا الشراكفلكات من بولاق وذهبوا بها الى

الوطاق وشرع اسمعيل بك في عمل متاريس عند طراو المعصرة وكذلك في بر الجيزة وجمع البنائين والفعلة والرجال وأمر بحفر خندق وبنى أبراجًا من حجر وحيطاتًا لنصب المدافع والمتاريس في البرين.

وفي يوم الخميس ثاني عشره حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحته وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بك ومراد بك في بني سويف وأربعة من الأمراء وهم سليمان بك الأغا وابراهيم بك الوالي وأيوب بك الصغير وعثمان الشرقاوي بزاوية المصلوب وحاصل جوابهم إن يكن صلح فليكن كاملاً ودمنا في دمهم وعفا الله عما سلف فإن لم يرضوا بذلك فليستعدوا للقاء وهذا آخر الجواب والسلام وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ وعلى أنهم يسعون في الصلح أو يخرجوا لهم على الخيل كما هي عادة المصريين في الحروب.

وفي هذه الأيام حصل وقف حال وضيق في المعاش وانقطاع للطرق وعدم أمن ووقوف العربان ومنع السبل وتعطيل أسباب وعسر في الأسفار برًا وبحرًا فاقتضى رأي الشيخ العروسي أنه يجتمع مع المشايخ ويركبون الى الباشا ويتكلمون معه في شأن هذا الحال فاستشعر اسمعيل بك بذلك فديح أمرًا وصور حضور ططري من الدولة وعلى يده مرسوم فأرسل الباشا في عصر يوم الجمعة للمشايخ والوجاقية وجمعهم وقرأوا عليهم ذلك الفرمان ومضمونه الحث والأمر والتشديد على محاربة الأمراء القبالي وطردهم وإبعادهم فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسي وقال: خبرونا عن حاصل هذا الكلام فإننا لا نعرف بالتركي فأخبروه فقال: ومن المانع لكم من الخروج وقد ضاق الحال بالناس ولا يقدر أحد من الناس أن يصل الى بحر النيل وقرية الماء بخمسة عشر نصف فصة وحضرة اسمعيل بك مشغل ببناء حيطان ومتاريس وهذه ليست طريقة المصريين في الحروب بل طريقته في المصادمة وانفصال الحرب في ساعة إما غالب أو مغلوب وأما هذا الحال فإنه يستدعي طولًا وذلك يقتضي الخراب والتعطيل ووقف الحال فقال الباشا: أنا ما قلت لكم هذا الكلام أولاً وثانيًا هيا شهلوا أحوالكم ونهوا على الخروج يوم الاثنين وأنا قبلكم.

وفي ليلة الاثنين حضر شخصان من الططر ودخلا من باب النصر وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يدهما مرسوما حاصلها الإخبار بحضور عساكر برية وعليهم باشا كبير وذلك أيضًا لا أصل له ونودي في ذلك اليوم بالخروج الى المتاريس وكل من خرج يطلع أولاً الى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان وقدرها خمسة عشر ريالاً فطلع منهم حملة وأخذوا نفقاتهم وخرجوا الى المتاريس بالجيزة.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها بوفاة وفي ليلة الأحد تاسع عشرينه مات ابراهيم بك قشطة صهر اسمعيل بك مطعونًا وفيه عزل اسماعيل بك المعلم يوسف كساب الجمركي بديوان بولاق ونفاه الى بلاد الإفرنج وقيل إنه غرقه ببحر النيل وقلد مكانه مخايل كحيل على عشرين ألف ريال دفعها واستهل شهر رجب بيوم الثلاثاء.

وفي كل يوم ينادي المنادي بالخروج ويهدد من تخلف واستمروا متترسين بالبرين وبعض الأمراء ناحية طرا وبعضهم بمصر القديمة في خلاعاتهم وبعضهم بالجيزة كذلك الى أن ضاق الحال بالناس وتعطلت الأسفار وانقطع الجالب من قبلي وبحري وأرسل اسمعيل بك الى عرب البحيرة والهنادي فحضرهم وأخلطهم وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة ينهبون البلاد ويأكلون الزروع ويضربون المراكب في البحر ويقتلون الناس حتى قتلوا في يوم واحد من بلد النجيلة نيفًا وثلاثمائة إنسان وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقي وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية فتعطل السير برًا وبحرًا ولو بالخفارة حتى أن الإنسان يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو خارج

باب النصر وفي يوم السبت خامسه نهب سوق انبابة وفيه قتل حمزة كاشف المعروف بالدويدار رجلاً نصرانيًا روميًا صائغًا اتهمه مع حريمه فقبض عليه وعذبه أيامًا وقلع عينيه وأسنانه وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات بعد أن استأذن فيه حسن بك الجداوي وعندما قبض عليه أرسل حسن بك ونهب باقي حانوته من جوهر ومصاغ الناس وغير ذلك وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها فهربت عند الست نفيسة زوجة مراد بك.

وفي يوم الأحد أخذ اسمعيل بك فرماتًا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بك أمير الحاج ليستعين بها على الحج وقرر على كل بلدة مائة ريالًا وجمالًا.

وفي يوم الثلاثاء اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ بقصر العيني فأظهر لهم اسمعيل بك فرمان وعرفهم احتياج الحال لذلك فقام الاختيارية وأغلظوا عليه ومانعوا في ذلك.

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤد الى ساحل بولاق وعليهم كبير يسمى اسمعيل باشا فخرج اسمعيل بك وحسن بك وعلي بك ورضوان بك لملاقته ومدوا له سماءًا عند مكان الحلبي القديم.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء وأطبق الغيم قبل الغروب وأرعد رعدًا قويًا وأبرق برقًا ساطعًا ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل وكان ذلك سابع عشر برمودة وخامس عشر نيسان وخامس درجة من برج الثور فسبحان الفعال لما يريد.

وفي يوم الأحد عشرينه كان عيد النصارى وفيه تقرررت الفردة المذكورة وسافر لقبضها سليم بك أمين الحج ولم يفد من قيام الوجاقلية وسعيهم في إبطالها شيء فإنهم لما عارضوا في ذلك فتح عليهم طلب المساعدة وليس بأيدي الملزمين شيء يدفعونه فقال: إذا كان كذلك فإننا نقبضها من ابدا فلم يسعهم إلا الإجابة.

وفي يوم الاثنين حضر الى ثغر بولاق آغا أسود وعلى يده مقرر لعابدي باشا وخلعة لشريف مكة فطلع عابدي باشا الى القلعة وعمل ديوانًا في يوم الثلاثاء واجتمع الأمراء والمشايخ والقاضي وقرأوا المقرر ووصل صحبة الآغا المذكور ألف قرش رومي أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر وقرأون له صحيح البخاري ويدعون له بالنصر وفي يوم الأربعاء قتل اسمعيل باشا كبير الأرنؤد رئيس عسكره وكان يخشاه ويخاف من سطوته قيل إنه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمراء القبليين رغبة في كثرة عطائهم فطالبه بنفقة وألح عليه وقال له إن لم تعطهم هربوا حيث شاؤوا فحضر عنده وفأوضه في ذلك فلاطفه وأكرمه واختلى به واغتاله وقطع رأسه وألقاها من الشباك لجماعته.

وفي يوم الجمعة كتبوا قائمة أسماء المجاورين والطلبة وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفي طائفة من المجاورين فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده فوزعوها بحسب الحال أعلى وأوسط وأدنى فخص الأعلى عشرون قرشًا والأوسط عشرة والأدنى أربعة وكذلك طوائف الأروقة بحسب الكثرة والقلّة ثم أحضروا أجزاء البخاري وقرأوا وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه توفي صاحبنا حسن أفندي قلعة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندي ميسو كاتب اليومية وفيه توفي أيضًا خليل أفندي البغدادي الشطرنجي.

واستهل شهر شعبان بيوم الأربعاء فيه عدى بعض الأمراء بخيامهم الى البر الغربي ثم رجعوا في ثانيه ثم عدى البعض ورجع البعض وكل ذلك إيهامات بالسفر وتمويهات من اسمعيل بك وفي الحقيقة قصده عدم الحركة وضاعت أنفس المقيمين بالمتاريس وقلقوا من طول المدة وتفرق غالبهم ودخلوا المدينة.

وفي خامسه حضر الى مصر رجل هندي قيل إنه وزير سلطان الهند حيدر بك وكان قد ذهب الى سلامبول بهدية الى السلطان عبد الحميد ومن جملتها منبر وقبلة مصنوعان من العود الفاخلي صنعة بديعة وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل وأغربة من فضة وذهب وسرير يسع ستة أنفار وطائران يتكلمان باللغة الهندية خلاف الببغا المشهور وأنه طلب منه إمدادًا يستعين به على حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده فأعطاه مرسومات الى الجهات بالإذن لمن يسير معه فصار الى الاسكندرية ثم حضر الى حصر وسكن ببولاقي وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسي من فضة ويحمل على الأعناق وقد ماتت العساكر التي كانت معه ويريد اتخاذ غيرها من أي جنس كان وكل من دخل فيهم برسم الخدمة ويسموه بعلامة في جبهته لا تزول فنفرت الناس من ذلك وملابسهم مثل ملابس الإفرنج وأكثرها من شيث هندي مقمطة على أجسامهم وعلى رأسهم شقات إفرنجية.

وفي ليلة الجمعة سابع عشره خرج الأمراء بعد الغروب وأشيع وصل القبليين وهجومهم على المتاريس.

وفي صباحها حصلت زعجة وضجة وهرب الناس من القرافتين ونودي بالخروج فلم يخرج أحد ثم برد هذا الأمر.

وفي تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة يقال لهم البصاصون وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم واختصوا بها دونه ولم يشركوه معهم.

وفي سابع عشرينه مات محمد آغا مستحفظان المعروف بالمتيم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى وكان المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع وأظلم الجو إلا يسيرًا ثم انجلى ذلك عند الزوال.

وفي ثالثه قلدوا اسمعيل بك خازندار اسمعيل بك الذي كان زوجه بإحدى زوجات أحمد كنخدا المجنون أغات مستحفظان وقلدوا خازندار حسن بك الجداوي واليًا عوضًا عن اسمعيل آغا الجزايرلي لعزله.

وفي ثاني عشره حضر ابراهيم كاشف من اسلامبول وكان اسمعيل بك أرسله بهدية الى الدولة فأوصلها ورجع الى مصر بجوابات القبول وأنه لما وصل الى اسلامبول وجد حسن باشا نزل الى المراكب مسافرًا الى بلاد الموسيقى وبينه وبين اسلامبول نحو أربع ساعات فذهب إليه وقابله ورجع معه في شكتربة الى اسلامبول وطلع الهدية بحضرته وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بك ومراد بك دخلا مصر وخرج من فيها وحصل هناك هرج عظيم بسبب ذلك فلما وصل ابراهيم كاشف هذا بالهدية حصل عندهم اطمئنان وتحققوا منه عدم صحة ذلك الخبر وفي رابع عشرينه نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس وفيها شيء كثير جدًا من أموال التجار والحجاج ونهب فيها للتجار خاصة ستة آلاف جمل ما بين قماش وبهار وبن وأقمشة وبضائع وذلك خلاف أمتعة الحجاج وسلبهم حتى ملابس أبدانهم وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن ثم باعهن لأصحابهن عرايا وحصل لكثير من الناس وغالب التجار الضرر الزائد ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ورجع عريانًا أو وفي خامس عشرينه وقع بين طائفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطئ النيل ببولاقي وبين عسكر القليونية مقاتلة وسبب ذلك أن المغاربة

نظروا بالقرب منهم جماعة من القليونجية المتقيدين بقلبون اسمعيل بك ومعهم نساء يتعاطون المنكرات الشرعية فكلمهم المغاربة ونهوههم عن فعل القبيح وخصوصًا في مثل هذا الشهر أو أنهم يتباعدون عنهم فضربوا عليهم طينجات فثار عليهم المغاربة فهرب القليونجية الى مراكزهم فنط المغاربة خلفهم واشتبكوا معهم ومسكوا من مسكوه وذبحوا من ذبحوه ورموه الى البحر وقطعوا حبال المراكب ورموا صواريخها وحصلت زعجة في بولاق تلك الليلة وأغلقوا الدكاكين وقتل من القليونجية نحو العشرين ومن المغاربة دون ذلك فلما بلغ اسمعيل بك ذلك اغتاض وأرسل الى المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم فانتقلوا الى القاهرة وسكنوا بالخانات فلما كان ثاني يوم نزل الآغا والوالي وناديا في الأسواق على المغاربة الحاج بالخروج من المدينة الى ناحية العادلية ولا يقيموا بالبلد وكل من آواهم يستأهل ما يجري عليه فامتنعوا من الخروج وقالوا كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها عطشًا وذهب منهم طائفة الى اسمعيل كتحدا حسن باشا فأرسل الى اسمعيل بك بالروضة يترجى عنده فيهم فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله فتجمعوا أحزابًا واشتروا أسلحة وذهب منهم طائفة الى الشيخ العروسي والشيخ محمد بن الجوهري فتكلموا مع وفي أواخره ورد خبر من دمياط بأن النصاري أخذوا من على ثغر دمياط اثني عشر مركبًا واستهل شهر شوال بيوم السبت في رابعه حضر سليم بك من سرحته وفي خامسه أرسل الآغا بعض أتباعه بطلب شخصين من عسكر القليونجية من ناحية بين السورين بسبب شكوى رفعت إليه فيهما فضرب أحدهما أحد المعينين فقتله فقبضوا عليه ورموا عنقه أيضًا بجانبه وفيه حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة الى مصر وهم من العيادة وقابلوا اسمعيل بك وصالحوه على مال وكذلك الباشا واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحاج وخلع عليهم ولما نهبت القافلة اجتمع الأكابر والتجار وذهبوا الى اسمعيل بك وشكوا إليه ما نزل بهم فوبخهم وأظهر الشماتة فيهم وصارت يده ترتعش من الغيظ وخرجوا من بين يديه آيسين والحاضرون يلطفون له القول يأخذون بخاطره وهو لا ينجلي عنه الغيظ.

وفي يوم السبت ثامنهم نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسيني على العادة وفي ليلة الثلاثاء حادي عشره في ثالث ساعة من الليل حصلت زعجة عظيمة وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس وأشيع أن الأمراء القبليين عدوا الى جهة الشرق وركب الوالي والآغا وساروا يفتحون الدروب بالعتلات ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى العرضي وباتوا بقية الليل في كركبة عظيمة وأصبح الناس هايجين والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج وظن الناس هجوم القبليين ودخلهم المدينة فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة وأصبحت القضية باردة وظهر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس غفلة من الليل فسبق العين بالخبر فوقع ما ذكر فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة وشرعوا في بناء المتاريس ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ما عدا اسمعيل بك فإنه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحاج.

ثم استهل شهر القعدة بيوم الاثنين في ذلك اليوم رسموا بنفي سليمان بك الشابوري الى المنصورة وتقاسموا بلاده.

وفيه رجع الأمراء من المتاريس الى مصر القديمة كما كانوا ولم يبق بها إلا المرابطون قبل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسي بسبب الجراية وقفلوا في وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب بعد كلام وصياح ومنعوه من الخروج فرجع الى رواق المغاربة وجلس به الى الغروب ثم تخلص منهم وركب الى بيته ولم يفتحوا الجامع وأصبحوا فخرجوا الى السوق وأمروا الناس بغلق الدكاكين وذهب

الشيخ الى اسمعيل بك وتكلم معه فقال له: أنت الذي تأمرهم بذلك وتريدون تحريك الفتن علينا ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون فتيراً من ذلك فلم يقبل وذهب أيضاً وصحبته بعض المتعممين الى الباشا بحضرة اسمعيل بك فقال الباشا مثل ذلك وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ليؤدبهم وينفيهم فمانعوا في ذلك ثم ذهبوا الى علي بك الدفتردار وهو الناظر على الجامع فتلا في القضية وصالح اسمعيل بك وأجروا لهم الأخبار بعد مشقة وكلام من جنس ما تقدم وامتنع الشيخ العروسي من دخول الجامع أياماً وقرأ درسه بالصالحية.

وفي يوم الأحد رابع عشره الموافق لثالث عشر مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وركب الباشا في صباحها وكسر سد الخليج.

وفي عشرينه انفتح سد ترعة موبس فأحضر اسمعيل بك عمر كاشف الشعراوي وهو الذي كان تكفل بها لأنه كاشف الشرقية ولامه ونسبه للتقصير في تمكينها وألزمه بسدها فاعتذر بعدم الإمكان وخصوصاً وقد عزل من المنصب وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد فاغتاط منه وأمر بقتله فاستجار برضوان كتحدا مستحفظان فشفع فيه وأخذه عنده وسعى في جريمته وصالح عليه.

شهر الحجة في غرته حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق يشتمل أحدهما على أحد وعشرين مدفعاً والثاني أقل منه اشتراهما اسمعيل بك.

وفيه زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب.

وفي رابع عشره عمل الباشا ديواناً بقصر العيني وتشاوروا في خروج تجريدة وشاع الخبر بزحف القبليين.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره عمل الباشا ديواناً بقصر العيني جمع به سائر الأمراء والوجاقلية والمشايخ بسبب شخص الجي حضر بمكاتبات من قرال الموسقو ولحضوره نبأ ينبغي ذكره كما نقل إلينا وهو أن قرال الموسقو لما بلغه حركة العثملي في ابتداء الأمر على مصر أرسل مكاتبة الى أمراء مصر على يد القنصل المقيم بشعر اسكندرية يحذرهم من ذلك ويحضهم على تحصين الثغر ومنع حسن باشا من العبور فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم وأطلعهم على ذلك فأهملوه ولم يلتفتوا إليه ورجع من غير رد جواب وورد حسن باشا فعند ذلك انتبهوا وطلبوا القنصل فلم يجدوه وجرى ما جرى وخرجوا الى قبلي وكتبوا القنصل فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجائاً واجتمع بهم ورجع وصادف وقوع الواقعة بالمنشية في السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين وشاع الخبر في الجهات بعودهم وقد كان أرسل لنجدتهم عسكرياً من قبله ومراكب ومكاتبات صحية هذا الالجي فحضر الى ثغر دمياط في أواخر رمضان فرأى انعكاس الأمر فعربد بالثغر وأخذ عدة نقاير كما ذكر ورجع الى مرساه أقام بها وكاتب قراله وعرفه صورة الحال وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضاً وأن العثملي لم يزل مقهوراً معهم فأجمع رأيهم على مكاتبة المستقرين وإمدادهم فكتب إليهم وأرسلها صحية هذا الالجي وحضر الى دمياط وأنفذ الخبر سرّاً بوضوله وطلب الحضور بنفسه فأعلموا الباشا بذلك سرّاً وأرسلوا إليه بالحضور فلما وصل الى شلقان خرج إليه اسمعيل بك في تطريدة كان لم يشعر به أحد وأعد له منزلاً ببولاق وحضر به ليلاً وأنزله بذلك القنان ثم اجتمع به صحة علي بك وحسن بك ورضوان بك وقرأوا المكاتبات بينهم فوصل إليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا وطلبوا ذلك الالجي عند الباشا وذلك بإشارة خفية بينهم وبين الباشا فركبوا معه الى قصر العيني وأرسل الباشا في تلك الليلة التنايه لحضور الديوان في صباحها فلما تكاملوا أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت في المجلس والترجمان يفسرها بالعربي.

وملخصها خطاب الي الأمراء المصرية أنه بلغنا صنع بن عثمان الخائن الغدار معكم ووقوع الفتن فيكم وقصده أن بعضكم يقتل بعضًا ثم لا يبقى على من يبقى منكم وبملك بلادكم ويفعل بها عوائله من الظلم والجور والخراب فإنه لا يضع قدمه في قطر إلا وبعمه الدمار الخراب فتيقظوا لأنفسكم واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية وارفعوا بنديرتنا واختاروا لكم رؤساء منكم.

وحصنوا ثغوركم وامنعوا من يصل إليكم منهم إلا من كان بسبب التجارة ولا تخشوه في شيء فنحن نكفيكم مؤنته وانصبوا من طرفكم حكامًا بالبلاد الشامية كما كانت في السابق ويكون لنا أمر بلاد الساحل والواصل لكم كذا وكذا مركبًا وبها كذا من العسكر والمقاتلين وعندنا من المال والرجال ما تطلبون وزيادة على ما تظنون فلما قرئ ذلك اتفقوا على إرسالها الى الدولة فأرسلت في ذلك اليوم صحبة مكاتبه من الباشا والأمراء وأنزلوا ذلك الالجي في مكان بالقلعة مكرمًا.

وفي يوم الاثنين وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهة قبلي وأبقوا إثنين وأرسلوا بها عثمان بك طبل الاسماعيلي وعساكر رومية والله أعلم.

وانقضت هذه السنة.

من مات في هذه السنة ممن له ذكر مات الإمام العلامة أحد المتصدرين وأوحد العلماء المتبحرين خلال المشكلات وصاحب التحقيقات الشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي الأزهري ولد بالجدي في سنة 1128 وهي قرية قرب رشيد وبها نشأ وقدم الجامع الأزهر فتفقه على بلدية الشيخ شمس الدين محمد الجداوي وعلى أفقه المالكية في عصره السيد محمد بن محمد السلموني وحضر على الشيخ علي خضر العمروسي وعلى السيد محمد البليدي والشيخ علي الصعيدي أخذ عنهم الفنون بالإتقان ومهر فيها حتى عد من الأعيان ودرس في حياة شيوخه وأفتى وهو شيخ بهي الصورة طاهر السريرة حسن السيرة فصيح اللهجة شديد العارضة يفيد الناس بتقريره الفائق وبحل المشكلات بذهنه الرائق وحلقة درسه عليها الخفر وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر وله مؤلفات وتقييدات وحواش وكان له وظيفة الخطابة بجامع مرزه جرجي ببولاق ووظيفة تدريس بالسنانية أيضًا وينزل الى بلده الجدي في كل سنة مرة ويقيم بها أيامًا ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم وأنكحتهم ومواريتهم ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة الى حضوره ولا يثقون إلا بقوله ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك ما يكفي عياله الى قابل مع الحشمة والعفة توفي بعد أن تعلل أشهرًا في أواخر شهر ذي الحجة وجهز وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل ودفن عند شيخه الشيخ محمد الجداوي في قبر أعده لنفسه رحمه الله تعالى.

ومات الإمام العلامة الفقيه المحدث النحوي الشيخ حسن الكفراوي الشافعي الأزهري ولد ببلده كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة الكبرى فقرأ القرآن وحفظ المتون بالمحلة ثم حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ محمد الحفني والشيخ علي الصعيدي ومهر في الفقه والمعقول وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره ولزم الأستاذ الحفني وتداخل في القضايا والدعاوى وفصل الخصومات بين المتنازعين وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ونما أمره وراش جناحه وتجمل بالملابس وركوب البغال وأحرق به الاتباع واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوي بحارة الشنواني بعد موت ابنه سيدي علي فزادت شهرته ووفدت عليه الناس وأطعم الطعام واستعمل مكارم الأخلاق ثم تزوج بنت المعلم درع الجزار بالحسينية وسكن بها فجيش عليه أهل الناحية وأولو النجدة والزعارة والشطارة وصار له بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده ولو من الحكام وتردد الى الأمير محمد بك أبي الذهب قبل استقلاله

بالإمارة وأحبه وحضر مجالس دروسه في شهر رمضان بالمشهد الحسيني فلما استبد بالأمر لم يزل يراعي له حق الصحة ويقبل شفاعته في المهمات ويدخل عليه من غير استئذان في أي وقت أراد فزادت شهرته ونفذت أحكامه وقضاياه واتخذ سكتًا على بركة جناق أيضًا ولما بنى محمد بك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رئاسة التدريس والإفتاء ومشیخة الشافعية وثالث ثلاثة المفتين الذين قررههم الأمير المذكور وقصر عليهم الإفتاء وهم الشيخ أحمد الدردير المالكي والشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي والمترجم وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم بظاهر الميضاة بجوار التكية التي جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصة من النهار في ضحوة كل يوم للإفتاء بعد إلقائهم دروس الفقه ورتب لهم ما يكفيهم وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ الذي تقدم ذكره في ترجمة يوسف بك ونوه بشأنه عند الأمراء والناس وأبرزهم لهم في قالب الولاية ويجعل شعودته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات الى أن اتضح أمره ليوسف بك فتعامل عليه وعلى قرينة الشيخ المترجم من أجله ولم يتمكن من إيذائهما في حياة سيده فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه في بحر النيل وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والإفتاء وقلد ذلك الشيخ أحمد بن يونس الخلفي وانكسف باله وخمد مشعال ظهوره بين أقرانه إلا قليلًا حتى هلك يوسف بك قبل تمام الحول ونسيت القضية وبطل أمر الوظيفة والتكية وتراجع حاله لا كالأول ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهوًا وتعلل وذلك في عشرين شعبان من السنة وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بترية المجاورين ومن مؤلفاته أعراب الآجرومية وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة وكان قوي البأس شديد المراس عظيم الهمة والشكيمة ثابت الجنان عند العظام يغلب على طبعه حب الرياسة والحكم والسياسة ويحب الحركة بالليل والنهار ويميل السكون والقرار وذلك مما يورث الخلل ويوقع في الزلل فإن العلم إذا لم يقرن بالعمل ويصاحبه الخوف والوجل ويحمل بالتقوى ويزين بالعفاف ويحلى باتباع الحق والإنصاف أوقع صاحبه في الخذلان وصيره مثله بين الأقران. وفي

الشيخ العلامة المتفنن البحاث المتقن أبو العباس المغربي

أصله من الصحراء من عمالة الجزائر دخل مصر صغيرًا فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي فتفقه عليه ولازمه ومهر في الآلات والفنون وأذن له في التدريس فصار يقرئ الطلبة في رواقهم وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه وتميز في الفضائل وحج سنة 1182 وجاور بالحرمين سنة واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه وعاد الى مصر وكان يحسن الثناء على المشار إليه واشتهر أمره وصارت له في الرواق كلمة واحترمه علماء مذهبه لفضله وسلطة لسانه وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرواق وتعصب له جماعة فلم يتم له الأمر ونزل له السيد عمر أفندي الأسيوطي عن نظر الجوهريه فقطع معالم المستحقين وكان محاجًا عظيم المراس يتقي شره توفي ليلة الأربعاء حادي عشرين شعبان غفر الله لنا وله.

ومات الإمام الفقيه العلامة النحوي المنطقي الفرضي الحيسوب الشيخ موسى البشبيشي الشافعي الأزهري نشأ بالجامع الأزهر من صغره وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الأشياخ كالصعيدي والدردير والمصليحي والصبان والشتويهي ومهر وأنجب وصار من الفضلاء المعدودين ودرس في الفقه والمعقول واستفاد وأفاد ولازم حضور شيخنا العروسي في غالب الكتب فيحضر ويملي ويستفيد ويفيد وكان مهذبًا في نفسه متواضعًا مقتصدًا في ملبسه ومأكله عفوًا قانعًا خفيف الروح لا يمل من مجالسته ومفاكحته ولم يزل منقطعًا للعلم والإفادة ليلًا ونهارًا ومات العلامة الأديب واللوزعي اللبيب المتقن المتفنن الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد المعروف بالشافعي المغربي التونسي نزىل مصر ولد بتونس سنة 1152 ونشأ في قراءة القرآن وطلب

العلم وقدم الى مصر سنة إحدى وسبعين وجاور بالأزهر برواق المغاربة وحضر علماء العصر في الفقه والمعقولات ولازم دروس الشيخ علي الصعيدي وأبي الحسن القلعي التونسي شيخ الرواق وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر وتخلق بأخلاقهم وطالع كتب التاريخ والأدب وصار له ملكة في استحضر المناسبات الغريبة والنكات وتزوج وتزيا بزي أولاد البلد وتحلى بذوقهم ونظم الشعر الحسن توفي رحمه الله يوم الجمعة ثالث شعبان من السنة.

ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق الشيخ مصطفى بن جاد ولد بمصر ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباي ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقوسي حتى مهر فيها وفاق أستاذه وأدرك دقائق الصناعة والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والأصباغ الملونة والرسم والجداول والأطباع وغير ذلك وانفرد بدقيق الصناعة بعد موت الصناع الكبار مثل الدقوسي وعثمان أفندي بن عبد الله عتيق المرحوم الوالد والشيخ محمد الشناوي وكان لطيف الذات خفيف الروح محبوب الطباع مألوف الأوضاع ودودًا مشفقًا عفوًا صالحًا ملازمًا على الأذكار والأوراد مواظبًا على استعمال اسم لطيف العدة الكبرى في كل ليلة على الدوام صيفًا وشتاء سفرًا وحضرًا حتى لاحت عليه أنوار الاسم الشريف وظهرت فيه أسرار روحانيته وصار له ذوق صحيح وكشف صريح ومراء واضحة وأخذ على شيخنا الشيخ محمود الكردي طريق السادة الخلوتية وتلقن عنه الذكر والاسم الأول وواظب على ورد العصر أيام حياة الأستاذ ولم يزل مقبلًا على شأنه قانعًا بصناعته ويستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها إلى أن وافاه الحمام وتوفي سابع شهر ذي القعدة من السنة بعد أن تغل أشهرًا رحمه الله وعوضنا فيه خيرًا فإنه كان بي رؤوفًا وعلي شفوقًا ولا يصبر عني يومًا كاملاً مع حسن العشرة والمودة لا لغرض من الأغراض ولم أرد بعده مثله وخلف بعده أولاده الثلاثة وهم الشيخ صالح وهو الكبير وأحمد بدوي والشيخ صالح المذكور هو الآن عمدة مباشري الأوقاف بمصر وجابي المحاسبة وله شهرة ووجاهة في الناس وحسن حال عشرة وسير حسن وفقه الله وأعانه على وقته.

ومات أيضًا الصنو الفريد واللوزعي الوحيد والكاظم المجيد والنادرة المفيد أخونا في الله خليل أفندي البغدادي ولد ببغداد دار السلام وتربى في حجر والده ونشأ بها في نعمة ورفاهية وكان والده من أعيان بغداد وعظماؤها ذا مال وثروة عظيمة وبينه وبين حاكمها عثمان باشا معاشرة وخلطة ومعاملة فلما وصل الطاغية طهماز إلى تلك الناحية وحصل منه ما حصل في بغداد وفر منه حاكمها المذكور قبض على والد المترجم واتهمه بأموال الباشا وذخائره ونهب داره واستصفى أمواله ونواله وأهلك تحت عقوبته وخرج أهله وعياله وأولاده فارين من بغداد على وجوههم وفيهم المترجم وكان إذ ذاك أصغر إخوته فتفرقوا في البلاد وحضر المترجم بعد مدة من الواقعة مع بعض التجار إلى مصر واستوطنها وعاشر أهلها وأحبه الناس للطفه ومزاياه وجود الخط على الأنيس والضيائي والشكري ومهر فيه وكان يجيد لعب الشطرنج ولا يباريه فيه أحد مع الخفة والسرعة وقل من يتناقل معه فيه بالكامل بل كان يناقل غالب الحذاق بدون الفرزان أو أحد الرخين ولم أرد من ناقله بالكامل إلا الشيخ سلامة الكتبي وبذلك رغب في صحبته الأعيان والأكابر وأكرموا وواسوه مثل عبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وسليمان جرجي البرديسي وكان غالب مبيته عنده ولم يزل ينتقل عند الأعيان باستدعاء ورغبة منهم فيه مع الخفة وإطراح الكلفة وحسن العشرة وبأوي إلى طبقته ولم يتأهل ويغسل ثيابه عند رفيقه السيد حسن العطار بالأشرفية وبأخرة عاشر الأمير مراد بك واختص به وأحبه فكان يجود له الخط ويناقله في الشطرنج وأغلق عليه ووالاه بالبر فراج حاله واشترى كتبًا وواسى إخوانه وكان كريم النفس جدًا يجود وما لديه قليل ولا يبقى على درهم ولا دينار ولما خرج مراد بك من مصر حزن لفقده وبعد وباع ما اقتناه من الكتب وغيرها وصرف ثمنها في بره ولوازمه وعبه دائمًا ملآن بالمأكلة الجافة مثل التمر والكعك

والفاكهة يأمل منها ويفرق في مروره على الأطفال والفقراء والكلاب وكان بشوشًا ضحوك السن دائمًا منشرجًا يسلي المحزون ويضحك المغبون ويحب الجمال ولا يؤخر المكتوبة عن وقتها أينما كان ويزور الصلحاء والعلماء ويحضر في بعض الأحيان دروسهم ويتلقى عنهم المسائل الفقهية ويحب سماع الألحان واجتماع الإخوان ويعرف اللسان التركي ودخل بيت البارودي كعادته فأصيب بالطاعون وتعلل ليلتين وتوفي حادي عشرين رجب سنة تاريخه رحمه الله وسامحه فلقد كانت أفاعيله وطباعه تدل على جودة أصله وطيب أعراقه وأصوله.

وما الجناب الأوحد والنقيب المفرد الفصيح اللبيب والنادرة الأريب السيد ابراهيم بن أحمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين ابن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسيني الشافعي المعروف بقلعة الشهر تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيوخوني إذ كان إمام والده وتدرج في معرفة الأقلام والكتابة فلما توفي والده تولى مكانه أخوه الأكبر يوسف في كتابة قلم الشهر فلما شاخ وكبر سلمه إلى أخيه المترجم فسار فيه أحسن سير واقتنى كتبًا نفيسة وتمهر في غرائب الفنون وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والأذكار على الشيخ محمد شكك وكان يبره ويلاحظه بمراعاته وانتسب إليه وحضر الصحيح وغيره على شيخنا السيد مرتضى وسمع عليه كثيرًا من الأجزاء الحديثية في منزله بالركيبين والأزبكية في مواسم النيل وكان مهيبًا وجيهاً ذا شهامة ومروءة وكرم مفرط وتجل فآخر عمله فوق همته سموحًا بالعطاء متوكلاً توفي صبح يوم الأربعاء غاية شهر شعبان بعد أن تعلل سبعة أيام وجهز وصلي عليه بمصلي شيوخون ودفن على والده قرب السيدة نفيسة وخلف ولديه النجيبين المفردين حسن أفندي وقاسم أفندي أباهما الله وأحيا بهما المآثر وحفظ عليهما أولادهما وأصلح لنا ولهم الأيام.

ومات الإمام العلامة والجهيد الفهامة الفقيه النبيه الأصولي المعقولي الورع الصالح الشيخ محمد الفيومي الشهير بالعقاد أحد أعيان العلماء النجباء الفضلاء تفقه على أشياخ العصر ولازم الشيخ الصعيدي المالكي ومهر وأنجب ودرس وانتفع به الطلبة في المعقول والمنقول وألف وأفاد وكان إنسانًا حسنًا جميل الأخلاق مهذب النفس متواضعًا مشهورًا بالعلم والفضل والصلاح لم يزل مقبلًا على شأنه محبوبًا للنفوس حتى تعلل بالبرقوقية بالصحراء وتوفي بها ودفن هناك بوصية منه رحمه الله.

ومات صاحبنا الجناب المكرم والملاذ المفخم أنيس الجليس والنادرة الرئيس حسن أفندي بن محمد أفندي المعروف بالزامك قلعة الغربية ومن له في أبناء جنسه أحسن منقبة ومزية تربي في حجر والده ومهر في صناعته ولما توفي والده خلفه من بعده وفاقه في هزله وجده وعاشر أرباب الفضائل واللطفاء وصار منزله منهلاً للواردين ومربغًا للوافدين فيتلقى من يرد إليه بالبشر والطلاقة ويبذل جهده في قضاء حاجة من له به أدنى علاقة فاشتهر ذكره وعظم أمره وورد إليه الخاص والعام حتى أمراء الألوف العظام فيواسي الجميع ويسكرهم بكأس لطفه المريع مع الحشمة والرياسة وحسن المسامرة والسياسة قطعنا معه أوقاتًا كانت في جبهة العمر غرة ولعين الدهر مسرة وقرة وفي هذا العام قصد الحج إلى بيت الله الحرام وقضى بعض اللوازم والأشغال واشترى الخيش وأدوات الأحمال فوافاه الحمام وارتحل إلى دار السلام بسلام وذلك في أواخر رجب بالطاعون رحمه الله.

ومات أيضًا الجناب العالي واللودعي الغالي والرياستين والمزيتين والفضيلتين الأمير أحمد أفندي الروزنامجي المعروف بالصفائي تقلد وظيفة الروزنامة بديوان مصر عندما كف بصر اسمعيل أفندي فكان لها أهلاً وسار فيها سيرًا حسنًا بشهامة وصرامة ورياسة وكان يحفظ القرآن حفظًا جيدًا وحضر في الفقه والمعقول على أشياخ الوقت قبل ذلك وكان يحفظ متن الألفية لابن مالك ويعرف معانيها ويحفظ كثيرًا من المتون وبياحث ويناضل

من غير ادعاء للمعرفة والعالمية فتراه أميرًا مع الأمراء ورئيسًا مع الرؤساء وعالمًا مع العلماء وكاتبًا مع الكتاب وولده سليمان أفندي المتوفى سنة ثمان وتسعين وعثمان أفندي المتوفى بعده في الفصل سنة خمس ومائتين ووالدتهما المصونة خديجة من أقارب المرحوم الوالد وكانا ريحانيتين نجيبين ذكيين مفردين أعقب سليمان محمد أفندي وتوفي في سنة ستة عشرة وهو مقتبل الشبيبة وحسن أفندي الموجود الآن وأعقب عثمان أحمد وهو موجود أيضًا إلا أنه بعيد الشبه من أبيه وعمه وأولاد عمه وجدته وأما ابن عمه حسن أفندي فهو ناجب ذكي بارك الله فيه ولما تعلل المترجم وانقطع عن النزول والركوب وحضور الدواوين قلدوا عوضه أحمد أفندي المعروف بأبي كلية على مال دفعه فأقام في المنصب دون الشهرين ومات أحمد أفندي فسعى عثمان أفندي العباسي على المنصب وتقلده على رشوة لها قدر وذهب على أحمد أفندي أبو كلية ما دفعه في الهباء وكانت وفاة أحمد أفندي الصفائي المترجم في عشرين خلت من ربيع الثاني من السنة.

ومات العمدة المفرد والنجيب الأوحد محمد أفندي كاتب الرزق الأحباسية وهذه الوظيفة تلقاها بالوراثة عن أبيه وجده وعرفوا اصطلاحها وأتقنوا أمرها وكان محمد أفندي هذا لا يغرب عن ذهنه شيء يسأل عنه من أراضي الرزق بالبلاد القبلية والبحرية مع اتساع دقاترها وكثرتها ويعرف مظلماتها ومن انحلت عنه ومن انتقلت إليه مع الضبط والتحرير والصيانة والرفق بالفقراء في عوائد الكتابة وكان على قدم الخير والصالح مقتصدًا في معيشتة قانعًا بوظيفته لا يتفاخر في ملبس ولا مركب ويركب دائمًا الحمار وخلفه خادمه يحمل له كيس الدفتر إذا طلع إلى الديوان مع السكون والحشمة وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات العشر ولم يزل هذا حاله حتى تعلل أيامًا وتوفي إلى رحمة الله تعالى ثامن ربيع الثاني وتقرر في الوظيفة عوضه ابن ابنه الشاب الصالح حمودة أفندي فسار كاسلافه سيرًا حسنا وقام بأعباء الوظيفة حسنا ومعنى إلا أنه عاجله الحمام وانخسف بدره قبل التمام وتوفي بعد جده بنحو سنتين وشغرت الوظيفة وابتذلت كغيرها وهكذا عادة الدنيا.

ومات الجناب السامي والغيث الهاطل الهامي ذو المناقب السنية والأفعال المرضية والسجيا المنيفة والأخلاق الشريفة السيد السند حامى الأقطار الحجازية والبلاد التهامية والنجدية الشريف السيد سرور أمير مكة تولى الأحكام وعمره نحو إحدى عشرة سنة وكانت مدة ولايته قريبًا من أربع عشرة سنة وساس الأحكام أحسن سياسة وسار فيها بعدالة ورئاسة وأمن تلك الأقطار أمنا لا مزيد عليه ومات وفي محبسه نيف وأربعمئة من العربان الرهائن وكان لا يغفل لحظة عن النظر والتدبير في مملكته ويباشر الأمور بنفسه ويتنكر ويعس ويتفقد جميع الأمور الكلية والجزئية ولا ينام الليل قط فيدور ثلثي الليل ويطوف حول الكعبة الثلاث الأخير ولم يزل يتنقل ويطوف حتى يصلي الصبح ثم يتوجه إلى داره فينام إلى الضحوة ثم يجلس للنظر في الأحكام ولا تأخذه في الله لومة لائم ويقيم الحدود ولو على أقرب الناس إليه فعمرت تلك النواحي وأمنت السبل وخافته العربان وأولاد الحرام فكان المسافر يسير بمفرده ليلا في خفارته وبالجملة فكانت أفعاله حميدة وأيامه سعيدة لم يأت قبله مثله فيما نعلم ولم يخلفه إلا مذمم ولما مات تولى بعده أخوه الشريف غالب وفقه الله وأصلح شأنه.

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين وألف فكان ابتداءها المحرم يوم الخميس وفيه زاد اجتهد اسمعيل بك في البناء عند طرا وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل وأنشأ حيطاتًا وأبراجًا وكرانك وأبنية ممتدة من القلعة إلى الجبل وأخرج إليها الجبخانه والذخيرة وغير ذلك.

وفي تاسعه سافر عثمان كتحدا عزبان الى اسلامبول بعرضحال بطلب عسكر وأذن باقتطاع مصاريف من الخزينة.

وفي رابع عشرينه سافر اسمعيل باشا باش الأرئود بجماعته ولحقوا بالغلايين والجماعة القبليون متترسون بناحية الصول وعاملون سبعة متاريس والمراكب وصلت الى أول متراس فوجدوهم مالكين مزم الجبل فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ومدافع المراكب لا تصيبهم وهم متمنعون بأنفسهم الى فوق وانخرقت المراكب عدة مرار وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكبس على المتراس الأول فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع فقتل من طائفة المغاربة جماعة وهرب الباقون ونصبت رؤوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب.

وفي سادس عشرينه سافر أيضًا عثمان بك الحسني وامتنع ذهاب السفار وإيابهم الى الجهة القبلية وانقطع الوارد وشطح سعر الغلة وبلغ النيل غايته في الزيادة واستمر على الأراضي من غير نقص الى آخر شهر بابه القبطي وروى جميع الأراضي.

وفي سابع عشرينه حضر سراج من عند القبليين وعلى يده مكاتبات بطلب صلح وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التي عينها لهم حسن باشا ويقومون بدفع المال والغلال للميري ويطلقون السبل للمسافرين والتجار فإنهم سئموا من طول المدة ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم فلم يخرجوا إليهم فلا يكونون سببًا لقطع أرزاق الفقراء والمساكين فكتبوا لهم أجوبة للإجابة لمطلوبهم بشرط إرسال رهائن وهم عثمان بك الشرقاوي وابراهيم بك الوالي ومحمد بك الألفي ومصطفى بك الكبير ورجع الرسول بالجواب وصحبته واحد بشلي من طرف الباشا.

شهر صفر في غرته حضر جماعة مجاريح.

وفي ثانيه حضر المرسال الذي توجه بالرسالة وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين والبشلي وآخر من طرف اسمعيل باشا الرئودي وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بإرسال رهائن ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتحدا باب التفكجية وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك فامتنعوا من ذلك وقالوا من جملة كلامهم: لعلكم تظنون أن طلبنا في الصلح عجزًا وأنا محصورون وتقولون بينكم في مصر إنهم يريدون بطلب الصلح التحليل على التعدية الى البر الغربي حتى يملكو الاتساع وإذا قصدنا ذلك أي شيء ينعنا في أي وقت شئنا وحيث كان الأمر كذلك فنحن لا نرضى إلا من حد أسيوط ولا نرسل رهائن ولا نتجاوز محلنا فلما رجع الجواب بذلك في سابعه أرسل الباشا فرماتًا الى اسمعيل باشا بمحاربتهم فبرز إليهم بعساكره وجميع العسكر التي بالمركب وحملوا عليهم حملة واحدة وذلك يوم الجمعة ثامن فآخروا لهم وملكو منهم متراسين فخرج عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمة فقتل من العسكر جملة كبيرة ثم وقع الحرب بينهم يوم السبت ويوم الأحد واستمرت المدافع تضرب بينهم من الجهتين والحرب قائم بينهم سجالًا وكل من الفريقين يعمل الحيل وينب الشباك على الآخر ويكمن ليلاً فيجد الرصد ولم ينفصل بينهم الحرب على شيء.

وفي منتصفه شرع اسمعيل بك في عمل تفريضة على البلاد فقرروا على الأعلى عشرين ألف فضة والأوسط خمسة عشر والأدنى خمسة آلاف وذلك خلاف حق الطرق وما يتبعها من الكلف وعمل ديوان ذلك في بيت علي بك الدفتردار بحضرة الوجاقلية وكتبت دفاثرها وأوراقها في مدة ثلاثة أيام.

واستهل شهر ربيع الأول والحال على ما هو عليه وحضر مرسوم من القبليين بطلب الصلح ويطلبون من حد أسيوط الى فوق شرقًا وغربًا ولا يرسلون رهائن ووصل ساع من

تغر إسكندرية بالبشارة لاسماعيل كتحدا حسن باشا بولاية مصر وأن اليرق والداقم وصل والبقجي والكتخدا وأرباب المناصب وصلوا الى الثغر فردهم الريح عندما قربوا من المرساة الى جهة قبرص فشرع عابدي باشا في نقل متاعه من القلعة ولما حضر المرسول بطلب الصلح رضي المصرية بذلك وأعادوه بالجواب.

وفي رابعه حضر أحمد آغا أغات الجمالية المعروف بشويكار لتقرير ذلك فعمل عابدي باشا ديوانًا اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية وتكلم أحمد آغا وقال نأخذ من أسيوط الى قبلي شرقًا وغربًا بشرط أن ندفع ميري البلاد من المال والغلال ونطلق سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب وكذلك أنتم لا تمنعون عنا الواردين بالاحتياجات إلا ما كان من آلة الحرب فلکم منعه وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح نكتب عرض محضر منا ومنكم الى الدولة وننظر ما يكون الجواب فإن حضر الجواب بالعفو لنا أو تعيين أماكن لنا لا نخالف ذلك ولا نتعدى الأوامر السلطانية بشرط أن ترسلوا لنا الفرمان الذي يأتي بعينه نطلع عليه فأجيبوا الى ذلك كله ورجع أحمد آغا بالجواب صبيحة ذلك اليوم صحبة عبد الله جاويش وشهر حوالة والشيخ بدوي من طرف المشايخ وحضر في أثر ذلك مراكب غلال وانحلت الأسعار وتواجدت الغلال بالرقع وكثرت بعد انقشاعهم ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا في عمل جسر على البحر من مراكب مرصوصة ممتدة من البر الشرقي الى البر الغربي وثبتوه وسمروه بمسامير وباطات وثقلوه بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية ورجعت المراكب وصحبتهما العسكر المحاربون واسماعيل باشا الأرئودي وعثمان بك الحسني والقلبيونية وغيرهم وأشيع تقرير الصلح وصحته.

وفي عاشره أخبر بعض الناس قاضي العسكر أن بمدفن السلطان الغوري بداخل خزانة في القبة آثار النبي صلى الله عليه وسلم وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقًا ووضعها في داخل بقعة وضمخها بالطيب ووضعها على كرسي ورفعها على رأس بعض الاتباع وركب القاضي والنائب وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ورفعوها في مكانها بالخزانة.

وفي يوم الاثنين سابع عشره حضر شهر حوالة وعبد الله جاويش وأخبروا بأنهم لما وصلوا الى الجماعة تركوهم ستة أيام حتى تمموا شغل الجسر وعدوا عليه البر الغربي ثم طلبوهم فعدوا إليهم وتكلموا معهم وقالوا لهم إن عابدي باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة وتكفل لنا بكامل الأمور ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه معزول من الولاية وكيف يكون معزولاً ونعقد معه صلحاً هذا لا يكون إلا إذا حضر إليه مقرر أو تولى غيره يكون الكلام معه وكتبوا له جوابات بذلك ورجع به الجماعة المرسلون وأشيع عدم التمام فاضطربت الأمور وارتفعت الغلال ثانياً وغلا سعرها وشح الخبز من الأسواق.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره عمل الباشا ديوانًا جمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية والقاضي فتكلم الباشا وقال: انظروا يا ناس هؤلاء الجماعة ما عرفنا لهم حالاً ولا ديناً ولا قاعدة ولا عهداً ولا عقدًا إنا رأينا النصارى إذا تعاقدوا على شيء لا ينقضوه ولا يختلوا عنه بدقيقة وهؤلاء الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب وإننا أجبناهم الى ما طلبوا وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة وهي من ابتداء أسيوط الى منتهى النيل شرقًا وغربًا ثم أنهم نكثوا ذلك وأرسلوا يحتجون بحجة باردة وإذا كنت أنا معزولاً فإن الذي يتولى بعدي لا ينقض فعلي ولا يبطله ويقولون في جوابهم نحن عصاة وقطاع طريق وحيث أقروا على أنفسهم بذلك وجب قتلاهم أم لا فقال القاضي والمشايخ: يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان فقال: إذا كان الأمر كذلك فإني أكتب لهم مكاتبة وأقول

لهم إما أن ترجعوا وتستقروا على ما وقع عليه الصلح وإما أن أجهز لكم عساكر وأنفق عليهم من أموالكم ولا أحد يعارضني فيما أفعله وإلا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ولو من غير أمر الدولة فقالوا جميعًا: نحن لا نخالف الأمر فقال أضع القبض على نسائهم وأولادهم ودورهم وأسكن نساءهم وحريمهم في الوكائل وأبيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم وأجمع ذلك جميعه وأنفقه على العسكر وإن لم يكف ذلك تمتته من مالي فقالوا سمعنا وأطعنا وكتبوا مكاتبة خطابًا لهم بذلك وختم عليها الباشا والأمراء وأرسلوها.

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه نزل الآغا ونادى في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة للأمراء القبليين يردّها لأربابها فإن ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شيء استحق العقوبة وكل ذلك تدبير اسمعيل بك.

وفي يوم الثلاثاء حضر هجان وباش سراجين ابراهيم بك وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر فعمل الباشا ديوانًا في صباحها وذكروا المراسلة وضمن الباشا غائلتهم وضمن المشايخ غائلة اسمعيل بك وكتبوا محضرًا بذلك وختموا عليه وأرسلوه صحبة مصطفى واستهل شهر ربيع الثاني فيه حضر شيخ السادات الى بيته الذي عمره بجوار المشهد الحسيني وشرع في عمل المولد واعتنى بذلك ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين وأحدثوا سيارات وأشايير ومواكب وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا وزمورًا واستمر ذلك خمسة عشر يومًا وليلة.

وفي يوم الجمعة حضر عابدي باشا باستدعاء الشيخ له فتعدى بيت الشيخ وصلى الجمعة بالمسجد وخلع على الشيخ وعلى الخطيب ثم ركب الى قصر العيني.

وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات فعملوا في صباحها ديوانًا بقصر العيني وقرئت المرسومات فكان مضمون أحدها تقرير العابدي باشا على ولاية مصر والثاني الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين وإبعادهم من القطر المصري والثالث بطلب الإفرنجي المرهون الى الديار الرومية فلما قرئ ذلك عمل عابدي باشا شنكًا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة وانكسف بال اسمعيل كتخدا بعد أن حضر إليه المبرش بالمنصب وأظهر البشر والعظمة وأنفذ المبشرين ليلاً الى الأعيان ولم يصبر الى طلوع النهار حتى أنه أرسل الى محمد أفندي البكري المبشر في خامس ساعة من الليل وأعطاه مائة دينار وحضر إليه الأمراء وفي يوم الجمعة ثاني عشره رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلي ويده جوابات وأخبر أن ابراهيم بك الكبير ترفع الى قبلي وصحبته ابراهيم بك الوالي وسليمان بك الآغا وأيوب بك وملخص الجوابات أنهم طالبون من حد المنية.

وفي يوم الأحد رابع عشره عمل الباشا ديوانًا حضره المشايخ والأمراء فلم يحصل سوى سفر الإفرنجي.

وفي أواخره حضر سراج باشا ابراهيم بك ويده جوابات يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك وكتبت لهم جوابات بذلك وسافر السراج المذكور.

واستهل شهر جمادى الأولى في غرته قلدوا غيطاس بك إمارة الحج.

وفي ثالثه وصل ططريون من البر على طريق دمياط بمكاتبات مضمونها ولاية اسمعيل كتخدا حسن باشا على مصر وأخبروا أن حسن باشا دخل الى اسلامبول في ربيع الأول ونقض ما أبرمه وكيل عابدي باشا وألبس قابجي كتخدا اسمعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الثاني وتعي قابجي الولاية وخرج من اسلامبول بعد خروج الططريومين وحضر الططر في مدة ثلاثة وعشرين يومًا فلما وصل الططر سر اسمعيل

كتخدا سرورًا عظيمًا وأنفذ المبعشرين الى وفيه ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنية وسافر رضوان بك الى المنوفية وقاسم بك الى الشرقية وعلي بك الحسنى الى الغربية.

وفي عشرينه جمع اسمعيل بك الأمراء والوجاقية وقال لهم أيا إخواننا إن حسن باشا أرسل يطلب مني باقي الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فأحضروا حسن أفندي شقبون أفندي الديوان وحسبوا الذي طرف اسمعيل بك وجماعته فبلغ ثلثمائة وخمسين كيسًا وطلع على طرف حسن بك وأتباعه نحو أربعمائة كيس وعلى طرف علي بك الدفتردار مائة وستون كيسًا وكانوا أرسلوا الى علي بك فلم يأت فقال لهم حسن بك أي شيء هذا العجب والأغراض بلاد علي بك فارسكور وبارنبال وسرس الليانة حلوانهم قليل وزاد اللغظ والكلام فقام من بينهم اسمعيل بك ونزل وركب الى جزيرة الذهب وكذلك حسن بك خرج الى قبة العزب وعلي بك ذهب الى قصر الجلفي بالشيخ قمر وأصبح علي بك وركب الى الباشا ثم رجع الى بيته ثم أن علي بك قال لا بد من تحرير حسابي وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا الى وقتنا وما صرفته على أمير الحج تلك السنة وادعى أمير الحج الذي هو محمد بك المبدول ببواقي ووقع على الجداوي فاجتمعوا ببنت رضوان كتخدا تابع المجنون وحضر حسن كتخدا علي بك وكيلًا عن مخدومه ومصطفى آغا الوكيل وكيلًا عن اسمعيل بك وحرروا الحساب فطلع

شهر جمادى الآخرة فيه حضر فرمان من الدولة

ينفي أربعة أغوات وهم عريف آغا وعلي آغا وإدريس آغا واسمعيل آغا فحنق لذلك جوهر آغا دار السعادة وشرع في كتابة مرافعة.

وفي عاشره وصل فرمان لاسمعيل كتخدا وخوطب فيه بلفظ الوزارة.

وفي يوم الأحد عمل اسمعيل باشا المذكور ديوانًا في بيته بالأزبكية وحضر الأمراء والمشايخ وقرأوا المكاتبة وفيها الأمر بحساب عابدي باشا وبعد انفضاض الديوان أمر الروزنامجي والأفندية بالذهاب الى عابدي باشا وتحرير حساب الستة أشهر من أول توت الى برمهات لأنها مدة اسمعيل باشا وما أخذه زيادة عن عوائده وأخذ منه الضريبة وسلمها الى خازن داره وقطعوا راتبه من المذبح.

وفي عصريتها أرسل الى الوجاقية والاختيارية فلما حضروا قال لهم اسمعيل باشا بلغني أنكم جمعت ثمانمائة كيس فما صنعتم بها فقالوا دفعناها الى عابدي باشا وصرفها على العسكر: فقال: لأي شيء قالوا لقتل العدو قال والعدو قتل قالوا لا قال حينئذ إذا احتاج الحال ورجع العدو أطلب منكم كذلك قدرها قالوا ومن أين لنا ذلك قال إذا اطلبوها منه واحفظوها عندكم في باب مستحفظان لوقت الاحتياج.

وفيه تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بك بمنفلوط وبنى له بها دارًا وصحبته أيوب بك وأما مراد بك وبقية الصناجق فإنهم ترفعوا الى فوق.

وفي يوم الاثنين حضر حسن كتخدا الجربان من الروم وكان اسمعيل بك أرسل يتشفع في حضوره بسعاية محمد آغا البارودي وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة لأنه مملوك حسن بك أبي قرش وحسن بك مملوك سليمان آغا كتخدا الجاويشية ولما حضر أخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شناق قلعة منفين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالي الى بعض متكلمي الدولة مثل القزلار وخلافه بالسعي لهم في طلب العفو فلما حضر حسن باشا وبلغه ذلك نفاهم وأسقط رواتبهم وكانوا في منزله أعزاز ولهم رواتب وجامكية لكل شخص خمسمائة قرش في الشهر.

وفي عشرينه تحرر حساب عابدي باشا فطلع لاسماعيل باشا نحو ستمائة كيس فتجاوز له عن نصفها ودفع له ثلثمائة كيس وطلع عليه لطرف الميري نحوها أخذوا بها عليه وثيقة وسامحه الأمراء من حسابهم معه وهادوه وأكرموه وقدموا له تقادم وأخذ في أسباب الارتحال والسفر وبرز خيامه الى بركة الحج.

وفي أواخره ورد الخبر مع السعاة بوصول الأطواخ لاسماعيل باشا والبرق والداقم الى ثغر الاسكندرية.

في ثلثه يوم الاثنين سافر عابدي باشا من البر على طريق الشام الى ديار بكر ليجمع العساكر الى قتال الموسقو وذهب من مصر بأموال عظيمة وسافر صحبته اسماعيل باشا الأرنبدي وأبقى اسماعيل باشا من عسكر القليونجية والأرنبودية من اختارهم لخدمته وأضافهم إليه وفي عاشره وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا فابتهج لذلك وأمر بعمل شنك وحرقة ببركة الأزيكية وحضر الأمراء الى هناك ونصبوا صواري وتعاليق وعملوا حرقة ووقدة ليلتين ثم ركب الباشا في صبح يوم الجمعة وذهب الى مقام الإمام الشافعي فزاره ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر ونودي في ليلتها على الموكب فلما كان صبح يوم السبت خامس عشره خرج الأمراء والوجاقية والعساكر الرومية والمصرية واجتمع الناس للفرجة وانتظم الموكب أمامه وركب بالشعار القديم وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيلاشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد وشق القاهرة في موكب عظيم ولما طلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقلعة حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم وهم مستبشرون بذلك وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطي.

وفي يوم الثلاثاء عمل الديوان وطلع الأمراء والمشايخ وطلع الجم الكثير من الفقهاء طائنين وطامعين في الخلع فلما قرئ التقرير في الديوان الداخل خلع على الشيخ العروسي والشيخ البكري والشيخ الحريري والشيخ الأمير والأمراء الكبار فقط ثم أن اسماعيل بك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال تفضلوا يا أسيادنا حصلت البركة فقاموا وخرجوا.

وفي يوم الخميس عشرينه أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة وتنقيص الأسعار فنقصوا سعر اللحم نصف فضة وجعلوا الضاني بستة أنصاف والجاموسي بخمسة فشح وجوده بالأسواق وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ونزل سعر الأردب الغلة الى ثلاثة ريال ونصف بعد تسعة ونصف.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه ورد مرسوم من الدولة فعمل الباشا الديوان في ذلك اليوم وقرأوه وفيه الأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو فإنهم تغلبوا واستولوا على قلاع ومدن عظيمة من مدن المسلمين وكذلك يدعون له بعد الأذان في كل وقت وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرأون البخاري في كل يوم ورتب لهم في كل يوم مائتين نصف فضة لكل مدرس عشرون نصفاً من الضربخانة ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان.

وفي يوم الأحد حضر الشيخ العروسي والمشايخ وجلسوا في القبلة القديمة جلوساً عاماً وقرأوا أجزاء من البخاري واستداموا على ذلك بقية الجمعة وقرر اسماعيل بك أيضاً عشرة من الفقهاء كذلك يقرأون أيضاً البخاري نظيراً لعشرة الأولى وحضر الصناع وشرعوا في البياض والدهان وجلاء الأعمدة وبطل ذلك الترتيب.

شهر شعبان المكرم في ثانيه نودي بإبطال التعامل بالزيوف المغشوشة والذهب الناقص وأن الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج وإذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط يكون بطالاً ولا يتعامل به وإنما يباع لليهود الموردين بسعر المصاغ إلى دار الضرب ليعاد جديداً فلم يمثل الناس لهذا الأمر ولم يوافقوا عليه واستمروا على التعامل بذلك في المبيعات وغيرها لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر وإذا بيع على سعر المصاغ خسروا فيه قريباً من النصف فلم يسهل بهم ذلك ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم.

وفي أوائله أيضاً تواترت الأخبار بموت السلطان عبد الحميد حادي عشر رجب وجلس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه وهو السلطان سليم خان وعمره نحو الثلاثين سنة وورد في أثر الإشاعة صحة التجار والمسافرين دراهم وعليها اسمه وطرته ودعى له في الخطبة أول جمعة في شعبان المذكور.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه حضر علي بك الدفتردار من ناحية دجوة وسبب ذهابه إليها أن أولاد حبيب قتلوا عبد العلي بك بمنية عفيف بسبب حادثة هناك وكان ذلك العبد موصوفاً بالشجاعة والفروسية فعز ذلك على علي بك فأخذ فرماتاً من الباشا بركوبه على أولاد حبيب وتخريب بلدهم ونزل إليهم وصحبته باكير بك ومحمد بك المبدول وعندما علم الحباية بذلك وزعوا متاعهم وإرتحلوا من البلد وذهبوا إلى الجزيرة فلما وصل علي بك ومن معه إلى دجوة لم يجدوا أحداً ووجدوا دورهم خالية فأمرؤا بهدمها هدموا مجالسهم ومقاعدهم وأوقدوا فيها النار وعملوا فردة على أهل البلد وما حولها من البلاد وطلبوا منهم كلقاً وحق طرق وتفحصوا على ودائعهم وأمانتهم وغلالهم في جيرة البلاد مثل طحلة وغيرها فأخذوها وأحاطوا بزرعهم وما وجدوه بالنواحي من بهائمهم ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم وصالحوه بسعي الوسائط بدراهم ودفعوها ورجعوا إلى وطنهم ولكن بعد خرابها وهدمها.

وفيه أرسل الباشا سلحدار ب خطاب للأمراء القبالي يطلب منهم الغلال والمال الميري حكم الاتفاق.

في رابعه وصل إلى مصر آغا معين بإجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه فعمل الباشا ديواناً وقرأ المرسوم الوارد بذلك بحضرة الجمع والسبب في تأخير هذا الوقت الاهتمام بأمر السفر واشتغال رجال الدولة بالعزلة والتولية وورد الخبر أيضاً بعزل حسن باشا من رئاسة البحر إلى رئاسة البر وتقلداً الصدارة وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردي وأخبروا أيضاً بقتل بستحي باشا.

وفي أوائله أيضاً فتحوا ميري سنة خمسة مقدمة بعجلة.

وفي أواخره حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية ويده أوامر وفيها الحث على محاربة الأمراء القبالي والخطاب للوجاقلية وباقي الأمراء بأن يكونوا مع اسمعيل بك بالمساعدة والإذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة مع تشهيل الخزينة للدولة وفي عاشره وصل ططري وعلى يده أوامر منها حسن عيار المعاملة من الذهب والفضة وأن يكون عيار الذهب المصري تسعة عشر قيراطاً وبصرف بمائة وعشرين نصفاً بنقص أربعة أنصاف عن الواقع في الصرف بين الناس والاسلامبولي بمائة وأربعين وينقص عشرة والفندقلي بمائتين بنقص خمسة والريال الفرنسية بمائة بنقص خمسة أيضاً والمغربي بخمسة وتسعين بنقص خمسة أيضاً وهو المعروف بأبي مدفع والبندقي بمائتين وعشرة بنقص خمسة عشر فنزل الآغا وفي غايته خرج أمير الحاج غيطاس بك بالمحمل وركب الحاج.

وفي منتصف شهر القعدة الموافق لعاشر مسرى القبطي أو في النيل المبارك أذرع الوفاء ونزل الباشا الى فم الخليج وكسر السد بحضرته على العادة وانقضى هذا العام بحوادثه وحصل في هذه السنة الازدلاف وتداخل العام الهلالي في الخراجي ففتحوا طلب المال الخراجي القابل قبل أوانه لضرورة الاحتياج وضيق الوارد بتعطيل الجهة القبلية واستيلاء الأمراء الخارجين عليها ووجه اسمعيل بك الطلب من أول السنة بباقي الحلوان الذي قرره حسن باشا ثم المال الشتوي ثم الصيفي وفي أثناء ذلك المطالبة بالفرد المتوالية المقررة على البلاد من الملتزمين ووجه على الناس قباج الرسل والمعينين من السراجين والدلاة وعسكر القليونجية فيدهمون الإنسان ويدخلون عليه في بيته مثل التجريدة الخمسة والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة بوجوه عابسة فيشأغلهم ويلطفهم ويلين خواطرهم بالإكرام فلا يزدادون إلا قسوة وفظاظة فيعدهم على وقت آخر فيسمعونه قبيح القول ويشتطون في أجرة طريقهم وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرًا فيدخلون الدار وليس فيها إلا النساء ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن وربما نططن من الحيطان أو ربما هربن الى بيوت الجيران وسافر رضوان بك قرابة علي بك الكبير الى المنوفية وأنزل بها كل بلية وعسف بالقرى عسفًا عنيقًا قبيحًا بأخذ البلص والتساويف وطلب الكلف الخارجة عن المعقول الى أن وصل الى رشيد ثم رجع الى مولد السيد البدوي بطندتا ثم عاد وفي كل مرة من مروره يستأنف العسف والجور وكذلك قاسم بك بالشرقية وعلي بك الحسنى بالعربية وقلد اسمعيل بك مصطفى كاشف المرباط بقلعة طرا فعسف بالمسافرين الذاهبين والآيبين الى جهة قبلي فلا تمر عليه سفينة صاعدة أو منحدرة إلا طلبها إليه وأمر بإخراج ما فيها وتفتيشها بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من الثياب وغيرها أو إرسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم فإن وجد بالسفينة شيئًا من ذلك نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسبين وأخذه عن آخره وقبض عليهم وعلى الرئيس وحبسهم ونكل بهم ولا يطلقهم إلا بمصلحة وإن لم يجد شيئًا فيه شبهة أخذ من السفينة ما اختاره وحجزهم فلا يطلقهم إلا بمال يأخذه منهم وتحقق الناس فعله فصانعوه ابتداء تقية لشره وحفظًا لمالهم ومتاعهم فكان الذي يريد السفر الى قبلي بتجارة أو متاع يذهب إليه ببعض الوسائط وبصالحه بما يطيب به خاطره ويمر بسلام فلا يعرض له وكذلك الواصلون من قبلي يأتون طائعين الى تحت القلعة ويطلع إليه الرئيس والمسافرون فيصالحونه وعلم الناس هذه القاعدة واتبعوها وارتاحوا عليها في الجملة واستعوضوا الخسارة من غلو الأثمان وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبليين وهادينهم وأرشونه عن إرسالهن الى أزواجهن من الملابس والأمتعة سرًا حتى كانوا في الآخر يرسلن إليه ما يرمن إرساله وهو يرسله بمعرفته وتأتي أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية واتخذ له يدًا وجميلًا وطوقهم منته بذلك وشاع في بلاد الأرنؤد وجبال الروملي رغبة اسمعيل بك في العساكر فوفدوا عليه بأشكالهم المختلفة وطباعهم المنحرفة وعدم أديانهم وانعكاس أوضاعهم فأسكن منهم طائفة بالجيزة وطائفة ببولاق وطائفة بمصر العتيقة وأجري عليهم النفقات والعلوفات وجلب له الياسيرجية الممالك فاشترى منهم عدة وافرة وأكثرهم عرق ومشنبون وأجناس غير معهودة واستعملهم من أول وهلة في الفروسية ولم يدرهم في آداب ولا معرفة دين ولا كتاب كل ذلك حرصًا على مقاومة الأعداء وتكثير الجيش وتابع إرسال الهدايا والأموال والتحف الى الدولة وأحضر السروجية والصواغ والعقادين فوضعوا ستة سروج للسلطان وأولاده وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات مزركشة وهي مع السرج والقصة والقربوص مرصعة بالجواهر والبروق والذهب والركابات واللجامات والبلامات والشماريخ والسلاسل كلها من الذهب البندقي الكسر والرأس والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد وجميع الشراريب من القصب المخيش وبها تعاليق المرجان والمعادن صناعة بديعة وكلفة ثمينة أقاموا في صناعة ذلك عدة أيام ببيت محمد آغا البارودي واشترى كثيرًا من الأواني والقذور الصيني الأسكي معدن وملأها بأنواع الشرابات المصنوع من السكر المكرر كشراب البنفسج والورد والحماض والصندل المطيب بالمسك والعنبر وماء الورد

والمربيات الهندية مثل مربى القرنفل وجوزبوا والبسباسة والزنجبيل والكابلي وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر صحبة عثمان كتحدا عزبان ومعها عدة خيول من الجياد وأقمشة هندية وعود وعنبر وظرائف وأرزوين وأفابيه وماء الورد المكرر وغير ذلك ولم يتفق لأحد فيما تقدم من أمراء مصر أرسل مثل ذلك ولم نسمع به ولم نره في تاريخ فإن نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها في ظروف من الفخار التي قيمة الظرف منها خمسة أنصاف أو عشرة حتى الذي يأتي من اسلامبول لخصوص السلطان وأما هذه فأقل ما فيها يساوي مائة دينار وأكثر من ذلك.

ومات في هذه السنة العلامة الماهر الحسوب الفلكي أبو الإتيان الشيخ مصطفى الخياط صناعة أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن مثل رضوان أفندي ويوسف الكلارجي والشيخ محمد النشيلي والكرتلي والشيخ رمضان الخوانكي والشيخ محمد الغمري والشيخ الوالد حسن الجبرتي وأخذ عنهم وتلقى منهم ومهر في الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل والحل والتركيب وتحاويل السنين وتداخل التواريخ الخمسة واستخراج بعضها من بعض وتوابعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ودلائل الأحكام والمناظرات ومظنات الكسوف والخسوف واستخراج أوقاتها ودقائقها مع الضبط والتحرير وصحة الحدس وعدم الخطأ وأقر له أشياخه ومعاصروه بالإتيان والمعرفة وانفرد بعد أشياخه ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان ابن سالم الورداني أطال الله بقاءه ونفع به ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة وتلقى عنه وحج معه في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف وسمعته يقول عنه الشيخ مصطفى فريد عصره في الحسابيات والشيخ محمد النشيلي في الرسميات وحسن أفندي قطه مسكين في دلائل الأحكام وكان يستخرج في كل عام دستور السنة من مقومات السيارة ومواقع التواريخ وتوابع القبط والمواسم والأهلة ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة وينقل منها نسخًا كثيرة يتناولها الخاص والعام يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية والتوابع والمواسم وتحاويل البروج وغير ذلك والتمس منه الأستاذ سيدي أبو الإمداد أحمد بن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ثمانين ومائة وألف فأجابه إلى ذلك واشتغل به أشهرًا حتى أتم حساب أطولها وعروضها وجهاتها ودرجات ممرها ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر بغاية التحقيق والتدقيق على أصول الرصد الجديد السمرقندي وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك وأجازه على ذلك إجازة سنية ومات سلطان الزمان السلطان عبد الحميد بن أحمد خان وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم ودخلت سنة أربع ومائتين وألف في المحرم وصلت الأخبار بأن الموسقو آغا روا على عدة قلاع وممالك إسلامية منها جهات الأوزي وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر وان الاسلامبول واقع بها غلاء عظيم.

وفي أواخره حضر واحد آغا ويده مرسومات بسبب الأمراء القبليين بأنهم إن كانوا تعدوا الجهات التي صالحوا عليها حسن باشا ولم يدفعوا المال ولا الغلال فلازم من محاربتهم ومقاتلتهم وإن لم يمثلوا يخرجوا إليهم ويقاثلوهم فإن السلطان أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ولا يقبل عذرهم في التأخير فقرأوا تلك المرسومات في الديوان ثم أرسلوها مع مكاتبات صحبة واحد مصرلي وآخر من طرف الآغا القادم بها وآخر من طرف الباشا.

وفي أوائل ربيع الأول رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ملخصها أنهم لم يتعدوا ما حدوده مع حسن باشا إلا بأوامر من عابدي باشا فإنه حدد لنا من منفلوط ثم اسمعيل بك بنى حاجرًا وقلاعًا وأسوارًا بطرا وذلك دليل وقرينة على أن ما راء ذلك يكون لنا وأنه اختص بالأقاليم البحرية وترك لنا الأقاليم القلبية ولا مزية للأمراء الكائنين بمصر علينا فإنه يجمعنا وإياهم أصل واحد وجنس واحد وإن كنا ظلمة فهم أظلم منا وأما الغلال والمال فإننا أرسلنا لهم جانب غلال فلم ترجع المراكب التي أرسلناها ثانيًا فيرسلوا لنا مراكب

ونحن نعيها ونرسلها وذكروا أيضًا أنهم أرسلوا صالح آغا كتحدا الجاويشية سابقًا الى اسلامبول ونحن في انتظار رجوعه بالجواب فعند رجوعه يكون العمل بمقتضى ما يأتي به من المرسومات ولا نخالف أمر السلطان.

وفي شهر جمادى الأولى وردت أخبار بعزل وزير الدولة وشيخ الإسلام وآغات الينكجيرية ونفيهم وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو بالسفر وأنه محصور بمكان يقال له اسمعيل لأن الموسقو أغاروا على ما وراء اسمعيل وأخذوا ما بعده من البلاد ثم أنه هادن الموسقو وصالحهم على خمسة أشهر الى خروج الشتاء وأن السلطان أحضر الأمراء المصرية الرهائن المنفيين بقلعة ليميا وهم عبد الرحمن بك الابراهيمى وعثمان بك المرادى وسليمان كاشف وأما حسين بك فإنه مات بليما ولما حضروا أنزلوهم في قنوات وعين لهم رواتب ويحضرهم السلطان في بعض الأحيان الى الميدان ويعملوا رماحة بالخيل وهو ينظر إليهم ويعجبه ذلك ويعطيهم أنعامًا وورد الخبر أيضًا أن صالح آغا وصل الى اسلامبول فصالح على الأمراء القبالي وتم الأمر بواسطة نعمان أفندي نجم باشا ومحمود بك وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا فحنق لذلك ولم يمضه وانحرف علي نعمان أفندي ومحمود بك وأمر بعزلهما من مناصبهما ونفيهما وإخراجهما من دار السلطنة فنفى نعمان أفندي الى أماسيه ومحمود بك الى جهة قريبة من اسلامبول وشاط طيخهم وسافر صالح آغا من اسلامبول وفي شهر شعبان ورد الخبر بموت حسن باشا وكان موته في منتصف رجب وكأنه مات مقهورًا من الموسقو.

وفي ثاني عشر رمضان حصل زلزلة لطيفة في سادس ساعة من الليل.

وفيه أيضًا وصل ثلاثة أشخاص من الديار الرومية فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ورجعوا.

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر شوال قبل الفجر احترق بيت اسمعيل بك عن آخره.

وفي خامس عشرينه عزل حسن كتحدا المحتسب من الحسبة وقلدوها رضوان آغا محرم من وفاق الجاويشية فأنهى حسن آغا أنه كان متكفلًا بجراية الجامع الأزهر فإن كان المتولي يتكفل بها مثله استمر فيها وإلا ردوا له المنصب وهو يقوم بها للمجاورين كما كان فلما قالوا لرضوان آغا ذلك فلم يسعه إلا القيام بذلك وهي دسياسة شيطانية لا أصل فإن أخبار الجامع الأزهر لها جهات بعضها معطل والناظر عليه علي بك الدفتردار وحسن آغا كتحده يصل ويقطع من أي جهة أراد من الميري أو من خلافه فدس هذه الدسياسة يريد بها تعجيز المتولي ليرجع إليه المنصب ومعلوم أن المتولي لم يتقلد ذلك إلا برشوة دفعها ويلزم من نزوله عنها ضياع غرامته وجرسته بين أقرانه فما وسعه إلا القيام بذلك وفردها على مظالم الحسبة التي يأخذها من السوق ويدفعها للخبار يصنع بها خبرًا للمجاورين والمنقطعين في طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم من الظلم والسحت المكرر وذلك نحو خمسة آلاف نصف فضة في كل يوم واشتهر ذلك وعلمه العلماء والمجاورون وغيرهم وربما طالبوه بالمنكسر أو اعتذروا بقولهم الضرورات تبيح المحظورات.

وفي ليلة السبت ثالث شهر الحجة الموافق لعاشر مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء على العادة وجرى الماء في الخليج.

وفيه وقعت واقعة بين عسكر القليونجية والأرنؤدية بسوق السلاح وقتل بينهم جماعة من الفريقين ثم تحزبوا أحزابًا فكان كل من واجه حزبًا من الطائفة الأخرى أو انفرد ببعض منها قتلوه ووقع بينهم ما لا خير فيه وداخل الناس الخوف من ذلك فيكون الإنسان مازًا بالطريق فلا يشعر إلا وكرشة وطائفة مقبلة وبأيديهم البنادق والرصاص وهم قاصدون

طائفة من أخصامهم بلغهم أنهم في طريق من الطرق واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام ثم أدرك القضية اسمعيل بك وفي أواخره حضر جماعة من الأرئود الى بيت محمد آغا البارودي وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم ونزلوا عند الخليج المرخم وازدحموا في المركب فانقلب بهم وغرق منهم نحو ستة أنفار وقيل تسعة وطلع من طلع في أسوأ حال.

ذكر من مات في هذه السنة ومات في هذه السنة العلامة الرحالة الفهامة الفقيه المحدث المفسر المحقق المتبحر الصوفي الصالح الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي الأزهري المعروف بالجميل ويعرف أبوه وجده بشتيت ولد بمنية عجيل إحدى قرى الغربية وورد مصر ولازم الشيخ الحفني فشملمته بركته وأخذ عنه طريق الخلوتية ولقنه الأسماء وأذن له واستخلفه وتفقه عليه وعلى غيره من فضلاء العصر مثل الشيخ عطية الأجهوري ولازم دروسه كثيرًا واشتهر بالصلاح وعفة النفس ونوه الشيخ الحفني بشأنه وجعله إمامًا وخطيبًا بالمسجد الملاصق لمنزله على الخليج ودرس بالأشرفية والمشهد الحسيني في الفقه والحديث والتفسير وكثرت عليه الطلبة وضبطت من إملائه وتقريراته وقرأ المواهب والشمائل وصحيح البخاري وتفسير الجلالين بالمشهد الحسيني بين المغرب والعشاء وحضره أكبر الطلبة ولم يتزوج وفي آخر أمره تقشف في ملبسه ولبس كساء صوف وعمامة صوف وطللسًا كذلك واشتهر بالزهد والصلاح ويتردد كثيرًا لزيارات المشايخ والأولياء ولم يزل على حاله حتى توفي في حادي عشر القعدة من السنة.

ومات الإمام الفاضل العلامة الصالح المتجرد القانع الصوفي الشيخ علي ابن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجي بن فنيش العوني الميهي الشافعي الضرير نزيل طندتا ولد بالميه إحدى قرى مصر وأول من قدمها جده فنيش وكان مجذوبًا من بني العونة العرب المشهورين بالبحيرة فتزوج بها وحفظ المترجم القرآن وقدم الجامع الأزهر وجوده على بعض القراء واشتغل بالعلم على مشايخ عصره ونزل طندتا فتديرها ودرس العلم بالمسجد المجاور وللمقام الأحمدي وانتفع به الطلبة وآل به الأمر الى أن صار شيخ العلماء هناك وتعلم عليه غالب من بالبلد علم التجويد وهو فقيه مجود ماهر حسن التقرير جيد الحافظة يحفظ كثيرًا من النقول الغربية وفيه أنس وتواضع وتكشف وانكسار وورد مصر في المحرم من هذه السنة ثم عاد الى طندتا وتوفي في ثاني عشر ربيع الأول من السنة ولم يتعلل كثيرًا ودفن بجانب قبر سيدي مرزوق من أولاد غازي في مقام مبني عليه رحمه الله تعالى.

ومات الفاضل التحرير الذي وقف الأدب عند بابه ولاذت أربابه بأعبائه النبيه النبل واللوزعي الجليل قاسم بن عطاء الله المصري الأديب ولد بمصر وبها نشأ وقرأ في الفنون على بعض أهل عصره وحفظ الملح والألفية وغيرهما واشتهر بفن الأدب والتوشيح والزجل وكان يعرف أولًا بالزجال أيضًا لإتقانه فيه وصار وحيد عصره في هذه الفنون بحيث لا يجاريه أحد مع ما لديه من الارتجال في الشعر مع غاية الحسن وأما في فن التاريخ فإليه المنتهى مع السلاسة والتناسب وعدم التكلف فيه.

ومات الخواجا المعظم والناخودة المكرم الحاج أحمد آغا بن ملا مصطفى الملطيلي كان من أعيان التجار المشهورين وأرباب أهل الوجاهة المعبرين عمدة في بابه عدة لأحبابه ومن يلوذ بجنابه وينتمي لسدته وأعبائه محتشمًا في نفسه مبجلًا بين أبناء جنسه توفي يوم الأربعاء ثاني عشرين القعدة ولم يخلف بعده مثله.

ومات صاحبنا النبيه المفوه الفصيح المتكلم الكاتب المنشئ حسين ابن محمد المعروف بدرب الشمسسي وهو أحد أخوة حسن أفندي من بيت المجد والرياسة والشرف والفضيلة

وكان من نوادر العصر في الفصاحة واستحضار المسائل الغريبة والنكات والفوائد الفقهية الطبية وعنده حرص على صيد الشوارد وأدرك بمصر أوقاتاً ولذات في الأيام السابقة قبل أن يخرجهم علي بك من مصر في سنة اثنتين وثمانين ونفيهم الى الحجاز وبعد رجوعهم في سنة سبع وثمانين ولكن دون ذلك ولم يزل يرفل في حلل السيادة حتى تعلل نحو عشرين يوماً وتوفي في شهر رمضان من السنة وصلي عليه بمصلى أيوب بك ودفن عند أسلافه وخلفه من بعده ابنه حسن جرجي الموجود الآن برك الله فيه ورحم سلفه. ومات

العمدة المفضل والملاذ المبجل

الشيخ عبد الجواد بن محمد ابن عبد الجواد الأنصاري الجرجاوي الخير المكرم الجواد من بيت الثروة والفضل جدوده مالكية فتحنف كان من أهل المأثر في إكرام الضيوف والوافدين وله حسن توجه مع الله تعالى وأوراد وأذكار وقيام الليل يسهر غالب ليله وهو يتلو القرآن والأحزاب وورد مصر مراراً وفي آخره انتقل إليها بعياله واشترى منزلاً واسعاً بحارة كتامة المعروفة الآن بالعينية وصار يتردد في دروس العلماء مع إكرامهم له ثم توجه الى الصعيد ليصلح بين جماعة من عرب العسيرات فقتلوه غيلة في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات الأمير المبجل صالح فندي كاتب وفاق التفجية وهو من مماليك ابراهيم كتخدا القزدغلي نشأ من صغره في صلاح وعفة وحب إليه القراءة وتجويد الخط فجوده على حسن أفندي الضيائي والأنيس وغيرهما حتى مهر فيه وأجازوه على طريقتهم واصطلاحهم واقتنى كتباً كثيرة وكان منزله ماوى ذوي الفضائل والمعارف وله اعتقاد حسن وحب في المرحوم الوالد ولا ينقطع عن زيارته في كل جمعة مرة أو مرتين وكان مترهقاً في مأكله وملبسه معتبراً في ذاته وجيهاً منور الوجه والشيبة له من اسمه نصيب وعنده حزم ومماليكه أحمد مصطفى تمرض نحو سنة وعجز عن ركوب الخيل وصار يركب حملاً عالياً ويستند على أتباعه ولم يزل حتى توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى وانقضت هذه السنة.

واستهلت سنة خمس ومائتين وألف في حادي عشر المحرم ورد آغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على السنة الجديدة فعملوا له موكباً وطلع الى القلعة وقرئ المقرر بحضرة الجمع وضربوا له مدافع.

وفي ذلك اليوم قبض اسمعيل بك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين وأمر بتغريقه في بحر النيل.

وفي صباحها نفوا صالحاً آغا آغات الأرنؤد قيل إن السبب في ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالي بواسطة المعلم يوسف المذكور على أنه لم يملكهم المراكب الرومية والقلع التي بناحية طرا والجيزة وعملوا له مبلغاً من المال التزم به الذمي يوسف وكتب على نفسه تمسكاً بذلك وفيه كثر تعدي أحمد آغا الوالي على أهل الحسينية وتكرر قبضه وإيذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب وأخذ المال بل ونهب بعض البيوت وأرسل في يوم الجمعة ثاني عشرينه أعوانه بطلب أحمد سالم الجزار شيخ طائفة البيومية وله كلمة وصوله بتلك الدائرة وأرادوا القبض عليه فثارت طوائفه على أتباع الوالي ومنعوه منهم وتحركت حميتهم عند ذلك وتجمعوا وانضم إليهم جمع كثير من أهل تلك النواحي وغيرها وأغلقوا الأسواق والدكاكين وحضروا الى الجامع الأزهر ومعهم طبول وقفلوا أبواب الجامع وصعدوا على المنارات وهم يصرخون وبصيحون ويضربون على الطبول وأبطلوا الدروس فقال لهم الشيخ العروسي: أنا أذهب الى اسمعيل بك في هذا الوقت وأكلمه

في عزل الوالي وتخلص منهم بذلك وذهب الى اسمعيل بك فاعتذر بأن الوالي ليس من جماعته بل هو من جماعة حسن بك الجداوي وأمر بعض أتباعه بالذهاب إليه وإخباره بجمع الناس والمشايخ وطلبهم عزل الوالي فلم يرض بذلك وقال إن كان أنا أعزل الوالي تابعي يعزل هو الآخر الآغا تابعه ويعزل رضوان كتحدا المجنون من المقاطعة ويرفع مصطفى كاشف من طرا ويطرد عسكر القليونجية والأرنؤد وترددت بينهم الرسل بذلك ثم ركب حسن بك وخرج الى ناحية العادلية مثل المغضب وصار أحمد آغا الوالي يركب بجماعة كثيرة ويشق من المدينة ليغيظ العامة وكذلك يجمع من العامة خلائق كثيرة ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات في مروره وانجرح بينهم جماعة وقتل شخصان ثم ركب المشايخ وذهبوا الى بيت محمد أفندي البكري وحضر هناك اسمعيل بك وطيب خاطرهم والتزم لهم بعزل الوالي ومر الوالي في ذلك الوقت على بيت الشيخ البكري وكثير من العامة مجتمع هناك ففرع فيهم بالسيف وفرق جمعهم وسار من بينهم وذهب في طريقه ثم زاد الحال وكثرت غوغاء الناس ومشوا طوائف يأمرؤن بغلق الدكاكين واجتمع بالأزهر الكثير منهم واستمرت هذه القضية الى يوم الثلاثاء ثالث صفر ثم طلع اسمعيل بك والأمراء الى القلعة واصطلحوا على عزل الوالي والآغا وجعلوهما صنجقين وقلدوا خلفهما الآغا من طرف اسمعيل بك والوالي من طرف حسن بك ونزل الوالي الجديد من الديوان الى الأزهر وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ثم ركب الى بيته وانفض الجمع وكأنها طلعت بأيديهم والذي كان راكب حملاً ركب فرساً.

وفي ليلة الجمعة خامس شهر صفر غيمت السماء غيمًا مطبقًا وسحت أمطار غزيرة كافواه القرب مع رعد شديد الصوت وبرق متتابع متصل قوي اللمعان يخطف بالابصار مستديم الاشتعال واستمر ذلك بطول ليلة الجمعة ويوم الجمعة والأمطار نازلة حتى سقطت الدور القديمة على الناس ونزلت السيول من الجبل حتى ملأت الصحراء وخارج باب النصر وهدمت التربة وخسفت القبور وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة فحصل لهم غاية المشقة وأخذ السيل صيوان أمير الحاج بما فيه وانحدر به من الحصوة الى بركة الحج وكذلك خيام الأمراء وغيرهم وسالت السيول من باب النصر ودخلت البلد وامتلأت الوكائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وقتلت أناس في حواصل الخانات وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة بالأمواج وفي حصل أيضًا كائنة عبد الوهاب أفندي بشناق الواعظ وذلك أنه مات رجل من البشانقة من أهل بلده وكأنه قد جعله وصيًا على تركته فاستولى عليها واستأصلها وكان للرجل المتوفى شركة بناحية الاسكندرية فسافر المذكور الى الاسكندرية وحاز باقي التركة أيضًا ورجع الى مصر وحضر الوارث وطلبه بتركة مورثه فأظهر له شيئًا نزرًا فذهب الوارث الى القاضي فدعاه القاضي وكلمه في ذلك فقال له أنا وصي مختار وأنا مصدق وليس عندي خلاف ما سلمته له فقال له القاضي إنه يدعي عليك بكذا وكذا وعنده إثبات ذلك وطال بينهما الكلام وتناول على القاضي واستجعله فطلع القاضي الى الباشا وشكا له فأمر بإحضاره فحضر في جمع الديوان وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى الانحراف عن الحق فحنق الباشا منه وأمر برفعه من المجلس فقبضوا عليه وجروه وضربوه ورموا بتاجه الى الأرض وحبسوه في مكان وصادف أيضًا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور إليه لسبب من الأسباب وذكر فيه الباشا بقوله التعيس الحربي وكذلك الأمراء بنحو ذلك فأرسله المفتي وأعادته على يد بعض الناس الى اسمعيل بك حقدًا منه عليه لكرهه خفية بينهما سابقة وأوصله اسمعيل بك أيضًا الى الباشا فازداد غيظًا وأرعد وأبرق وأحضر بشناق أفندي من محبسه وقت القائلة وأراه ذلك المكتوب فسقط في يده واعتذر فلطمه على وجهه واتفف لحيته وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر أتباعه ثم أخذه وسجنوه وأمر بمحاسنته على ما أخذه من التركة فحوسب وطولب وبقي بالحبس حتى وفي ما طلع عليه وشفع فيه علي بك الدفتردار وخلصه من الترسيم.

وفي أواخر صفر قلدوا أحمد بك الوالي المذكور كشوفية الدقهلية وعثمان بك الحسني الغربية وشاهين بك شرقية بلبس وعلي بك جركس المنوفية وصار جماعة أحمد بك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب الناس من الأسواق وخيول الطواحين ولما سرحوا في البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم الفلاحين مما هو معلوم من أفعالهم.

وفي شهر ربيع الأول كمل بناء بيت اسمعيل بك وبياضه وأتمه على هيئة متقنة وترتيب في الوضع ونقل إليه قطع الأعمدة العظام التي كانت ملقاة في مكان الجامع الناصري الذي عند قم الخليج وجعلها في جدرانه وبنى به مقعدًا عظيمًا متسعًا ليس له مثل في مقاعد بيوت الأمراء في ضخامته وعظمه وهو في جهة البركة وغرس بجانبه بستانًا عظيمًا وظن أن الوقت قد صفا له.

وفي أواخر شهر جمادى الأولى أشيع في الناس أن في ليلة السابع والعشرين نصف الليل يحصل زلزلة عظيمة وتستمر سبع ساعات ونسبوا هذا القول الى أخبار بعض الفلكيين من غير أصل واعتقده الخاصة فضلًا عن العامة وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى الصحراء والى الأماكن المتسعة مثل بركة الأزبكية والفيل وخلافهما ونزلوا في المراكب ولم يبق في بيته إلا من ثبته الله وباتوا ينتظرون ذلك الى الصباح فلم يحصل شيء وأصبحوا يتضحكون على بعضهم.

وفيه ابتدأ أمر الطاعون وداخل الناس منه وهم عظيم.

وفيه قلدوا عبد الرحمن بك عثمان وجعلوه صنجق الخزينة وشرعوا في تشهيله واجتهد اسمعيل بك في سفر الخزينة على الهيئة القديمة ولبس المناصب والسدادة وأرباب الخدم وقد بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة فأراد اسمعيل بك إعادته ليكون له بذلك منقبة ووجاهة عند دولة بني عثمان فلم يرد الله بذلك وعاجله الرجز.

وفي شهر رجب زاد أمر الطاعون وقوي عمله بطول شهر رجب وشعبان وخروج عن حد الكثرة ومات به ما لا يحصى من الأطفال والشبان والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكشاف والأمراء ومن أمراء الألوف الصناجق نحو اثني عشر صنجقًا ومنهم اسمعيل بك الكبير المشار إليه وعسكر القليونية والأرنؤد الكائنون ببولاق ومصر القديمة والجيزة حتى كانوا يجفرون حفر المن بالجيزة بالقرب من مسجد أبي هريرة ويلقونهم فيها وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد الخمسة والستة والعشرة وازدحموا على الحوانيت في طلب العدد والمغسلين والحمالين ويقف في انتظار المغسل أو المغسلة الخمس والعشرة ويتضاربون على ذلك ولم يبق للناس شغل إلا الموت وأسبابه فلا تجد إلا مريضًا أو ميتًا أو عائداً أو معزياً أو مشيعاً أو راجعاً من صلاة جنازة أو دفن أو مشغولاً في تجهيز ميت أو باكيًا على نفسه موهومًا ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد والمصليات ولا يصلي إلا على أربعة أو خمسة أو ثلاثة وندر جدًا من يشتكي ولا يموت وندر أيضًا ظهور الطعن ولم يكن بحمي بل يكون الإنسان جالسًا فيرتعش من البرد فيدثر فلا يفיק إلا مخلصًا أو يموت من نهاره أو ثاني يوم وربما زاد أو نقص أو كان بخلاف ذلك وكان شبيهًا بفصل البقر الذي تقدم واستمر عمله الى أوائل رمضان ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك إلا قليلًا نادرًا ومات الآغا والوالي في أثناء ذلك فولوا خلافهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلافهما فماتا أيضًا واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة ولما مات اسمعيل بك تنازل الرياسة حسن بك الجداوي وعلي بك الدفتردار ثم اتفقوا على تأمير عثمان بك طبل تايغ اسمعيل بك على مشيخة البلد وسكن بيت سيده وقلدوا حسن بك قسبة رضوان أمير حاج ثم أنهم أظهروا الخوف والتوبة والإقلاع وإبطال الحوادث

والمظالم وزيادات المكوس ونادوا بذلك وقلدوا أمراء عوضًا عن المقبورين من مماليكهم.

في غرة رمضان حضر ططري وعلى يده مرسوم بعزل اسمعيل باشا وأن يتوجه الى الموره وأن باشة الموره محمد باشا الذي كان بجدة في العام الماضي المعروف بعزت هو والي مصر فعملوا الديون وقرئت المرسومات فقال الأمراء لا نرضى بذهابك من بلدنا وأنت أحسن لنا من الغريب الذي لا نعرفه فقال وكيف يكون العمل ولا يمكن المخالفة فقالوا نكتب عرضحال الى الدولة ونرجو تمام ذلك فقال لا يتم ذلك فإن المتولي كأنكم به وصل الى الاسكندرية وعزم على النزول صبح تاريخه ثم أنهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركة اسمعيل بك خوفًا من حضور معين بسبب ذلك وعين للسفيرة الشيخ محمد الأمير.

وفي يوم الخميس الخامس عشر رمضان نزل الباشا من القلعة الى بولاق وقصد السفر على الفور وطلب المراكب وأنزل بها متاعه ويرقه فلما رأوا منه العجلة وعدم التأني وقصدهم تأخيره الى حضور الباشا الجديد وبخاصب على ما دخل في جهته فاجتمعوا عليه صعبة الاختيارية وكلموه في الثاني فعارضهم وعاندهم وصمم على السفر من الغد فأغلظوا عليه في القول وقالوا له هذا غير مناسب يقال إن الباشا أخذ مال مصر وهرب فقال وأي شيء أخذته منكم قالوا له لا بد من عمل حساب فإن الحساب لا كلام فيه ولا بد من الثاني حتى نعمل الحساب فقال أنا أبقي عندكم الكتخدا فحاسبوه نيابة عني والذي يطلع لكم في طرفي خذوه منه فلم يرضوا بذلك فقال أنا لا بد من سفري إما اليوم أو غدًا فقاموا من عنده على غير رضا وأرسلوا الوالي والآغا يناديان على ساحل البحر على المراكب بأن كل من سافر بشيء من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه يستأهل الذي يجري عليه وطرردوا النواتية من المراكب ولم يتركوا في كل مركب إلا شخصًا واحدًا نوتيًا فقط وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراسًا وفي حضر خازن دار الباشا الجديد وأخبر بوصول مخدمه الى ثغر الاسكندرية ومعه خلعة القائمقامية لعثمان بك طبل ومكاتبة الى الأمراء بعدم سفر الملاقاة وأرباب الخدم على العادة وأخبر أنه واصل الى رسيد بالبحر بالنقاير فنزل لملاقاته آغات المتفرقة فقط.

وفيه رفعوا مصطفى كاشف من طرا وعملوه كتخدا عثمان بك شيخ البلد.

وفيه أشيع بأن عبد الرحمن بك الابراهيمي حضر من طريق الشام ومر من خلف الجبل وذهب الى سيده بالصعيد.

وفي غرة شوال يوم الجمعة وليلة السبت حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق فعملوا له اسقالة وركب الأمراء وعدوا الى بر انبابة وسلموا عليه وعدى صحبتهم وركب الى قصر العيني وأوكب في يوم الاثنين رابعه في موكب أقل من العادة بكثير الى القلعة من ناحية الصليبة وضربوا له مدافع من القلعة.

وفي ذلك اليوم سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال وكانوا أخرؤا سفره الى أن وصل الباشا الجديد وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر ثم أنهم عملوا حساب الباشا المعزول فطلع عليه للباشا المتولي مائتا كيس من ابتداء منصبه وهو سابع عشر رجب وللأمراء مبلغ أيضًا فسد ذلك بعضه أوراق وبعضه نقد وبعضه أمتعة وأذنوا له بالسفر فشرع في نزول متاعه بالمراكب بطول يوم الخميس والجمعة وأراد أن يسافر يوم السبت ففي تلك الليلة وصل يشلي من الروم وبيده مرسوم فعمل الباشا في صباحها ديوانًا حضر فيه المشايخ والأمراء وأبرز الباشا المرسوم فكان مضمونه محاسبة الباشا المعزول من ابتداء شهر توت واستخلاص ما تأداه من ابتداء المدة فعند ذلك أرسلوا ثانية وحجروا عليه

ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا عليه ثاني مرة وذلك في سادس عشره.

وفيه تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالي تحركوا الى الحضور الى مصر فإنه لما حصل ما حصل من موت اسمعيل بك والأمراء حضر مراد بك من أسيوط الى المنية وانتشر باقي الأمراء في المقدمة وعلى بعضهم الى الشرق ووصلت أوائلهم الى كفر العياط وأما ابراهيم بك فإنه لم يزل مقيمًا بمنفلوط ومنتظرًا ارتحال الحجاج ثم يسير الى جهة مصر فأرسلوا علي بك الجديد الى طرا عوضًا عن مصطفى كاشف وأرسلوا صالح بك الى الجيزة وأخذوا في الاهتمام.

وفيه حفر خندق من البحر الى المتاريس وفردوا فلاحين على البلاد للحفر مع اشتغالهم بأمور الحج ودعوا هم نقص مال الصرة وتعطيل الجامكية المضافة لدفتر الحرمين وتوجيه المعينين من القليونية على الملتزمين.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه حضر السيد عمر أفندي مكرم الأسيوطي بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابًا الى شيخ البلد والمشايخ وللباشا سرًا.

وفيه سافر اسمعيل باشا المنفصل من بولاق بعد أن أدى ما عليه.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه خرج المحمل صحبة أمير الحاج حسن بك قصبة رضوان وفي يوم الثلاثاء اجتمعوا بالديوان عند الباشا وقرئت المكاتبات الواصلة عن الأمراء القبليين فكان حاصلها أننا في السابق طلبنا الصلح مع إخواننا والصفح عن الأمور السالفة فأبى المرحوم اسمعيل بك ولم يطمئن لطرفنا ولك شيء نصيب والأمور مرهونة بأوقاتها والآن اشتقنا الى عيالنا وأوطاننا وقد طالت علينا الغربة وعزمننا على الحضور الى مصر على وجه الصلح وبيدنا أيضًا مرسوم من مولانا السلطان وصل إلينا صحبة عبد الرحمن بك بالعفو والرضا والماضي لا يعاد ونحن أولاد اليوم وأن أسيانا المشايخ يضمنون غائلتنا فلما قرئت تلك المكاتبة التفت الباشا الى المشايخ العروسي إن كان التفاقم بينهم وبين أمرائنا المصرية الموجودين الآن فإننا نترجى عندهم وإن كان ذلك بينهم وبين السلطان فالأمر لنائب مولانا السلطان ثم اتفق الرأي على مكاتبة جواب حاصله أن الذي يطلب الصلح يقدم الرسالة بذلك قبل قدومه وهو بمكانه وذكرتم أنكم تائبون وقد تقدم منكم هذا القول مرارًا ولم نر له أثرًا فإن شرط التوبة رد المظالم وأنتم لم تفعلوا ذلك ولم ترسلوا ما عليكم من الميري في هذه المدة فإن كان الأمر كذلك فترجعوا الى أماكنكم وترسلوا المال والغلال وترسل عرضحال الى الدولة بالإذن لكم فإن الأمراء الذين بمصر لم يدخلوها بسيفهم ولا بقوتهم وإنما السلطان هو الذي أخرجكم وأدخلهم وإذا حصل الرضا فلا مانع لكم من ذلك فإننا الجميع تحت الأمر وعلم على ذلك الجواب الباشا والمشايخ وسلموه الى السيد عمر وسافر به في يوم الثلاثاء المذكور ثم اشتغلوا بمهمات الحج وادعوا نقص مال الصرة ستين كيسًا ففردوها على التجار ودكاكين الغورية وارتحل الحجاج من الحصوة وصحبته الركب الفاسي وذلك يوم السبت غايته وبات بالبركة وارتحل يوم الأحد غرة ذي القعدة.

وفي ذلك اليوم عملوا الديوان بالقلعة ورسموا بنفي من كان مقيمًا بمصر من جماعة القبليين فنفوا أيوب بك الكبير وحسن كتحدا الجربان الى طندتا وكتبوا فرمانًا بخروج الغريب وفرمانًا آخر بالأمن والأمان وأخذهما الوالي والآغا ونادوا بذلك في صباحها في شوارع البلد ونهبوا على تعمير الدروب وقفل أبواب الأطراف وأجلسوا عند كل مركز حراسًا.

وفي يوم الخميس نزل الآغا وأمامه المناداة بفرمان على الأجناد والطوائف والمماليك بالخروج الى وفيه وصل قاصد من الديار الرومية وهو آغا معين بطلب تركة اسمعيل بك وباقي الأمراء الهالكين بالطاعون فأنزلوه ببيت الزعفراني وكرروا المناداة بالخروج الى ناحية طرا وكل من تاجر بعد الظهر يستحق العقوبة.

وفي تلك الليلة وقت المغرب طلع الأمراء الى الباشا وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى ناحية طرا فنزل في صباحها وخرج الى ناحية طرا كما أشاروا عليه وكذلك خرج الأمراء وطاف الآغا والوالي بالشوارع وهما يناديان على الألباشات المنتسبين الى الوجاقات بالصعود الى القلعة والباقي بالخروج الى متاريس الجيزة وطلع الأوده باشا والاختيارية وجلسوا في الأبواب.

وفي يوم السبت أشيع أن الأمراء القبليين يريدون التخريم من وراء الجبل الى جهة العادلية فخرج أحمد بك وصالح بك تابع رضوان بك الى جهة العادلية وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة وأرسلوا أيضًا الى عرب العائد فحضرُوا أيضًا هناك.

وفيه وصل القبليون الى حلوان ونصبوا وطاقهم هناك وأخذ المصريون حذرهم من خلف متاريس طرا.

وفي يوم الثلاثاء توجه المشايخ الى ناحية طرا وسلموا على الباشا والأمراء ورجعوا وذلك بإشارة الأمراء ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم وبقي الأمر على ذلك الى يوم وفي صبح يوم الأربعاء نزل الآغا والوالي وأمامهم المناداة على الرعية والعامّة الكافة بالخروج في صبح يوم الخميس صحبة المشايخ ولا يتأخر أحد وحضر الشيخ العروسي الى بيت الشيخ البكري وعملوا هناك جمعية وخرج الآغا من هناك ينادي في الناس ووقع الهرج والمرج وأصبح يوم الخميس فلم يخرج أحد من الناس وأشيع أن الأمراء القبليين نزلوا أثقالهم في المراكب وتمنعوا الى قبلي ويقولون إن قصدهم الرجوع وبقي الأمر على السكوت بطول النهار والناس في بهتة والأمراء متخيلون من بعضهم البعض وكل من علي بك الدفتردار وحسن بك الجداوي يسيء الظن بالآخر ولم يخطر بالبال مخامرة عثمان بك طبل ولا الباشا فإن عثمان بك تابع اسمعيل بك الخصم الكبير وقد تعين عوضه في إمارة مصر ومشيختها والباشا لم يكن من الفريقين فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء وخرجوا الى ناحية العادلية وأخرجوا شركفك صحتهم وجملة مدافع وعملوا متاريس فما فرغوا من عمل ذلك إلا ضحوة النهار من يوم الجمعة وهم واقفون علي الخيول فلم يشعروا إلا والأمراء القبالي نازلون من الجبل بخيولهم ورجالهم لكنهم في غاية الجهد والمشقة فلما نزلوا وجدوا الجماعة والمتاريس أمامهم فتشاور المصريون مع بعضهم في الهجوم عليهم فلم يوافق عثمان بك على ذلك وثبطهم عن الإقدام ورجعوا جميع الحملة الى مصر ووقفوا على جرائد الخيل فتمنع القبليون وتباعدوا عنهم ونزلوا عند سبيل غلام يأخذون لهم راحة حتى يتكاملوا فلما تكاملوا ونصبوا خيامهم واستراحوا الى العصر ركب مصطفى كاشف صهر حسن كتحدا علي بك وهو من مماليك محمد بك الالفي وصحبته نحو خمسة مماليك وذهب الى سيده ثم ركب محمد بك المبدول أيضًا بأتباعه وذهب الى مراد بك لأنه في الأصل من أتباعه ثم ركب مصطفى كاشف الغزاري وهو أخو عثمان بك طبل شيخ البلد وذهب أيضًا إليهم واستوثق لأخيه فكتب له ابراهيم بك بالحضور فلم يتمكن من الحضور إلا بعد العشاء الأخيرة حتى انفرد عن حسن بك وعلي بك فلما فعل ذلك وفارقهما سقط في أيديهما وغشي علي بك ثم أفاق وركب مع حسن بك وصناجقه وهم عثمان بك وشاهين بك وسليم بك المعروف بالدمرجي الذي تأمر عوضًا عن علي بك الحبشي ومحمد بك كشكش وصالح بك الذي تأمر عوضًا عن رضوان بك العلوي وعلي بك الذي تأمر عوضًا عن سليم بك الاسماعيلي وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا وذهبوا الى قبلي حيث كانت أخصامهم فسبحان مقلب

الأحوال ولما حضر عثمان بك وقابل ابراهيم بك أرسله مع ولده مرزوق بك الى مراد بك فقبله أيضًا ثم حضرت إليهم الوجاقلية والاختيارية وقابلوهم وسلموا عليهم وشرع أتباعهم في دخول مصر بطول ليلة السبت حادي عشرين شهر القعدة ولما طلع النهار دخلت أتباعهم بالحملات والجمال شيء كثير جدًا ثم دخل ابراهيم وشق المدينة ومعه صناعه ومماليكه وأكثرهم لابسون الدروع ثم دخل بعده سليمان بك والآغا وأخوه ابراهيم بك الوالي ثم عثمان بك الشرقاوي وأحمد بك الكلارجي وأيوب بك الدفتردار ومصطفى بك الكبير وعلي آغا وسليم آغا وقائد آغا وعثمان بك الأشقر الابراهيمى وعبد الرحمن بك الذي كان باسلامبول وقاسم بك الموسقو وكشافهم وأغواتهم وأما مراد بك فإنه دخل من على طريق الصحراء ونزل على الرميطة وصحبته عثمان بك الاسماعيلي شيخ البلد وأمرأؤه وهم محمد بك الألفي وعثمان بك الطنبرجي الذي كان باسلامبول أيضًا وكشافهم وأغواتهم واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من كان متأخرًا أو منقطعًا فلم يتم دخولهم إلا في ثاني يوم وأما مصطفى آغا الوكيل فإنه التجأ الى الباشا وكذلك مصطفى كاشف طرا فأخذهما الباشا صحبته وطلعا الى القلعة ودخل الأمراء الى بيوتهم وباتوا بها ونسوا الذي جرى وأكثر البيوت كان بها الأمراء الهالكون بالطاعون وبقي بها نساؤهم ومات غالب نساء الغائبين فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم والجواري والخدم فتزوجوهن وجددوا فراشهم وعملوا أعراسهم ومن لم يكن له بيت دخل ما أحب من البيوت وأخذه بما فيه من غير مانع وجلس في مجالس الرجال وانتظر تمام العدة إن كان بقي منها شيء وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم.

وفي يوم الأحد ركب سليم آغا ونادى على طرئفة القليونجية والأرنؤد والشوام بالسفر ولا يتأخر أحد وكل من وجد بعد ثلاثة أيام استحق ما ينزل به ثم أن المماليك صاروا كل من صادفوه منهم أو راوه أهانوه وأخذوا سلاحه فاجتمع منهم طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصًا من الدلاة أنزلهم الى بولاق في المراكب وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ويصفرون عليهم بطول الطريق وسكن مراد بك بيت اسمعيل بك وكأنه كان بينه من أجله.

وفي يوم الاثنين أيضًا طاف الآغا وهو ينادي على القليونجية والأرنؤد.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه صعد الأمراء الى القلعة وقابلوا الباشا وكانوا يروه ولم يرهم قبل ذلك اليوم فخلع عليهم الخلع ونزلوا من عنده وشرعوا في تجهيز تجريدة الى الهاربين لأنهم حجزوا ما وجدوه من مراكبهم وأمتعتهم وكتب الباشا عرضحال في ليلة دخولهم وأرسله صحة واحد ططري الى الدولة بحقيقة الحال وعينوا التجريدة ابراهيم بك الوالي وعثمان بك المرادي متقلدا إمارة الصعيد وعثمان بك الأشقر وأحضر مراد بك حسن كتحدا علي بك بأمان وقابله وقيده بتشهيل التجريدة وعمل بالقسمات ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغير ذلك ووجه عليه المطالب حتى صرف ما جمعه وحواه وباع متاعه وأملاكه ورهناها واستدان ولم يزل حتى مات بقهره وقلدوا علي آغا مستحفظان سابقًا وجعلوه كتحدا وفي حادي عشرين شهر الحجة الموافق لسابع عشر مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه ونزل الباشا الى قصر السد وحضر القاضي والأمراء وكسر السد بحضرتهم وعملوا الشنك المعتاد وجرى الماء في الخليج ثم توقفت الزيادة ولم يزد بعد الوفاء إلا شيئًا قليلًا ثم نقص واستمر يزيد قليلًا وينقص الى الصليب فضجت الناس وتشحطت الغلال وزاد سعرها وانكبوا على الشراء ولاحت لوائح الغلاء.

وفيه أيضًا شرع الأمراء في التعدي على أخذ البلاد من أربابها من الوجاقلية وغيرهم وأخذوا بلاد أمير الحاج.

وفيه صالح الباشا الأمراء على مصطفى آغا الوكيل وأخلوا له داره وقد كان سكن بها عثمان بك الأشقر فأخلاه له إبراهيم بك ونزل من القلعة إليه ولازم إبراهيم بك ملازمة كلية وكذلك مصطفى كاشف الذي كان بطرا لازم مراد بك واختص به وصار جليسه ونديمه.

من مات في هذه السنة من الأعيان ومات شيخنا علم الأعلام والساحر اللاعب بالافهام الذي جاب في اللغة والحديث كل فج وخاض من العلم كل لج المذل له سبل الكلام الشاهد له الورق والأقلام ذو المعرفة والمعروف وهو العلم الموصوف العمدة الفهامة والرحلة النسابة الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي الناظم النائر الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي هكذا ذكر عن نفسه ونسبه ولد سنة خمس وأربعين ومائة وألف كما سمعته من لفظه وروايته بخطه ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحج مرارًا واجتمع بالشيخ عبد الله السندي والشيخ عمر بن أحمد بن عقيل المكي وعبد الله السقاف والمسند محمد ابن علاء الدين المزجاني وسليمان بن يحيى وابن الطيب واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة وبالشيخ عبد الله ميرغني الطائفي في سنة ثلاث وستين ونزل بالطائف بعد ذهابه الى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين فقرأ على الشيخ عبد الله في الفقه وكثيرًا من مؤلفاته وأجازه وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ولازمه ملازمة كلية وألبسه الخرقة وأجازه بمروياته ومسموعاته قال: وهو الذي شوقني الى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها من المشاهد الكرام فاشتقت نفسي لرؤياها وحضرت مع الركب وكان الذي كان وقرأ عليه طرقًا من الإحياء وأجازه بمروياته ثم ورد الى مصر في تاسع سفر سنة سبع وستين ومائة وألف وسكن بخان الصاغة وأول من عشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحنفي والبيدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم وتلقى عنهم وأجازه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه واعتنى بشأنه اسمعيل كتخدا عزبان ووالاه بره حتى راج أمره وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام وليس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة وسافر الى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأكابر وأعيانه وعلمائه وأكرمه شيخ العرب همام واسمعيل أبو عبد الله وأبو علي وأولاده نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة مرارًا حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك وتلقى عنهم وأجازه وأجازهم وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوي على لطائف ومحاورات ومدائح نظمًا نثرًا لو جمعت كانت مجلدًا ضخماً وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بأبي الفيض وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك برحاب ساداتنا بني الوفا يوم زيارة المولد المعتاد ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدًا وسماه تاج العروس ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة وكتبوا عليه تقاريرهم نثرًا ونظمًا فمن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي والشيخ أحمد الدردير والسيد عبد الرحمن العيدروس والشيخ محمد الأمير والشيخ حسن الجداوي والشيخ أحمد البيلي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الزيات والشيخ محمد عبادة والشيخ محمد العوفي والشيخ حسن الهواري والشيخ أبو الأنوار السادات والشيخ علي القناوي والشيخ علي خرائط والشيخ عبد القادر بن خليل المدني والشيخ محمد المكي والسيد علي القدسي والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا والشيخ علي الشاوري والشيخ محمد الخربتاوي والشيخ عبد الرحمن المقرئ والشيخ محمد سعيد البغدادى الشهير بالسويدي وهو آخر من قرظ عليه وكنت إذ ذاك

حاضرًا وكتبه نظمًا ارتجالًا وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربعة وتسعين ومائة وألف.

ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب واشترى جملة من الكتب ووضعها بها أنهموا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها ورغبوه في ذلك فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعها فيها ولم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون كعلم الإنسان والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طرائف المحدثين المتأخرين بالمتقدمين وألف في ذلك كتبًا ورسائل ومنظومات وأراجيز جملة ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم أفندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي وذلك في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وهادوه وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظمهم ويفيدهم بفوائد وتمايم ورقى وبجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ورغبوا في معاشرته لكونه غريبًا وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف باللغة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة المخرجين من حفظه على طرق مختلفة وكل من قدم عليه يملئ عليه الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة برواته ومخرجه ويكتب له سندًا بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ثم أن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة فقال لهم: لا بد من قراءة أوائل الكتب واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبية الاثنين والخميس تباعدًا عن الناس فشرعوا في صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيوخوني واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيوخوني أمام المسجد وخازن الكتب وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيره وتناقل في الناس سعي علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ مصطفى الطائي والشيخ سليمان الأكراشي وغيرهم للأخذ عنه فازداد شأنه وعظم قدره واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة والأكابر والأعيان والتمسوا منه تبين المعاني فانتقل من الرواية إلى الدراية وصار درسًا عظيمًا فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية وقد استغنى عنهم هو أيضًا وصار يملئ على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثًا من المسلسلات أو فضائل الأعمال ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ويتبعه بآيات من الشعر كذلك فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها فيما سبق في المدرسين المصريين وافتتح درسًا آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر فازدادت شهرته وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته لكونها على خلاف هيئة المصريين وزبهم ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرئ والمستملي وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئًا من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونسائه من خلف الستائر وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق المعتاد ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق كما رأيته في الكتب القديمة.

يقول الحقيрани كنت مشاهدًا وحاضرًا في غالب هذه المجالس والدروس ومجالس آخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة وبمنزلنا بالصنادقية وبولاقي وأماكن آخر كنا نذهب إليها للنزاهة مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها وهو كثير بثوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة

موجودة الى الآن وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار فسعوا الى منزله وترددوا لحضور مجالس دروسه وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال واشترى الجواري وعمل الأظعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية الى مصر وسمع به فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده إليه وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعيينًا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وخطب وخيز ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالًا من الأنبار وأنهى الى الدولة شأنه فأناه مرسوم بمرتب جزيل بالضربانة وقدره مائة وخمسون نصقًا فضة في كل يوم وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائة وألف فعظم أمره وانتشر صيته وطلب الى الدولة في سنة أربع وتسعين فأجاب ثم امتنع وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق وطار ذكره في الأفق وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة وكثرت عليه الوفود من كل ناحية وترادفت عليه منهم الهدايا والصلوات والأشياء الغريبة وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهي عجبية الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لهم موقعًا وكذلك أرسلوا له من طيور الببغا والجواري والعبيد والطواشية فكان يرسل من طرائف الناحية الى الناحية المستغرب من ذلك عندها ويأتيه في مقابلتها أضعافها وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة وماء الكادي والمربيات والعود والعنبر والعطرشاه بالأرطال وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى حتى أن أحدهم إذا ورد الى مصر حاجًا ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملاً فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده وحفظ ذلك أو كتبه ويستخير من هذا عن ذاك بلطف ورقة فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا فلا يخلو ما أن يكون عرفه من غيره سابقًا أو عرف جاره أو قريبه فيقول له فلان طيب فيقول نعم سيدي ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابيه من الصباح الى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئًا ما فضة أو تمرًا أو شمعًا على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة فمن طفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكانما طفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجه وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته الى يوم مياعده وقس على ذلك ما لم يقل وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي ويبض منه أجزاء وأرسل منها الى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ويرغب في طلبه واستنساخه وماتت زوجته في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزناً كثيراً ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقامًا ومقصورة وستورًا وفرشًا وقناديل ولازم قبرها أيامًا كثيرة وتجمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأظعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكانًا بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتًا صغيرًا وفرشه وأسكن به أمها وبيت به أحيانًا وقصده الشعراء بالمرائي فيقبل منهم ذلك ويجزيهم عليه.

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ما جمعه من مال وغيره ولما بلغ مالا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض وترك الدروس

والاقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين إربًا من البر وأحمالًا من الأرز والسمن والعسل والزيت وخمسمائة ريال نقود وبقج كساوي أقمشة هندية وجوًا وغير ذلك فردها وكان ذلك في رمضان وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما وحضر إليه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ورجعا من غير أن يواجهاه ولما حضر حسن باشا الصورة التي حضر فيها الى مصر لم يذهب إليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به وقدم له حصانًا معدودًا مرخيًا بسرج وعباءة قيمته ألف دينارًا أعده وهياه قبل ذلك وكانت شفاته عنده لا ترد وإن أرسل إليه إرسالية في شيء تلقاها بالقبول والإجلال وقبل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها في رأسه ونفذ ما فيها في الحال وأرسل مرة الى أحمد باشا الجزار مكتوبًا وذكر له فيه أنه المهدي المنتظر وسيكون له شأن عظيم فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس الى الأمانى ووضع ذلك المكتوب في حجاب المقلد به مع الأحراز والتمائم فكان يسر بذلك الى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزائرات ويعتقد صحته بلا شك ومن قدم عليه من جهة مصر وأجمع سأله عن المترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده ومنع عنه بره ولو كان من أهل الفضائل واشتهر ذلك عنه عند من عرف منه ذلك بالفراسة ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما واتفق أن مولاي محمدًا سلطان المغرب رحمه الله وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزدهد وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر فردها وتورع عن قبولها وضاعت ولم ترجع الى اسلطان وعلم السلطان ذلك من جوابه فأرسل إليه مكتوبًا قرأته وكان عندي ثم ضاع في الأوراق ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة ويقول له: إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين فيكون لنا ولك أجر ذلك إلا أنك رددتها وضاعت ويلومه أيضًا على شرحه كتاب الإحياء ويقول له: كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك وبذكر وجه لومه له في ذلك وما قاله العلماء وكلامًا مفحمًا مختصرًا مفيدًا رحمه الله تعالى وللمترجم من المصنفات خلاف شرح القاموس وشرح الإحياء تأليفات كثيرة منها كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مما وافق فيه الأئمة الستة وهو كتاب نفيس حافل رتبته ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقادات ثم في العمليات على ترتيب كتب الفقه والنفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية جمع فيه أسانيد العيدروس وهي في نحو عشرة كراريس والعقد الثمين في طرق الإلباس والتلقين وحكمة الإشراق الى كتاب الآفاق وشرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراسًا ألفها لعلي أفندي درويش وألف باسمه أيضًا التفتيش في معنى لفظ درويش ورسائل كثيرة جدًا منها رفع نقاب الخفا عن من انتمى الى وفا وأبي الوفا وبلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام وزهر الأكمام المنشق عن جيوب الإمام بشرح صيغة سيدي عبد السلام ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق والقول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت وتنسيق قلائد المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن ولقط اللاكي من الجوهر الغالي وهي في أسانيد الأستاذ الحفني وكتب له إجازته عليه في سنة سبع وستين وذلك سنة قدومه الى مصر والنوافح المسكية على الفوائج الكشكية وجزء في حديث نعم الأدام الخل وهدية الإخوان في شجرة الدخان ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي وبذل المجهود في تخريج حديث شيتي هود والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ورسالة في المناشي والصفين وشرح على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني علي تفسير سورة يونس وتفسير على سورة يونس مستقل على لسان القوم وشرح على حزب البر الشاذلي وتكملة على شرح حزب البكري الفاكهي من أوه فكملة

للشيخ أحمد البكري ومقامة سماها إسعاف الاشراف وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسني المقدسي وحديقة الصفا في والدي المصطفى وقرط عليها الشيخ حسن المدابغي ورسالة في طبقات الحفاظ ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم الى آخره وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة والمنح العلية في الطريقة النقشبندية والانتصار لوالدي النبي المختار وألفية السند ومناقب أصحاب الحديث وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام ورفع الشكوى لعالم السر والتزجوى وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ورفع الكلل عن العلل ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس فأرسل إليه كراريس من أوله حين كان بمصر وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريرًا ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه فكتب إليه أسانيد العلية في كراسة وسماها قلنسوة التاج وأصيب بالطاعون في شهر شعبان وذلك أنه صلى الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره فطعن بعد ما فرغ من الصلاة ودخل الى البيت واعتقل لسانه تلك الليلة وتوفي يوم الأحد فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر والأمتعة والكتب المكلفة ثم أشاعوا موته يوم الاثنين فحضر عثمان بك طبل الاسماعيليين ورضوان كتخدا المجنون وادعى أن المتوفى أقامه وصيًا مختارًا وعثمان بك ناظرًا بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون يقال له حسين آغا فلما حضروا وصحبتهم مصطفى أفندي صادق أخذوا ما أحبوه وانتقوه من المجلس الخارج وخرجوا بجنائزته وصلوا عليه ودفن بقبر أعده لنفسه ذلة اليوم لاشتغال الناس بأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيد رقية ولم يعلم بموته أهل الأزهر لم يدرك الجنازة ومات رضوان كتخدا في أثر ذلك واشتغل عثمان بك بالإمارة لموت سيده أيضًا وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربه متروكاته ونقلوا الأشياء الثمينة والنفيسة الى دارهم ونسي أمره شهوًا حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية وتزوجت زوجته برجل من الأجناد من أتباعهم فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضي خوفًا من ظهور وارث وأظهروا ما انتقوه مما انتقوه من الثياب وبعض الأمتعة والكتب والدثنيات وباعوها بحضرة الجمع فبلغت نيقًا ومائة ألف نصف فاضة فأخذ منها بيت المال شيئًا وأحرز الباقي مع الأول وكانت مختلفاته شيئًا كثيرًا جدًا أخبرني المرحوم حسن الحريري وكان من خاصته وممن يسعى في خدمته ومهامته أنه حضر إليه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته فأدخلوه إليه فوجده راقدًا معتقل اللسان وزوجته وأصهاره في كبكة واجتهاد في إخراج ما في داخل الخبايا والصناديق الى الليوان ورأيت كومة عظيمة من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشميري والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشياء في ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها قال ورأيت عددًا كثيرًا من ساعات لعب الثمينة مبددًا على بساط للقاعة وهي بغلافات بلادها قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ففتح عينيه ونظر إلي وأشار كالمستفهم عما هم فيه ثم غمض عينيه وذهب في غطوسه فقامت عنه قال ورأيت في الفسحة التي أمام القاعة قدرًا كثير من شمع العسل الكبير والصغير والكافوري المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره ولم ألتفت إليه ولم يترك ابنًا ولا ابنة ولم يرثه أحد من الشعراء.

وكان صفته ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضاء معتدل اللحية قد وخطه الشيب في أكثرها مترفها في ملبسه ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ولها عذبة مرخية على قفاه ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر وطرفها الآخر داخل طي العمامة وبعض أطرافه ظاهر وكان لطيف الذات حسن الصفات بشوشًا بسومًا وقورًا محتشمًا مستحضرًا للنوادر والمناسبات ذكيًا لودعيًا فطنتًا المعيا روض فضله

نضير وماله في سعة الحفظ نظير جعل الله مثواه قصور الجنان وضريحه مطاف وفود
الرحمة والغفران ومات

الإمام العلامة والحبر المدقق الفهامة ذو الفضائل الجمة

والتحقيقات المهمة الذكي الألمعي النحوي المعقولي الفقيه النبيه الشيخ عمر البابلي
الشافعي الأزهري تفقه على علماء العصر وحضر الشيخ عيسى البراوي والشيخ الصعيدي
والشيخ أحمد البيلي والشيخ عبد الباسط السنديوني وتمهر في العلوم وقرأ الدروس
وأخذ طريق الخلوتية على شيخنا الشيخ محمود الكردي ولقنه الأسماء ولازمه في
مجالسه وأوارده ملازمة كلية ولوحظ بأنظاره وتزوج بزوجة الشيخ أحمد أخي الشيخ
حسن المقدسي الحنفي وكانت مثربة فتروني حاله وتكمل بالملابس وعرفته الناس
وماتت زوجته المذكورة لا عن عصبية فحاز ميراثها والتزم بحصة كانت لها بقرية يقال لها
دار البقر فعند ذلك اتسعت عليه الدنيا وسكن دارًا واسعة واقتنى الجواري والخدم
ومواشي وأبقارًا وأغنامًا واستأجر أرضًا قريبة يزرعها بالبرسيم تغدو إليها المواشي وتروح
كل يوم من أيام الربيع ثم تزوج ببنت شيوخه الشيخ محمود بعد وفاته وأقام منعًا معها
في رفاهية من العيش مع ملازمته للإقراء والإفادة إلى أن أدركه الأجل المحتوم وتوفي
في هذه السنة بالطاعون وكان إنسانًا حسنًا جم الفرائد والفوائد مهذب الأخلاق لين
الطباع حسن المعاشرة جميل الأوصاف رحمه الله تعالى.

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوي السراي المعروف
ببشناق أفندي قدم مصر سنة تسع وستين ومائة وألف ووعظ بمساجدها وأكره الأمراء
للجنسية ثم توجه إلى الحرمين وقطن بمكة ورتب له شيء معلوم على الوعظ والتدريس
ومكث مدة ثم حصلت فتنة بين الأشراف والأتراك فنهب بيته وخرج هاربًا إلى مصر فالتجأ
إلى علمائها فكتبوا له عرضًا إلى الدولة بمعرفة ما جرى عليه فعين له شيء في نظير ما
ذهب من متاعه وتوجه إلى الحرمين فلم يقر له بمكة قرار ولم يمكنه الامتزاز مع رئيس
مكة لسلاقة لسانه واستطالته في كل من دب ودرج فتوجه إلى الروم ومكث بها أيامًا
حتى حصل لنفسه شيئًا من معلوم آخر فأتى إلى مكة وصار يطلع على الكرسي ويتكلم
على عادته في الخط على أشراف مكة وذمهم والتشجيع عليهم وعلى أتباعهم وذكر
مساوئهم وظلمهم فأمر الشريف مكة بالخروج منها إلى المدينة فخرج إليها وقد حنق غيظًا
على الشريف فلما استقر بالمدينة لف عليه بعض الأوباش ومن ليس له ميل إلى
الشريف فصار يطلع على الكرسي ويستطيل بلسانه عليه ويسبه جهرا وغيرة مرافقة
أولئك معه وأن الشريف لا يقدر أن يأتي لهم بحركة فتعصبوا وزادوا نفورا وأخرجوا الوزير
الذي هو من طرف الشريف وكتبوا إلى الدولة برفع يد الشريف عن المدينة مطلقًا وأنه
لا يحكم فيهم أبدًا وإنما يكون الحاكم شيخ الحرم فقط وأرسلوا بالعرض مفتي المدينة
فكتب لهم على مقتضى طلبهم خطابًا إلى أمير الحاج الشامي وإلى الشريف ولما أحس
الشريف بذلك تنبه لهذه الحادثة وعرف أن أصلها من أنفار بالمدينة أحدهم المترجم
واستعد للقاء أمير الحاج بعسكر جرار على خلاف عادته ورام مناوئته إن برز منه شيء
خلاف ما عهد منه فلما رأى أمير الحاج ذلك الحال كتم ما عنده وأنكر أن يكون عنده
شيء من الأوامر في حقه ومضى لنسكه حتى إذا رجع إلى المدينة تنمر وتشمر وكاد أن
يأكل على يده من التندم والحسرة وذهب إلى الشام ولما خلت مكة من الحجاج جرد
الشريف عسكرًا على العرب فقاتلوه وصبر معهم حتى ظفر بهم ودخل المدينة فجأة ولم
يكن ذلك يخطر ببالهم قط فما وسعهم إلا أنهم خرجوا للقاءه فأنسهم وأخبرهم أنه ما أتى
إلا لزيارة جده عليه الصلاة والسلام وليس له غرض سواه فاطمأنوا بقوله وشق سوق
المدينة بعسكره وعبيده حتى دخل من باب السلام وتملى من الزيارة وأقبلت عليه أرباب
الوظائف مسلمين فأكرمهم وكساهم فلما آنس منهم الغفلة أمر بإمساك جماعة من
المفسدين الذين كانوا يحفرون وراءه فاختموا باقيهم وتسلبوا وهرب منهم خفية بالليل

جماعة وكان المترجم أحد من اختفى في بيته ثلاثة أيام ثم غير هيئته وخرج حتى أتى مصر ومشى على طريقته في الوعظ وعقد له مجلسًا بالمشهد الحسيني وخالط الأمراء وحضر درسه الأمير يوسف بك ومال إليه وألبسه فروة ودعاه الى بيته وأكرمه وتردد إليه كثيرًا وكان يلجج ويرفع منزلته ويسمع كلامه وينصت الى قوله ولديه بعض معرفة بالعلم على طريقة بلادهم واستمر بمصر وسكن بحارة الروم ورتب له بالضربخانة مائة ونصف فضة في كل يوم لمصروفه وصار له وجهة عند أبناء جنسه إلى أن وقع له ما وقع مع اسمعيل باشا بسبب الوصاية على التركية كما مر ذلك أنفًا وحط من قدره وأهانته وحيسه نحو ثلاثة أشهر ثم أفرج عنه بشفاعه علي بك الدفتردار وانزوى خاملاً في داره الى أن مات في أوائل شعبان بالطاعون سامحه الله تعالى.

ومات الجناب المكرم المبجل المعظم جامع العارف وحاوي اللطائف الأمير حسن أفندي بن عبد الله الملقب بالرشيدي الرومي الأصل مولي المرحوم علي آغا بشير دار السعادة المكتب المصري اشتراه سيده صغيرًا وهذبه ودرجه وشغله بالخط فاجتهد فيه وجوده على عبد الله الأنيس وكان ليوم إجازته محفل نفيس جمع فيه الرؤوس والرئيس ثم زوجته ابنته وجعله خليفته ولم يزل في حال حياة سيده معتكفًا على المشق والتسويد معتنيًا بالتحريير والتجويد الى أن فاق أهل عصره في الجودة في الفن وجمع كل مستحسن ولما توفي شيخ المكتبين المرحوم اسمعيل الوهبي جعل المرحم شيخًا باتفاق منهم لما أعطى من مكارم الشيخ وطيب الأخلاق وتمام المروءة وحسن تلقي الواردين وجميل الثناء عليه من أهل الدين وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الإشراق الى كتاب الآفاق جمع فيه ما يتعلق بفهمهم مع ذكر أسانيدهم وهو غريب في بابه يستوقف الرائع في مربع هضابه ولم يزل شيخًا ومتكلمًا على جماعة الخطاطين والكتاب وعميدهم الذي يشار إليه عند الأرباب نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب وأما نسخ الدلائل فكثرتها لا تدخل تحت الحساب الى أن طافت به المنية طواف الوداع ونشرت عقد ذلك الاجتماع وبموته انقرض نظام هذا الفن.

ومات صاحبنا الأديب الماهر والنبه الباهر نادرة العصر وقرة عين الدهر عثمان بن محمد بن حسين الشمسي وهو أحد الأخوة الأربعة أكثرهم معرفة وأغزرهم أدبًا وأغوصهم في استخراج الدقائق واستنتاج الرقائق وأهمهم جميعًا الشريفة رقية بنت السيد طه الحموي الحسيني ولد المترجم بمصر وربى في حجر أبويه وتعلق من صغره بمعرفة الفنون الغربية فنال طرقًا منها حسنًا يليق عند المذاكرة وعرف الفرائض واستخرج منها طرقًا غريبة في استحقاق الموارد في قسم الغرماء في شبابيك وله سليقة شعرية مقبولة وله معرفة باللغة جيدة يطالع كتبها ويحل عقدها ويسأل عن غرائب الفن ويغوص بذهنه على كل مستحسن ولقد نظم فرائض الدين وأسماء أهل بدر وغير ذلك وبالجملة أنه كان من محاسن الزمان توفي رحمه الله في أواخر شعبان مطعوتًا وخلف ولديه محمد جرجي وحسين جرجي أحياهما الله حياة طيبة ومات الأجل المبجل بقية السلف ونتيجة الخلف الوجيه الصالح النبيه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد شيخ سجادة جده سيدي عبد الوهاب الشعراني مات أبوه الشيخ أحمد في سنة أربع وثمانين وتركه صغيرًا دون البلوغ فكفلته أمه فتولى السجادة الشيخ أحمد من أقاربه وتزوج بأمه وسكن بدارهم ولما شب المترجم وترشد اشترك معه بالمناصفة ثم توفي الشيخ أحمد المذكور فاستقل بذلك ونشأ في عز وعفاف وصلاح وحسن حال ومعاشرة ومودة وعمر البيت حسنًا ومعنى وأحيا مآثر أجداده وأسلافه وكان شديد الحياء والحشمة والتواضع والانكسار والخشية والحلم والتؤدة ومكارم الأخلاق ولما تم كماله بدا زواله واخترمته في شبابه يد الأجل فقطعت شمس عمره منطقة الأمل وخلف ابنًا صغيرًا يسمى سيدي قاسمًا برك الله فيه ومات أعز الأخوان وأخص الأصدقاء والخلان النجيب الصالح والأريب الناجح شقيق النفس والروح وصحبته باب الخير والفتوح المتفنن النبيه سيدي ابراهيم بن محمد الغزالي بن محمد الدادة الشاربي من أجل أهل بيت الثروة والمجد والعز والكرم وهو كان مسك

ختامهم وبموته انقرض بقية نظامهم وقد تقدم استطراد بعض أوصافه في ترجمة المرحوم سيدي أحمد رفيق المرحوم رضوان كتخدا الجلفي ومنها حرصه على فعل الخير ومكارم الأخلاق وتقدير الزاد ليوم المعاد والصدقات الخفية والأفعال المرضية التي منها تفقد طلبة العلم الفقراء والمنقطعين ومواساتهم ومعونتهم وكان يشتري المصاحف والألواح الكثيرة ويفرقها بيد من يثق به على مكاتب أطفال المسلمين الفقراء معونة لهم على حفظ القرآن وبملا الأسيلة للعطاش ولا يقبل من فلاحينه زيادة على المال المقرر ويعاون فقراءهم ويقرضهم التقاوى واحتياجات الزراعة وغيرها وبحسب لهم هداياهم من أصل المال وكان يتفقه على العلامة الشيخ محمد العقاد المالكي ويحضر دروسه في كل يوم وبعد وفاته لازم حضور الشيخ عبد العليم الفيومي وكان ينفق عليه وعلى عياله ويكسبهم ولم يزل سمح السجية بسام الثنية الى أن بغته الطاعون حالاً وكان موته ارتجالاً فنضبت جداوله واستراحت حساده وعواذله وكان الله حسنة في صحائف الأيام والليالي وروضة تنبت الشكر في رياض المعالي.

فلو بعث يومًا منه بالدهر كله لفكرت دهرًا ثانيًا في ارتجاعه.

ومات أيضًا من بيتهم الأجل المكرم أحمد جلبي بن الأمير علي وكان شابًا لطيف الذات مليح ومات أيضًا من بيتهم الأمير عثمان بن عبد الله معتوق المرحوم محمد جرجي وكان من أكابر بيتهم وبقية السلف من طبقتهم ذا وجهة وعقل وحشمة وجلالة قدر.

ومات أيضًا من بيتهم الأمير رضوان صهر أحمد جلبي المذكور وكان إنسانًا لا بأس به أيضًا ومات من بيتهم عدد كثير من النساء والصبيان والجواري في تلك الأيام المبددة منهم ومن غيرهم عقد النظام.

ومات الصنو الفريد والعقد النضيد الذكي النبيه من ليس له في الفضل شبيه صاحبنا الأكرم وعزيزنا الأفخم ابراهيم جلبي بن أحمد آغا البارودي نشأ مع أخويه علي ومصطفى في حجر والدهم في رفاهة وعز ولما مات والدهم في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف تزوجته والدتهم وهي ابنة ابراهيم كتخدا القازدغلي بمحمد خازندار زوجها وهو محمد آغا الذي اشتهر ذكره بعد ذلك فكفل أولاد سيده المذكورين وفتح بيتهم وعانى المترجم تحصيل الفضائل وطلب العلم ولازم حضور الدروس بالأزهر في كل يوم وتقيد بحضور الفقه على السيد أحمد الطحطاوي والشيخ أحمد الخانيوشي وفي المعقول على اليخ محمد الخشني والشيخ علي الطحان حتى أدرك من ذلك الحظ الأوفر وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار ما يحتاج إليه من المسائل النقلية والعقلية وتروني بالفضائل وتحلى بالفواضل الى أن اقتنصه في ليل شبابه صياد المنية وضرب ومات أيضًا بعده يومين أخوه سيدي علي وكان جميل الخصال مليح الشمائل رفيق الطباع يشنف بحسن ألفاظه الأسماع اخترمته المنية وحالت بساحة شبابه الرزية.

ومات صاحب الأمل والأجل الأفضل حاوي المزايا المنزه عن النقائص والرزايا عبد الرحمن أفندي بن أحمد المعروف بالهلواتي كاتب كبير باب تفكشيان من أعيان أرباب الأقلام بديوان مصر كان اشتغل بطلب العلم ولازم حضور الأشياخ وحصل في المعقول والمنقول ما تميز به عن غيره من أهل صناعته مع حسن الأخلاق وجميل الطباع وحضر على الشيخ مصطفى الطائي كتاب الهداية في الفقه مشاركًا لنا وأخذ أيضًا الحديث عن السيد مرتضى وسمع معنا عليه كثيرًا من الأجزاء والمسلسلات والصحيحين وغير ذلك وألف حاشية على مراقي الفلاح واقتنى كتبًا نفيسة وكان يباحث ويناضل مع عدم الادعاء وتهذيب النفس والسكون والتؤدة والإمارة والسيادة الى أن أجاب الداعي ونعته النواحي واضمحل حال أبيه بعده وركبته الديون وجفاه الأخدان والمجنون وصار بحالة يرثى لها الشامت ويكي حزنًا عليه من يسمع ذكره من الناعت الى أن توفي بعد بنحو سنتين.

ومات الأمير المجل والنبيه المفضل علي بن عبد الله الرومي الأصل مولى الأمير أحمد كتحدا صالح اشتراه سيده صغيرًا فتربى في الحريم وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه وتعلم الفروسية وكان بيته موردًا للأفاضل فكان يكرمهم ويحترمهم ويتعلم منهم العلم ثم اعتقه وأنزله حاكمًا في بعض ضياعه ثم رقاها إلى أن عمله رئيسًا في باب المتفرقة وتوجه أميرًا على طائفته صحبة الخزينة إلى الأبواب السلطانية مع شهامة وصرامة ثم عاد إلى مصر وكان ممن يعتقد في شيخنا السيد علي المقدسي ويجتمع به كثيرًا وكان له حافظة جيدة في استخراج الفروع وأتقن فن رمي النشاب إلى أن صار أستاذًا فيه وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام والدهانات فلم يلحقه أهل عصره وأضر بعينه وعالجهما كثيرًا فلم يفده فصبر واحتسب ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ويعتمدون على قوله ويجيد القسي تركيبًا وشدةً ولقد أتاه وهو في هذه الضرارة رجل من أهل الروم اسمه حسن فأنزله في بيته وعلمه هذه الصنعة حتى فاق في زمن قليل أقرانه وسلم له أهل عصره وسمع المترجم عن شيخنا المذكور أكثر الصحيح بقراءة كل من الشريفيين الفاضلين سليمان بن طه الأكراسي وعلي بن عبد الله بن أحمد وذلك بمنزله المطل على بركة الفيل وكذلك سمع عليه المسلسل بالعيد بشرطه وحديثين مسلسلين بيوم عاشورًا تخرج السيد المذكور وأشياء أخر ضبطت عند كاتب الأسماء وأخذ الإجازة من الشيخ اسمعيل بن أبي المواهب الجلي وكان عنده كتب نفيسة في كل فن رحمه الله.

ومات الشاب اللطيف المذهب الظريف الذي يحكي بأدبه سنا الملك وابن العفيف محمد بن الحسن بن عبد الله الطيب أبوه مولى اللقاسم الشرايبي مات أبوه في حداته وكان مولد سنة أربع وستين ومائة وألف وكفله صهره سليمان بن محمد الكاتب أحد كتاب المقاطعة بالديوان ونشأ في الرفاهية والنعم وعانى طلب العلم فنال منه ما أخرجه من ربة الجهل وتعلق بالعروض وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم العوفي المالكي فبرع فيه ونظم الشعر إلا أنه كان يعرض شعره للذم بالتزامه فيه ما لا يلزم توفي في غرة شعبان من السنة.

ومات الصنو الفريد والنادرة الوحيد النبيه اللبيب والمفرد العجيب الفاضل الناظم النائر سيدي عثمان بن أحمد الصفائي المصري تقدم ذكره في ترجمة والده أحمد أفندي كاتب الروزنامة بديوان مصر ونشأ هو في ظل النعمة والرفاهية وقرأ النحو والمنطق على كل من الشيخ علي الطحان والشيخ مصطفى المرحومي حتى مهر فيهما وكان يباحث ويناضل ويناقش أهل العلم في المسائل العقلية والنقلية وقرأ علم العروض وأتقن نظم الشعر وجمع الظروف وكان فيه نوع من الخلاعة واللهو وله تخميس على البردة وأشعار كثيرة ولم يزل رافلاً في حلل السعادة حتى حلت بساحة شبابه الشهادة وتوفي مطعونًا بمليح وهو ذاهب لموسم المولد الأحمدى بطندتا في شهر رجب وقد ناهز الأربعين وحضروا به إلى مصر محمولاً على بعير فغسل وكفن ودفن عند والده رحمه الله.

ومات الخواجا المعظم والتاجر المكرم السيد أحمد ابن السيد عبد السلام المغربي الفاسي نشأ في حجر والده وتربى في العز والرفاهية حتى كبر وترشد وأخذ وأعطى وباع واشترى وشارك وعامل واشتهر ذكره وعرف بين التجار ومات أبوه واستقر مكانه في التجارة عرفته الناس زيادة عن أبيه وصار يسافر إلى الحجاز في كل سنة مقومًا مثل أبيه وبنى داره ووسعها وأضاف إليها دكة الحسبة التي بجوار الفحامين وأنشأ دارًا عظيمة أيضًا بخط الساكت بالأزبكية وانضوى إليه السيد أحمد المحروق وأحبه واتحد به اتحادًا كليًا وكان له أخ من أبيه بالحجاز يعرف بالعرايشي من أكابر التجار ووكلائهم المشهورين ذو ثروة عظيمة فتوفي وصادف وصول المترجم حينئذ إلى الحجاز فوضع يده على ماله ودفناته وشركاته وتزوج بزوجه وأخذ جواره وعبيده ورجع إلى مصر واتسع حاله زيادة على ما كان عليه وعظم صيته وصار عظيم التجار وشاه البندر وسلم قياده وزمامه في

الأخذ والعطاء وحساب الشركاء الى السيد أحمد المحروقي وارتاح إليه لحذقه ونباهته ونجابته وسعادة جده ولم يزل على ذلك حتى اخترمته المنية وحالت بينه وبين الأمانة وتوفي في شعبان مطعوناً وغسل وكفن وصلي عليه بالمشهد الحسيني في مشهد حافل بعد العشاء الأخيرة في المشاعل ودفن عند أبيه بزاوية العربي بالقرب من الفحامين والتجأ السيد أحمد المحروقي الى السيد آغا البارودي كتحدا اسمعيل بك فسعى إليه وأقره مكانه وأقامه عوضه في كل شيء وتزوج بزوجاته وسكن داره واستولى على حواصله وبضائعه وأمواله ونما أمره من حينئذ وأخذ وأعطى ووهب وصانع الأمراء وأصحاب الحل والعقد حتى وصل الى ما وصل إليه وأدرك ما لم يدركه غيره فيما سمعنا ورأينا كما قيل: وإذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان ومات الأمير الكبير اسمعيل بك وأصله من مماليك ابراهيم كتحدا وانضوى الى علي بك بلوط قبان فجعله اشراقه وأقره ونوه بشأنه وقلده الصنحية بعد موت سيدهم وزوجه بهانم ابنة ابراهيم كتحدا وعمل لهما مهمًا عظيمًا ببركة الفيل شهرًا كاملاً في سنة أربع وسبعين كما تقدم ذكر ذلك وكان من المهمات الجسيمة والمواسم العظيمة التي لم يتفق نظيرها بعده بمصر ولم يزل منظورًا إليه في الإمارة مدة علي بك وأرسله في سرياته واعتمده في مهماته وبعثه الى سويلم بن حبيب بتجريدة فلم يزل يحاربه حتى هزمه وفر الى البحيرة فلحقه هناك ولم يزل يتبعه ويرصده حتى قتله وحضر برأسه الى مخدومه وذلك في أواخر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف.

وسافر الى الشام صحبة محمد بك أبي الذهب لمقاتلة عثمان باشا ابن العظم وأغاروا على البلاد الشامية وحاربوا يافا أربعة أشهر حتى ملكوها وسافر قبل ذلك في تجاريد الصعيد وحضر غالب مواقف الحروب مع محمد بك ومستقلًا الى أن بدت الوحشة بين محمد بك وسيده علي بك وخرج مع محمد بك الى الصعيد وجرى بينهما الدم بقتله أيوب بك فأخرج إليه علي بك جردة عظيمة احتفل بها احتفالًا زائدًا وأميرها المترجم فلما التقى الجمعان ألقى عصاه وخامر على مولاه وانضم بمن معه الى محمد بك فشد عضده وخان مخدومه وحصل ما حصل من قلبهم واستيلائهم كما ذكر واستمر مع محمد بك يراعي حرمة ويقدمه على نفسه ولا يبرم أمرًا إلا بعد مشاورته ومراجعته وتقلد الدفتردارية وأميرًا على الحج سنتين بشهامة وسير حسن ولما مات محمد بك لم تطمح نفسه للتصدر في الرياسة والإمارة بل تركها لأتباعه وقنع بحاله وإقطاعه ولزم داره التي عمرها بالأزبكية فناكدوه وطمعوا فيما لديه وقصد مراد بك اغتياله فخرج الى خارج وتبعه المغرضون له ويوسف بك وغيره وحصل ما هو مسطر ومشروح في محله من تملكه وقتله يوسف بك واسمعيل بك الصغير بمساعدة العلوية ثم غدروا به حتى آل الأمر به الى الخروج الى البلاد الشامية وافتراق جمعه ثم سافر الى الروم مع بعض أتباعه ومماليكه وذهب منه غالب ما اجتمع لديه من الأموال وذهب الى اسلامبول فأقام بها مدة ثم نفوه الى شناق قلعة وخرج منها بحيلة تحيلها على حاكمها ثم ركب البحر الى درنة ووصل خبر ذلك الى الأمراء بمصر فخرج مراد بك ليقطع عليه الطريق الموصلة الى قبلي وأرصد له عيونًا ينتظرونه بالطريق وأقام على ذلك شهورًا فلم يقفوا له على خير وهو يتنقل عند العربان حتى أنه اختفي عند بعضهم نيقًا وأربعين يومًا في مغارة ثم أنه تحيل وأرسل من ألقى الى مراد بك أنه مر من الجهة الفلانية بمعرفة الرصد المقيمين فحنق مراد بك وركب في الحال ليقطع عليه الطريق وتفرق الجمع من ذلك المكان فعند ذلك اجتاز اسمعيل بك ذلك الموضع وعداه في زي بعض العربان وخلص الى القضاء الموصل للبلاد القبلية وذهب مراد بك في نهاية مشواره فلم ير أثرًا لذلك الخبر فرجع الى المكان الذي عرفوه سلوكه فوجد المرابطين على ما هم عليه من التيقظ الى أن تحقق عنده أنه تحيل بذلك ومر وقت ارتحال مراد بك من ذلك الموضع فرجع بخفي حنين ولم يزل حتى كان ما كان ووصل حسن باشا على الصورة المتقدمة ورجع الى مصر وتملكها واستقل بإمارتها بعد ثغر به تسع سنين ومقاساته الشدائد وظن أن الوقت قد صفا له واستكثر من شراء المماليك واحتقرت داره وبنائها أحسن مما كانت عليه وحصن

ومات الأمير سليمان بك المعروف بالشابوري وأصله من مماليك سليمان كاويش القازدغلي فهو خشداش حسن كتحدا الشعراوي تقلد الإمارة والصنحية سنة تسع وستين ونفي مع حسن كتحدا المذكور وأحمد جاويش المجنون كما تقدم في سنة ثلاث وسبعين فلما كانت أيام علي بك وورد من الديار الرومية طلب الإمداد من مصر للغز وأرسل علي بك فأحضر المترجم وقلده إمارة السفر فخرج بالعسكر في موكب على العادة القديمة وسافر بهم إلى الديار الرومية وذلك سنة ثلاث وثمانين ورجع بعد مدة وأقام بطالاً محترماً مرعي الجانب يوافق كبار الدولة وانضم إلى مراد بك فكان يجالسه ويسامره ويكرمه المذكور فلما حضر حسن باشا كان هو من جملة المتأمرين فلما استقر اسمعيل بك في إمارة مصر اعتنى به وقدمه ونظمه في عداد ومات الأمير الجليل عبد الرحمن بك عثمان وهو مملوك عثمان بك الجرجاوي الذي قتل في واقعة قراميدان أيام حمزة باشا سنة تسع وسبعين كما تقدم فقلدوا عبد الرحمن هذا عوضه في الصنحية فكان كفواً لها وكان متزوجاً ببنت الخواجا عثمان حسون التاجر العظيم المشهور المتوفى في أيام الأمير عثمان بك ذي الفقار وخلف منها ولده حسن بك وكان المترجم حسن السيرة سليم الباطن والعقيدة محبوب الطباع جميل الصورة وجيه الطلعة وكان محمد بك أبو الذهب يحبه ويجله ويعظمه ويقبل قوله ولا يرد شفاعته وكان يميل بطبعه إلى المعارف ويحب أهل العلم والفضائل ويجيد لعب الشطرنج ومن مآثره أنه عمر جامع أبي هريرة الذي بالجيزة على الصفة التي هو عليها الآن وبنى بجانبه قصرًا وذلك في سنة ثمان وثمانين ولما أتمه وبيضه عمل به وليمة عظيمة وجمع علماء الأزهر في يوم الجمعة وبعد انقضاء الصلاة سعد شيخنا الشيخ علي الصعيدي على كرسي وأملى حديث من بنى لله مسجدًا بحضرة الجمع وكان شيخنا السيد محمد مرتضى حاضرًا وباقي العلماء والمشايخ والحقير في جملتهم وكنت حررت له المحراب على انحراف القبلة ثم انتقلنا إلى القصر ومدت الأسبطة وبعدها الشربات والطيب وكان يومًا سلطانيًا توفي رحمه الله في شعبان بمنزله الذي بقيسون جوار بيت الشابوري ودفن عند سيده بالقرافة.

ومات في أثره ولده حسن بك المذكور وكان فطناً نجيباً ويكتب الخط الجيد ويميل بطبعه إلى الفضائل وذويها منزهاً عما لا يعنيه من النقائص والردائل عوض الله شيا به الجنة ومات الأمير سليم بك الاسماعيلي من مماليك اسمعيل بك قلده الإمارة في سنة إحدى وتسعين وخرج مع سيده إلى الشام ثم رجع إلى مصر بعد سفر سيده إلى الروم وأقام بها بطالاً في بيته بجوار المشهد الحسيني ببعض خدم قليلة ويذهب إلى المسجد في الأوقات الخمسة فيصلّي مع الجماعة ويتنقل كثيراً ولم يزل على ذلك حتى رجع سيده إلى مصر فرد له إمارته ورجع إلى داره الكبيرة وتقلد إمارة الحج في سنة اثنتين ونزل إلى إقليم المنوفية وجمع المال والجمال ورجع وطلع بالحج وعاد في أمن وأمان ولم يزل في إمارته حتى توفي بالطاعون في هذه السنة وكان طوالاً جسيماً خيره أقرب من شره.

ومات الأمير علي بك المعروف بجركس الاسماعيلي وهو من مماليك اسمعيل بك أيضاً وقلده الإمارة في مدته السابقة وأسكنه بيت صالح بك الذي بالكبش ولما تغرب سيده حضر إلى مصر وأقام خاملاً وسكن بالكعكين وكان لطيفاً مهذباً خفيف الروح ضحوك السن يحب العلماء والصلحاء ويتأدب معهم ويكرمهم ولما مات خشداشة إبراهيم بك قشطة تزوج بعده بزوجه بنت اسمعيل بك ولم يزل حتى توفي بعد سيده بأيام قليلة.

ومات الأمير غيطاس بك وهو من بيت صالح بك تابع مصطفى بك القرد وكان يعرف أولاً بغيطاس كاشف تقلد الإمارة في سنة مائتين وتولى إمارة الحج في سنة 1201 فسار فيها سيراً حسناً وطلع بالحج ورجع مستوراً واستمر أميراً إلى أن مات على فراشه بالطاعون في بيته بخط باب اللوق فقلدوا بعده مملوكه صالح إمارته وهو موجود إلى

الآن في الأحياء وكان المترجم أميرًا جليلاً محتشمًا قليل التبسم من رآه ظنه متكبر السكون جاشه وكان لا بأس به في الجملة. ومات

الأمير علي بك الحسني

وهو من ممالك حسن بك الجداوي قلده الإمارة في أيام حسن باشا وتزوج بزوجة مصطفى بك الداودية المعروف بالاسكندراني وكان لطيف الذات جميل الطباع سهل الانقياد قليل العناد توفي في رجب من السنة بالطاعون ودفن بالمشهد الحسيني بمدفن القضاة ووجدت عليه زوجته وجدًا كثيرًا.

ومات الأمير رضوان كتحدا وهو من ممالك أحمد كتحدا المجنون تنقل في المناصب حتى تولى كتحداية الباب بجشمة وشهامة وعقل وسكون ولما استقل اسمعيل بك في إمارة مصر نوه بشأنه وأحبه وصار في تلك الأيام أحد المتكلمين المشار إليهم في الأمر والنهي ونفاذ الكلمة والرياسة وكان قريبًا الى الخير واشتهر أكثر من سيده وصار له أولاد وعزوة وأتباع وممالك وبنى لأكبر أولاده دارًا يدرّب سعادة وسكن هو في بيت أستاذه توفي في أواخر شهر شعبان ومات الأمير عثمان آغا مستحفظان الجلفي وأصله من ممالك رضوان كتحدا الجلفي وتربى عند خليل بك شيخ البلد القازدغلي ولم يزل يتنقل في خدم الأمراء ومعاشرتهم حتى تقلد الأغاوية في أيام اسمعيل بك ثم عزل عنها وتولاها ثانيًا أيامًا قليلة ومات أيضًا بالطاعون وخلف شيئًا كثيرًا من المال والنوال أخذه جميعه حسن بك الجداوي لأنه كان منضويًا إليه وفي طريقتهم أنهم يرثون من يكون منسبًا إليهم أو جارا لهم وكان إنسانًا لا بأس به ومحضره خير ويحب اقتناء الكتب والمسامرة في الأخبار والنوادر مع ما فيه من نوع البلادة.

ومات الأمير المبجل حسن أفندي شقبيون كاتب الحوالة وأصله مملوك أحمد أفندي مملوك مصطفى أفندي شقبيون نشأ في الرياسة وخدمة الوزراء والأكابر وحاز شيئًا كثيرًا من الكتب النفيسة والتي بخط الأعاجم والفارسية والخطوط التعليق المكلفة والمذهبة والمصورة مثل كيلة ودمنة وشاهنامه وديوان حافظ والتواريخ التي من هذا القبيل المصور بها صور الملوك البديعة الصنعة والإتقان الغالية الثمن النادرة الوجود وكان قريبًا الى الخير محتشمًا في نفسه توفي أيضًا بالطاعون وتبددت كتبه وذخائره.

ومات الأمير محمد آغا البارودي وهو مملوك أحمد آغا مملوك ابراهيم كتحدا القازدغلي رباه سيده وجعله خازن داره وعقد له على ابنته فلما توفي سيده في سنة ثمان وثمانين طلقها وتزوج بزوجة سيده هانم بنت ابراهيم كتحدا من الست البارودية وهي أم أولاده ابراهيم وعلي ومصطفى الذين تقدم ذكرهم والتي كان عقد عليها كانت من غيرها فتزوجها حسن كاشف من أتباعهم تنبه المترجم وتداخل في الأمراء والأكابر وانضوى الى حسن كتحدا الجربان عندما كان كتحدا مراد بك فقلده في الخدم والقضايا وأعجبه سياسته وحسن سعيه فارتاح إليه وكان حسن كتحدا المذكور تعتره النوازل فينقطع بسببها أيامًا بمنزله فينوب عنه المترجم في الكتحداية عند مراد بك فيحسن الخدمة والسياسة وتنميق الأمور ويستجلب له المصالح فأحبه وأعجب به وقلده الأمور الجسيمة وجعله أمين الشئون فعند ذلك اشتهر ذكره ونما أمره واتسع حاله وانفتح بيته وقصدته الناس وتردد إليه الأعيان في قضاء الحوائج ووقفت ببابه الحجاب واتخذ له ندماء وجلساء من اللطفاء وأولاد البلد يجلس معهم حصة من الليل ينادمونه ويسامرونه ويصاحبونه ويشرب معهم وماتت زوجته ابنة سيد سيده من بنت البارودي فزوجه مراد بك أكبر محاضيه أم ولده أيوب وأتت الى بيته بجهاز عظيم وصار بذلك صهرًا لمراد بك وزادت شهرته ورفعته فلما حصلت الحوادث ووصل حسن باشا وخرج مراد بك من مصر فلم يخرج معه واستمر بمصر وقبض عليه اسمعيل بك وحبسه مع عمر كاشف بيته ثم نقلهما

الى القلعة بباب مستحفظان مدة فلم يزل المترجم حتى صالح عن نفسه وأفرج عنه وتقيّد بخدمة اسمعيل بك وتداخل معه حتى نصبه في كتخدائته وأحبه واحتوى علي عقله فسلم إليه قياده في جميع أشغاله وارتاح إليه وجعله أمين الشئون والضربخانة وغيرهما فعظم شأنه وارتفع قدره وطار صيته بالأقاليم المصرية وكثر الازدحام ببابه وجببت إليه الأموال وصار الإيراد إليه والمصرف من يده فيصرف جماكي العسكر ولوازم الدولة وهداياها ومصاريف العمائر والتجاريد واحتياجات أمير الحاج وغير ذلك بتؤدة وزياقة وحسن طريقة من غير جلبة ولا عسف ولا شعور لأحد من الناس بشيء من ذلك وكل شيء سأل عنه مخدومه أو أشار بطلبه أو فعله وجده حاضرًا ولم يشتغل أمراء الحاج في زمن اسمعيل بك بشيء من لوازم الحج بل كان هو يقضي جميع اللوازم من الجمال والأرحال والقرب والخيش والعليق والذخيرة التي تسافر في البحر والبر وعوائد العرب وكساويهم والهجن والبغال وأرباب الصيت وغير ذلك ليلاً ونهارًا في أماكن بعيدة عن داره تحت أيدي مباشره الذين وظفهم وأقامهم في ذلك بحيث إذا اقتضى لأحدهم شيئًا أتاه وأسر له في أذنه فيوجهه بطرف كلمة ولا يشعر أحد من الجالسين معه بشيء وإذا كان وقت خروج المحمل فلا يرى أمير الحاج إلا جميع احتياجاته ولوازمه حاضرة مهياة على أتم ما يكون وأكملة وزوج ابنة سيده لخازن داره علي آغا وعمل لهما مهمًا عظيمًا عدة أيام وحضر اسمعيل بك والأمراء والأعيان وأرسلوا إليه الهدايا العظيمة وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط ومشايخ البلدان وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات والملاعب والنقوظ عملوا للعروس زفة بهيئة لم يسبق نظيرها ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب الصنائع من كل طائفة عربية وفيها هيئة صناعتهم ومن يشتغل فيها مثل القهوجي بآلته وكنونه والحلواني والفطاطيري والحباك والقزاز بنول حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجيني وبياعين البز وأرباب الملاهي والنساء المغنيين وغيرهم كل طائفة في عربة وكان مجموعها نيقًا وسبعين حرفة وذلك خلاف الملاعب والبهاالوين والرقاصين والجنك ثم الموكب وبعده الأغوات والحريم والملازموون والسعاة والجاويشية وبعدها عربة العروس من صناعة الإفرنج بدبعة الشكل وبعدها ممالك الخزنة والملبسون الزروخ وبعدهم النوبة التركية والنفيرات وكانت زفة غريبة الوضع لم يتفق مثلها بعدها وبلغ المترجم في هذه الأيام من العظمة ما لم يبلغه أحد من نظرائه وكان إذا توجهت همته الى أي شيء أتمه على الوجه الذي يريد ويقبل الرشوة وإذا أحب إنسانًا قضى له أشغاله كائنة ما كانت من غير شيء فلما مات مخدومه اسمعيل بك وتعين في الإمارة بعده عثمان بك طبل استوزره أيضًا وسلمه قياده في جميع أموره وهو الذي أشار عليه بممالاته الأمراء القبليين عندما تضايق خناقه من حسن بك الجداوي ومناكدته له فكاتبهم سرًا بسفارته وأطعمهم في الحضور وتمكينهم من مصر ومات المترجم في أثناء ذلك في غرة رمضان وذلك بعد ومات الصنو الوحيد والفريد النبيه محمد أفندي بن سليمان أفندي ابن عبد الرحمن أفندي بن مصطفى أفندي ككليويان ويقال لها في اللغة العامية جمليان نشأ في عفة وصلاح وخير وطلب العلم وعانى الجزئيات والرياضيات ولازم الشيخ المرحوم الوالد وقرأ عليه كثيرًا من الحسابيات والفلكيات والهيئة والتقويم ومهر في ذلك وانتظم في عداد أرباب المعارف واشترى كتبًا كثيرة في الفن واستكتب وكتب بخطه الحسن وأقتنى الآلات والمستظرفات وحسب وقوم الدساتير السنوية عشرة أعوام مستقبلة بأهلتها وتواريخها وتواقيعها ورسم كثيرًا من الآلات الغربية والمنحرفات وكان شغله وحسابه في غاية الضبط والصحة والحسن وكان لطيف الذات مهذب الأخلاق قليل الادعاء جميل الصحة وقورًا مات أيضًا بالطاعون في شعبان وتبددت كتبه وآلاته.

ومات أيضًا الخدن الشقيق والمحِب الشفيق النجيب الأريب الأمير رضوان الطويل وهو من ممالك علي كتحدا الطويل وكان من هذا القبيل متولعًا من صغره بهذا الفن وقرأ على الشيخ المتقن الشيخ عثمان الورداتي وغيره وأنجب وحسب ورسم واشتغل فكره بذلك ليلاً نهارًا ورسم الأرباع الصحيحة المتقنة الكبيرة والصغيرة والمزاوِل والمنحرفات وغير ذلك من الآلات المبتكرة والرسميات الدقيقة واتسع باعه في ذلك واشتهر ذكره الى

أن قطفت يد الأجل نواره ومات الجناب المكرم والاختيار المعظم الأمير اسمعيل أفندي الخلوتي اختيار جاويشان كان رجلًا من أعيان الاختيارية في وقته معروفاً صاحب حشمة ووقار ومعرفة بالسياسة وأمور الرياسة ولم يزل حتى توفي في شهر شعبان سنة 1205 بالطاعون.

ومات أيضًا الجناب المكرم محمد أفندي باشقلفة وهو مملوك يوسف أفندي باشقلفة وخشداش محمد أفندي ثاني قلفة وعبد الرحمن أفندي وكان مليح الذات جميل الصفات تقلد كتابة هذا القلم عندما تلبس السيد محمد باشقلفة بكتابة الروزنامه فصار فيها سيرًا حسنًا وحمدت مساعيه الى أن وافاه الحمام وسارت نواحيه.

ومات أيضًا النبيه اللطيف والمفرد العفيف أحمد أفندي الوزان بالضربخانة وكان إنسانًا حسنًا جميل الأوضاع مترهف الطباع محتشمًا وقورًا ودودًا محبوبًا لجميع الناس.

سنة ست ومائتين وألف استهل شهر محرم بيوم الأربعاء وفيه عينوا صالح آغا كتخدا الجاويشية الى السفر الى الديار الرومية وصحبته هدية وشربات وأشياء وصالح آغا هذا هو الذي بعثوه قبل ذلك لإجراء الصلح على يد نعمان أفندي ومحمود بك وكاد أن يتم ذلك وأفسد ذلك حسن باشا ونفي نعمان أفندي بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر في هذه المرة عينوه أيضًا للإرسالية لسابقته ومعرفته بالأوضاع وكان صالح آغا هذا عندما حضروا الى مصر سكن بيت البارودي وتزوج بزوجه فلما كان خامس المحرم ركب الأمراء لوداعه ونزل من مصر القديمة.

وفيه هبط النيل ونزل مرة واحدة وذلك في أيام الصليب ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضي فلم يرو منها إلا القليل جدًا فارتفعت الغلال من السواحل والرقع وضجت الناس وأيقنوا بالقحط وأيسوا من رحمة الله وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة وضجت الفقراء وعيطوا على الحكام فصار الآغا يركب الى الرقع والسواحل ويضرب المتسبيين في الغلة ويسمرهم في أذانهم ثم صار ابراهيم بك يركب الى بولاق ويقف بالساحل وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب ومنعهم من الزيادة على ذلك فلم ينجح وكذلك مراد بك كرر الركوب والتحريج على عدم الزيادة فيظهرون الامتثال وقت مرورهم فإذا التفتوا عنهم باعوا بمرادهم وذلك من كثرة ورود الغلا ودخول المراكب وغالبها للأمراء وينقلونها الى المخازن والبيوت وفي أوائل صفر وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء فعملوا الديوان عند الباشا وقرأوا المرسوم وصورة ما بنى عليه ذلك أنه لما حضر السيد عمر أفندي بمكاتبتهم السابقة الى الباشا يترجون وساطته في إجراء الصلح أرسل مكاتبة في خصوص ذلك من عنده وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لا طاقة لهم بهم ولا يقدرّون على منعهم ودفعهم وأنهم واصلون وداخلون على كل حال فكان هذا المرسوم جوابًا عن ذلك وقبول شفاعة الباشا والإذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم وبين إخوانهم فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنگًا ومدافع.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية ومعه مرسومات خطابًا للباشا والأمراء فركب المشايخ ولاقوه من بولاق وتوجه الى بيته ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ومرتب بالضربخانة في كل يوم وقرأ هناك البخاري عند الآثار الشريفة بقصد النصرة.

وفي شهر ربيع الأول عمل المولد النبوي بالأزبكية وحضر مراد بك الى هناك واصطلح مع محمد أفندي البكري وكان منحرفًا عنه بسبب وديعته التي كان أودعها عنده وأخذها حسن باشا فلما حضر الى مصر وضع يده على قرية كان اشتراها الأفندي من حسن جليبي بن علي بك الغزاوي وطلب من حسن جليبي ثمن القرية الذي قبضه من الشيخ ليستوفي بذلك بعض حقه وطال النزاع بينهما بسبب ذلك ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بك

منهما وحضر مراد بك وفيه عملوا ديوانًا عند الباشا وكتبوا عرضحال بتعطيل الميري بسبب شراقي البلاد.

وفيه سافر محمد بك الألفي الى جهة شرقية بلبيس.

وفيه حضر ابراهيم بك الى مسجد أستاذه للكشف عليه وعلى الخزانة وعلى ما فيها من الكتب ولازم الحضور إليه ثلاثة أيام وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندي حافظ وسلمه لنديمه محمد الجراحي وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الخراب ولم يبق بها غير البواب أمام الباب.

وفي شهر ربيع الثاني قرروا تفريضة علي تجار الغورية وطيلون وخان الخليلي وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاقي ليلاً في المشاعل ثم ردوهم ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقوائم وناكد بعضهم بعضًا وهرب كثير منهم فسمروا دورهم وحوانيتهم وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس والوجاقلية وضج الخلائق من ذلك.

وفي مستهل جمادى الأولى كتبوا فرماتًا بقبض مال الشراقي ونودي به في النواحي وانقضى شهر كيهك القبطي ولم ينزل من السماء قطرة ماء فحرثوا المزروع ببعض الأراضي التي طشها الماء وتولدت فيها الدودة وكثرت الفيران جدًا حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار والذي سلم من الدودة من الزرع أكله الفار ولم يحصل في هذه السنة ربيع للبهائم إلا في النادر جدًا ورضي الناس بالعليق فلم يجدوا التبن وبلغ حمل الحمار من فصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة الذي يساوي خمسة أنصاف قبل ذلك مائة نصف ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس واتباع الأجناد فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة كل حفا بنصفين الى غير ذلك.

وفي حضر صالح آغا من الديار الرومية.

وفي شهر شوال سافر أيضًا بهدية ومكاتبات الى الدولة ورجالها.

وفي شهر القعدة وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا وتولية محمد باشا ملكًا وكان صالح آغا قد وصل الى الاسكندرية فغيروا المكاتبات وأرسلوها إليه.

وفيه حضر آغا بتقرير لوالي مصر على السنة الجديدة وطلع بموكب الى القلعة وعملوا له شنكًا.

وفي أواخر شهر الحجة شرع ابراهيم بك في زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بك المعروف بالوالي أمير الحج سابقًا وعمر لها بيتًا مخصوصًا بجوار بيت الشيخ السادات وتغالوا في عمل الجهاز والحلي والجواهر وغير ذلك من الأواني والفضيات والذهبيات وشرعوا في عمل الفرح ببركة الفيل ونصبوا صواري أمام البيوت الكبار وعلقوا فيها القناديل ونصب الملاعب والملاهي أرباب الملاعب وفردت التفاريد على البلاد وحضرت الهدايا والتقادم من الأمراء والأكابر والتجار ودعا ابراهيم بك باشا فنزل من القلعة وحضر صحبته خلع وفرا ومصاغ للعروس من جوهر وقدم له ابراهيم بك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معدة وسجة لؤلؤ وأقمشة هندية وشبقات دخان مجوهره وعملوا الزفة في رابع المحرم يوم الخميس وخرجت من بيت أبيها في عربة غريبة الشكل صناعة الإفرنج في هيئة كمال من غير ملاعب ولا خزعات والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها.

وفيه حضر عثمان بك الشيرقاوي وصحبته رهائن حسن بك الجداوي وهم شاهين بك وسكن في مكان صغير وآخرون.

وفيه وصلت الأخبار بأن علي بك انفصل من حسن بك ومن معه وسافر على جهة القصير وذهب الى جدة.

وأما من مات في هذه السنة مات الإمام الذي لمعت أفق الفضل بوارقه وسقاه من مورده النмир عذبه ورائقه لا يدرك بحر وصفه الإغراق ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان لها في مضمار الفضل السباق العالم التحرير واللودعي الشهير شيخنا العلامة أبو العرفان الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي ولد بمصر وحفظ القرآن والمتون واجتهد في طلب العلم وحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره وشيوخه فحضر على الشيخ الملوي شرحه الصغير على السلم وشرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد وشرح المكودي على الإلفية وشرح الشيخ خالد على قواعد الإعراب وحضر على الشيخ حسن المدابغي صحيح البخاري بقراءته لكثير منه وعلى الشيخ محمد العشماوي الشفا للقاضي عياض وجامع الترمذي وسنن أبي داود وعلى الشيخ أحمد الجوهري شرح أم البراهين لمصنفها بقراءته لكثير منها وعلى الشيخ السيد البليدي صحيح مسلم وشرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني وتفسير البيضاوي وشرح رسالة الوضع للسمرقندي وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام وعلى الشيخ محمد الحفناوي صحيح البخاري والجامع الصغير وشرح المنهج والشنشوري على الرجبية ومعراج النجم الغيطي وشرح الخرجية لشيخ الإسلام وعلى الشيخ حسن الجبرتي التصريح على التوضيح والمطول ومثن الجغميني في علم الهيئة وشرح الشريف الحسيني على هداية الحكمة قال: وقد أخذت عنه في الميقات وما يتعلق به وقرأت فيه رسائل عديدة وحضرت عليه في كتب مذهب الحنفية كالدراة المختار على تنوير الأبصار وشرح ملا مسكين على الكنز وعلى الشيخ عطية الأجهوري شرح المنهج مرتين بقراءته لأكثره وشرح جمع الجوامع للحلي وشرح التلخيص الصغير للسعد وشرح الأشموني على الألفية وشرح السلم للشيخ الملوي وشرح الجزرية لشيخ الإسلام والعصام على السمرقندية وشرح أم البراهين للحفصي وشرح الأجرومية لريحان آغا وعلى الشيخ على العدوي مختصر السعد على التلخيص وشرح القطب على الشمسية وشرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح بقراءته لأكثره وشرح بن عبد الحق على ابسملة لشيخ الإسلام ومثن الحكم لابن عطاء الله رحمهم الله تعالى أجمعين قال: وتلقيت طريق القوم وتلقيت الذكر على منهج السادة الشاذلية على الأستاذ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي وقد لازمته المدة الطويلة وانتفعت بمدده ظاهراً وباطناً قال: وتلقيت طريق ساداتنا ال وفا سقانا الله من رحيق شرابهم كؤوس الصفا عن ثمرة رياض خلفهم ونتيجة أنوار شرفهم على الأكابر والأصاغر ومطمح أنظار أولي الأبصار والبصائر أبي الأنوار محمد السادات ابن وفا نفحنا الله وإياه بنفحات جده المصطفى وهو الذي كنانني على طريقة أسلافه بأبي العرفان وكتب لي سنده عن حاله السيد شمس الدين أبي الإشراق عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق عن أخيه السيد أبي الإرشاد يوسف عن والده الشيخ أبي التخصيص عبد الوهاب عن ولد عمه السيد يحيى أبي اللطف إلى آخر السند هكذا نقلته من خط المترجم رحمه الله تعالى ولم يزل المترجم يخدم العلم وبدأب في تحصيله حتى تمهر في العلوم العقلية والنقلية وقرأ الكتب المعتمدة في حياة أشياخه ورعى التلاميذ واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام وكان خصباً بالمرحوم الشيخ الوالد اجتمع به من سنة سبعين ومائة وألف ولم يزل ملازماً له على حبه ومودته مع الحقير وانضوى إلى أستاذنا السيد أبي الأنوار بن وفا ولازمه ملازمة كلية وأشرق على أنواره ولاحق عليه مكارمه وأسراره ومن تأليف حاشيته على الأشموني التي سارت بها الركبان وشهد بدقتها أهل الفضائل والعرفان وحاشية على شرح العصام على السمرقندية وحاشية على شرح

الملوي على السلم ورسالة في علم البيان ورسالة عظيمة في آل البيت ومنظومة في علم العروض وشرحها ونظم أسماء أهل بدر وحاشية على آداب البحث ومنظومة في مصطلح الحديث ستمائة بيت ومثلثات في اللغة ورسالة في الهيئة وحاشية على السعد في المعاني والبيان ورسالتان على البسملة صغرى وكبرى ورسالة في مفعول ومنظومة في ضبط رواية البخاري ومسلم وكان في مبدأ أمره وعنفوان عمره معانفاً للخمول والإملاق متكلاً على مولاه الرزاق يستجدي مع العفة ويستدر من غير كلفة وتنزل أياماً في وظيفة التوقيت بالصلاحية بضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما جدده عبد الرحمن كتحدا وسكن هناك مدة ثم ترك ذلك ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تنزل المترجم أيضاً في وظيفة توقيتها وعمر له مكاناً بسطحها سكن فيه بعياله فلما اضمحل أمر وقفه تركه واشترى له منزلاً صغيراً بحارة الشنواني وسكن به ولما حضر عبد الله أفندي القاضي المعروف بططر زاده وكان متضللاً من العلوم والمعارف وسمع بالمترجم والشيخ محمد الجناحي واجتمعاً به أعجب بهما وشهد بفضلهما وأكرمهما وكذلك سليمان أفندي الرئيس فعند ذلك راج أمر المترجم وأثرى حاله بالملابس وركب البغال وتعرف أيضاً باسمعيل كتحدا حسن باشا وتردد إليه قبل ولايته فلما أتته الولاية بمصر زاد في إكرامه وأولاه بره ورتب له كفايته في كل يوم بالضربخانة والجزية وخرجا من كلاره من لحم وسمن وأرز وخبز وغير ذلك وأعطاه كسايوي وفراء وأقبلت عليه الدنيا وازداد وجهه وشهرته وعمل فرحاً وزوج ابنه سيدي علي فأقبل عليه الناس بالهدايا وسعوا لدعوته وأنعم عليه الباشا بدراهم لها صورة وألبس ابنه فروة يوم الزفاف وكذا أرسل إليه طبلخاتته وجاوبشيتته وسعته فزفوا العروس وكان ذلك في مبادئ ظهور الطاعون في العام الماضي وتوعك الشيخ المترجم بعد ذلك بالسعال وقصبة الرئة حتى دعاه داعي الأكام وفجأة الحمام ليلة الثلاثاء من شهر جمادى الأولى من السنة وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالبستان تعمده الله بالرحمة والرضوان وخلف ولده الفاضل الصالح الشيخ علي بارك الله فيه.

ومات السيد السند الإمام الفهامة المعتمد فريد عصره ووحيد شامه ومصره الوارد من زلال المعارف على معينها المؤيد بأحكام شريعة جده حتى أبان صبح يقينها السيد العلامة أبي المودة محمد خليل بن السيد العارف المرحوم علي بن السيد محمد بن القطب العارف بالله تعالى السيد محمد مراد بن علي الحسيني الحنفي الدمشقي أعاد الله علينا من بركات علومهم في الدنيا والآخرة من بيت العلم والجلالة والسيادة والعز والرياسة والسعادة والمترجم وإن لم نره لكن سمعنا خبره ووردت علينا منه مكاتبات ووشى طروسه المحبرات وتناقل إلينا أوصافه الجميلة ومكارم أخلاقه الجليلة كان شامة الشام وغرة الليالي وأيام أورق عوده بالشام وأثمر ونشأ بها في حجر والده والده أبيض وقرأ القرآن على الشيخ سليمان الديركي المصري وطالع في العلوم والأدبيات واللغة التركية والإنشاء والتوقيع ومهر وأنجب واجتمعت فيه المحاسن الحسية والمزايا المعنوية مع ألطف خلق يسعى للطف لينظر إليه ورقيق محاسن يقف الكمال متحيراً لديه وأنا وإن لم يقع لي عليه نظر بالعين فسماع الأخبار إحدى الروايتين ولما توفي والده المرحوم تنصب مكانه مفتي الحنفية بالديار الشامية ونقيب الأشراف بإجماع الخاص والعام وسار فيها أحسن سير وزين بمآثره العلوم النقلية وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية فكانت تتيه به على سائر البقاع بقاع الشام ويفتخر به عصره على جميع الليالي والأيام فلاتزال تصدح ورق الفصاحة في نادية وتسير الركبان بما فيه من المحاسن رائحتها وغاديتها ونور فضله باد وموائده ممدودة لكل حاضر وباد وكان رحمه الله مغرمًا بصيد الشوارد وقيد الأوابد واستعلام الأخبار وجمع الآثار وتراجم العصرين على طريق المؤرخين وراسل فضلاء البلدان البعيدة ووصلهم بالهدايا والرغائب العديدة والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده وأخبار أعيان أهل القرن الثاني عشر يحسب وسع همته واجتهاده وكان هو السبب الأعظم الداعي لجمع هذا التاريخ على هذا النسق فإنه كان راسل شيخنا السيد محمد مرتضى والتمس منه نحو ذلك فأجاب له لطلبته ووعدته بأمنيته فعند ذلك تابعه

بالمراسلات وأتحفه بالصلات المترادفات وشرع شيخنا المرحوم في جمع المطلوب بمعونة الفقير ولم يذكر السبب الحامل على ذلك وجمع الحقيير أيضًا ما تيسر جمعه وذهبت به يومًا وعنده بعض الشاميين فأطلعته عليه فسر بذلك كثيرًا وطارحني وطارحته في نحو ذلك بسمع من المجالس ولم يلبث السيد إلا قليلًا وأجاب الداعي وتنوسي هذا الأمر شهوًّا ووصل نعي السيد الى المترجم والصورة الواقعة وكانت أوراق السيد مختومًا عليها فعند ذلك أرسل إلي كتابًا وقرنه بهدية على يد السيد محمد التاجر القباقيبي يستدعي تحصيل ما جمعه السيد من أوراقه وضم ما جمعه الفقير وما تيسر ضمه أيضًا وإرساله وانتقل المترجم بعد ذلك لأمور أوجبت رحلته منها الى حلب الشهباء كما ذكر لي ذلك في مراسلاته في سنة خمس ومائتين وألف وهناك عصفت رياح المنية بروضة الخصيب وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب فاحتضر وأحضر بأمر الملك المقدر لازال جدته روضة من رياض الجنان ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان وذلك في ومات

الإمام المفوه من غذي بلبان الفضل وليدًا

وعد لبید إذا قيس بفصاحته بلدًا من له في المعالي أرومة وفي مغارس الفضل جرثومة الحسين ابن النور على بن عبد الشكور الحنفي الطائفي الحريري الفقه والإنشاء ويعرف بالمتقي من أولاد الشيخ علي المتقي محبوب الجامع الصغير من أكبر أصحاب الشيخ السيد عبد الله ميرغني ولد بالطائف وبها نشأ وتكمل في الفنون العرفانية وتدرج في المواهب الإحسانية وأحبه السيد عبد الله وتعلق بأذیاله وشرب من صفو الأوهام وأخذ بالحرمين عن عدة علماء كرام وشارك في العلوم ونافس في المنطوق والمفهوم إلا أنه غلب عليه التصوف وعرف منه ما فيه الكمال والتصرف وبينه وبين شيخنا العیدروس مودة أكيدة ومحبة عديدة ومحاورات ومذاكرات وملاطفات ومصافاة وقد ورد علينا مصر في سنة 174 وسكن بيت الشيخ محسن على الخليج وكان يأتيه السيد العیدروس والسيد مرتضى وغيرهم فأعاد روض الأنس نضيرًا وماء المصافاة نميًّا ودخل الشام وحلب وبها أخذ عن جماعة في أشياء منهم السيد اسمعيل امواهي فقد عده من شيوخه وأثنى عليه ودخل بلاد الروم وأنعم بالمروم وعاد الى الحرمين وقوض عن الأسفار الخيام.

وللسيد العیدروس قصيدة بائية أرسلها له وهي بليغة مطولة وغير ذلك مطارحات كثيرة وللمترجم مؤلفات حسان وكلها على ذوق أهل العرفان منها المنظومة التي تعرف بالصلاتية عجبية وشرحها مزجًا كأصلها على لسان القوم ولما حج الشيخ التاودي بن سودة كتبها عنه ووصل بها المغرب ونوه بشأنها حتى كتبت منها عدة نسخ ونوه بشأن صاحبها حتى عين له سلطان المغرب بصرة في كل سنة تصل إليه مع الركب والناس في المترجم مختلفون فمنهم من يصفه بالبراعة والكمال وأولئك الذين رأوا كلامه فبهرهم نظامه ومنهم من يصفه بالحلول عن ربة الانقياد ويرمي بالحلول والاتحاد وهو إن شاء الله تعالى مبرأ مما نسب إليه ولما اجتمع به العلامة محمد بن يعقوب بن الفاضل الشمشاري ونزل في منزله فكان أنيسًا له في سائر أحواله قال اختبرته حق الاختبار فلم أجد له إلا لسانًا وهو مثار وبعد أشهر تبرم عن ملازمته واتخذ له حجرة في الحرم وعزل نفسه عنه فالتزم وحكى لي من أموره أشياء غريبة والمترجم معذور فإن ساداتنا المغاربة ليس لهم تحمل في سماع كلام مثل كلامه لأنهم ألفوا ظاهر الشريعة ولم يدخل على أذهانهم نواذر أهل العرفان ولا تسوروا حصونها المنيعة ولأهل الروم فيه اعتقاد جميل ومواهبهم تصل إليه في كل قليل وكان له ولد يسمى جعفرًا ورد علينا مصر في سنة خمس وثمانين وأقام معنا برهة يغدو إلينا ويبيت ويروح لزيارة بعض أحباب أبيه بمصر ويذهب معنا لبعض المنتزهات إذ ذاك ولم يزل حتى اخترمته المنية سامحه الله ولم يخلف بعده مثله.

استهل المحرم يوم الخميس والأمر في شدة من الغلاء وتتابع المظالم وخراب البلاد وشتات أهلها وانتشارهم بالمدينة حتى ملؤوا الأسواق والأزقة رجالاً ونساء وأطفالاً يكون وبصيحون ليلاً ونهاراً من الجوع ويموت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع وفيه أيضاً هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام وكان ناقصاً عن ميعاد الري نحو ذراعين فارتجت الأحوال وانقطعت الآمال وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل فلما نقص انقطع أملهم واشتد كربهم وارتفعت الغلال من السواحل والعريصات وغلت أسعارها عما كانت وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالاً والشعير بخمسة عشر ريالاً والبول بثلاثة عشر ريالاً وكذلك باقي الحبوب وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة ثم اشتد الحال حتى بيع ربع اللبنة بريال وآل الأمر إلى أن صار الناس يفتشون على الغلة فلا يجدونها ولم يبق للناس شغل ولا حكاية ولا سمر بالليل والنهار في مجالس الأعيان وغيرهم إلا مذاكرة القمح والبول والأكل ونحو ذلك وشحت النفوس واحتجب المساتير وكثر الصباح والعويل ليلاً ونهاراً فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلائق مطروحين بالأزقة وإذا وقع حمار أو فرس تراحموا عليه وأكلوه نياً ولو كان منتناً حتى صاروا يأكلون الأطفال ولما انكشف الماء وزرع الناس البرسيم ونبت أكلته الدودة وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض وحرثوها وسقوها بالماء من السواقي والنطالات والشواذيف واشتروا لها التقاوي بأقصى القيم وزرعوها فأكله الدود أيضاً ولم ينزل من السماء قطرة ولا أندية ولا صقيع بل كان في أوائل كيهلك شروقات وأهوية حارة ثقيلة ولم يبق بالأرياف إلا القليل من الفلاحين وعمهم الموت والجلاء.

وفي أواخر شهر ربيع الأول حضر صالح آغا من الديار الرومية وعلى يده مرسومات بالعفو وثلاث خلع إحداها للباشا والأخريان لابراهيم بك وميراد بك فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات وضربوا مدافع وأحضر صحبته صالح آغا وكالة دار السعادة وانتزعها من مصطفى آغا واستولى على ملابها.

وفيه وصلت غلال رومية وكثرت بالساحل فحصل للناس اطمئنان وسكون ووافق ذلك حصاد الذرة فنزل السعر إلى أربعة عشر ريالاً الأردب وأما التبن فلا يكاد يوجد وإذا وجد منه شيء فلا يقدر من يشتريه على إيصاله لداره أو دابته بل يبادر لخطفه السواس وأتباع الأجناد في الطريق وإذا سمعوا واستشعروا بشيء منه في مكان كبسوا عليه وأخذوه قهراً فكان غالب مؤونة الدواب قصب الذرة الناشف ويشرح الكثير من الفقراء والشحاذين في نواحي الجسور فيجمعون ما يمكنهم جمعه من الحشيش اليابس والنجيل الناشف ويأتون به ويطوفون به في الأسواق ويبيعونه بأعلى الأثمان ويتضارب على شرائه الناس وإن صادفهم السواس والقواسه وفيه وصلت الأخبار بأن علي بك الدفتردار لما سافر من القصير طلع على المويلح وركب من هناك مع العرب إلى غزة وأرسل سرّاً إلى مصر وطلب رجلاً نصرانياً من أتباعه فذهب إليه صحة الهجان بمطلوبات وبعض احتياجات ولما وصل إلى جهة غزة أرسل إلى أحمد باشا الجزار يعلمه بوصوله فأرسل لملاقاته خيلاً ورجلاً فذهب إليه وصحبته نحو الثلاثين نفرًا لا غير فلما وصل إلى قرب عكا خرج إليه أحمد باشا ولاقاه ووجهه إلى حيفا ورتب لهم بها رواتب وأما مراد بك فإنه خرج إلى بر الجيزة من أول السنة وجلس في قصر اسمعيل بك الذي عمره هناك واشتغل بعمل جبخانه وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر وطلب الصنائع والحدادين وشرع في إنشاء مراكب وغلايين رومية وزاد في بناء القصر ووسعه وأنشأ به بستاناً عظيماً وغير ذلك وسافر عثمان بك الشرفاوي إلى ثغر الاسكندرية وجبى الأموال في طريقه من البلاد.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرين ربيع الآخر وخامس كيهك القبطي أمطرت السماء مطراً متوسطاً وفرح به الناس.

وفي يوم السبت غرة جمادى الأولى عدى مراد بك من بر الجزيرة فدخل الى بيته وأخبروا عن عثمان بك الشرقاوي أنه رجع الى رشيد ثم في رابعه حضر المذكور الى مصر وفي ليلة الخميس خرج مراد بك وابراهيم بك وباقي أمرائهم الى جهة العادلية فأقاموا أيامًا قليلة ثم ذهب مراد بك الى ناية أبو زعبل وكذلك ابراهيم بك والوالي وصحبته جماعة من الأمراء الى ناحية الجزيرة في وقت خروجهم نهب أتباعهم ما صادفوه من الدواب وصاروا يكبسون الوكائل التي بباب الشعرية ويأخذون ما يجدونه من جمال الفلاحين السفارة وحميرهم نهبًا فأما مراد بك فإنه لما وصل الى أبو زعبل وجد هناك طائفة من عرب الصوالحة في خيشهم لا جنية لهم فنهبهم وأخذ أغناهم ومواشيهم وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصًا ما بين غلمان وشيوخ وأقام هناك يومًا وقبض على مشايخ البلد أبي زعبل وحبسهم وقرر عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال ولم يقبل فيهم شفاعا استأذهم وشتمه وضربه بالعصا وأما عرب الجزيرة فإنهم ارتحلوا من أماكنهم.

وفي شهر شعبان وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقي ونضوب مائه وظهرت بالنيل كيما نزل هائلة من حد المقياس الى البحر المالح وصار البحر الغربي سلسلو جدول تخوضه الأولاد الصغار ولا يمر به إلا صغار القوارب وانقطع الجالب من جميع النواحي إلا ما تحملها المراكب الصغار بأضعاف الأجرة وتعطلت دواوين المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلًا مسلماني وصحبته جماعة من الإفرنج وأحضروا الأخشاب العظيمة ورتبوا عمل السد قريبًا من كفر الخصرة وركبوا آلات في المراكب ودقوا ثلاث صفوف خوابير من أخشاب طوال فلما أتموا ذلك كانت اصناع فرغت من تطبيق ألواح في غاية الثخن شبه البوابات العظام وهي مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص وصفائح الحديد مثقوبة بثقوب مقاسة على ما يوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة في الماء فإذا نزلوا ببوابة الحموها بتلك الخوابير وتبعتهم الرجال بالجوابي المملوءة بالحصى والرمل من أمام ومن خلف وتبع ذلك الرجال الكثرة بغلقان الأتربة والطين ففعلوا ذلك حتى قارب التمام ولم يبق إلا اليسير ثم حصل الفتور في العمل بسبب أن المبرش على ذلك أرسل لمراد بك بالحضور وليكون إتمامها بحضرته ويخلع عليه ويعطيه ما وعده به من الأنعام فلم يحضر مراد بك وغلبيهم الماء وتلف جانب من العمل وكان أيوب بك الصغير حاضرًا وفي نفسه أن لا يتم ذلك لأجل بلاده فأصبح مرتحلًا وتركوا العمل وانفض الجمع وقد أقام العمل في ذلك من أوائل شعبان الى أواسط شوال ثم نزل إليها جماعة آخرون وطبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار وشرعوا في عمل سد المكان القديم عن فم الترعة ودقوا أيضًا خوابير كثيرة وألقوا أحجارًا عظيمة وفرغت الأحجار فأرسلوا بطلب غيرها فلم تسعفهم القطاعون فشرعوا في هدم الأبنية القديمة والجوامع التي بساحل النيل وقلعوا أحجار الطواحين التي بالبلاد القريبة من العمل واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ولم يتم العمل ورجعوا كالأول وذهب في ذلك من الأموال والغرامات والسخرات وتلف من المراكب والأخشاب وفي أوائل شوال ورد الخبر بأن علي بك سافر من عند أحمد باشا الى اسلامبول صحة قبجي معين فلما قرب من اسلامبول أرسلوا من وجهه الى برصا ليقم بها ورتبوا له كفايته في كل شهر خمسمائة قرش رومي.

من مات في هذه السنة ممن له ذكر مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين أبو السيادة عبد الله ابن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني بن حسن بن مير خوردد ابن حيدر بن حسن بن عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد بن علي بن ابراهيم ابن يحيى بن عيسى بن أبي بكر بن علي بن محمد بن اسمعيل ابن ميرخورد البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي المتقي بن الحسن بن علي الهادي ابن محمد الجواد الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب ولد بمكة وبها نشأ وحضر في مباديه دروس بعض علمائها كالشيخ النخلي وغيره واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدي وكان إذ ذاك أوحد عصره في المعارف فانتسب إليه ولازمه حتى رقاؤه وبعد وفاته جذبت

عناية الحق وأرته من المقامات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فحينئذ انقطعت الوسائط وسقطت الوسائل فكان أويسياً تلقيه من حضرة جده صلى الله عليه وسلم كما أشار الى ذلك شيخنا السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة 1163 وأطلعه على نسبه الشريف وأخرجه إليه من صندوق قال: وطلبت منه الإجازة وإسناد كتب الحديث فقال: غنى عنه: قال فعلمت أنه أويسي المقام ومده من جده عليه الصلاة والسلام وانتقل الى الطائف بأهله وعياله في سنة ست وستين وشرف تلك المشاهد ومآثر شهيرة ومفاخرة كثيرة وكراماته كالشمس في كبد السماء وكالبدر في غيب الظلماء وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة وأخباره في زهده عن الدنيا على السنة الناس مذكورة ومن مؤلفاته كتاب فرائض وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين والكوكب الثاقب وشرحه وسماه رفع الحاجب عن الكوكب الثاقب وله ديوانان متضمنان لشعره أحدهما المسمى بالعقد المنظم على حروف المعجم والثاني عقد الجواهر في نظم المفاخر ومنها المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز صلى الله عليه وسلم اختصره من الجامع وذيله وكنوز الحقائق والبدر المنير وهو في أربعة كراريس وقد شرحه العلامة سيدي محمد الجوهري وقرأه دروساً ومنها شرح صيغة القطب بن مشيش ممزوجاً وهو من غرائب الكلام ومنها مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار توفي رضي الله عنه في هذه السنة.

ومات الشيخ الفاضل الصالح أحمد بن يوسف الشنواني المصري الشافعي المكنى بأبي العز المكتب الخطاط ويعرف أيضاً بحجاج وأمه الشريفة خاصكية ابنة القاضي جلي بن أحمد العراقي من ذرية القطب شهاب الدين العراقي دفين شنوان الغفر بالمنوفية حفظ القرآن وجوده على الشيخ أحمد بن اسمعيل الأفقم ومهر فيه وأجيز فنسخ بيده كثيراً من المصاحف ونسخ الدلائل والكتب الكبار منها الإحياء للغزالي والأمثال للميداني وانتفع الناس به طبقة بعد طبقة وفي غضون ذلك تردد على جملة من الشيوخ كالشهابي الملوي والجوهري وأخذ عنهما أشياء والشمس الحفني والشيخ حسن المدابغي ومحمد بن النعمان الطائي في آخرين وأحبوه وجاور بالحرم سنة ثم عاد الى مصر ولازم معنا كثيراً على شيخنا السيد مرتضى في حضور الحديث فسمع البخاري بطرفيه ومسلاً بطرفيه وسنن أبي داود الى قريب ثلثيه وغالب الشرائع للترمذي وثلاثيات البخاري وثلاثيات الدارمي والحلية لأبي نعيم من أوله الى مناقب العشرة وأجزاء كثيرة بحدودها في ضمن إجازته بأسانيدها وكان نعم الرجل صحبة وديانة وحفظاً للنوادر من الأشعار والحكايات وأصيب المترجم بكرمته عوضه الله دار الثواب من غير سابقة عذاب ولا عتاب توفي في سابع عشرين جمادى الأولى من السنة.

ومات الإمام الفقيه المحدث البارع المتبحر عالم المغرب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي ولد بفاس سنة 1128 وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري شارح الاكتفاء والشفاء ولامية الزقاق وغيرها والشهاب أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي قرأ عليهما الموطأ وغيره والشهاب أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي قرأ عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث وكان في أكثرها هو القارئ بين يديه مدة مديدة وأذن له في إقراء الصحيح في حياته فألقى دروساً بين يديه وكان يوده ويسر به ويقدمه على سائر الطلبة ولما توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائة ألف بالطاعون تزامن ذو الوجاهات فيمن يلحده في قبره فكان الشيخ هو المتولي لذلك دون غيره وتلك كرامة له ورضوا بذلك قال: وكلمته يوماً في شأن الحج متمنياً له ذلك فقال لي مشيراً الى شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ إن الناس قالوا لي جعلناك في حق فلا تخرج من هذه البلدة وأنت ستحج وأعطيك ألف دينار وألف مثقال إن شاء الله تعالى قال: ولم تك نفسي تحدثني بالحج يومئذ ولم يخطر ببال ومنهم الفقيه المتواضع صاحب التاليف أبو عبد الله محمد ابن قاسم جسوس لازمه مدة وقرأ عليه كتباً منها رسالة بن

أبي زيد ومختصر خليل ثلاث ختمات مع مطالعة شروح وحواش والحكم والشمائل وجميع الصحيح من غير فوت شيء منه ومنهم حافظ المذهب الفقيه القاضي أبو البقاء يعيش بن الزغاوي الشاوي قرأ عليه رجز بن عاصم ولامية الزقاق وطرقاً من الصحيح توفي سنة 1150 كان منزله بالدوخ في أطراف المدينة فنزل به اللصوص ليلاً فدافع عن حريمه وقتلهم حتى قتل شهيداً رحمه الله ومنهم قاضي الجماعة ومفتي الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد الشدادي الحسني قرأ عليه المختصر الخليلي من أوله إلى الوديعة أو العارية وسمع عليه بعض التفسير من أوله ومنهم الفقيه الزاهد القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد التماق قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد والحكم والتفسير من أوله إلى سورة النساء ومنهم الإمام الناسك الزاهد أبو عبد الله محمد بن جلون قرأ عليه الأجرومية وختم عليه الألفية مرتين والمختصر الخليلي من أوله إلى اليمين ولم يكن له نظير في الضبط والإتقان والتحرير وهو أول شيخ أخذ عليه وذلك قبل البلوغ وكان إذا قام من دروسه عرض على نفسه ما قاله فيجده لا يدع منه حرفاً واحداً ومنهم سيبويه زمانه أبو عبد الله سيدي محمد ابن الحسن الجندوز قرأ عليه الألفية فكان يملئ من حفظه في أثنائه الشروح والحواشي وشروح الكافية والتسهيل والرضى والمعنى والشواهد وغير ذلك مما يستجاد ويستغرب وقرأ عليه السلم والتلخيص ومن إنصافه أنه لما قرب أواخره بلغه أن الشيخ بن مبارك يريد أن يقرأه فقام مع جماعة وذهب إليه لسمع منه وهذا من حسن إنصافه واعترافه بالحق ومنهم أبو العباس أحمد بن علال الوجاري قرأ عليه الألفية بلفظه ثلاث مرات وشيئاً من التسهيل والمغني وقد ذكر له بعض الشيوخ عن ابن هشام أنه قرأ الألفية ألف مرة فقال له بعض من سمعه: وكم قرأتها قال: أما المائة فجزتها فهؤلاء عشرة شيوخ كذا لخصتها من إجازة المترجم للشيخ أحمد ابن علي بن عبد الوهاب بن الحاج الفاسي في تاسع جمادى الثانية سنة ثلاث وألف وحج المترجم فقدم مصر سنة إحدى وثمانين ورجع سنة 1182 وعقد درساً حافلاً بالجامع الأزهر برواق المغاربة فقرأ الموطأ بتمامه وحضره غالب الموجودين من العلماء وأجاد في تقريره وأفاد وسمع عليه الكثير أوائل الكتب الستة والشمائل والحكم وغيرها وأجاز ولقي بمكة أبا زيد عبد الرحمن بن أسلم اليمني وأبا محمد حسين بن عبد الشكور صاحب الشيخ عبد الله الميرغني والشيخ إبراهيم الزمزمي وغيرهم وبالمدينة أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان وأبا الحسن السندي وعبد الله جعفر الهندي وغيرهم وأجازوه وأجازهم وعاد إلى مصر واجتمع بفاضلها كالجوهري والصعدي وحسن الجبرتي والطحلاوي والسيد العيدروس والشيخ محمود الكردي وعيسى البراوي والبيومي والعربان وعطية الأجهوري وكان صحبتته ولده سيدي محمد وهو الأكبر وسيدي أبو بكر خالي العذار جميل الصورة وتردد على الشيخ الوالد كثيراً وتلقى عنه بعض الرياضيات وترك عنده ولديه المذكورين مدة إقامته بمصر فكنا نطالع معهما سوية صحبة الشيخ سالم القيرواني والشيخ أحمد السوسي ونسهر غالب الليل نراعي المطالع والمغارب وممرات الكواكب بالسطح حذاء خيط المسطرة ونراجع الشيخ فيما يشكل علينا فهمه وهو معنا في ناحية أخرى وأوقفت سيدي أبا بكر على طريق رسم ربع الدائرة المقنطر والمجيب توفي سيدي محمد بفاس سنة 1192 ومن تأليف المترجم حاشية قوله وأرخه إلى آخره ابتداء التاريخ من الزاي إلى زج مع حساب السنين بثلاثمائة على قاعدة المغاربة إلا أنه يزيد واحداً عن سنة الوفاة فلعله مات سنة أربع وتسعين ومائة وألف كما يظهر ذلك بحساب التاريخ على البخاري في أربع مجلدات وحاشية على الزرقاني شارع خليل وشرحان على الأربعين النووية ومناسك حج وشرح الجامع لسيدي خليل وشرح تحفة بن عاصم في القضاء والأحكام والمنحة الثابتة في الصلاة الفائتة وفتح المتعال فيما ينتظم منه بيت المال وحاشية على بن جزى المفسر وحاشية على البيضاوي لم تكمل وشرح المشارق للصاغاني ومنظومة فيما يختص بالنساء وكلفه سلطان المغرب خطة القضاء في سنة 1203 فقبلها كرهاً وكانت فتاويه مسددة وأحكامه مؤيدة مع غاية التحرز والصيانة والإتقان وبالجمله فكان عين الأعيان في عصره ومصره شهير الذكر وأفر الحرمة مهيب الصورة يغلب جلاله على جماله قليل التبسم ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب

ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنن المحمدية وبايعه الكافة بعده على ذلك وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم والمكوس والمحارم وكان كذلك ولم يزل المترجم على طريقته الحميدة حتى توفي في هذه السنة وتوفي بعده ابنه سيدي أبو بكر في سنة عشر ومائتين وألف ومات الإمام العلامة والوجيه الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن جاد الله ابن محمد الخنائي المالكي البرهاني وجده الأخير يعرف بأبي شوشة وله مقام يزار بأمن خان بالجيزة نشأ في طلب العلم وحضر أشياخ الوقت ولازم السيد البليدي وصار معيذاً لدروسه بالأزهر والأشرفية وانتفع بملازمته له انتفاعاً كلياً وانتسب إليه وأجازه إجازة مطولة بخطه ونوه بشأنه فلما توفي شيخه المذكور تصدر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسيني واجتمع عليه الناس وحضره من كان ملازماً لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم واعتقدوا صلاحه وتحبب إليهم وواسوه بالصلاة والزكوات والنذور وواطب الإقراء بالأزهر أيضاً وزيارة مشاهد الأولياء وإحياء لياليها بقراءة القرآن والذكر ويقوم: دائماً من الثلث الأخير من الليل ويذهب الى المشهد الحسيني ويصلي الصبح بغلس في جماعة وزاد اعتقاد الناس فيه واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وإمساكها وبآخره اشترى داراً عظيمة بحارة كنامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر وانتقل إليها وسكنها وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين في كل يوم جمعة قبل الشمس فنزل العرب في بعض الجمع الى بين الكيان فأراد الهروب وكان جسيماً فسقط من على بغلته على خربته فانكسر زره وحمل الى داره وعالج نفسه شهوراً حتى عوفي قليلاً ولم يزل تعاوده الأمراض حتى توفي رحمه الله وما رأيته قط إلا وهو يتلو قرآناً أو يطالع كتاباً سامحه الله تعالى.

ومات الإمام الفاضل الصالح النجيب المفوه الناجح الشيخ محمد ابن أحمد بن خضر الخربتاوي المالكي الأزهري قرأ على والده وحضر دروس شيخنا الشيخ علي العدوي الصعيدي وبه تخرج وأنجب في العلوم وله سليقة جيدة في النثر والنظم وحصل كتباً نفيسة المقدار زيادة على الذي ورثه من والده وله محبة في آل البيت ومدايح كثيرة وهو ممن قرظ على شرح القاموس لشيخنا السيد محمد مرتضى تقریظاً بديعاً ولم يزل المترجم مقبلاً على شأنه مواظباً على دروسه حتى توفي في هذه السنة رحمه الله.

ومات الأجل الصالح الناسك المسلك العارف الشيخ محمد بن عبد الحافظ أفندي أبو ذاكر الخلوتي الحنفي أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكري والشيخ الحفني وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجي والشيخ أحمد الحماقي وأدرك الإسقاطي والمنصوري ولم يتزوج قط وكف بصره سنة 1181 وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنة بمفرده وليس عنده قريب ولا غريب ولا جارية ولا عبد ولا من يخدمه في شيء مطلقاً وبيته متنسج جهة التبانة وبابه مفتوح دائماً وعنده الأغنام والدجاج والإوز والبطة والجمع مطلقون في الحوش وهو يباشر علفهم وإطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ويطبخ طعامه بنفسه وكذلك يغسل ثيابه واشتهر في الناس بأن الجن تخدمه وليس ببعيد لأنه كان من أهل المعارف والأسرار ويأتي إليه الكثير من الطلبة للأخذ عنه والتلقي منه وكان له يد طولى في كل شيء ومشاركة جيدة في العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات والأوقاف واستحضر تام في كل ما يسأل عنه وعنده عدة كثيرة من السنابير ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ويقول هذه تحفة بنت بستانة وهذه كمونة بنت ياسمين وهذه فلانة أخت فلانة الى غير ذلك توفي رحمه الله تعالى في شهر شوال من هذه السنة.

ومات الإمام العلامة والرحلة الفهامة المعمر المتقدم الشيخ مصطفى المرحومي الشافعي ولد بمحلة المرحوم بالمنوفية وقرأ القرآن وحفظه وجوده وحضر الى مصر المتون وتفقه على الأشياخ المتقدمين كالدفري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والملوي

والحفني وغيرهم ومهر في المعقول والمنقول وأملى الدروس بالأزهر وجامع أزيك وانتفع به الناس وكان يتردد الى بيوت بعض الأعيان ويحبونه ويكرمونه ويستفيدون من فوائده ونوادره وكان له حافظة واستحضار للمناسبات والأشعار واللطائف لا يمل حديثه ومفاكهته توفي في هذه السنة رحمه الله.

ومات الإمام العلامة الفقيه النحوي الأصولي الجدلي التحرير الفصيح المتقن المتفنن الشيخ علي الشهير بالطحان الأزهرى المصري حضر شيوخ العصر ولازم الشيخ الملوي والجوهرى وكان معيد الدروس الأخير وبه تخرج وكان يقرأ الكتب ويقرر الدروس بدون مطالعة إلا أنه كان يغلب عليه الملل والسامة وحب البطالة غالب أيامه ولا يتعفف عن الدنيا من أي وجه كان ويطلبها وإن قلت وكانت سليقته جيدة في النثر والنظم وله منظومة في الفقه ومنظومة في المنطق ومنظومتان في التوحيد كبرى وصغرى ومنظومة في العروض ومنظومة في البيان ومنظومة في الطب وله لاميتان على محاكاة لأمية بن الوردى كبرى الملوي على السمرقندية توفي في أواخر شعبان من السنة.

ومات الإمام العلامة النبيه الوجيه الفاضل المستعد الشيخ يوسف ابن عبد الله بن منصور الينبلاويني الشهير برزه الشافعي تفقه على بلدية الشيخ أحمد رزة وحضر دروس الشيخ الحفني والشيخ البراوي والشيخ عطية والشيخ الصعيدي وغيرهم من الأشياخ وأنجب ودرس وأفاد ولازم الإقراء وكان إنساناً وجيهاً وحشماً ساكن الجاش وقوراً بهي الشكل قانعاً بحاله لا يتداخل كغيره في أمور الدنيا مجمل الملابس لا يزيد على ركوب الحمار في بعض الأحيان لبعض الأمور الضرورية ولم يزل حتى تعلق وتوفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات العلامة المفيد المفوه المجيد الشيخ عبد الرحمن بن علي بن الإمام العلامة عبد الرؤوف البشبيشي نشأ في حجر والده وحفظ القرآن وحضر الأشياخ وتفقه في مذهب أبيه وجده وهم شافعيون واجتمع بالشيخ الوالد ولازمه ملازمة كلية وحضر عليه في مذهب أبي حنيفة وحفظ كثيراً من الفروع الغربية في المذهب والرياضيات وأقراني في حال الصغر شيئاً من القرآن وحروف الهجاء وكان به بعض رعوته فانتقل الى مذهب أبي حنيفة وأخبر الوالد بذلك يظن سروره في انتقاله فلامه على فعله وانحط قدره عنده من ذلك الوقت وذلك بعد موت والده في سنة 187 وأملق حاله وتكدر باله وسافر بآخره الى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثله ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شؤونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب وكان إنساناً حسناً يذاكر بفوائد مع حسن المعرفة وصحة الذهن وربما تعلق ببعض فنون غريبة ولذا قل حظّه رحمه الله في هذه السنة وحيداً في داره وهو جالس. ومات

المجذوب المعتقد السيد علي البكري

أقام سنيّاً متجرّداً ويمشي في الأسواق عرياناً ويخلط في كلامه ويده نبوت طويل يصحبه معه في غالب أوقاته وقد تقدم ذكره وذكر المرأة التي تبعته المعروفة بالشيخة أمونة وكان يحلق لحيته وللناس فيه اعتقاد عظيم وينصتون الى تخطيطاته ويوجهون ألفاظه ويؤلونها على حسب أغراضهم ومقتضيات أحوالهم ووقائعهم وكان له أخ من مساتير الناس فحجر عليه ومنعه من الخروج وألبسه ثياباً ورغب الناس في زيارته وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته فأقبل الناس عليه من كل ناحية وترددوا لزيارته من كل جهة وأتوا إليه الهدايا والندور وجروا على عوائدهم في التقليد وازدحم عليه الخلائق وخصوصاً النساء فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ونصبه شبكة لصيده ومنعه من حلق لحيته فنبئت وعظمت وسمن بدنه وعظم جسمه من كثرة الأكل والراحة وقد كان قبل ذلك

عرباً شقيماً بيت غالب ليليه بالجوع طاوياً من غير أكل بالأزقة في الشتاء والصيف وقيد به من يخدمه ويراعيه في منامه ويقظته وقضاء حاجته ولا يزال يحدث نفسه ويخلط في ألفاظه وكلامه وتارة يضحك وتارة يشتم ولا يد من مصادفة بعض الألفاظ لما في نفس بعض الزائرين وذوي الحاجات فيعدون ذلك كشفاً وإطلاً على ما في نفوسهم وخطرات قلوبهم ويحتمل أن يكون كذلك فإنه كان من البله المجاذيب المستغرقين في شهود حالهم وسبب نسبتهم هذه أنهم كانوا يسكنون بسويقة البكري لا أنهم من البكرية ولم يزل هذا حاله حتى توفي في هذه السنة واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ودفنوه بمسجد الشرايبي بالقرب من جامع الرويعي في قطعة من المسجد وعملوا على قبره مقصورة ومقاماً يقصد للزيارة واجتمع عند مدفنه في ليل وميعادات قراء ومنشدون وازدحم عند أصناف الخلّاق ويختلط النساء بالرجال ومات أخوه أيضاً بعده بنحو ومات الوجه المكرم والنبية المفخم مصطفى بن صادق أفندي اللازجي الحنفي ولد سنة 174 ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن وبعض المتون في صغره وحفظ البرجلي والشاهدي ومهر في اللغة التركية وتفقه على أبيه وقرأ عليه علم الصرف وحضر على بعض الأشياخ ولزم الشيخ محمد الفرماوي وأخذ عنه النحو وقرأ عليه مختصر السعد وغيره برواق الجيرت بالأزهر ثم تصدر للإفادة والمطالعة لطلبة الأتراك المجاورين برواق الأروام ولبس له تاجاً وفراجة وعمل له مجلس وعظ على كرسي بالجامع المؤيدي وذلك قبل نبات لحيته وكان وسيماً جسيماً بهي الطلعة أبيض اللون رابي البدن فاجتمع لسماع وعظه ومشاهدة ذاته كثير من الناس من أبناء العرب والأتراك والأمراء والأجناد فيقرر لهم بالعربي والتركي بفصاحة وطلاقة لسان وممن كان يحضره علي آغا مستحفظان وهام فيه وأحبه وصار يتردد إليه كثيراً ويذهب هو أيضاً إلى داره كثيراً وكان والده متولياً على وقف إسكندر ومشیخة التكية بباب الخرق فكان هو المتكلم على ذلك عوضاً عن أبيه واتفق أنه حاسب المباشرة على ذلك وهو الشيخ أحمد الصفطة وطالبه بما تأخر عليه فما طلبه فأعزى به علي آغا المذكور فطلب الشيخ أحمد المذكور ونكل به وشهره وعلقه على شباك السبيل بباب الخرق بقاوقه وهيئته واجتمع الناس للفرجة عليه يوماً كاملاً ثم أطلقه فاشتهر أمر المترجم وهابه الناس وأكثر من التردد إلى بيوت الأمراء وعظموه وأحبوه وأكرموه لاتحاد الجنسية وارتباط الحيثية ولما توفي مصطفى أفندي شيخ رواقهم انتبذ هو لطلب المشیخة وذهب إلى مراد بك فألبسه فروة على مشیخة الرواق فتعصب أهل الرواق وأبوا مشیخته عليهم لحدائث سنه واجتمعوا وذهبوا إلى مراد بك فزجرهم ونهرهم وطردهم فرجعوا بقهرهم وسكتوا واستمر شيخاً عليهم يأتي إلى الرواق في كل يوم ويقرأ لهم الدرس كما كان من قبله واشتهر ذكره وعظمت لحيته وصار ذا وجهة عظيمة وسكن داراً عظيمة جهة التبانة من وقف رواقهم ودعا إليه الأعيان والأكابر وعمل لهم ولائم وقدم لهم التّقادّم والهدايا واحتفل به مصطفى آغا الوكيل وسعى له في أشغاله وكتب الدولة في شأنه فأرسلوا له مرتباً بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفاً في كل يوم واتسع حاله وأقبلت عليه الدنيا من كل جهة ومات أبوه في سنة أربع ومائتين وألف وكان ذا مكنة وحرص فأحرز مخلفاته أيضاً وباع تركته وكان سليط اللسان في حق الناس فاتفق له أنه لما حضر حسن باشا إلى مصر فحضر مرة إلى زيارة المشهد الحسيني وجلس مع الشيخ السادات والشيخ البكري فدخل عليهم المترجم فجلس هنيئة ثم قام فسأل عنه حسن باشا فأخبره الشيخ السادات عن أحواله وتكلمه في حق الناس فأمر بنفيه فانزعج عليه والده ثم ذهب إلى حسن باشا وكلمه فرق له ورحم شبيبته وأمر برد ابنه فرجع من ليلته ولم يزل يستعى ويتحیل حتى أحضر حسن باشا إلى داره وجدد معه صداقة وصحبة حتى كاد أن يأخذه صحبته ولم يزل في فوعته وفورته حتى غار ماء حياته وانغلق عن الفتح باب قبره عند مماته وهو مقتبل الشیبة في هذه السنة.

ومات الشيخ المحترم المبجل الشيخ أحمد بن الإمام العلامة سالم النفراوي المالكي نشأ في حجر والده في رفاهية وتنعم ورياسة ولما مات والده تعصب له الشيخ عبد الله الشبراوي وحاز له وظائف والده وتعلقاته وأجلسه للإقراء في مكان درس أبيه وأمر

جماعة أبيه بالحضور عليه وكان الشيخ علي الصعيدي من أكبر طلبة أبيه فتطلع للجلوس في محله وكان أهلاً لذلك فعارضه الشيخ الشبراوي وأقصاه وصدر ولده لذلك مع قلة بضاعته ولتفة في لسانه فحقد ذلك في نفس الشيخ الصعيدي سنيًا وكان المترجم ذا دهاء ومكر وتصدى للقضايا والدعاوي واتخذ له أعوانًا واشتهر ذكره وعد من الكبار وترددت إليه الأمراء والأعيان وصار ذا صولة وهيبة ولما ظهر شأن علي بك كان يرعى له حقه وحالته التي وجده عليها ويقبل شفاعته ويكرمه حتى أنه كان يأتي إليه بداره التي بالجيزة فلما مات علي بك وانتقلت الرئاسة إلى محمد بك وكان له عناية بالشيخ الصعيدي ويسمع لقوله وكان السيد محمد بدوي بن فتوح القباني مباشر المشهد الحسيني يعلم كراهة الشيخ الصعيدي الباطنية للمترجم فيرصد الوقت الذي يحضر فيه الشيخ الصعيدي عند الأمير ويفتح مذكرته والتكلم في حقه فيساعده الشيخ ويظهر المكمن في نفسه من المترجم ويذكرون مساويه وقبائحه وما بيده من الوظائف بغير حق وما تحت نظارته من الأوقاف المتخربة حتى أوغروا صدر الأمير عليه فنزع منه وظائفه وفرقها على من أشاروا عليه بتقليده إياها وأهانته فعند ذلك تسلطت عليه الألسن وكثرت فيه الشكاوى وتجاسر عليه الأندال وتناول عليه الأردال وهدموا بيته الذي بالجيزة لأنه كان تعدي في بنائه وأخذ قطعة من الطريق التي يسلك منها الناس فعند ذلك حمل ذكره وبرد أمره واستمر على ذلك حتى توفي في هذه السنة غفر الله له وسامحه بمنه وكرمه.

سنة ثمان ومائتين وألف فيها أوفى النيل أذرعه في سادس عشر المحرم الموافق لثامن عشر مسرى القبطي وأول برج السنبله وفيها انحلت الأسعار وبورك في رمي الغلال حتى أن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة وبلغ النيل إلى الزيادة المتوسطة وثبت إلى أول بابه وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجاري وحفر الترغ وإصلاح الجسور.

وفي أوائل شهر صفر وصل قاجي من الديار الرومية بطلب مال المصلحة والحلوان فأنزلوه في دار وهادوه ورتبوا له مصروفًا.

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويز الحاج وتشوفوا لحضوره ولم يذهب إليهم في هذه السنة ملاقة بالوش ولا بالازلم وأرسل إبراهيم بك هجاءً يستخبر عن الحاج فذهب ورجع ليلة الثالث والعشرين من شهر صفر وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من سائر النواحي عند مغاير شعيب ونهبوا الحاج وكسروا المحمل وأحرقوه وقتلوا غالب الحاج والمغاربة معهم وأخذوا أحمالهم ودوابهم ونهبوا أثقالهم وانجرح أمير الحج وأصابه ثلاث رصاصات وغاب خبره ثلاثة أيام ثم أحضره العرب وهو عريان في أسوأ حال وأخذوا النساء بأجمالهن والذي تبقى منهم أدخلوه إلى قلعة العقبة وتركهم الهجان بها من غير ماء ولا زاد فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة ما لا مزيد عليه ثم إنهم عينوا محمد بك الألفي وعثمان بك الأشقر ليسافرا بسبب ذلك فخرجا في يوم الخميس سابع عشرين صفر وخطف أتباعهم في ذلك اليوم ما صادفوه من الجمال والبغال والحمير وقرب السقائين التي تنقل الماء من الخليج ونهبوا الخبز من الطوايين والمخابز والكعك والعيش من الباعة وفي يوم خروجهم وصل جماعة من الحاج ودخلوا في أسوأ حال من العري والجوع والتعب فلما وصلوا إلى نخل تلاقوا مع باقي الحاج على مثل ذلك ووجدوا أمير الحاج ذهب إلى غزة وصحبته جماعة من الحاج وأرسل يطلب الأمان ولم يزوروا المدينة في هذه السنة وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال مع عرب حرب ضاع في هذه الحادثة من الأموال والمحزوم شيء كثير جدًا وأخبروا أن مواسم هذا العام كان من أعظم المواسم لم يتفق مثله من مدة مديدة وفي يوم الاثنين غرة ربيع الأول دخل باقي الحاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك وفي صباحها يوم الثلاثاء عملوا الديوان بالقلعة واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ وقرئ المرسوم الذي حضر بصحبة الآغا

فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينة وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمائة كيس وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفاً فضة تسلم ليد الآغا المعين من غير تأخير.

وفيه عملوا على زوجات أمير الحاج ثلاثين ألف ريال وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج وألبسوا زوجته الخاتم قهراً عنها ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بك وهي بنت علي آغا المعمار ووجدت على زوجها وجداً عظيماً وأرسلت جماعة لإحضار رمتة من قبره الذي دفن فيه في صندوق على هيئة تابوت.

وفيه شرع الأمراء في عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة وقرروها عال وهو أربعمائة ريال ووسط ثلثمائة والدون مائة وخمسون وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم.

وفي يوم الخميس سافر حسن كاشف المعمار.

وفي عشرين جمادى الأولى وصل عثمان بك طبل الاسماعيلي أمير الحاج الى مصر مكسوف البال ودخل الى بيته.

وفيه حضر الصدر الأعظم يوسف باشا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز فاعتنى الأمراء بشأنه وأرسلوا له ملاقة وتقادم وهدايا وفرشوا له قصر العيني ووصل الى مصر وطلع من المراكب الى قصر العيني وأرسلوا له تقادم وضيافات ثم حضروا للسلام عليه في زحمة وكبكية فخلع على ابراهيم بك ومراد بك خلعة ثمينة وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين ثم نزل الباشا المتولي بعد يومين وسلم عليه ورجع القلعة وأقاموا لخفارته عبد الرحمن بك الابراهيمى جلس بالقصر المواجه لقصر العيني وقد تخلوا من حضوره وظنوا ظنوناً وفي يوم الأحد ثالث جمادى الثانية طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولي فجلس عنده الى بعد الظهر ونزل في موكب حافل الى محله بقصر العيني وأرسل له ابراهيم بك ومراد بك مع كتحدايهم هدية وهي خمسمائة أردب قمح ومائة أردب أرز وتعبيات أقمشة هندية وغير ذلك وأقام بالقصر أياماً وقضوا أشغاله وهيئوا له اللوازم والمراكب بالسويس وركب في أواسط جمادى الثانية وذهب الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم وانقضت هذه السنة وحوادثها واستهلت أخرى.

من مات فيها من الأعيان ومن سارت بذكرهم الركبان مات نادرة الدهر وغرة وجه العصر إنسان عين الأقاليم فريد عقد المجد النظيم جامع الفضائل والمحاسن ومظهر اسم الظاهر والباطن من ليس رداء النجاة في صباه ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده الحسيب والنسيب والنقيب الأريب السيد محمد أفندي البكري الصديقي شيخ سجادة البكرية ونقيب السادة الأشراف بمصر المحمية تقلد بعد والده المنصبين وورث عنه السيادتين فسار فيهما سيرة الملوك ونثر فرائد المكارم من أسلاك السلوك فجوده حدث عن البحر ولا حرج وبراعة منطقته تلج سلب الأبواب والمهج مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال وأخبار غنية عن البيان مسطرة في صحف الإمكان زمانه كأنه عروس الفلك فكم قال له الدهر أما الكمال فلك ولم يزل كذلك الى أن أذنت شمسها بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال وقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الثامن وخرجوا بجنازته من بيتهم بالأزكية وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن عند أجداده بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه وبالجمله فهو كان مسك الختام قلما تسمح

بمثله الأيام ولما مات تولى سجادة الخلافة البكرية ابن خاله سيدي الشيخ خليل أفندي وتقلد النقابة السيد عمر أفندي الأسيوطي.

ومات علامة العلوم والمعارف وروضة الآداب الوريقة وظلها الوارف جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب الإمام العلامة الشيخ أحمد ابن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي الشافعي الأزهري ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوي الصحيح بالمشهد الحسيني وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي الصحيح والبيضاوي والجلالين وعلى السيد البليدي البيضاوي في الأشرفية وعلى الشمس الحفني الصحيح مع شرحه للقسطلاني ومختصر بن أبي جمرة والشمائل وابن حجر على الأربعين والجامع الصغير وتفقه على كل من الشبراوي والعزيري والحفني والشيخ علي قايتباي الإطفيحي والشيخ حسن المدابغي والشيخ سابق والشيخ عيسى البراوي والشيخ عطية الأجهوري وتلقى بقية الفنون عن الشيخ علي الصعيدي لازمه السنين العديدة وكان معيّدًا لدروسه وسمع عليه الصحيح بجامع مرزه ببولاق وسمع من الشيخ ابن الطيب الشمائل لما ورد مصر متوجهًا إلى الروم وحضر دروس الشيخ يوسف الفني والشيخ إبراهيم الحلبي وإبراهيم بن محمد الدلجي ولزم الشيخ الوالد وأخذ عنه وقرأ عليه في الرياضيات والجبر والمقابلة وكتاب الرقائق للسيط وقوللي زاده على المجيب وكفاية القنوع والهداية وقاضي زادة وغير ذلك وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكري ولزاه كثيرًا واجتمع بعد ذلك على ولي عصره الشيخ أحمد العريان فأحبه ولزاه واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخ الجامع الأزهر فظهر ذلك بعد وفاته بمدة لما توفي شيخنا الشيخ أحمد الدمنهوري واختلفوا في تعيين الشيخ فوَقعت الإشارة عليه واجتمعوا بمقام الإمام الشافعي رضي الله عنه كما تقدم واختاروه لهذه الخطة العظيمة فكان كذلك واستمر شيخ الجامع على الإطلاق ورئيسهم بالاتفاق يدرس ويعيد ويملي ويفيد ولم يزل يراعي للحقير حق الصحة القديمة والمحبة الأكيدة وسمعت من فوائده كثيرًا ولزمت دروسه في المغني لابن هشام بتمامه وشرح جمع الجوامع للجلال المحلي والمطول وعصام على السمرقندية وشرح رسالة الوضع وشرح الورقات وغير ذلك وكان رقيق الطباع مليح الأوضاع لطيفًا مهذبًا إذا تحدث نفت الدر وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر ولم تزل كؤوس فضله على اطلبة مجلوة حتى ورد موارد الموت ودعاه الله تعالى بجوار الجنان وتلقاه جدته بروح رحمة ورضوان وذلك في حادي عشرين شعبان وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بمدفن صهره الشيخ العريان تغمده الله بالرحمة والرضوان ومن تأليفه شرح على نظم التنوير في إسقاط التدبير للشيخ الملوي وهو نظم وحاشية على الملوي على السمرقندية وغير ذلك وخلف أولاده الأربعة كلهم فضلاء أذكيا نباء أحدهم الذي تعين بالتدريس في محله بالأزهر العلامة اللوذعي والفهامة الألمعي شمس الدين السيد محمد وأخوه النيل الفاضل المتقن شهاب الدين السيد أحمد وأخوه الذكي اللبيب والفهم النجيب السيد عبد الرحمن والنبية الصالح والمفرد الناجح السيد مصطفى برك الله فيهم.

ومات الخواجة المعظم والملاذ المفخم حائز رتب الكمال وجامع مزايا الأفضال سيدي الجامع محمود بن محرم أصل والده من الفيوم واستوطن مصر وتعاطى التجارة وسافر إلى الحجاز مرارًا واتسعت دنياه وولد له المترجم فتربى في العز والرفاهية ولما ترعرع وبلغ رشده وخالط الناس وشارك وباع واشترى وأخذ وأعطى ظهرت فيه نجابة وسعادة حتى كان إذا مسك التراب صار ذهبًا فانجمع والده وسلم له قياد الأمور فاشتهر ذكره ونما أمره وشاع خبره بالديار المصرية والحجازية والشامية والرومية وعرف بالصدق والأمانة والنصح فأذعنت له الشركاء والوكلاء ووثقوا بقوله ورأيه وأحبه الأمراء المصرية وتداخل فيهم بعقل وحشمة وحسن سير وفطانة ومدارة وتؤدة وسياسة ولطف وأدب وحسن تخلص في الأمور الجسيمة وعمر داره ووسعها وأتحفها وزخرفها وأنشأ بها قاعة عظيمة وأمامها فسحة مليحة الشكل وحول القاعة بستان بديع المثل وهي مطلة عليه

من الجهتين وزوج ولده سيدي أحمد الموجود الآن وعمل له مهمًا عظيمًا دعا إليه الأكابر والأعيان والتجار وتفاخر فيه إلى الغاية وعمر مسجدًا بجوار بيته بالقرب من حبس الرحبة فجاء في غاية الإتقان والحسن والبهجة ووقف عليه بعض جهات ورتب فيه وظائف وتدريسًا وبالجملة كان إنسانًا حسنًا وقورًا محتشمًا جميل الطباع مليح الأوضاع ظاهر العفاف كامل الأوصاف حج في هذه السنة من القلزم ورجع في البر مع الحجاج في إمارة عثمان بك الشرقاوي على الحج في أحمال مجملته وهيئة زائدة مكمله فصادفتهم شوبة فقضي عليه فيها ودفن بالخوف ولم يخلف في بابه مثله رحمه الله.

ومات الأمير حسن كاشف المعمار وأصله مملوك محمود بك وأعطاه لعللي آغا المعمار أخذه صغيرًا ورباه ودربه في الأمور وزوجه ابنته وعمل لزواجهما مهمًا وولائم ولما مات سيده قام مقامه وفتح بيته ووضع يده على تعلقاته وبلاده ونما أمره وانتظم في سلك الأمراء المحمدية لكونه في الأصل مملوك محمد بك وخشداشهم وكان رئيسًا عاقلًا ساكن الجأش جميل الصورة واسع العينين أحورهما ولما حج في هذه السنة وخرجت عليهم العرب ركب وقاتلهم حتى مات شهيدًا ودفن بمغاير شعيب ونهب متاعه وأحماله وحزنت عليه زوجته الست حفيظة ابنة علي آغا حزنا شديدًا وأرسلت مع العرب ونقلته إلى مصر ودفنته عند أبيها بالقرافة وزوجته المذكورة هي الآن زوجة لسليمان بك المرادي.

ومات الأمير شاهين بك الحسني وقد تقدم أنه كان حضر إلى مصر رهينة وسكن بيت بالقرب من الموسكي وهو مملوك حسن بك الجداوي أمره أيام حسن باشا وسكن بيت مصطفى بك الكبير الذي على بركة الفيل المعروف سابقًا بشكر فره وصار من جملة الأمراء المعدودين ولما مات اسمعيل بك وحصل على ما تقدم من قدوم المحمدين وخرجهم فحضر المترجم صحبة عثمان بك الشرقاوي رهينة عن سيده وأقام بمصر وكان سبب موته أن إنسانًا كلمه عن أصول الصبغة التي تنبت بالغيطان ولها ثمر يشبه عنب الديب في عناقيد يصبغ منه القراشون مياه القناديل في المواسم والأفراح وإن من أكل من أصولها شيئًا أسهله إسهالًا مفرطًا ولم يذكر له المسكن لذلك ولعله كان يجهله فأرسل من أتى له بشيء منها من البستان وأكل منه فحصل له إسهال مفرط حتى غاب عن حسه ومات وتسكين فعلها إذا بلغت غايتها أن يمتص شيئًا من الليمون المالح فإنها تسكن في الحال ويفيق الشخص كان لم يكن به شيء ومات الأمير أحمد بك الوالي قبلي وهو أيضًا مملوك حسن بك الجداوي وقد تقدم ذكره ووقائعه مع أهل الحسينية وغيرهم في أيام زعامته.

لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتابع مظالمهم واتخذ مراد بك الجيزة سكنًا وزاد في عمارته واستولى على غالب بلاد الجيزة بعضها بالثمن القليل وبعضها غصبًا وبعضها معاوضة واتخذ صالح آغا أيضًا له دارًا بجانبه وعمرها وسكنها بحرime ليكون قريبًا من مراد بك.

وفي سابع عشرين المحرم الموافق لعشرين شهر مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وكسر السد في صباحها بحضرة الباشا والأمراء وجرى الماء في الخليج.

وفي شهر صفر ورد الخبر بوصول صالح باشا والي مصر إلى اسكندرية وأخذ محمد باشا في أهبة السفر ونزل وسافر إلى جهة اسكندرية.

وفي عشرين شهر ربيع الأول وصل صالح باشا إلى مصر وطلع إلى القلعة.

وفي أواخره ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة إلى محمد باشا عزت المنفصل عن مصر وورد عليه التقليد وهو باسكندرية وكان صالح آغا الوكيل ذهب صحبته ليشيعه إلى

اسكندرية فأنعم إليه بفرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة في كل يوم.

وفي ليلة السبت خامس عشر ربيع الثاني أمطرت السماء مطرًا غزيرًا قبل الفجر وكان ذلك آخر باب القبطي.

وفي شهر الحجة وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوي له حصة في قرية بشرقية بلبيس حضر إليه أهلها وشكوا من محمد بك الألفي وذكروا أن أتباعه حضروا إليهم وظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه واستغاثوا بالشيخ فاغتاط وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع وذلك بعد ما خاطب مراد بك وإبراهيم بك فلم يبديا شيئًا ففعل ذلك في ثاني يوم وقفلوا الجامع وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت ثم ركبوا في ثاني يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا إلى بيت الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم إبراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم فقالوا له: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعوها وأحدثتموها فقال: لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والنفقات فقليل له: هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس وما الباعث علي الإكثار من النفقات وشراء الممالك والأمير يكون أميرًا بالإعطاء لا بالأخذ فقال: حتى أبلغ وانصرف ولم يعد لهم بجواب وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية وابتاتوا بالمسجد وأرسل إبراهيم بك إلى المشايخ يعضدهم ويقول لهم أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادي وأرسل إلى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك فبعث مراد بك يقول: أجيئكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية ونبتل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثنانًا ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي في الصلح على ما ذكر ورجعوا من عنده وابتاتوا على ذلك تلك الليلة وفي اليوم الثالث حضر الباشا إلى منزل إبراهيم بك واجتمع الأمراء هناك وأرسلوا إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيد والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير وكان المرسل إليهم رضوان كتحدا إبراهيم بك فذهبوا معه ومنعوا العامة من السعي خلفهم ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسًا موزعة وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق ويبطلوا رفع الظلم المحدث والكشوفيات والتفاريذ والمكوس ما عدا ديوان بولاق وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس ويرسلوا صرة الحرمين والعوائد المقررة من قديم الزمان ويسيروا في الناس سيرة حسنة وكان القاضي حاضريًا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وفرمن عليها الباشا وختم عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضًا وانجلت الفتنة ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم ينادون حسب ما رسم سادات العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية وفرح الناس ووطنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة ونزل عقيب ذلك مراد بك إلى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك.

ومات الإمام العلامة والرحلة الفهامة بقية المحققين وعمدة المدققين الشيخ المعمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب السمنودي المحلي الشافعي من بيت العلم والصلاح والرشد والفلاح وأصلهم من سمنود ولد هو بالمحلة وقدم الجامع الأزهر وحضر على الشمس السجيني والعزيزي والملوي والشبراوي وتكمل في الفنون الغربية وتلقى عن السيد على الضرب والشيخ محمد الغلاني الكشناوي مشارفًا للشيخ والوالد والشيخ

ابراهيم الحلبي وعاد الى المحلة فدرس في الجامع الكبير مدة ثم أتى الى مصر بأهله وعياله ومكث بها وأقرأ بالجامع الأزهر درسًا وتردد الى الأكابر والأمراء وأجلوه وقرأ في المحمدية بعد موت الشنوبهي في المنهج وانضوى الى الشيخ أبي الأنوار السادات ويأتي إليه في كل يوم وكان إنسانًا حسنًا بهي الشكل لطيف الطباع عليه رونق وجلالة جميل المحادثة حسن الهيئة توفي بعد أن تغلّ دون شهر عن مائة وست عشرة سنة كامل الحواس إذا قام نهض نهوض الشباب ودفن ببستان المجاورين وكان يتكتم سني عمره رحمه ومات الإمام العلامة واللوزعي الفهامة رئيس المحققين وعمدة المدققين النحوي المنطقي الجدلي الأصولي الشيخ أحمد بن يونس الخليلي الشافعي الأزهري من قرابة الشهاب الخليلي ولد سنة 131 كما سمعته من لفظه وقرأ القرآن وحفظ المتون وحضر على كل من الشبراوي والحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ محمد الدقري والدمهوري وسالم النفراوي والطحلاوي والصعيدى وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري ودرس وأفاد بالجامع الأزهر وتقلد وظيفة الإفتاء بالمحمدية عندما انحرف يوسف بك على الشيخ حسن الكفراوي كما تقدم فاتخذ الشيخ أحمد أبا سلامة أمينًا على فتاويه لجودة استحضاره في الفروع الفقهية وله مؤلفات منها حاشية على شرح شيخ الإسلام على متن السمرقندية في آداب البحث وأخرى على شرح الملوي في الاستعارات وأخرى على شرح المذكور على السلم في المنطق وأخرى على شرح شيخ الإسلام على آداب البحث وأخرى على شرح الشمسية في المنطق وأخرى على متن الياسمينية في الجبر والمقابلة وشرح على أسماء التراجم ورسالة متعلقة بالأبحاث الخمسة التي أوردها الشيخ الدمهوري ولازم الشيخ الوالد مدة وتلقى عنه بعض العلوم الغربية وكملها بعد وفاته على تلميذه محمود أفندي النيشي وكان جيد التقرير غاية في التحرير وبميل بطبعه الى ذوي الوسامة والصور الحسان من الجدعان والشبان فإذا رجع من درسه خلع زي العلماء ولبس زي العامة وجلس بالأسواق وخالط الرفاق ويمشي كثيرًا بين المغرب والعشاء بالخفيفة نواحي داره جهة بين السيارج وغيرها ويرى في بعض الأحيان على تلك الصورة في الأوقات المذكورة في نواح بعيدة عن داره وسافر مرة الى جهة قبلي في سفارة بين الأمراء أيام عابدي باشا ولم يزل على ذلك الى أن توفي في أوائل رجب من هذه السنة سامحه الله. ومات

العمدة الجليل والنبه النبيل العلامة الفقيه المفوه الشريف الضير

السيد عبد الرحمن بن يكار الصفاقسي نزيل مصر قرأ في بلاده على علماء عصره ودخل كرسي مملكة الروم فأكرم وانسلخ عن هيئة المغاربة ولبس ملابس المشاركة مثل التاج والفراجة وغيرها وأثرى وقدم الى مصر وألقى دروسًا بالمشهد الحسيني وتأهل وولد له ولد به فضيلة ونجاة واتحد بشيخ السادات الوقائية السيد أبي الأنوار فراج حاله وزاده شوخته على أبناء جنس وتردد الى الأمراء وأشير إليه ودرس كتاب الغرر في مذهب الحنفية وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني وسار فيها أحسن سيرة مع شهامة وصرامة وفصاحة لفظ في الإلقاء وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضر اللطائف والمناسبات ليس فيه عريضة ولا فضاظة ويميل بطبعه الى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة توفي رحمه الله في هذه السنة وولى بعده على مشيخة رواقهم الشيخ سالم بن مسعود.

ومات الفقيه العلامة الصالح الصوفي الشيخ أحمد بن أحمد السماليجي الشافعي الأحمدي المدرس بالمقام الأحمدي بطنداء ولد ببلده سماليج بالمنوفية وحفظ القرآن وحضر على الشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الخشني والشيخ أحمد الدردير ورجع الى طنداء فاتخذها سكنًا وأقام بها يقرئ دروسًا ويفيد الطلبة ويفتي على مذهبه ويقضي بين المتنازعين من أهالي البلاد فراج أمره واشتهر

ذكره بتلك النواحي ووثقوا بفتياه وقوله وأتوه أفواجًا بمكانه المسمى بالصف فوق باب المسجد المواجه لبית الخليفة وتزوج بامرأة جميلة الصورة من بلد الفرعونية وولد منها ولد سماه أحمد كأنما أفرغ في قالب الجمال وأودع بعينه السحر الحلال فلما ترعرع حفظ القرآن والمتون وحضر على أبيه في الفقه والفنون وكان نجيبًا جيد الحافظة يحفظ كل شيء سمعه من مرة واحدة ونظم الشعر من غير قراءة شيء في علم العروض أول ما رأيته في سنة 1189 في أيام زيارة سيدي أحمد البدوي فحضر إلي وسلم علي وأنسني بحسن ألفاظه وجذبي بسحر ألحظه ولما بلغ زوجه والده بزوجتين في سنة واحدة ولم يزل يجتهد ويشغل حتى مهر وأنجب ودرس لجماعة من الطلبة وحضر إلى مصر مع والده مرارًا وتردد علينا واجتمع بنا كثيرًا في مواسم الموالد المعتادة إلى أن اخترمته في شبابه المنية وحالت بينه وبين الأمانة وذلك في سنة ثلاث ومائتين وخلف ولدًا صغيرًا استأنس به جده المترجم وصبر على ومات الرجل المعظم والملاذ المفخم الأمير حسين بن السيد محمد الشهيد بدرب الشمس القادري وأبوه محمد أفندي كاتب صغير بوجاق التفكجيان وهو ابن حسين أفندي باش اختيار تفكجيان تابع المرحوم حسن جوربجي تابع المرحوم رضوان بك الكبير الشهير صاحب العمارة ولما مات والد المترجم اجتمع الاختيارية وقلدوا ابنه المذكور منصب والده في بابه وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبة وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة وألف ونوه بشأنه وفتح بي أبيه وعد في الأعيان واشتهر ذكره وكان نجيبًا نبيهًا ولم يزل حتى صار من أرباب الحل والعقد وأصحاب المشورة ولما استقل علي بك بإمارة مصر أخرجه هو وإخوته من مصر ونفاهم إلى بلاد الحجاز فأقاموا بها سبع سنوات إلى أن استقل محمد بك الإمارة فأحضرهم وأكرمهم ورد إليهم بلادهم فاستمروا بمصر لا كالحالة الأولى مع الوجهة والحرمة الوافرة وكان إنسانًا حسنًا فطنًا طعرف مواقع الكلام ويكره الظلم وهو إلى الخير أقرب واقتنى كتبًا كثيرة نفيسة في الفنون وخصوصًا في الطب والعلوم الغربية ويسمح بإعارتها لمن يكون أهلًا لها ولما حضرته الوفاة أوصى أن لا يخرجوا جنازته على الصورة المعتادة بمصر بل يحضرها مائة شخص من القادرية يمشون أمامه في المشهد وهم يقرأون الصمدية سر الأغير وأوصى لهم بقدر معلوم من الدراهم فكان كذلك.

ومات الأمير محمد آغا بن محمد كتحدا أباطة وقد تقدم أنه كان تولى الحسبة في أيام حسن باشا وسار فيها سيرًا بشهامة وأخاف السوق وعاقبهم وزجرهم واتفق أنه وزن جانبًا من اللحم وجده مع من اشتراه ناقصًا وأخبره عن جزاره فذهب إليه وكملها بقطعة من جسد الجزار ثم انفصل عن ذلك وعمل كتحدا عند رضوان بك إلى أن مات رضوان بك ولم يزل معدودًا في عداد الأمراء الأكابر إلى أن توفي في هذه السنة.

ومات العمدة الصالح الورع الصوفي الضرير الشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي الأصل خليفة شيخنا الشيخ محمود الكردي حضر إلى مصر وجاور بالأزهر وحضر على الأشياخ في فقه مذهبه وفي المعقول وأخذ الطريق على شيخنا الشيخ محمود المذكور ولقنه الأسماء على طريق الخلوتية والأوراد والأذكار وانسلخ من زي المغاربة وألبسه الشيخ التاج وسلك سلوكًا تامًا ولازم الشيخ ملازمة كلية بحيث أنه لا يفارق منزله في غالب أوقاته ولاحت عليه الأنوار وتحلى بحلل الأبرار وأذن له الشيخ بالتلقين والتسليك ولما انتقل إلى رحمة الله تعالى صار هو خليفته بالإجماع من غير نزاع وجلس في بيته وانقطع للعبادة واجتمع عليه الجماعة في ورد العصر والعشاء ولقن الذكر للمريدين وسلك الطريق للطالبين وانجذبت القلوب إليه واشتهر ذكره وأقبلت عليه الناس ولم يزل على حسن حاله حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل.

ومات الذمي المعلم ابراهيم الجوهري رئيس الكتبة الأقباط بمصر وأدرك في هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم

يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم وأول ظهوره من أيام المعلم رزق كاتب علي بك الكبير ولما مات علي بك والمعلم رزق ظهر أمر المترجم ونما ذكره في أيام محمد بك فلما انقضت أيام محمد بك وترأس ابراهيم بك قلده جميع الأمور فكان هو المشار إليه في الكليات والجزئيات حتى دفن الروزنامة والميري وجميع الإيراد والمنصرف وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده وإشارته وكان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يعزب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ويداري كل إنسان بما يليق به من المداراة ويحايي ويهادي ويواسي ويفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة ويهادي ويبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء وعند دخول رمضان يرسل الى غالب أرباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوي وعمرت في أيامه الكنائس وديور النصارى وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال وحزن ابراهيم بك لموته وخرج في ذلك اليوم الى قصر العيني حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به الى المقبرة وتأسف على فقدته تأسفاً زائداً وكان ذلك في شهر القعدة من السنة.

لم يقع بها شيء من الحوادث التي يعتني بتقييدها سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم.

وفيهما في غرة شهر الحجة عزل صالح باشا ونزل الى قصر العيني ليسافر فأقام هناك أياماً وسافر الى الاسكندرية.

ومات بها الإمام العلامة المفيد الفهامة عمدة المحققين والمدققين الصالح الورع المذهب الشيخ عبد الرحمن النحراوي الأجهوري الشهير بمقرى الشيخ عطية خدم العلم وحضر فضلاء الوقت ودرس وتمهر في المعقول والمنقول ولازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية وأعاد الدروس بين يديه واشتهر بالمقرئ وبالأجهوري لشدة نسبه الى الشيخ المذكور ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفني ولقنه الأذكار والبسه الخرقة والتاج وأجازه بالتلقين والتسليك وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات ويلزم المبيت في ضريح الإمام الشافعي في كل ليلة سبت يقرأ مع الحفظة بطول الليل وكان إنساناً متواضعاً لا يرى لنفسه مقاماً يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به الى الفران ويعود به الى عياله فإن اتفق أن أحداً رآه ممن يعرفه حمله عنه وإلا ذهب به ووقف بين يدي الفران حتى يأتيه الدور ويخبز له وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل ولم يزل مقبلاً على شأنه وطريقته حتى نزلت به الباردة وبطل شقه واستمر على ذلك نحو السنة وتوفي الى رحمة الله تعالى غفر الله له.

ومات العمدة العلامة والرحلة الفهامة الفقيه الفاضل ومن ليس له في الفضل مناضل الشيخ حسن بن سالم الهواري المالكي أحد طلبة شيخنا الصعيدي لازمه في دروسه العامة وحصل بجده ما به ناموس جاهه أقامه وبعد وفاة شيخه ولي مشيخة رواق الصعايدة وساس فيهم أحسن سياسة بشهامة زائدة مع ملازمته للدروس وتكلمه في طائفته مع الرئيس والمروؤوس وكان فيه صلابة زائدة وقوة جنان وشدة تجارى واشترى خرابة بسوق القشاشين بالقرب من الأزهر وعمرها داراً لسكنه وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه وهدم مكتب المدرسة السنانية وكان مكتباً عظيماً ذا واجهتين وعامودين وأربع بوائك وزاوية جداره من الحجر النحيت عجبية الصنعة في البروز والإتقان فهدمه وأدخله في بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق أو خوف خالق وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين وجمال الأعيان المارين عليهم فيستعملونها في نقل تراب الشيخ لأجل التبرك إما قهراً أو محابةً ويأخذ من مياسير الناس والسوقة دراهم على سبيل القرض الذي لا يرد وكذلك المؤمن حتى تتممها على هذه الصورة وسكن فيها وأحرق به الجلاوزة من الطلبة

يغدون ويروحون في الخصومات والدعاوى وبأخذون الجعالات والرشوات من المحق والمبطل ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه ولو عظيمًا من غير مبالاة ولا حياء ومن اشتد عليهم اجتمعوا عليه من كل فج حتى يوابين الوكائل وسكان الطباق وباعة النشوق وينسب الكل الى الأزهر ومن عدلهم أو لامهم كفروه ونسبوه الى الظلم والتعدي والاستهزاء بأهل العلم والشرعية وزاد الحال وصار كل من رؤساء الجماعة شيخًا على انفراده يجلس في ناحية ببعض الحوانيت يقضي ويأمر وينهي وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة فانكفوا ومرض شيخهم بالتشيخ شهورًا وتوفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات الإمام الفقيه العلامة والفاضل الفهامة عثمان بن محمد الحنفي المصري الشهير بالشامي ولد بمصر وتفقه على علماء مذهبه كالسيد محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ حسن المقدسي والشيخ الوالد وأتقن الآلات ودرس الفقه في عدة مواضع وبالأزهر وانتفع به الناس وقرأ كتاب الملتقى بجامع قوصون وكان له حافظة جيدة واستحضر في الفروع ولا يمسك بيده كراسًا عند القراءة ويلقي التقرير عن ظهر قلب مع حسن السبك وألف متنًا مفيدًا في المذهب ثم حج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقطن بالمدينة وطلب عياله في ثاني عام وباع ما يتعلق به وتجرد على المجاورة ولزم قراءة الحديث والفقه بدار الهجرة وأحبه أهل المدينة وتزوج وولد له أولاد ثم تزوج بأخرى ولم يزل على ذلك حتى توفي رحمه الله تعالى في هذه السنة.

ومات العمدة الفاضل المفوه النبيه المناضل الحافظ المجود الأديب الماهر صاحب الشيخ شمس الدين بن عبد الله بن فتح الفرغلي المحمدي الشافعي البربائي نسبة الى سبرباي قرية بالغربية قرب طندتا وبها ولد ونسبه يرجع الى القطب سيدي الفرغلي المحمدي من ولد سيدنا محمد بن الحنفية صاحب أبي تيج من قرى الصعيد تفقه على علماء عصره وأنجب في المعارف والفهوم وعانى الفنون فأدرك من كل فن الحظ الأوفر ومال الى فن الميقات والتقويم فنال من ذلك ما يرومه وألف في ذلك وصنف زيجًا مختصرًا دل على سعة باعه ورسوخه في الفن ومعرفة القواعد والأصول ودقائق الحساب ونهج مسك الأدب والتاريخ والشعر ففاق فيه الأقران ومدح الأعيان وصاحبناه وساجلناه كثيرًا عندما كان يأتينا مصر ويطندتا في الموالد المعتادة فكان طودًا راسخًا وبحرًا زاخرًا مع دماثة الأخلاق وطيب الأعراق ولين العريكة وحسن العشرة ولطف الشمائل والطباع وكان يلي نياحة القضاء ببلده وبالجملة فكان عديم النظير في أقرانه لم أر من يدانيه في أوصافه الجميلة وله مصنفات كثيرة منها الضوابط الجلية في الأسانيد العلية ألفه سنة 1177 وذكر فيه سنده عن الشيخ نور الدين أبي الحسن سيدي علي بن الشيخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد العربي الفاسي المغربي الشهير بالسقاط وسليقته في الشعر عذبة رائقة كلامه بديع مقبول في سائر أنواعه من المدح والرثاء والتشبيب والغزل والحماسة والجد والهزل وله ديوان جمع فيه أمداحه صلى الله عليه وسلم وسماه عقود الفرائد توفي في شهر ربيع الأول من السنة ببلده ودفن هناك رحمه الله تعالى.

سنة إحدى عشرة واثنيتي عشرة ومائتين وألف لم يقع فيهما من الحوادث التي تتشوف لها النفوس أو تشتاق إليها الخواطر فتقيد في بطون الطروس سوى ما تقدمت إليه الإشارة من أسباب نزول النوازل وموجبات ترادف البلاء المتراسل ووقوع الإنذارات الفلكية والآيات المخوفة السماوية وكلها أسباب عادية وعلامات من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات فبالنظر في ملكوت السموات والأرض يستدلون وبالنجم هم يهتدون فمن أعظم ذلك حصول الخسوف الكلي في منتصف شهر الحجة ختان سنة اثنيتي عشرة بطالع مشرق الجوزاء المنسوب إليه إقليم مصر وحضر طائفة الفرنسيين إثر ذلك في أوائل السنة التالية كما سيأتي خبر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

من مات في هذين العامين ممن له ذكر وشهرة مات العمدة العلامة والفقير الفهامة الشيخ علي بن محمد الأشبولي الشافعي كان والده أحد العدول بالمحكمة الكبرى وكان ذا ثروة وشهرة ولما كبر ولده المترجم حفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم وحضر الدروس وتفقه على أشياخ الوقت ولازم الشيخ عيسى البراوي وتمهر في المعقول وأنجب وتصدر ودرس وانتظم في سلك الفضلاء والنبلاء وصار له ذكر وشهرة ووجاهة ومات والده فأحرز طريقه وتآله وكان لأبيه دار بحارة كتامة المعروفة بالعينية بقرب الأزهر وأخرى عظيمة بقناطر السباع على الخليج وأخرى بشاطئ النيل بالجيزة فكان ينتقل في تلك الدور ويتزوج حسان النساء مع ملازمته للإقراء والإفادة وحدثه نفسه بمشيخة الأزهر وكان بيده عدة وظائف وتداريس مثل جامع الآثار والنظامية ولم يباشرها إلا نادرًا ويقبض معلومها المرتب لها ولم يزل حتى تغل وتوفي سنة 1111.

ومات الأديب الماهر الصالح الجليس الأنيس السيد ابراهيم بن قاسم ابن محمد بن محمد بن علي الحسيني الرويدي المكتب المكنى بأبي الفتح ولد بمصر كما أخبر عن نفسه سنة 1127 وحفظ القرآن وجوده على الشيخ الحجازي غنام وجود الخط على الشيخ أحمد بن اسمعيل الأفقم على الطريقة المحمدية فمهر فيه وأجازه فكتب بخطه الحسن الفائق كثيرًا من المصاحف والأحزاب والدلائل والأدعية والقطع وأشار إليه بالرياسة في الفن وكان إنسانًا حسنًا متمشدًا يحفظ كثيرًا من نواذر الأشعار وغرائب الحكايات وعجائب المناسبات وروايتها على أحسن أسلوب وأبلغ مطلوب وسمعت كثيرًا من إنشاده لم يعلق بذهني منها شيء وقد تفرد بمحاسن لم يشاركه فيها أهل عصره منها صحة الوضع وتكملة على أصوله بغاية التحرير توفي سنة إحدى عشرة رحمه الله تعالى.

ومات النبيه الأريب والفاضل النجيب الناظم الناصر المفوه اسمعيل أفندي بن خليل بن علي بن محمد بن عبد الله الشهير بالظهوري المصري الحنفي المكتب كان إنسانًا حسنًا قانعًا بحاله يتكسب بالكتابة وحسن الخط وقد كان جوده وأتقنه على أحمد أفندي الشكري وكتب بخطه الحسن كثيرًا من الكتب والسبع المنجيات ودلائل الخيرات والمصاحف وكان له حاصل يبيع به من القهوة بوكالة البقل بقرب خان الخليلي وله معرفة جيدة بعلم الموسيقى والألحان وضرب العود وينظم الشعر وله مدائح وقصائد وموشحات توفي رحمه الله تعالى سنة 1211 ومات الأجل الأمثل والوجيه الأواحد المبجل حسين أفندي قلعة الشرقية والده الأمير عبد الله من ممالك داود صاحب عيار وترى المترجم عند محمد أفندي البرقوقي وزوجه ابنته.

وعانى قلم الكتابة واصطلاح كتابة الروزنامة ومهر في ذلك فلما توفي محمد أفندي كتابة الروزنامة قلده قلعة الشرقية ولم تطل مدى محمد أفندي ومات بعد شهرين فاستولى المترجم على تعلقاته وراج أمره واشترى بيتًا جهة الشيخ الظلام وانتقل إليه وسكن به وساس أموره واشتهر ذكره وانتظم في عداد الأعيان واقتنى السراري والجواري والممالك والعبيد وكان إنسانًا لا بأس به جميل الأخلاق حسن العشرة مع الرفاق مهذب الطباع لين العريكة واقفًا على حدود الشريعة لا يتداخل فيما لا يعنيه مليح الصورة والسيرة توفي رحمه الله أيضًا سنة 1211.

ومات العمدة العلامة النبيه الفهامة بضعة السلالة الهاشمية وطراز العصاة المطلية الفصيح المفوه السيد حسين بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن أحمد بن أحمد بن حمادة المنزلاوي الشافعي خطيب جامع المشهد الحسيني وأم أبيه السيد عبد الرحمن فاطمة بنت السيد محمد العمري ومنها أتاه الشرف حضر على الشيخ الملوي والحنفي والجوهري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والشيخ البسيوني والشيخ خليل المغربي وأخذ أيضًا عن سيدي محمد الجوهري الصغير والشيخ عبد الله إمام مسجد الشعراي والشيخ سعودي الساكن بسوق الخشب وتصلع بالعلوم والمعارف وصار له ملكة وحافظة ولسانة

واقترار تام واستحضار غريب وينظم الشعر الجيد والنثر البليغ وأنشأ الخطب البديعة وغالب خطبه التي كان يخطب بها بالمشهد الحسيني من إنشائه على طريقة لم يسبق إليها وانصوى الى الشيخ أبي الأنوار السادات وشملت أنواره ومكارمه ويصلي به في بعض الأحيان ويخطب بزوايتهم أيام المواسم ويأتي فيهما بمدائح السادات وما تقتضيه المناسبات توفي في منتصف شهر شعبان من السنة غفر الله لنا وله.

وهي أول سني الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.

في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الاسكندرية ومضمونها أن في يوم الخميس ثامن حضر الى الثغر عشرة مراكب من مراكب الانكليز ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أيضاً فانتظر أهل الثغر ما يريدون وإذا بقارب صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض السيد محمد كريم الآتي ذكره فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا أنهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيين لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندري أين قصدهم فربما دهموكم فلا تقدرّون على دفعهم ولا تتمكنوا من منعهم فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول وظن أنها مكيدة وجابوهم بكلام خشن فقالت رسل الانكليز: نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمانه فلم يجيبوهم لذلك وقالوا هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فذهبوا عنا فعندها عادت رسل الانكليز وأقلعوا في البحر ليتمتاروا من غير الاسكندرية وليقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم إن أهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويأتي معهم للمحافظة بالثغر فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس وتحدثوا بذلك فيما بينهم وكثرت المقالات والأراجيف.

ثم ورد في ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول مكاتبات مضمونها أن المراكب التي وردت الثغر عادت راجعة فاطمان الناس وسكن القيل والقال وأما الأمراء فلم يهتموا بشيء من ذلك ولم يكثرثوا به اعتماداً على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الإفرنج لا يقفون في مقابلتهم وأنهم يدوسونهم بخيولهم.

فلما كان يوم الأربعاء العشرون من الشهر المذكور وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمنهو بأن في يوم الاثنين ثامن عشره وردت مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة فأرسلوا في البحر وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل وبعض أهل البلد فلما نزلوا إليهم عوقوهم عندهم فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمي وطلعوا الى البر ومعهم آلات الحرب والعساكر فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح إلا وهم كالجراد المنتشر حول البلد فعندها خرج أهل الثغر وما انضم إليهم من العربان المجتمعة وكاشف البحيرة فلم يستطيعوا مدافعته ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم وانهزم الكاشف ومن معه من العربان ورجع أهل الثغر الى التترس في البيوت والحيطان ودخلت الإفرنج البلد وإنبت فيها الكثير من ذلك العدد كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمي يدافعون وعن أنفسهم وأهلهم يقاتلون ويمانعون فلما أعياهم الحال وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال وليس ثم عندهم للقتال استعداد لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ونادى الفرنسيين بالأمان في البلد ورفع بنديراته عليها وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه فألزمهم بجمع

السلاح وإحضاره إليه وأن يضعوا الجوكار في صدورهم فوق ملبوسهم والجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك مستديرة في قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التي تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض ولما وردت هذه الأخبار مصر حصل للناس انزعاج وعول أكثرهم علي الفرار والهجاج وأما ما كان من حال الأمراء بمصر فإن إبراهيم بك ركب إلى قصر العيني وحضر عنده مراد بك من الجيزة لأنه كان مقيمًا بها واجتمع باقي الأمراء والعلماء والقاضي وتكلموا في شأن هذا الأمر الحادث فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث إلى أسلامبول وأن مراد بك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم وانفض المجلس على ذلك وكتبوا المكاتبة وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البرليانية بالترياق من العراق وأخذوا في الاستعداد للثغر وقضاء اللوازم والمهمات في مدة خمسة أيام فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجون إليه بدون ثمن ثم ارتحل مراد بك بعد صلاة الجمعة وبرز خيامه ووطاقه إلى الجسر الأسود فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصناجقه وعلي باشا الطرابلسي وناصف باشا فإنهم كانوا من أخصائيه ومقيمين معه بالجيزة وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود وسار من البر مع العساكر الخيالة وأما الرجال وهم الأداشات القلنجية والأروام والمغاربة فإنهم ساروا في البحر مع الغلايين الصغار التي أنشأها الأمير المذكور ولما ارتحل من الجسر الأسود أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد في غاية الثخن والمتانة طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعًا لتنصب على البغاز عند برج مغيزل من البر إلى البر لتمنع مراكب الفرنسيين من العبور لبحر النيل وذلك بإشارة علي باشا وأن يعمل عندها جسر من المراكب وينصب عليها متاريس ومدافع طًا منهم أن الإفرنج لا يقدرّون على محاربتهم في البر وأنهم يعبرون في المراكب ويقاثلونهم وهم في المراكب وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم في القتال حتى تأتيهم النجدة وكان الأمر بخلاف ذلك فإن الفرنسيين عندما ملكوا الاسكندرية ساروا في طريق البر الغربي من غير ممانع وفي أثناء خروج مراد بك والحركة بدت الوحشة في الأسواق وكثر الهرج بين الناس والأرجاف وانقطعت الطرق وأخذت الحرامية في كل ليلة تطرق أطراف البلد وانقطع مشي الناس من المرور في الطرق والأسواق من المغرب فنأى الآغا الوالي بفتح الأسواق والقهاوي ليلاً وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين وذلك لأمرين: الأول ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس والثاني الخوف من الدخيل في البلد.

وفي يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيين وصلوا إلى دمنهور ورشيد وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم فذهبوا إلى قوة ونواحيها والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم العقلاء وقد كانت الفرنسيين حين دخولهم بالاسكندرية كتبوا مرسومًا وطبعوه وأرسلوا منه نسخًا إلى البلاد التي يقدمون عليها تطمينًا لهم ووصل هذا المکتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة وحضروا صحبتهم وحضر منهم جملة إلى بولاق وذلك قبل وصول الفرنسيين بيوم أو بيومين ومعهم منه عدة نسخ ومنهم مغاربة وفيهم جواسيس وهم على شكلهم من كفار مالطة ويعرفون باللغات.

وصورة ذلك المکتوب: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية يظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأزاكية والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دوتهم يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إنني ما

قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين وإنني أكثر من الممالك أعيد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا أيضًا لهم إن جميع الناس متساوون عند الله وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين الممالك والعقل والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان والخيول العناق والمساكن المفرحة فإن كانت الأرض المصرية التزامًا للممالك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدًا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها وسابقًا كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من الممالك أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجرجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن الفرنسية هم أيضًا مسلمون مخلصون وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخرّبوا فيها كرسي الباب الذي كان دائمًا يحث النصارى على محاربة الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطرّدوا منها الكوالرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنسية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك إن الممالك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممثّلين لأمره فما أطاعوا أصلًا إلا لطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفوقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم طوبى أيضًا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على الممالك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقًا إلى الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى - جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها عسكر الفرنسية فواجب عليها أن ترسل للسرا عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار إليه أنهم المادة الثانية - كل قرية تطيع العسكر الفرنسي أيضًا تنصب صنجاك السلطان العثماني محبنا دام بقاءه.

المادة الثالثة - كل قرية تطيع العسكر الفرنسي أيضًا تنصب صنجاك السلطان العثماني محبنا دام بقاءه.

المادة الرابعة - المشايخ في كل بلد يختمون حالًا جميع الأرزاق والبيوت والأماكن التي تتبع الممالك وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة - الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلزمون وظائفهم وعلى كل أحد من أهالي البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئنًا وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة الممالك قائلين بصوت عالي أدام الله إجلال السلطان العثماني أدام الله إجلال العسكر الفرنسي لعن الله الممالك وأصلح حال الأمة المصرية.

تحريرًا بمعسكر اسكندرية في 13 شهر سيدور سنة 1213 من إقامة الجمهور الفرنسي يعني في آخر شهر محرم سنة هجرية 1213 - بحروفه.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر وردت الأخبار بأن الفرنسيين وصلوا إلى نواحي فوة ثم إلى الرحمانية. واستهل

- وفي يوم الأحد غرة شهر صفر وردت الأخبار بأن في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم التقى العسكر المصري مع الفرنسيين فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك ومن معه ولم يقع قتال صحيح وإنما هي مناوشة من طلائع العسكرين بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين واحترقت مراكب مراد بك بما فيها من الجبخانه والآلات الحربية واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردي وكان قد قاتل في البحر قتالاً عجيلاً فقدر الله أن علقت نار بالقلع وسقط منها نار إلى البارود فاشتعلت جميعها بالنار واحترقت المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا في الهواء فلما عاين ذلك مراد بك داخله الرعب وولى منهزماً وترك الأثقال والمدافع وتبعته عساكره ونزلت المشاة في المراكب ورجعوا طالبيين مصر ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر فاشتد انزعاج الناس وركب إبراهيم بك إلى ساحل بولاق وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس وأعملوا رأيهم في هذا الحادث العظيم فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا ويتولى الإقامة ببولاق إبراهيم بك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأون البخاري وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ويعملون لهم مجالس بالأزهر وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغير من وفي يوم الاثنين حضر مراد بك إلى بر انبابة وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة إلى بشتيل وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خشداشيه واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلي باشا الطرابلسي ونصوح باشا وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة وأوقفها على ساحل انبابة وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربي والشرقي مملوئين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك فإنهم من حين وصول الخبر من الاسكندرية شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة إلى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد واستمروا طول الليالي ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف وأخذوا أيضاً في تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفرع واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم وهددوا من أراد النقلة لما بقي بمصر منهم واحد.

وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التي جمعوها من بعضهم وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور وأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر أفندي نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بريقاً كبيراً سمته العامة البيرق النبوي فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبايت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك وأما مصر فإنها باقية خالية الطرق لا تجد بها أحداً سوى النساء في البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لا يقدر على الحركة فإنهم مستترون مع النساء في بيوتهم والأسواق مصفرة والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش وغلا سعر البارود والرصاص بحيث يبيع الرطل البارود بستين نصفاً والرصاص بتسعين وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده وخرج معظم الرعايا بالنبايت والعصي والمساوق وجلس مشايخ العلماء بزاوية علي بك ببولاق يدعون

ويبتهلون الى الله بالنصر وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت والبعض بالزوايا والبعض بالخيام.

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق وأقام بها من حين نصب ابراهيم بك العرضي هناك الى وقت الهزيمة سوى القليل من الناس الذين لا يجدون لهم مكانًا ولا مأوى فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصيحون الى بولاق وأرسل ابراهيم بك الى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها وكذلك اجتمع عند مراد بك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخيرية والقيعان وأولاد علي والهنادي وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يومًا فيومًا لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم.

وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضًا وينهب بعضهم بعضًا وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحي وصار قطر مصر من أوله الى آخره في قتل ونهب وإافة طريق وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لا يحصى وطلب أمراء مصر التجار من الإفرنج بمصر فحبسوا بعضهم بالقلعة وبعضهم بأماكن الأمراء وصاروا يفتشون في محلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة والعامّة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة ثم في كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيين الى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يقصدون المجيء منها فمنهم من يقول إنهم واصلون من البر الغربي ومنهم من يقول بل يأتون من الشرقي ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوسًا أو طليعة تناوشهم بالقتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء المصر بل كل من ابراهيم بك ومراد بك جمع عسكره ومكث مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم وليس ثم قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو.

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر وصل الفرنسيين الى الجسر الأسود وأصبح يوم السبت فوصلوا الى أم دينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة أراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون في رئيسهم مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم مرتبكون في رويتهم مغمورون في غفلتهم وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن بالفرنسيين أن يأتوا من البرين بل أشيع في عرضي ابراهيم بك أنهم قادمون من الجهتين فلم يأتوا إلا من البر الغربي.

ولما كان وقت القائلة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا الى ناحية بشتيل بلد مجاورة لانبابة فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيين فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيين ببنادقهم المتتابعة الرمي وأبلى الفريقان وقتل أيوب بك الدفتردار وعنده الله كاشف الجرف وعدة كثيرة من كشاف محمد بك الإلفي ومماليكهم وتبعهم طابور من الإفرنج في نحو الستة آلاف وكبيره ويزه الذي ولي على الصعيد بعد تملكهم وأما بونابارته الكبير فإنه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة وكان بعيدًا عن هؤلاء بكثير ولما قرب طابور الفرنسيين من متاريس مراد بك ترامى الفريقان بالمدافع وكذلك العساكر المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الأرنؤد من دمياط وطلوعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقتلوا معهم في المتاريس فلما غابن وسمع عسكر البر الشرقي القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية واخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات

بقولهم يا رب ويا لطيف ويا رجال الله ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحرب وضرب الرقاب لا برفع الأصوات والصراخ والنباح فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضي الشرقي ومنهم ابراهيم بك الوالي وشرعوا في التعدية الى البر الغربي في المراكب فتزاحموا على المعادي لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جدًا فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين هذا والريح النكباء اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه.

ثم إن الطابور الذي تقدم لقتال مراد بك انقسم على كيفية معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا دخان البارود وغبار الرياح وصمت الأسماك من توالي الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت.

واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربي ففرق الكثير من الخيالة في البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيرًا في أيدي الفرنسيين وملكوا المتاريس وفر مراد بك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله في نحو ربع ساعة ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرجل وكان من جملة من ألقى نفسه في البحر سليمان بك المعروف بالآغا وأخوه ابراهيم بك الوالي فأما سليمان بك فنجا وغرق ابراهيم بك الصغير وهو صهر ابراهيم بك الكبير ولما انهزم العسكر الغربي حول الفرنسيين المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب في الحال ابراهيم بك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئاً فأما ابراهيم بك والباشا والأمراء فساروا الى جهة العادلية وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجاً أفواجاً وهم جميعاً في غاية الخوف والفرع وترقب الهلاك وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب فلما استقر ابراهيم بك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء بعضهن على الخيول وبعضهن على البغال والبعض على الحمير والجمال والبعض ماش كالجواري والخدم واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلًا للقضاء متوقعًا للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم في الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور والذي أزعج قلوب الناس بالأكثر أن في عشاء تلك الليلة شاع في الناس أن الإفرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة وأن أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء وكان السبب في هذه الإشاعة أن بعض القلنجية من عسكر مراد بك الذي كان في الغليون بمركبي انبابة لما تحقق الكسرة أضرم النار في الغليون الذي هو فيه وكذلك مراد بك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه الى جهة قبلي فمشوا به قليلاً ووقف لقلة الماء في الطين وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانه فأمر بحرقه أيضاً

فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق طنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهروب وللحاق بهم والحال أن الجميع لا يدرون أي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأي محل يستقرون فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون ويبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه وخرج أكثرهم ماشيًا أو حاملًا متاعه على رأسه وزوجته حامله طفلها ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصحبها وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستريح به عورته أو يسد جوعته فكان ما أخذته العرب شيئًا كثيرًا يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التي خرجت من مصر في تلك الليلة أضعاف ما بقي فيها بلا شك لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضًا ما عندهم والذي أقعده العجز وكان عنده ما يعز عليه من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والأعيان فمنهم من رجع من قريب وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارته فسلم أو عطب وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا بما شابه بعضه في تواريخ المتقدمين فما راء كم سمعا ولما أصبح يوم الأحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيين ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم في أسوأ حال من العري والفزع فتبين أن الإفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقي وأن الحريق كان في المراكب المتقدم ذكرها فاجتمع في الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الإفرنج ينتظروا ما يكون من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربي يعرف لغتهم وآخر صحبته فغابا وعاد فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجمان: وأين عظماءكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة وضمنهم وبش في وجوههم فقالوا: نريد أمانًا منكم فقال: أرسلنا لكم سابقًا يعنون الكتاب المذكور فقالوا وأيضًا لأجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها: من معسكر الجيزة خطابًا لأهل مصر إننا أرسلنا لكم ف بالسابق كتابًا فيه الكفاية وذكرنا لكم أننا حضرنا إلا بقصد إزالة الممالك الذين يستعملون الفرنسية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا إلى البر الغربي خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسروا بعضهم ونحن في طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصري وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المراتب والرعية فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم مرتاحين إلى آخر ما ذكرته ثم قال لهم: لا بد أن المشايخ والشريعية يأتون إلينا لنرتب لهم ديوانًا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي وآخرون إلى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم وقال: أنتم المشايخ الكبار فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال: لأي شيء يهربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانًا لأجل راحتكم وراحة الرعية وأجراء الشريعة فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا إلى مصر واطمأن برجعهم الناس وكانوا في وجل وخوف على غياهم وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوي والمشايخ ومن انضم إليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية وأما عمر أفندي نقيب الأشراف فإنه لم يطمئن ولم يحضر

وكذلك الروزنامجي والأفندية وفي ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت إبراهيم بك ومراد بك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما ونهبوا أيضًا عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان.

وفي يوم الثلاثاء عدت الفرنسية إلى مصر وسكن بونابارته ببيت محمد بك الألفي بالأزبكية يخط الساكت الذي أنشأه الأمير المذكور في السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكنه فيه حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه فكأنه إنما كان يبنيه للأمير الفرنسي وكذلك حصل في بيت حسن كاشف جركس بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة إلا القليل منهم ومشوا في الأسواق من غير سلاح ولا تعديل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأعلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطي صاحبها في ثمنها ريال فرانسة ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسًا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم وأطمأنوا لهم وخرجوا إليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك مثل السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار وفتح غالب السوق الحوانيت والقهواي.

وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقية عند قائم مقام صاري عسكر فلما استقر بهم الجلوس خاطبهم وتشاوروا معهم في تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات.

فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسبي والشيخ مصطفى الدمنهوري والشيخ أحمد العريشي والشيخ يوسف الشيرخيتي والشيخ محمد الدواخلي وحضر ذلك المجلس أيضًا مصطفى كتحدا بكر باشا والقاضي وقلدوا محمد آغا المسلماني أغات مستحفظان وعلي آغا الشعراوي والي الشرطة وحسن آغا محرم أمين احتساب وذلك بإشارة أرباب الديوان فإنهم كانوا ممتنين من تقليد المناصب لجنس المماليك فعرفوهم أن سوق مصر لا يخافون إلا من الأتراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذا الفقار كتحدا محمد بك كتحدا بونابارته ومن أرباب المشورة الخواجا موسى كانوا وكلاء الفرنسية ووكيل الديوان حنا بينو.

وفيه اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت فقالوا له هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس فقال لأي شيء يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها فقالوا هذا أمر لا قدرة لنا على منعه وإنما ذلك من وظيفة الحكام فأمروا الآغا والوالي أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب فلم يسمعوا ولم ينتهوا واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة والناس غير مطمئنين وفتح الفرنسيين بعض البيوت المغلقة التي للأمراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وتركوها مفتوحة فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية ويستأصلون ما فيها واستمروا على ذلك عدة أيام ثم أنهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها فكان الذي يخاف على داره من جماعة الوجاقية أو من أهل البلد وفيه قلدوا برطلمين النصراني الرومي وهو الذي تسميه العامة فرط الرمان كتحدا مستحفظان وركب بموكب من بيت صاري عسكر وأمامه عدة من طوائف الأجناد والبطالين مشاة بين يده وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون وهو لابس فروة بزعادة وبين يديه الخدم بالحراير المفضضة ورتب له بيوك باشي وقلقات عينوا لهم مراكز باخطاط البلد يجلسون بها وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين أخذه بما فيه من فرش ومتاع

وجواري وغير ذلك والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر وكان من الطبجية عند محمد بك الالفى وله حانوت بخط الموسيقى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة وقلدوا أيضًا شخصًا أفرنجيًا وجعلوه أمين البحرين وآخر جعلوه أغات الرسالة وجعلوا الديوان بيت قائد آغا بالأزبكية قرب الرويعي وسكن به رئيس الديوان وسكن روتوي قائم مقام مصر بيت ابراهيم بك الوالي المطل على بركة الفيل وسكن شيخ البلد بيت ابراهيم بك الكبير وسكن مجلون بيت مراد بك على رصيف الخشاب وسكن بوسليك مدير الحدود بيت الشيخ البكري القديم ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم وطلبوا الدفاتر من الكتبة ثم إن عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئًا فشيئًا حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا في البيوت ولكن لم يشوشوا علي أحد وبأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ففجر السوق وصغروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه وفتح الناس عدة دكاكين بجواره ساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات مثل الفطير والكعك والسمك المقلي واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وخمامير وقهاوي وفتح بعض الإفرنج البلدين بيوتًا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم في بلادهم فيشتري الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ويطبخه الطباخون ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم فإذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا الى ذلك المكان وهو يشتمل على عدة مجالس دون وأعلى وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل فيه فيدخلون الى ما يريدون من المجالس وفي وسطه دكة من الخشب وهي الخوان التي يوضع عليها الطعام وحولها كراسي فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم.

وفيه تشفع أرباب الديوان في أسرى المماليك فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم فدخل الكثير منهم الى الجامع الأزهر وهم في أسوأ حال وعليهم الثياب الزرق المقطعة فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ويتكفون المارين وفي ذلك عبرة للمعتبرين.

وفي يوم السبت اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة وهي مقدار خمسمائة ألف ريال من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام وتجار الإفرنج أيضًا فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذوا في تحصيلها.

وفيه نادوا من أخذ شيئًا من نهب البيوت يحضر به الى بيت قائم مقام وإن لم يفعل وظهر بعد ذلك حصل له مزيد الضرر ونادوا أيضًا على نساء الأمراء بالأمان وأنهن يسكن بيوتهن وإن كان عندهن شيء من متاع أزواجهن يظهرنه فإن لم يكن عندهن شيء من متاع أزواجهن يصلحن على أنفسهن وبأمن في دورهن فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بك وصالحت على نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرانسا.

وأخذت في تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ووجهوا عليها الطلب وكذلك بقية النساء بالوسائط المتداخلين في ذلك كنصارى الشوام والإفرنج البلدين وغيرهم فصاروا يعملون عليهن إرهاصات وتخويفات وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغائبين والفارين فجمعوا بذلك أموالًا كثيرة وكتبوا للغائبين أوراقًا بالأمان بعد المصالحة ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان.

وفي يوم الأحد طلبوا الخيول والجمال والسلاح فكان شيئًا كثيرًا وكذلك الأبقار والأثوار فحصل فيها أيضًا مصالحات وأشاعوا التفتيش على ذلك وكسروا عدة دكاكين بسوق

السلاح وغيره وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة هذا وفي كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى ويستخرجون الخبايا والودائع ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواقع الدفائن ليصير لهم بذلك قرية ووجاهة ووسيلة ينالون بها أغراضهم.

وفيه قبضوا على شيخ الجعيدية ومعه آخر وبندقوا عليهما بالرصاص ببركة الأزيكية ثم على آخرين أيضًا بالرميلة وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التي نهبوا عندما داخلهم الخوف ودا على بعضهم البعض.

وفي يوم الثلاثاء طلبوا أهل الحرف من التجار والأسواق وقرروا عليهم دراهم على سبيل القرض والسلفة مبلغًا يعجزون عنه وأجلوا لها أجلًا مقداره ستون يومًا فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى الجامع الأزهر والمشهد الحسيني وتشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ولطفوها الى النصف المطلوب ووسعوا لهم في أيام المهلة.

وفيه شرعوا في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات فاستمروا على ذلك عدة أيام وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد وظنوا ظنوا وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة تجسمت في نفوسهم بالفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم كقولهم إن عساكر الفرنسيين عازمون على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة ومنهم من يقول غير ذلك وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمئنان وفتحوا بعض الدكاكين فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس ثانية وارتجفت قلوبهم.

وفي عشرينه حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة فذهب أرباب الديوان الى باش العسكر وأعلموه بذلك وطلبوا منه أمانًا لأمير الحاج فامتنع وقال: لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتي في قلة ولا يدخل معه ممالك كثيرة ولا عسكر فقالوا له: ومن يوصل الحجاج فقال لهم: أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم الى مصر فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة وأنه يحضر بالحجاج الى الدار الحمراء وبعد ذلك يحصل الخير فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم ابراهيم بك يطلبهم للحضور الى جهة بليس فتوجهوا على بليس وأقاموا هناك أيامًا وكان ابراهيم بك ومن معه ارتحل من بليس الى المنصورة وأرسلوا الحريم الى القرين وفي ثالث عشرينه خرجت طائفة من العسكر الفرنسي الى جهة العادلية وصار في كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ويذهبون الى جهة الشرق فلما كان ليلة الأربعاء خرج كبيرهم بونابارته وكانت أوائلهم وصلت الى الخانكة وأبي زعبل وطلبوا كلفة من أبي زعبل فامتنعوا فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وإرتحلوا الى بليس وأما الحجاج فإنهم نزلوا ببليس واكثرت حجاج الفلاحين مع العرب فأوصلوهم الى بلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها وكذلك فعل الكثير من الحجاج فتفرقوا في البلد بحريمهم ومنهم من أقام ببليس وأما أمير الحاج صالح بك فإنه لحق بابراهيم بك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم وفي ثامن عشرينه ملك الفرنسيون مدينة بليس من غير قتال وبها من بقي من الحجاج فلم يشوشوا عليهم وأرسلوها الى مصر وصحبته طائفة من عساكرهم ومعهم طبل فلما كان ليلة الأحد غايته جاء الرائد الى الأمراء بالمنصورة وأخبرهم بوصول الإفرنج وقرهم منهم فركبوا نصف الليل وترفعوا الى جهة القرين وتركوا التجار وأصحاب الأثقال فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم الى القرين وحلفوا لهم وعاهدوهم على أنهم لا يخونونهم فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حملوهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم وفيه كبير التجار السيد أحمد المحروقي وكان ما يخصه نحو ثلثمائة ألف ريال فرانسة نقودًا ومتجرًا م جميع الأصناف الحجازية وصنعت العرب معهم

ما لا خير فيه ولحقهم عسكر الفرنساوية فذهب السيد أحمد المحروقي الى صاري العسكر وواجهه وصحبته جماعة من العرب المنافقين فشكا له ما حل به وبإخوانه فلامهم على تنقلهم وركونهم الى الممالك والعرب ثم قبض على أبي خشبة شيخ بلد القرين وقال له: عرفني عن مكان المنهوبات فقال: أرسل معي جماعة الى القرين فأرسل معه جماعة دلهم على بعض الأحمال فأخذها الإفرنج ورفعوها ثم تبعوه الى محل آخر فأوهمهم أنه يدخل ويخرج إليهم أحمالاً كذلك فدخل وخرج من مكان آخر وذهب هارباً فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لا غير وقالوا: هذا الذي وجدناه والرجل فر من أيدينا فقال صاري عسكر: لا بد من تحصيل ذلك فطلبوا منه الإذن في التوجه الى مصر فأصبح معهم عدة من عسكره أوصلوهم الى مصر وأمامهم طبل وهم في أسوأ حال وصحبتهم أيضاً جماعة من النساء اللاتي كن خرجن ليلة الحادثة وهن أيضاً في أسوأ حالة تسكب عند مشاهدتهن العبرات.

واستهل

شهر ربيع الأول بيوم الاثنين سنة 1213

في ثانيه وصل الفرنساوية الى نواحي القرين وكان ابراهيم بك ومن معه وصلوا الى الصالحة وأودعوا مالهم وحريمهم هناك وضمنوا عليها العربان وبعض الجند فأخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الحملة فركب صاري عسكر وأخذ معه الخيالة وقصد الإغارة على الحملة وعلم ابراهيم بك بذلك أيضاً فركب هو وصالح بك وعدة من الأمراء والمماليك وتحاربوا معهم ساعة أشرف فيها الفرنسيين على الهزيمة لكونهم على الخيول وإذا بالخبر وصل الى ابراهيم بك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهيبها فعند ذلك فر بمن معه على إثره وتركوا قتال الفرنسيين ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم وقتلوا منهم عدة وارتحلوا الى قطيا ورجع صاري عسكر الى مصر وترك عدة من عساكره متفرقين في البلاد فدخل مصر ليلاً وذلك ليلة الخميس رابعه.

وفي يوم الجمعة خامسه لثالث عشر مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك فأمر صاري عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ونادوا على الناس بالخروج الى النزهة في النيل والمقياس والروضة على عادتهم أرسل صاري عسكر أوراقاً لكتخدا الباشا والقاضي وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور في صحبتها وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قصر قنطرة السد وكسروا الجسر بحضرتهم وعملوا شنك مدافع ونفوطاً حتى جرى الماء في الخليج وركب وهم صحبتته حتى رجع الى داره وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه في المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والإفرنج البلديين ونسائهم وقليل من الناس البطالين حضروا في صباحها.

وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الانكليز الى ثغر الاسكندرية وأنهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالمينا وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل وتحدث الناس بها فصعب ذلك على الفرنساوية واتفق أن بعض نصارى الشوام نقل عن رجل شريف يسمى السيد أحمد الزر ومن أعيان التجار بوكالة الصابون أنه تحدث بذلك فأمرؤا بإحضاره وذكروا له ذلك فقال أنا حكيت ما سمعته من فلان النصراني فأحضره أيضاً وأمرؤا بقطع لسانيهما أو يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسة نكالا لهما وزجراً عن الفضول فيما لا يعنيهما فتشفع المشايخ فلم يقبلوا فقال بعضهم أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدرهم فلم يرضوا فأرسل الشيخ مصطفى الصاوي وأحضر مائتي ريال ودفعها في الحضرة فلما قبضها الوكيل ردها ثانياً إليه وقال فرقها على الفقراء كما أشار وردها الى صاحبها فانكف الناس عن التكلم في شأن ذلك والواقع أن الانكليز حضروا في اثرهم الى

الثغر وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم وأحرقوا لقايق الكبير المسمى بنصف الدنيا وكان به أموالهم وذخائرهم وكان مصفحًا بالنحاس الأصفر واستمر الانكليز بمراكبهم بميناء الاسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيين وفي ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم الى بحري والى الشرقية ولما جرى الماء في الخليج منعوا دخول الماء الى بركة الأزبكية وسدوا قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وألثمهم التي فيها وفيه سأل صاري العسكر عن المولد النبوي ولماذا لم يعملوه كعادتهم فاعتذر الشيخ البكري بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال فلم يقبل وقال لابد من ذلك وأعطى له ثلثمائة ريال فرانسا معاونة وأمر بتعلق تعاليق وأحبال وقناديل واجتمع الفرنسية يوم المولد ولعبوا ميادينهم وضربوا طبولهم وديادبهم وأرسل الطبلخانة الكبيرة الى بيت الشيخ البكري واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره وهي عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية وعدة آلات ومزامير مخلقة الأصوات مطربة وعملوا في الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريح تصعد في الهواء.

وفي ذلك اليوم ألبس الشيخ خليل البكري فروة وتقلد نقابة الأشراف ونودي في المدينة بأن كل من كان له دعوى على شريف فليفعها الى النقيب.

وفيه ورد الخبر بأن ابراهيم بك والأمراء المصرية استقروا بغزة.

وفي خامس عشره سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنسية الى جهة الصعيد وكبيرهم ديزه وصحبته يعقوب القبطي ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخبئات.

وفي حضر القاصد الذي كان أرسله كبير الفرنسية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا وذلك عند استقرارهم بمصر وصحبته أنفار من النصارى الشوام في صفة تجار ومعهم جانب أرز ونزلوا من ثغر دمياط في سفينة من سفائن أحمد باشا فلما وصلوا الى عكا وعلم بها أحمد باشا أمر بذلك الفرنسية فنقلوه الى بعض النقاير ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئاً وأمره وفيه حضر جماعة من عسكر الفرنسية الى بيت رضوان كاشف باب الشعرية وصحبته ترجمان ومهندس فانزعجت زوجته وكان قبل ذلك بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلثمائة ريال وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها وردت ما كانت وزعته من المال والمتاع عند معارفها واطمأنت فلما حضر إليها الجماعة المذكورون قالوا لها بلغ صاري عسكر أن عندك أسلحة وملابس للماليك فأنكرت ذلك فقالوا لازم من التفيتيش فقالت دونكم فطلعوا من مكان وفتحوا مخبأة فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالاً وبلكات وأمتعة وغير ذلك ووجدوا في أسلفها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الطبنجات والأسلحة والبنادق وصناديق بارود وغير ذلك فاستخرجوا جميع ذلك ثم نزلوا الى تحت السلالم وفجروا الأرض وأخرجوا منها دراهم كثيرة وحجاب ذهب في داخله دنانير ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها جارية بيضاء وأخذوهما مع الجواري السود وذهبوا بهن فأقمن عندهم ثلاثة أيام ونهبوا ما وجدوه بالدار من فرش وأمتعة ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى قامت بدفعها وأطلقوها ورجعت الى دارها وبسبب هذه الحادثة شددوا في طلب الأسلحة ونادوا بذلك وإنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت وقال الناس إن هذه حيلة على نهب البيوت ثم بطل ذلك وحصل بينها وبين مباشرها القبطي منافسة فذهب وأغرى بها ودل على ذلك.

وفي عشرينه قلدوا مصطفى بك كتخدا الباشا على إمارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضي ولبس الخلعة بحضرة مشايخ الديوان والتزم بونابارته بتشهيل مهمات الحج وعمل محلاً جديداً.

وفيه سأل أصحاب الحصص الالتزام في التصرف في حصصهم فطلبوا منهم حلولاً فلم يرتضوا بذلك فواعدهم لتمام التحرير والإملاء وقالوا كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسمه يحضره ويمليه ففعلوا ذلك في عدة أيام.

وفيه قدروا فرصة من المال على القرى والبلاد ونشروا بذلك أوراقاً وذكروا فيها أنها تحسب من المال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط.

وفيه طلب صاري عسكر بونابارته المشايخ فلما استقروا عنده نهض بونابارته من المجلس ورجع ويده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلي فوضع منها واحداً على كتف الشيخ الشرقاوي فرمى به الى الأرض واستقى وتغير مزاجه ونزلوا في البلاد مثل الحكام يحبسون ويضربون ويشددون في الطلب وانتقع لونه واحتد طبعه فقال الترجمان يا مشايخ أنتم صرتم أحبباً لصاري عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة في قلوبهم فقالوا له لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين فاغتاظ لذلك وتكلم بلسانه وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوي إنه لا يصلح للرياسة ونحو ذلك فلاطفه بقية الجماعة واستعفوه من ذلك فقال إن لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار في صدوركم وهي العلامة التي يقال لها الوردة فقالوا أمهلونا حتى نتروى في ذلك واتفقوا على اثني عشر يوماً.

وفي ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعاء فصادفهم منصرفين فلما استقر به الجلوس بش له وضاحكه صاري عسكر ولاطفه في القول الذي يعربه الترجمان وأهدى له خاتم الماس وكلفه الحضور في الغد عنده وأحضر له جوكار وأوثقه بفراجه فسكت وسائره وقام وانصرف فلما خرج من عنده رفعه على أن ذلك لا يخل بالدين.

وفي ذلك اليوم نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة وهي إشارة الطاعة والمحبة فأنف غالب الناس من وضعها وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين إذ هو مكره وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر فوضعها ثم في عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها فكانوا يضعونها إذا حضر عندهم ويرفعونها إذا انفصلوا عنهم وذلك أيام قليلة وحصل ما يأتي ذكره فتركت.

وفي أواخره كانت انتقال الشمس لبرج الميزان وهو الاعتدال الخريفي فشرع الفرنسيون في عمل عيدهم بركة الأزيكية وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً فنقلوا أخشاباً وحفروا حفراً وأقاموا بركة الأزيكية صارياً عظيماً بالة وبناء وروموا حوله تراباً كثيراً عالياً بمقدار قامه وعملوا في أعلاه قالباً من الخشب محدداً لأعلى مربع الأركان ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشاً ثخيناً طلوه بالحمرة الجزعة وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد في بياض ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصاري وفي أعلى القوصرة طلاء أبيض وبه تصاوير بالأسود مصور فيه مثل حرب المماليك المصرية معهم وهم في شبه المنهزمين بعضهم واقع على بعض وبعضهم ملتفت الى خلف وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة التي يدخل منها الماء الى البركة مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة البارود وأقاموا أخشاباً كثيرة منتصبة مصطفى منها الى البوابة الأخرى شبه الدائرة متسعة محيطية بمعظم فضاء البركة بحيث صار عمود الصاري الكبير المنتصف المذكور في المركز وربطوا بين تلك الأخشاب حبلاً ممتدة وعلقوا بها صفيين من القناديل وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضاً وأقاموا في عمل ذلك عدة أيام.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأربعاء سنة 1213 فيه وردت الأخبار بأن مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيين عليهم رجعوا الى جهة الفيوم وأن عثمان بك الأشقر عدى الى البر الشرقي وذهب من خلف الجبل الى أستاذه ابراهيم بك بغزة وخرج جماعة من الفرنسية الى جهة الشرق ومعهم عدة جمال وأحمال فخرج عليهم الغزو العرب الذين يصحبونهم فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم.

وفي ثلثة حشرت مكاتبة من ابراهيم بك خطابًا للمشايخ وغيرهم مضمونها أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر وإن شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم فلما وردت تلك المكاتبة وقد كان سأل عنها بونابارته فأرسلوها له وقرئت عليه فقال: المماليك كذابون ووافق أيضًا أنه حضر آغا رومي وكان معوقًا بالاسكندرية فمر بالشارع وذهب لزيارة المشهد الحسيني فشاهده الناس فاستغربوا هيئته وفرحوا برؤيته وقالوا هذا رسول الحي حضر من عند السلطان بجواب للفرنسيين يأمرهم بالخروج من مصر واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم وتجمعوا بالمشهد الحسيني وتبعوا بعضهم بعضًا وصادف ذلك أن بونابارته في ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس أنه ورد مكتوب من المشايخ أيضًا وأخفوه فركب من فوره وحضر الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسيني وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة ولم يكن تقدم له مجيء وهو في كبكبة وخيول كثيرة وعساكر فانزعج الشيخ وكان منحرف المزاج ونزل إليه وهو لا يعرف السبب في مجيئه في مثل هذا الوقت على هذه الصورة فعندما شاهده سأله عن ذلك المكتوب فقال: لا علم لي بذلك ولم يكن بلغه الخبر ثم جلس مقدار ساعة وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة وهم يغطون ويخلطون فلما نظروه وشاهد هو جمعيتهم داخله أمر من ذلك فصاحوا بأجمعهم وقالوا بصوت عال: الفاتحة فشخص إليهم وصار يسأل من معه عن ازدحامهم فلفطوا له القول وقالوا له إنهم يدعون لك وذهب الى داره وكانت نكتة غريبة وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشأ منها فتنه.

وفيه شرعوا في خلع البوابات والدروب غير النافذة أيضًا ونقلوا الجميع الى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين ويرفعونها بالعتالين الى هناك فاجتمع من ذلك شيء كثير جدًا وامتلأ من رصيف الخشاب الى قريب وسط البركة.

وفي يوم السب حادي عشره كان يوم عيدهم الموعود به فضربوا في صبيحته مدافع كثيرة.

وضعوا على كل قائم من الخشب بنديرة من بنديراتهم الملونة وضربوا طبولهم واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة واصطفوا صفوفًا على طرائقهم المعروفة بينهم ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبطة والشوام فاجتمعوا ببيت صاري عسكر بونابارته وجلسوا حصة من النهار ولبسوا في ذلك اليوم ملابس الافتخار ولبس المعلم جرجس الجوهري كركه بطرز قصب على أكتافها الى أكمامها وعلى صدره شمسات قصب بأزرار وكذلك فلتيوس وتعمموا بالعمائم الكشميري وركبوا البغال الفارسة وأظهروا البشر والسرور في ذلك اليوم الى الغاية ثم نزل عظماءهم وصحبتهم المشايخ والقاضي وكتخدا الباشا فركبوا وذهبوا عند الصاري الكبير الموضوع بوسط البركة وقد كانوا فرشوا في أسفله بسطًا كثيرة ثم إن العساكر لعبوا ميدانهم وعملوا هيئة حربهم وضربوا البنادق والمدافع فلما انقضى ذلك اصطفيت العساكر صفوفًا حول ذلك الصاري وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لا يدري معناها الأهم وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ ثم قاموا وانفض الجمع ورجع صاري عسكر الى داره فمد سماطًا عظيمًا للحاضرين فلما كان الغروب أوقدوا جميع القناديل التي على الحبال والتماثيل والأحمال التي على البيوت وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسوارخ ونفوط وشبه سواقي ودواليب من قار ومدافع

كثيرة نحو ساعتين من الليل واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار ثم فكوا الحبال والتعليق والتماثيل المصنوعة وبقيت البوابات المقابلة لباب الهواء والصاري الكبير وتحت جماعة ملازمون الإقامة عنده ليلاً ونهاراً من عساكرهم لأنه شعارهم وإشارة الى قيام دولتهم في وفي ثاني ليلة منه ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التي بها مراد بك وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل وفيه أرسل دبوي قائمقام الى الست نفيسة وطلب منها إحضار زوجة عثمان بك الطنبرجي فأرسلت الى المشايخ تستغيث بهم فحضر إليها الشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السبرسي وقصدوا منعها فلم يمكنهم فذهبوا صحبتها ونظروا في قصتها والسبب في طلبها أنهم وجدوا رجلاً فرائشاً معه جانب دخان وبعض ثياب فقبضوا عليه وقرروه فأخبر أنه تابعها وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع إليها لتسلمه شبكي دخان وفروة وخمسائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده فهذا هو السبب في طلبها فقالوا وأين الفراش فبعثوا لإحضاره وسألوها فأنكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ: دعوها تذهب الى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية فقال: دبوي نو نو ومعناه بلغتكم النفي أي لا تذهب فقالوا له: دعها تذهب هي ونحن نبني عوضاً عنها فلم يرض أيضاً وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندهم في ناحية من البيت وصحبته جماعة من النساء المسلمات والنساء الإفرنجيات فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معاً وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير فأحضرها وسلمها الى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته.

وفي يوم الخميس نادوا في الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام بركة الفيل وبأخذ ثمنها وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهراً ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وكان أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالاً قلت قيمتها أو كثرت فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق وأن يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وأن يلزموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات.

وفيه نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة الى صاري عسكر وقالوا له أرنا طريقاً للذهاب فإن طريق البر غير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم.

وفيه جعلوا ابراهيم آغات المتفرقة المعمار قبطان السويس وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوي فخرج عليهم العربان في الطريق فنهبوهم وقتلوا ابراهيم آغا المذكور ومن بصحته ولم يسلم منهم إلا القليل وفيه أهمل أمر الديوان الذي يحضره المشايخ بيت قائد آغا فاستمروا أياماً يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا.

وفيه شرعوا في ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا وكتبوا في شأن ذلك طوماًراً.

وشرطوا فيه شروطاً ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين وجعلوا قاضيه الكبير ملطي القبطي الذي كان كاتباً عند أيوب بك الدفتردار وفوضوا إليهم القضايا في أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركاناً من البدع السيئة وكتبوا نسخاً من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخاً في مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد وشرطوا في

ضمنه شروطاً وفي ضمن تلك الشروط شروطاً أخرى بتعابير سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ومحصلة التحيل على أخذ الأموال كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث لا يكتفي بذلك بل يؤمر بالكشف عليها في السجلات ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينه في ذلك الطومار فإن وجد تمسكه مقيداً بالسجل طلب منه بعد ذلك الثبوت ويدفع على ذلك الإشهاد بعد ثبوته وقبوله قدرًا آخر ويأخذ بذلك تصحيحًا ويكتب له بعد ذلك تمكين وينظر بعد ذلك في قيمته ويدفع على كل مائة اثنين فإن لم يكن له حجة أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد فإنها تضبط لديوان الجمهور وتصبح من حقوقهم وهذا شيء متعذر وذلك أن الناس إنما وضعوا أيديهم على أملاكهم إما بالشراء أو بأبولتها لهم من مورثهم أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد أو بحجج أسلافهم ومورثهم فإذا طولبوا بآثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل فإن قبلت فعل به ما ذكر ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة كقولهم إذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلومًا لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة فإذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضًا ولا حق فيها للورثة وإن فتحت على الرسم بإذن الديوان يدفع على ذلك الإذن مقررًا أو كذلك على ثبوت الوراثة ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر وكذلك من يدعي دينًا على الميت يشبه بديوان الحشريات ويدفع على إثباته مقرر أو يأخذ له ورقة يستلم بها دينه فإذا استلمه رفع مقررًا أيضًا ومثل ذلك في الرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك والهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهادات الجزئية والكتليات والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها قدرًا وكذلك المولود إذا ولد ويقال له إثبات الحياة وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الأملاك وغير ذلك.

وفي نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام في أمور الدولة فإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحون أو منهزمون لا يسخرون بهم ولا يصفقون عليهم كما هي عادتهم.

وفيه نهبوا أمتعة عسكر القلنجية الذين كانوا عسكرًا عند الأمراء فأخذوا مكانًا بوكالة علي بك بساحل بولاق وبالجمالية وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم.

وفيه أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذي كان سردارًا بدمياط من طرف الأمراء المصريين وكان سابقًا كتخدا حسن بك الجداوي فلما حضر حبسوه في القلعة وحبسوا معه فراشًا لابراهيم بك.

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول الى المدينة ليسكنوا بها فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة وشرعوا في بناء حيطان وكرانك وأسوار وهدموا أبنية عالية وأعلوا مواضع منخفضة وبنوا على بدنان باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحو ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان في الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والحوادث والحرب الهندية وأكر الفداوية وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة.

وفيه عينت عساكر الى مراد بك وذهبوا إليه ببحر يوسف جهة الفيوم.

وفي يوم الخميس سادس عشره نودي بأن كل من تشاجر مع نصراني أو يهودي يشهد أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صاري عسكر.

وفيه قتلوا شخصين وطافوا برؤوسهما وهم ينادون عليهما يوقولون هذا جزاء من يأتي بمكاتيب من عند الممالك أو يذهب إليهم بمكاتيب.

وفيه نهوا الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كثرة الأزيكية والرويعي ولا يدفنون الموتى إلا في القرافات البعيدة والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميتة في ترب الممالك وإذا دفنوا يبالغون في تسفيل الحفر ونادوا أيضًا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدوه ويقولون إن العفونة تنحبس بأغوار الأرض فإذا دخل الشتاء وبردت الأغوار بسرطان النيل والأمطار والرطوبات خرج ما كان منحبسًا بالأرض من الأبخرة الفاسدة فيتعفن الهواء فيحصل الوباء والطاعون ومن قولهم أيضًا إن مرض مريض لابد من الإخبار عنه فيرسلون من جهتهم حكمًا للكشف عليه إن كان مرضه بالطاعون أو بغيره ثم يرون رأيه فيه.

وفي يوم السبت ثامن عشره ذهبت جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنسيات وشرعوا في هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزيكية وتمهيدتها بالأرض فشاع الخبر بذلك وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة فخرجوا من كل حذب ينسلون وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدايح وباب اللوق وكرم الشيخ سلامة والفواله والناصره وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب الى أن صاروا كالجراد المنتشر ولهم صياح وضجيج واجتمعوا بالأزيكية ووقفوا تحت بيت صاري عسكر فنزل لهم المترجمون واعتذروا بأن صاري عسكر لا علم له بذلك الهدم ولم يأمر به وإنما أمر بمنع الدفن فقط فرجعوا الى أماكنهم ورفع الهدم عنهم.

وفيه كتبوا من المشايخ كتابًا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة ثم إنهم بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق وصورته ملخصًا بعد الصدر وذكر ورودهم وقتالهم مع الممالك وهروبهم وأن جماعة من العلماء ذهبت إليهم بالبر الغربي فأمنوهم وكذلك الرعية دون الممالك وذكروا فيه أنهم من أخصاء السلطان العثماني وأعداء أعدائه وأن السكة والخطبة باسمه وشعائر الإسلام مقامة على ما هي عليه وباقية بمعنى الكلام السابق من قولهم إنهم مسلمون وإنهم محترمون القرآن والنبي وإنهم أوصلوا الحجاج المتشنتين وأكرمهم وأركبوا الماشي وأطعموا الجيعان وسقوا العطشان واعتنوا بيوم الزينة يوم جبر البحر وعملوا له شأنا ورونًا استجلا بالسور المؤمنين وأنفقوا أموالًا برسم الصدقة على الفقراء وكذلك اعتنوا بالمولد النبوي وأنفقوا أموالًا في شأن انتظامه واتفق رأيًا ورأيهم على لبس حضرة الجناح المحترم أغا كتحدا بكر باشا والي مصر حالًا فاستحسنوا ذلك لبقاء علقه الدولة العلية وهم أيضًا مجتهدون في إتمام مهمات الحرمين وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام.

وفيه وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات وهو أن رجلًا صيرفيًا بجوار حارة الجوانية وقع من لفظه أنه قال السيد أحمد البدوي بالشرق والسيد ابراهيم الدسوقي بالغرب يقتلان كل من يمر عليهما من النصارى وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى الشوام فجأوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر فقام النصراني وذهب الى دبوي وأخبره بالقصة فأرسل وقبض على ذلك الصيرفي وحبسه وسمر حانوته وختم على داره وتنشف فيه المشايخ عدة مرات فأطلقوه بعد يومين وأرسلوه الى بيت الشيخ البكري ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسة فضرب مائة سوط وأطلق الى سبيله وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين.

وفي يوم الاثنين طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وفي يوم الثلاثاء عمل المولد الحسيني وكان من العزم تركه في هذا العام فدرس بعض المنافقين دسياسة عند الفرنسيين وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسيني بعد المولد النبوي فقال بونابارته ولم لم يعملوه فقال ذلك المنافق غرض الشيخ السادات عدم عمله إلا إذا حضر المسلمون فبلغ شيخ السادات ذلك فشرع في عمله على سبيل الاختصار وحضر صاري عسكر وشاهد الوقدة ورجع داره بعد العشاء.

وفيه حضر علماء الاسكندرية وأعيانها وكذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء صاري عسكر ليحضروا الديوان الشرعي فيه لترتيب النظام الذي سبقت الإشارة إليه.

وفيه سافر أيضًا جماعة من الفرنسيين الى جهة مراد بك ومن معه التقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطمعوه في أنفسهم فتتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالاً وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنسية مقتلة كبيرة.

وفيه سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهواء التي كانوا وضعوها في يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة وسدوا القنطرة كما تقدم علا الماء في أرض البركة وتخلخت الأرض فسقطت تلك البوابة.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه نهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور الى الديوان العام ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك ببيت مرزوق بك بحارة عابدين فلما أصبح يوم السبت أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالأزبكية فتوجه المشايخ المصريح والذين حضروا من الثغور والبلاد وحضر الوجاقات وأعيان التجار ونصاري القبط والشوام ومديرو الديوان من الفرنسيين وغيرهم جمعًا موفورًا.

فلما استقر بهم الجلوس شرع ملطي القبطي الذي عملوه قاضي في قراءة فرمان الشروط وفي المناقشة فابتدر كبير المديرين في إخراج طومار آخر وناوله للترجمان فنشره وقراه.

وملخصه ومضمونه: الأخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد وأنه أخصب البلاد وكان يجلب إليه المتاجر من البلاد البعيدة وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في هذه الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن إلا أن دولة الترك شددت في خرابه لأنها إذا حصلت الثمرة قطعت عروقها فلذلك لم يبقوا بأيدي الناس إلا اقدر اليسير وصار الناس لأجل ذلك مختلفين تحت حجاب الفقر وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم ثم إن طائفة الفرنسية بعدما تمهد أمرهم وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب اشتاقت لأنفسهم لاستخلاص مصر مما هي فيه وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلاً وغباً وفقدوا وحصل لهم النصرة ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس ولم يعاملوا الناس بقسوة وأن غرضهم تنظيم أمور مصر وإجراء خلجانها التي دثرت وبصير لها طريقان: طريق الى البحر الأسود وطريق الى البحر الأحمر فيزداد خصبها وريعها ومنع القوي من ظلم الضعيف وغير ذلك استجلا بالخواطر أهلها وإبقاء للذكر الحسن فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة وإن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة لأنهم أهل خبرة وعقل فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها فينتج لصاري عسكر من ذلك ما يليق صنعه الى آخر ما

سبطوه من الكلام قلت ولم يعجبني في هذا التركيب إلا قوله المفعمة جهلاً وغباً بعد قوله بعد ذلك ومع ذلم لم يتعرضوا لأحد إلى آخر العبارة ثم قال الترجمان نريد منكم مشايخ أن تختاروا شخصاً منكم يكون كبيراً ورئيساً عليكم ممثلين أمره وإشارته فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوي فقال نونو إنما ذلك يكون بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوي فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوي هو الرئيس فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس فأذنوا لهم في الذهاب وألزمهم بالحضور في كل يوم.

وفيه وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربي التاجر الطرابلسي وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين مافسة فأنه إلى عظماء الفرنسيين أنه ذو مال وأنه شريك عبد الله المغربي تابع مراد بك فأرسلوا بطلبه فذهب إلى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوي لنسابة بينهما فقال الشيخ للقواسمة المرسلين بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له فقالوا لدعوة ليست شرعية فقال لهم في غد أحضروا خصمه ويتداعى معه فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه.

فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه فبعد مضي مقدار نحو ساعة حضر نحو الخمسين عسكرياً من الفرنسيين إلى بيت الشيخ وطالبوه به فأخبرهم أنه هرب فلم يقبلوا عذره وألحوا في طلبه ووقفوا ببناقهم وأرهبوا فركب المهدي والدواخلي إلى صاري العسكر وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل فقال ولأي شيء يهرب فقالوا من خوفه فقال لولا أن جرمه كبير لما هرب وأنتم غيبتموه وأظهر الحنق والغيط فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان فكلمه وسكن غيظه ثم سأل عن منزله ومخزنه فأخبراه عنهما فقال نذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر في غد فاطمأنوا لذلك ورجعوا عند الغروب وختموا على مخزنه ومنزله فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل فأخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات.

وفي يوم الأحد ذهبوا إلى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور المشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان وفي يوم الاثنين اجتمعوا بالديوان ونادى المنادي في ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان والمهلة ثلاثون يوماً فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ومهلة البلاد ستون يوماً ولما تكامل الجميع شرع ملطي في قراءة المنشور وتعدد ما به من الشروط مسطور وذكر من ذلك أشياء منها أمر المحاكم والقضايا الشرعية وحجج العقارات وأمر الموارث وتناقشوا في ذلك حصة من الزمن وكتبوا هذه الأربعة أشياء أرباب ديوان الخاصة يدبرون رأيهم في ذلك وينظرون المناسب والأحسن وما فيه الراحة لهم وللرعية ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس وما بين ذلك له مهلة وانفض المجلس. واستهل

شهر جمادى الأولى يوم الخميس الموعود سنة 1213

واجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه في الجملة فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى إبقاؤها على ترتيبها ونظامها وعرفوهم عن كيفية ذلك ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد فاستحسنوا ذلك إلا أنهم قالوا يحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم فقرروا ذلك وهو أنه كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفاً وإذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر فإن زاد على ذلك فعشرة واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك وأما حجج العقارات فإنه أمر شاق طويل الذيل فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادئ الرأي ليسهل تحصيلها وبحسن عليها السكوت ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط وبينوا القدر

المناسب بتفصيل الأماكن وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه وانفض الديوان وفي ذلك اليوم نودي في الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يومًا وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة إلى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل والتحذير من ترك الفعل وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون وكتبوا بذلك أوراقًا لصقوهم بحيطان الأسواق على عاداتهم في ذلك.

وفيه حضر إلى البيت البكري جم غفير من أولاد الكتائب والفقهاء والعلماء والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزماني والمرضى بالمرستان المنصوري وأوقاف عبد الرحمن كتحدا وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم لأن الأوقاف تعطل إيرادها واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام جعلوا ذلك مغنمًا لهم فواعدهم على حضورهم الديوان وينهوا شكواهم ويتشفع لهم فذهبوا راجعين.

وفيه قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحين.

وفيه وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضاء فأكثر الناس من اللغط ولم يعلموا سبب وفي يوم الأحد اجتمعوا في الديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث فقال ملطي مشايخ أخبرونا عما تصنعونه في قسمة المواريث فأخبروه بفروض المواريث الشرعية فقال ومن أين لكم ذلك فقالوا من القرآن وتلوا عليهم بعض آيات المواريث فقال الإفرنج نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ونفعل كذا وكذا بحسب تحسين عقولهم لأن الولد أقدر على التكسب من البنت فقال ميخائيل كحيل الشامي وهو من أهل الديوان أيضًا نحن والقبط يقسم لنا موارثنا المسلمون ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها فسايروهم ووعدوهم بذلك - وانفضوا وفي ذلك اليوم عزلوا محمد آغا المسلماني آغات مستحفظان وجعلوه كتحدا أمير الحاج واستقروا بمصطفى آغا تابع عبد الرحمن آغا مستحفظان سابقًا عوضًا عنه ونودي بذلك.

وفي يوم الاثنين عملوا لهم ديوانًا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة والآيات المتعلقة بذلك فاستحسنوا ذلك.

وفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على الأقل ثمانية فرانسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال في الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمناها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخمسة والرواج والانتساع وكتبوا بذلك مناشير على عاداتهم والصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخًا للأعيان وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى وشرعوا في الضبط والإحصاء وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها ولما أشيع ذلك في الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذي لم ينظر في عواقب الأمور ولم يتفكر أنه في القبضة مأسور فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية وزعر الحارات البرانية ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح في الكلام نصر الله دين الإسلام فذهبوا إلى بيت قاضي العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر فخاف القاضي العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجاب فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر وفي ذلك الوقت حضر دوي

بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغورية وعطف على خط الصنادقية وذهب الى بيت القاضي فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة فبادروا إليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ومن كل حذب ينسلون ومسكوا أطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعيرية وجهة البندقانيين وما حاذاها ولم يتعدوا جهة سواها وهدموا مساطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة لتعوق هجوم العدو في وقت المعركة ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس وأما الجهات البرانية والنواحي الفوقانية فلم يفرغ منهم فارع ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاقي وعذرهم الأكبر قريبهم من مساكن العسكر ولم تزل طائفة المحاربين في الأزقة متترسين فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا من ناحية المناخية وبندقوا على متراس الشوائين وبه جماعة من مغاربة الفحاميين فقاتلوهم حتى أجلوهم وعن المناخية أزالوهم ذلك ذلك زاد الحال وكثر الرجف والزلازل وخرجت العامة عن الحد وبالغوا في القضية بالعكس والطرد وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب فهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام وأخذوا الودائع والأمانات وسبوا النساء والبنات وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات وأكثروا من المعاييب ولم يفكروا في العواقب وابتاتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذا الحال مستمرين وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين على تلال البرقية والقلعة واقفين وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنات ووقفوا مستحضرين ولأمر كبيرهم منتظرين وكان كبير الفرنسيين أرسل الى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها ومل من المطاولة هذا والرمي متتابع من الجهتين وتضاعف الحال ضعفين حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنات على البيوت والحارات وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر وجرروا عليه المدافع والقنابر وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين كسوق الغورية والفحاميين فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ولم يكونوا في عمرهم عاينوه نادوا يا سلام من هذه الآلام يا خفي الألفاف نجنا مما نخاف وهربوا من كل سوق ودخلوا في الشقوق وتتابع الرمي من القلعة والكيमान حتى تزعزعت الأركان وهدمت في مرورها حيطان الدور وسقطت في بعض القصور ونزلت في البيوت والوكائل وأصمت الأذان بصوتها الهائل فلما عظم هذا الخطب وزاد الحال والكرب ركب المشايخ الى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا النازل ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ويكفهم كما تكف المسلمون عن القتال والحرب خدعة وسجال فلما ذهبوا إليه واجتمعوا عليه عاتبهم في التأخير واتهمهم في التقصير فاعتذروا إليه فقبل عذرهم وأمر برفع الرمي عنهم وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان في المسالك وتسامع الناس بذلك فردت فيهم الحرارة وتسابقوا لبعضهم بالبشارة واطمأنت منهم القلوب وكان الوقت قبل الغروب وانقضى النهار وأقبل الليل وغلب على الظن أن القضية لهاذل وأما الحسينية والعطوف البرانية فإنهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمي والقتال ملازمين ولكن خانهم المقصود وفرغ منهم البارود والإفرنج أثخنوهم بالرمي المتتابع بالقنابر والمدافع الى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات وفرغت من عندهم الأدوات فعجزوا عن ذلك وانصرفوا وكف عنهم القوم وانحرفوا وبعد هجعة من الليل دخل الإفرنج المدينة كالسيل ومروا في الأزقة والشوارع لا يجدون لهم ممانع كأنهم الشياطين أو جند إبليس وهدموا ما وجدوه من المتاريس ودخل طائفة من باب البرقية ومشوا الى الغورية وكروا ورجعوا وترددوا ما هجعوا وعلموا باليقين أن لا دافع لهم ولا كمين وتراسلوا رسالاً ركبائاً ورجالاً ثم دخلوا الى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وبينهم المشاة كالوعول.

وتفرقوا بصحته ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من

المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبات بالدواليب والخزانات ودشتوا الكتب والمصاحف على الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها وأحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيهم وألقوها بصرحهم ونواحيه وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه وأصبح يوم الثلاثاء فاصطف منهم خرب بباب الجامع فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعًا ويسارع وتفرقت طوائفهم بتلك النواحي أفواجًا واتخذوا السعي والطواف بها منهاجًا وأحاطوا بها إحاطة السوار ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب وآلة السلاح والضرب وخرجت سكان تلك الجهة يهرعوا وللنجا بأنفسهم طالبون وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ويرغب الناس في سكنائها وبودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع والفرنساوية لا يمرون بها إلا نادرًا ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع وانخفض على غير القياس المرفوع ثم ترددوا في الأسواق ووقفوا صفوفًا مئيتًا وألوفًا فإن مر بهم أحد فتشوه وأخذوا ما معه وربما قتلوه.

ورفعوا القتلى والمطروحين من الإفرنج والمسلمين ووقف جماعة من الفرنسيين ونظفوا مراكز المتاريس وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار المتراكمة ووضعوها في ناحية لتصير طريق المرور خالية وتحزبت نصارى الشوام وجماعة أيضًا من الأروام الذين انتهت دورهم بالحارة الجوانية ليشكوا لكبير الفرنسيين ما لحقهم من الزرية واغتنموا الفرصة في المسلمين وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين وضربوا فيهم المضارب وكأنهم شاركوا الإفرنج في النوائب وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم إلا لكونهم منسويين إليهم مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الذعر أيضًا وسلبوهم وكذلك خان الملايات المعلوم الذي عند باب حارة الروم فيه بضائع المسلمين وودائع الغائبين فسكت المصاب على غصته واستعوض الله في قضيته لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه ولا يلتفت إلى شكواه وانتدب برطلمين للعسس على من حمل السلاح أو اختلس وبث أعوانه في الجهات يتجسسون في الطرقات فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم وما ينهيه النصارى من أبغاضهم فيحكم فيهم بمراده ويعمل برأيه واجتهاده.

ويأخذ منهم الكثير ويركب في موكبه ويسير وهم موثقون بين يديه بالحبال ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال فيودعونهم السجون ويطالبونهم بالمنهوبات ويقررونهم بالعقاب والضرب ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب ويدل بعضهم على بعض فيضعون على المدلول عليهم أيضًا القبض وكذلك فعل مثل ما فعله اللعين الآغا وتجبر في أفعاله وطغى.

وكثير من الناس ذبحوهم وفي بحر النيل قذفوهم ومات في هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لا يحصي عددها إلا الله وطال بالكفرة بغيتهم وعناديهم ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم وأصبح يوم الأربعاء فركب فيه المشايخ أجمع وذهبوا لبيت صاري عسكر وقابلوه وخاطبوه في العفو ولطفوه والتمسوا منه أمانًا كافيًا وعفوا ينادون به باللغتين شافيًا لتطمئن بذلك قلوب الرعية ويسكن روعهم من هذه الرزية فوعدهم وعدًا مشوبًا بالتسويق وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين في إثارة العوام وحرصهم على الخلاف والقيام فغالطوه عن تلك المقاصد فقال على لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد فترجوا عنده في إخراج العسكر من الجامع الأزهر فأجابهم لذلك السؤال وأمر بإخراجهم في الحال وأبقوا منهم السبعين أسكنوهم في الخطة كالضابطين ليكونوا للأمور كالراصدين وبالأحكام متقيدين.

ثم أنهم فحصوا على المتهمين في إثارة الفتنة فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان والشيخ أحمد الشرقاوي والشيخ عبد الوهاب الشبراوي والشيخ يوسف المصليحي والشيخ اسمعيل البراوي وحبسوهم ببيت البكري وأما السيد بدر المقدسي

فإنه تغيب وسافر الى جهة الشام وفحصوا عليهم فلم يجدوه وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين فغولطوا واتهم أيضًا ابراهيم أفندي كاتب البهار بأنه جمع له جمعًا من الشطار وأعطاهم الأسلحة والمساوق وكان عنده عدة من الممالك المخيفين والرجال المعدودين فقبضوا عليه وحبسوه بيت الآغا.

وفي يوم الأحد ثامن عشره توجه شيخ السادات وباقي المشايخ الى بيت صاري عسكر الفرنسيين وتشفعوا عنده في الجماعة المسجونين بيت الآغا وقائمقام والقلعة فقبل لهم وسعوا بالكم ولا تستعجلوا فقاموا وانصرفوا.

وفيه نادوا في الأسواق ولا أحد يشوش على أحد مع استمرار القبض على الناس وكبس البيوت بأدنى شبهة ورد بعضهم الأمتعة التي نهبت للنصارى.

وفيه توسط القلقجي لمغاربة الفحامين وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة وعرضهم على صاري عسكر فاختر منهم الشباب وأولي القوة وأعطاهم سلاحًا وآلات حرب ورتبهم عسكرًا ورئيسهم عمر المذكور وخرجوا وأمامهم البطل الشامي على عادة عسكر المغاربة وسافروا جهة بحري بسبب أن بعض البلاد قام على عسكر الفرنسيات وقت الفتنة وقتلوهم وضربوا أيضًا مركبين بها عدة من عساكرهم فحاربواهم وقتلوهم فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشماً وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه وكان شيئًا كثيرًا جدًا وأحضروا إخوته وأولاده وقتلوهم ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخًا عوضًا عن أبيهم وسكن العسكر المغربي بدار عند باب سعادة ورتبوا له من الفرنسيين جماعة يأتون إليهم في كل يوم ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ومعنى إشاراتهم في مصافاتهم فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفاً وبأيديهم بناقدهم فيشير إليهم بالفاظ لغتهم كأن يقول مردبوش فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها ثم يقول مرش فيمشون صفوفًا الى غير ذلك.

وفيه سافر برطلمين الى ناحية سرياقوس ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى جهة الشرق فلم يدركهم وأخذ من في البلاد وعسف في تحصيلها ورجع بعد أيام.

وفي يوم الأربعاء خاطب الشيخ محمد المهدي صاري عسكر في أمر ابراهيم أفندي كاتب البهار وتلطف به بمعونة بوسليك المعروف بمدير الحدود وهو عبارة عن الروزنامجي ونقله من بيت الآغا الى داره وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالممالك بدفتر البهار.

وفي يوم الخميس سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيين الى جهة بحري.

وفي ليلة السبت رابع عشرينه حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهي صورة فرمان وعليه طرة ومكتوب من أحمد باشا الجزائر وآخر من بكر باشا الى كتدائه مصطفى بك ومكتوب من ابراهيم بك خطابًا للمشايخ وذلك كله بالعربي ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الإفرنج والخط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم ونحيلهم وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك فأخذها مصطفى بك كتخدا وذهب بها الى صاري عسكر فلما اطلع عليها قال هذا تزوير من ابراهيم بك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة وأما أحمد باشا فهو رجل فضولي لم يكن واليًا بالشام ولا مصر لأن والي الشام ابراهيم باشا وأما والي مصر فهو عبد الله باشا بن العظم الذي هو الآن والي الشام فأنا أعلم بذلك وسيأتي بعد أيام والي ويقيم معه كما كانت الممالك مع الولاة.

وورد خبر أيضًا بانفصال محمد عزت عن الصدارة وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة وفي مدة هذه الأيام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد وأخذوا في الاهتمام في تحصين النواحي والجهات وبنوا أبنية على التلّول المحيطة بالبلد ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر وهدموا أماكن بالجيزة وحصنها تحصينًا زائدًا وكذلك مصر العتيقة ونواحي شبرا وهدموا عدة مساجد منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصري بباب البحر وقطعوا نخيلًا كثيرة وأشجار الجيزة التي عند أبي هريرة قطعوها وحفروا هناك خنادق كثيرة وغير ذلك وقطعوا نخيل جهة الحلي وبولاق وخربوا دورًا كثيرة وكسروا شبائيكها وأبوابها وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل والوقود وغير ذلك.

وفي ليلة الأحد حضر جماعة من عسكر الفرنسيين إلى بيت البكري نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صاري عسكر ليتحدث معهم فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كثيرة في انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قائمقام بدرب الجماميز وهو الذي كان به دبوي قائمقام المقتول وسكنه بعده الذي تولى مكانه فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم من السور خلف القلعة وتغيب حالهم عن أكثر الناس أيامًا وفي ذلك اليوم ركب بعض المشايخ إلى مصطفى بك كتخدا الباشا وكلموه في أن يذهب معهم إلى صاري عسكر ويشفع معهم في الجماعة المذكورين طئًا منهم أنهم في قيد الحياة فركب معهم إليه وكلموه في ذلك فقال لهم الترجمان اصبروا ما هذا وفي يوم الثلاثاء حضر عدة من عسكر الفرنسيين ووقفوا بحارة الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ووقعت فيهم كرشة وأغلّقوا الدكاكين وتسابقوا إلى الهروب وذهبوا إلى البيوت والمساجد واختفت أراؤهم ورأوا في ذلك أفضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم فذهب بعض المشايخ إلى صاري عسكر وأخبروه بذلك وتخوف الناس فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب فذهبوا وتراجع الناس وفتحوا الدكاكين ومر الآغا والوالي وبرطلمين ينادون بالأمان وسكن الحال وقيل إن بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد وجلس عنده حصة هؤلاء كانوا أتباعه ووقفوا ينتظرونه ولعل ذلك قصدًا للتخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ المذكورين وهو الأرجح.

وفيه كتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة وأن من قتل من المسلمين في نظير من قتل من الفرنسيين.

وفيه شرعوا في إحصاء الأملاك والمطالبة بالمقرر فلم يعارض في ذلك معارض ولم يتفوه بكلمة والذي لم يرض بالتوت يرضى بحطبه.

وفيه أيضًا قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة وهي التي كانت تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها وصالحوا عليها قبل الحادثة وبرطلوا القلقات والوسايط على إبقائها وكذلك دروب الحسينية فلما انقضت هذه الحادثة ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ورفعوا بعضها على العربات إلى حيث أعمالهم بالنواحي والجهات وباعوا بعضها حطبًا للوقود وكذلك ما بها من الحديد وغيره.

وفي ليلة الخميس هجم المنسر على بوابة سوق طولون وكسروها وعبروا منها إلى السوق فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار وقتلوا القلق الذي هناك وخرجوا بدون مدافع ولا منازع.

وفي يوم الخميس المذكور ذهب المشايخ إلى صاري عسكر وتشفعوا في ابن الجوسقي شيخ العميان الذي قتل أبوه وكان معوقًا ببيت البكري فشفعهم فيه وأطلقوه.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم السبت سنة 1213.

فيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وألصقوا منها نسخًا بالأسواق والشوارع.

وصورتها: نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرأ الى الله من الساعين في الأرض بالفساد نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنسية بعدما كانوا أصحابًا وأحيانًا لسوية وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت الطاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونايرته.

وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء والمساكين ولولاه لكانت العسكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر فعليكم أن لا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم فإن الله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء ويحكم ما يريد وتخبركم أن كل من تسبب في تحريك هذه الفتنة قتلوا من آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واشتغلوا بأسباب معاشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم الدين النصيحة والسلام.

وفيه أمروا بقية السكان على بركة الأريكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتكم المتباعدين منهم ليكون الكل في حومة واحدة وذلك لما دخلهم من المسلمين حتى أن الشخص منهم صار لا يمشي بدون سلاح بعد أن كانوا من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلًا إلا لغرض والذي لم يكن معه سلاح يأخذ بيده عصا أو سوطًا أو نحو ذلك وتتأفرت قلوبهم من المسلمين وتحذروا منهم وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب الى طلوع النهار ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأريكية كفرلي المسمى بأبي خشبة وهو يمشي بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة وكان من جملة المشار إليهم فيهم والمدير لأمور القلاع وصفوف الحروب ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا وفي وقت الحادثة هجمت على الدار العامة ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنسية وفر الباقون.

فأخبروا من بالقلعة الكبيرة فنزل منهم عدة وافرة وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها وضربوهم بالبندق ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين وكانوا جملة كثيرة وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغربية والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك مما هو معدوم النظير كل آلة لا قيمة لها عند من يعرف صنعتها ومنفعتها فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعًا وصعب ذلك على الفرنسيين جدًّا وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات.

وممن قتل في وقعة هذه الدار الشيخ محمد الزهار.

وفي خامسه أفرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار وتوجه الى بيته.

وفي ثامنهم قتلوا أربعة أنفار من القبط منهم إثنان من التجارين قيل إنهم سكروا في الخمارة ومروا في سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء وقد تكرر منهم ذلك عدة مرار فاعتاظ لذلك القبطة.

وفيه كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخًا للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق ذلك على لسان المشايخ أيضًا ولكن تزيد صورتها عن الأولى.

وصورتها نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين أن إبراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان.

وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واعتاضوا غيظًا شديدًا من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم وتركوا عيالهم وأوطانهم فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنسية لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهازًا مع أغوات معينين ونخبركم أن الطائفة الفرنسية بالخصوص عن بقية الطوائف الإفرنجية دائمًا يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان قائمون بنصرته وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ولذلك بين الفرنسية والموسكوف غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة.

والطائفة الفرنسية يعادون حضرة السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله تعالى ولا يبقون منهم بقية فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين لأن حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدًا في دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم فلا تعلقوا أموالكم بإبراهيم ومراد وراجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفيه أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم كتخدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأواني ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة.

وفي خامس عشره حضر جماعة من الفرنسية بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكرًا وضاع على أصحابه.

وفيه دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بك الدفتردار فطليوه وأمروه بإحضارهما فأحضرهما بعد الإنكار والحجد عدة مرار فوجدوا ضمنهما أسلحة وجواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك.

وفي عشرينه كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها أن في يوم الجمعة حادي عشرينه قصدنا أن نطير مركبًا ببركة الأزبكية في الهواء بحيلة فرنساوية فكثرت لغت الناس في هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم فرأيت قماشًا على هيئة الأداة على عمود قائم وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغريال وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة وهي مشدودة بيكر وأحبال وأطراف الأحبال بأيدي أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملاه فانتفخ وصار مثل البكرة وطلب الدخان الصعود الى مركزه فلم يجد منفذًا فجذبها معه الى العلو فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ومشيت هنيئة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة وسقط أيضًا ذلك القماش وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المصومة فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة مصنوعة ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وإرسال المراسلات بل ظهر أنها مثل الطائرة التي يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح.

وفي تلك الليلة طاف منهم أنفار بالأسواق ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة فأطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهي موتى فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون في الليل وهم سكوت كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم ففعلوا بها ذلك وارتاحوا هم والناس منها.

وفي خامس عشرينه سافر عدة عساكر الى جهة مراد بك وكذلك الى جهة كرداسة بسبب العربان وكذلك الى السويس والصالحية وأخذوا جمال السقائين برواياها وحميرهم ولكن يعطونهم وفيه ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأواني صيني وأواني نحاس قناطير وغير ذلك وانقضى هذا الشهر وما حصل به من الحوادث الكلية والجزئية التي لا يمكن ضبطها لكثرتها.

منها أنهم أحدثوا بغيط النوبي المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصومة منتزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة في أوقات مخصصة وجعلوا على كل من يدخل إليه قدرًا مخصوصًا يدفعه أو يكون مأذونًا ويده ورقة.

ومنهم أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة وهدموا أماكن بالجيزة ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون وجعلوا في أعلاه طاحونًا تدور في الهواء عجيبة وتطحن الأراب من البر وهي بأربعة أحجار وطاحونًا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة وشرعوا في ردم جهات حوالي بركة الأزبكية وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صاري عسكر حتى جعلوها رحبة متسعة وهدموا الأماكن المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنائن التي خلف ذلك وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين مبتدأ من حد بيت صاري عسكر الى قنطرة المغربي وجددوا القنطرة المذكورة وكانت آلت الى السقوط وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق بحيث صار جسرًا عظيمًا ممتدًا ممهدًا مستويًا على خط مستقيم من الأزبكية الى بولاق قسمين: قسم الى طريق أبي العلا وقسم يذهب الى جهة التبانة وساحل النيل وبطريقة الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبي العلا وجامع الخطيري الى ناحية المدايق وحفروا في جانبي ذلك الجسر من مبدئه الى منتهاه خندقين وغرسوا بجانبه أشجارًا وسيسبانيًا وأحدثوا طريقًا أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان

المعروف بالشيخ شعيب حيث معمل الفواخير وردموا جسراً ممتداً ممهداً مستطيلاً يمتد من الحد المذكور وينتهي الى جهة المذبح خارج الحسينية وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول وقطعوا جانباً كبيراً من التل الكبير المجاور لنقطرة الحاجب وردموا في طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلي وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلي وأشجار الجسر أيضاً والأبنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع المقس وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقاً ممتدة من الأزبكية الى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة العادلية على خط مستقيم من الجهتين.

وقيدوا بذلك أنفراً منهم يتعاهدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمير وفعلوا هذا الشغل الكبير والفعل العظيم في أقرب زمن ولم يسخروا أحداً في العمل بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة ويصرفونهم من بعد الظهيرة ويستعينون في الأشغال وسرعة العمل بالآلات القريبة المأخذ السهلة التناول المساعدة في العمل وقلة الكلفة كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة ويدهاها ممتدتان من خلف يملؤها الفاعل تراباً أو طيناً أو أحجاراً من مقدمها بسهولة بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ثم يقبض بيديه على خشبتها المذكورتين ويدفعها أمامه فتجري على عجلتها بأدنى مساعدة الى محل العمل فيميلها بإحدى يديه ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة وكذلك لهم فؤوس وقزم محكمة الصنعة متقنة الوضع وغالب الصناعات من جنسهم ولا يقطعون الأحجار والأخشاب إلا بالطرق الهندسية على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة وجعلوا جامع الظاهر ببيرس خارج الحسينية قلعة ومنارته برجاً ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر وبنوا في داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة وباع نظاره منه أنقاضاً وعمداً كثيرة.

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية أبنية وكرانك وأبراجاً ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه وهدموا عدة دور من دور الأمراء وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم وأفردوا للمديرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد وما به من البيوت مثل بيت قاسم بك وأمير الحاج المعروف بأبي يوسف وبيت حسن كاشف جركس القديم والجديد الذي أنشأه وشيده وزخفره وصرف عليه أموالاً عظيمة من مظالم العبادة وعند تمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففر مع الفارين وتركه فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشر ي حفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسي منصوبة موازية لتختة عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول الى أعز أماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك وإظهار السرور بمجيئه إليهم وخصوصاً إذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعاً للنظر في المعارف بذلوا له مودتهم ومحبتهم ويحضرهم له أنواع الكتب المطبوع بها والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم مما يحير الأفكار ولقد ذهبت إليهم مراراً وأطلعوني على ذلك.

فمن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم وهو قائم على قدميه ناظرًا الى السماء كالمرهب للخليفة ويده اليمنى السيف وفي اليسرى الكتاب وحوله الصحابة

رضي الله عنهم بأيديهم السيوف وفي صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين وفي الأخرى صورة المعراج والبراق وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليه من صخرة بيت المقدس وصورة بيت المقدس والحرم المكي والمدني وكذلك صورة الأئمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام كإياصوفية وجامع السلطان محمد وهيئة المولد النبوي وجمعية أصناف الناس لذلك وكذلك السلطان سليمان وهيئة صلاة الجمعة فيه وأبي أيوب الأنصاري وهيئة صلاة الجنابة فيه وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام وبرابي الصعيد والصور والأشكال والأفلام المرسومة وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الأثقال وكثير من الكتب الإسلامية مترجم بلغتهم ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضي عياض ويعبرون عنه بقولهم شفاء شريف والبردة للبوصيري ويحفظون جملة من أبياتها وترجموها بلغتهم ورأيت بعضهم يحفظ سورًا من القرآن ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضيات ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق ويدأبون في ذلك الليل والنهار وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريقها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أي لغة كانت إلى لغتهم في أقرب وقت وعند توت الفلكي وتلامذته في مكانهم المختص بهم الآلات الفلكية الغربية المتقنة الصنعة وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه وهي تركيب ببراريم مصنوعة محكمة كل آلة منها عدة قطع تركيب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرًا من الفراغ وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها إلى المرئي وإذا انحل تركيبها وضعت في ظرف صغير.

وكذلك نظارات للنظر في الكواكب وأرصاها ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها وأنواع المنكبات والساعات التي تسير بثواني الدقائق الغربية الشكل الغالية الثمن وغير ذلك وأفردوا لجماعة منها بيت أبراهيم كتخدا السناري وهم المصورون لكل شيء ومنهم أريجوا المصور وهو يصور صور الآدميين تصويرًا يظن من يراه أنه بارز في الفراغ بجسم يكاد ينطق حتى أنه صور صورة المشايخ كل واحد على حدة في دائرة وكذلك غيرهم من الأعيان وعلقوا ذلك في بعض مجالس صاري عسكر وآخر في مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها وبأخذون الحيوان أو الحوت الغريب الذي لا يوجد ببلادهم فيضعون جسمه بذاته في ماء مصنوع حافظ للجسم فيبقى على حالته وهيئته لا يتغير ولا يبلى ولو بقي زمناً طويلاً.

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين وصناع الدقائق وسكن الحكيم رويًا بيت ذي الفقار كتخدا بجوار ذلك ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه في ناحية وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان واستخراج الأملاح وقدرًا عظيمة وبرامات وجعل له مكانًا أسفل وأعلى وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة وبها كذلك عدة من الأطباء والجراحية.

وأفردوا مكانًا في بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع وآلات تصاعيد الأرواح وتقاطير المياه وخلاصات المفردات وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة والحلالة وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلوري المختلف الأشكال والهيئات على الرفوف والسدلات وبداخلها أنواع المستخرجات.

ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان أن بعض المفيدون لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة فصب منها شيئًا في كأس ثم صب عليها شيئًا من زجاجة أخرى فعلا المان وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار

حجرًا أصفر فقلبه على البرجات حجرًا يابسًا أخذناه بأيدينا ونظرناه ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجرًا أزرق وبأخرى فجمد حجرًا أحمر ياقوتيًا وأخذ مرة شيئًا قليلًا جدًا من غبار أبيض وضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة انزعجنا منه فضحكوا منا وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة في مقدار الشبر ضيقة الفم فغمسها في ماء قراح موضوع في صندوق من الخشب مصفح الداخل بالرصاص وأدخل معها أخرى على غير هيئتها وأنزلهما في الماء وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء في أحدهما وأتى آخر بفتيلة مشتعلة وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء وقرب الآخر الشعلة إليها في الحال فخرج ما فيها من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضًا وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكيمة تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع ومثل الفلكة المستديرة التي يديرون بها الزجاجة فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شيء كثيف ويظهر له صوت وطققة وإذا مسك علقاتها شخص ولو خيطًا لطيفًا متصلًا بها ولمس آخر الزجاجة الدائرة أو ما قرب منها بيده الأخرى ارتج عنه وارتعد جسمه وطقطقت عظام أكتافه وسواعده في الحال برجة سريعة ومن لمس هذا اللامس أو شيئًا من ثيابه أو شيئًا متصلًا به حصل له ذلك ولو كانوا ألفًا أو أكثر ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا.

وأفردوا أيضًا مكانًا للنجارين وصناع الآلات والأخشاب وطواحين الهواء والعربات واللوازم لهم في أشغالهم وهندساتهم وأرباب صنائعهم ومكانًا آخر للحداين وبنوا فيه كوانين عظامًا وعليها منافخ كبار يخرج منها الهواء متصلًا كثيرًا بحيث يجذبه النافخ من أعلى بحركة لطيفة وصنعوا السندانات والمطارق العظام لصناعات الآلات من الحديد والمخارط وركبوا مخارط عظيمة لخرط القلوزات الحديد العظيمة ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم الخراط للحديد بالأفلام المتينة الجافية وعليها حق صغير معلق مثقوب وفيه ماء يقطر على محل الخراط لتبريد النارية الحادثة من الاصطكاك وبأعلى هذه الأمكنة صناعات الأمور الدقيقة مثل البركارات وآلات الساعات والآلات الهندسية المتقنة وغير ذلك.

شهر رجب سنة 1213 استهل بيوم الأحد في ثلثه قتلوا شخص من الأجناد يقال له مصطفى كاشف من جماعة حسين بك المعروف بشفت وكان قد فر مع الفارين ثم رجع من غير استئذان وأقام أيامًا مستترًا ببيت الشيخ سليمان الفيومي فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليأخذ له أمانًا فأخبر الفرنسيين بشأنه وأغراهم عليه فأمروه بقتله فقطع رأسه وطافوا بها ينادون عليها بقولهم: هذا جزاء من يدلخ إلى مصر بغير إذن الفرنسيين.

وفي يوم الخميس حضر كبير الفرنسيين الذي بناحية قليوب وصحبته سليمان الشواربي شيخ الناحية وكبيرها فلما حضر حبسوه بالقلعة قيل إنهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس لينهض أهل تلك النواحي في القيام وبأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيين ولما حبسوه وحبسوا معه أربعة من الأجناد أيضًا.

وفيه أحدثوا مرمارًا يضربونه في كل يوم وقت الزوال لأن ذلك الوقت عندهم ابتداء اليوم.

وفي يوم الأربعاء عاشره نادوا في الأسواق بأن من أراد أن يشتري فرسًا أو حمارًا فليحضر يوم الجمعة ثالث عشره ببولاق ويشتري من الفرنسيات ما أحب ذلك وكتبوا بذلك أوراقًا وألصقوها بالأسواق والأزقة وهي مطبوعة وعليها الصورة ونصها: فليكن معلومًا عند كافة الرعايا المصرية أن في يوم الجمعة ثلاثة عشر من شهر رجب الساعة

اثنين يباع في بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنسية فـلأجل هذا المشتري كل من أراد أن يقتني خيلاً فـمنحنا له الإجازة أنه يقتني كما يريد ويشاء.

وفي يوم الاثنين سادس عشره سافر صاري عسكر بونا برته الى السويس وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقي و ابراهيم أفندي كاتب البهار وأخذ معه أيضاً بعض المدبرين والمهندسين والمصورين و جرجس الجوهري والطلون أبو طاقية وغيرهم وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية.

وفيه شرعوا في ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرًا منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص وهم الذين يحضرون دائماً ويقال لهم الديوان الخصوصي والديوان الديمومي.

والباقي بحسب الاقتضاء والأربعة عشر هم من المشايخ الشرقاوي والمهدي والصاوي والبكري والفيومي ومن التجار المحروقي وأحمد محرم ومن النصارى القبطة لطف الله المصري ومن الشوام يوسف فرحات ومخايل كحيل ورواحة الانكليزي وبودني وموسى كافر الفرنسية ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيين ومترجمون وأما العمومي فأكثره مشايخ حرف وكتبوا بذلك طوماً كبيراً بصموا منه نسخاً كثيرة وأرسلوا منها نسخاً كثيرة للأعيان وألصقوا منها بالأسواق على العادة وأرسلوا الذين عينوا بالديوان أوراقاً بأسمائهم شبه التقارير وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب في شأن ذلك وقد أوردت ذلك وإن كان فيه بعض طول للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسليق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيالات التي تنادي على بطلانها بديهة العقل فضلاً عن النظر وهي مقولة على لسان بونا برته كبير الفرنسيين ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم من أمير الجيوش الفرنسية خطاباً الى كافة أهالي مصر الخاص والعام نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول الخليين من المعرفة وإدراك العواقب سابقاً أوقعوا الفتنة والشروع بين القاطنين بمصر فأهلكهم لله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة والباري سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة والرحمة على العباد فامتثلت أمره وصرت رحيماً بكم شفوفاً عليكم ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بحسب تحريك هذه الفتنة بينكم ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد وصلاحي أموالكم من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة إنساناً ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التي وقعت سابقاً أيها العلماء والأشراف أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذي يعاديني ويخاصمني إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجأ ولا مخلصاً ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من بين يدي الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى والعاقلي يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة وأعلموا أيضاً أمتكم أن الله قدر في الأزل هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصليان على يدي وقدر في الأزل أنني أجيء من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها وإجراء الأمر الذي أمرت به ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضائه وأعلموا أيضاً أمتكم أن القرآن لعظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل وأشار في آيات أخرى الى أمور تقع في المستقبل وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يتخلف إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات في أذانكم فلترجع أمتكم جميعاً الى صفاء النية وإخلاص الطوبة فإن منهم من يمتنع عن الغي وإظهار عداوتي خوفاً من سلاحي وشدة سطوتي ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والذي يفعل ذلك يكون معارصاً لأحكام الله ومنافقاً وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب وأعلموا أيضاً أنني أقدر على إظهار ما في نفس كل أحد منكم لأنني أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذي عنده ولكن يأتي وقت ويوم يظهر لكم

بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهي لا يرد وأن اجتهد الإنسان غاية جهده ما يمنعه عن قضاء الله الذي قدره وأجراه على يدي فطوبى للذين يسارعون في اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية وإخلاص السريرة والسلام.

ورتبوا لأرباب الديوان الديمومي شهرية تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين.

وفي ثامن عشره طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرسًا أخذوها.

وفي رابع عشرينه حضر السيد المحروقي وكاتب البهار من السويس وكان ساري عسكر ذهب إلى ناحية بلبيس فاستأذنه في ذهابهم إلى مصر فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكريًا ليوصلوهم إلى مصر فلما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجيء الفرنسيين هربوا وأخلوا البلدة فذهبوا إلى الطور وذهب البعض إلى العرب بالبادية فذهب الفرنسيين ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابي الماء فلما حضر كبيرهم وكان متأخرًا عنهم كلمه التجار الذاهبون معه وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح فاسترد من العسكر بعض الذي أخذوه ووعدهم باسترجاع الباقي أو دفع ثمنه بمصر وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات ثم إنه وجد مركبان حضرا إلى قريب من السويس بهما بن ومتاجر فغرقت إحداهما فنزلت طائفة من الفرنسيين في مراكب صغار وذهبوا إليها في الغاطس وأخرجوها بالآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال وفي مدة إقامته بالسويس صار يركب ويتأمل في النواحي وجهات ساحل البحر والميل ليلاً ونهارًا وكان معه من الأم في هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة في ورق وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق في طرف خربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق في عنقه.

وفي يوم السبت حضر عدة من العسكر الفرنسيين من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرًا موثقون بالحبال وأسروا أيضًا عدة من أولادهم ذكورًا وإناثًا ودخلوا بهم إلى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ومعهم أيضًا ثلاثة حمول من حمول التجار وبعض جمال مما كان نهب منهم وفي ليلة الاثنين غايته حضر ساري عسكر من ناحية بلبيس إلى مصر ليلاً وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباطة أخو سليمان أباطة شيخ العيادة وخلافه رهائن وضربوا أبو زعل والمنير وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم رجالًا ونساءً وصغارًا وفي ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربي شيخ قلوب ومعهم أيضًا ثلاثة رجال يقال لهم عرب اشرقية فأنزلوهم من القلعة إلى الرميطة على يد الآغا وقطعوا رؤوسهم وحملوا جثة الشواربي مع رأسه في تابوت وأخذه أتباعه في بلده قلوب ليدفن هناك عند أسلافه وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية.

منها أن في ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة إلى دار الشيخ محمد ابن الجوهري الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء فخلعوا الشباك المطل على البركة ودخلوا منهم وصعدوا إلى أعلى الدار وكان بها ثلاثة من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضًا وبواب الدار ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم بل كانوا قد انتقلوا إلى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية فاستيقظ النساء وصرخن فضربوهن وقتلوا منهن امرأة واختفت البنت في جهة وعاثوا في الدار وأخذوا متاعًا ومصاعًا ونزلوا واستيقظ البواب فاخفى خوفًا منهم فلما طلع النهار وشاع الخبر وكان ساري عسكر غائبًا فلم يقع كلام في شأن ذلك فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه فاعتم لذلك وأظهر الغيظ وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذي يلحقه واهتم في الفحص عمن فعل ذلك وقت.

ومنها كثرة تعدي القلقات وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة هم من أهل البلد وإذا مروا بالليل ووجدوا قنديلاً أطفأه الهواء وفرغ زيتة سمرؤا الحانوت أو الدار التي هو عليها ولا يقلعون مسماراً حتى صالحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش بسبب كونها في ظروف من الورق والجريد فابتل الورق وسال الماء فأطفأ القناديل فسمروا حوانيت السوق وأصبح أهلها صالحوا عليها ووقع مثل ذلك في طرق عديدة فجمعوا في ذلك اليوم جملة من الدراهم وأمثال ذلك حتى في الأزقة والعطف غير النافذة حتى كان الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها وخصوصاً في ليل الشتاء الطويل.

شهر شعبان المعظم سنة 1213 استهل بيوم الثلاثاء فيه قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيين وبنفقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل إنهم من المتسلقين على الدور.

وفيه أخبر بأن مراد بك ومن معه ترفعوا الى قبلي ووصلوا الى عقبة الهواء وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوية انتقلوا وقبلوا ولقد داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقات ولا قتال.

وفيه قدمت رباة تحمل البن الذي حضر من السويس بالمركب الداو يصحبه جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق. وفي

يوم الأحد سادسه نادى القبطان الفرنساوي السكاكن بالهشد الحسيني

على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين وشدد في ذلك ووعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك وكان السبب في ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوي بن فتيح مباشر وقف المشهد فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجي فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى فحصلت له بعض إفاقة فابتدأ به وأوقد في المسجد والقبعة قناديل وبعض شموع ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارس وأخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولي ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العيفي والسيمان والعربي والعيسوية فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والمواالات ومنهم من يقول أيباً من بردة المديح للبوصيري ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدي محمد بن عيسى وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة بحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوة وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوي عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخرى هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهديان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت الى حسيان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعي خلفهم والافتتان بهم ورمي قشور اللب والمكسرات والمأكولات في المسجد وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه وسقاة الماء فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتقفاً بالأسواق الممتهنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم زاد الحال على ذلك بقدم جماعة الأشرار من الحارات البعيدة والقريبة وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التي تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ومن لا يملك قوت ليلته فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ويبيع متاعه أو يستدين الجملة من الدراهم ويصرفها في وقود القناديل وأجرة الطبالاة والزمارة وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ثم يقطع ليلته تلك سهرانًا ويصبح دايجًا كسلانًا ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويتعهد واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ولم يزد النادر لذلك إلا مرضًا ومقنًا واستجلب خدمة الضريح ما لاح لهم من خساف العقول مثل الشمع والدراهم واتخذوا ذلك حباله لأكل أموال الناس بالباطل فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ترك هذا المولد في جملة المتروكات ثم حصلت الفتنة التي حصلت وسكن هذا الفرنسي في خط المشهد الحسيني لضبط تلك الجهة وفيه مسامرة ومداينة فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلطفهم ويدخل بيوت الجيران ويقبل شفاعة المتشفعين ويجل الفقهاء ويعظمهم ويكرمهم وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم في غير هذه الجهة وكذلك منع ما يفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس في مثل القناديل فاطمان به أهل الخطة وتراجعوا للبكور الى الصلاة في المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذي رتب معهم وتركهم التكبير فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ومشوا بالليل أيضًا بدون فزع وخوف وترجمانه على مثل طريقته وهو رجل شريف من أهل حلب كان أسيرًا بمالطة فاستخلصه الفرنسي من جملة ما استخلصوه من أسرى مالطة وقدم معهم مصر فلما أجلس هذا الضابط الخط كان ترجمانه يهوديًا فاحتال بعض أعيان الجهة ورتب هذا الشريف المذكور ليكون فيه راحة للناس ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه وجمع الناس للجلوس فيها واليسهر حصة من الليل وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارًا من الليل كعادتهم القديمة فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلي والخلاعات وعم ذلك جهات تلك الخطة ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة وتلك هي طبيعة الفرنسي فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث واللعب والممازحة ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته وهي من أولاد البلد المخلوعين أيضًا فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهري وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان وحسنوا له إعادته فوافقهم على ذلك وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد في ذلك.

وفي يوم الأربعاء كتبوا أوراقًا بتطير طيارة ببركة الأربكية مثل التي سبق ذكرها وفست.

فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروها وصعدت الى الأعلى ومرت الى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا إنها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم.

وفيه سافر الخواجة محلون الى الصعيد واليًا على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحي للغز.

وفيه سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواش ونساء إفرنجيات وصناديق قيل إنهم أرسلوها الى الطور وصحبهم عدة من العسكر.

وفي يوم الخميس عاشره حضر طائفة من العسكر الفرنسي الى وكالة ذي الفقار بالجمالية ففتحوا طبقة كانت لكتخدا علي باشا الطرابلسي وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها للمسافرين والهاربين والقلبونجية.

وضبطوا ما بها وقبضوا على جماعة من الأتراك والقلبيونجية التجار وسجنوهم بالقلعة وصاروا يفتشون على من بقي منهم بالقاهرة وبولاق خصوصًا الكرتلية الذين كانوا عسكريًا لمراد بك وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقلبيونجية الذين كانوا مع مراد بك وبعضهم كان بمصر فأدخلوهم في عسكريهم وزيوهم بزيتهم وأعطوهم أسلحة وانتظموا في سلكهم.

وفيه تواترت الأخبار أن علي باشا ونصوح باشا فارقا مراد بك وذهبا من خلف الجبل على وفيه نادوا بإبطال القناديل التي توقد في الليل على البيوت والدكاكين وأن يوقدوا عوضها في وسط السوق مجامع في كل مجمع أربع قناديل بين كل مجمع ثلاثون ذراعًا ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء ولا علاقة للقلقات في ذلك ففرح بذلك فقراء الناس وانفجرت عنهم هذه الكربة.

وفيه نادوا أيضًا أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب إلى العلماء والقاضي. وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والاوز والحمير وغير ذلك.

وفيه حضر رجل من ناحية غزة يطلب أمًا للست فاطمة زوجة مراد بك ولابنة المرحوم محمد أفندي البكري وزوجها الأمير ذي الفقار وخشداشينه والخطاب للشيخ خليل البكري.

فعرض ذلك على ساري عسكر وترجى عنده فكتب له أمًا بحضورهم وأرسل لهم نفقة وكان ذلك حيلة منهم لتأنيبهم النفقة وبعض الاحتياجات وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة وإبراهيم بك ومن معه خارج البلد وهم في ضيق وحصر وحيز عنهم داخل البلد.

وفيه ذهب عدة من العسكر الفرنسية إلى قطيا وشرعوا في بناء أبنية هناك وأشيع سفر ساري عسكر إلى جهة الشام والإغارة عليها.

وفي ليلة الأحد ثالث عشره كان انتقال الشمس لبرج الدلو وهو أول شهر من شهورهم وعملوا وفي يوم الاثنين رابع عشره نادى المحتسب على اللحم الضاني بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية واللحم الجاموسي بخمسة وكان بستة.

وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحي الخانكة وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنسية وأوسلحتهم جملة فأخذوا ذلك مع ما أخذوه وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة وفيه ذهب عدة من العسكر إلى صنافير واجهور الورد وقرنفيل وكفر منصور وبلاد أخرى للتفتيش على العرب فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها والذي عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضًا ونهبوا جمالًا وبهائم ممن لم يعص أيضًا ودخلوا بذلك المدينة فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة والنعجة وابنها بريال فاشترى غالب ذلك نصارى القبط.

وفي يوم السبت قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرًا وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين في البلاد والذين عس عليهم الخبيث الآغا وبرطلمين والقلقات ووجدوهم مختفين في البيوت.

وفيه قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فألقوا الجميع في بحر النيل وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيئاً من منهوبات العرب التي نهبتها العسكر يحضره لبيت صاري عسكر.

وفيه كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيين الى جهة الشام وطلبوا وهبوا جملة من الهجن وأحضروا جمال عرب الترايين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ثم رسموا على الأهالي عدة كبيرة من الحمير وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال فاخفى غالب أصحاب الحمير وخاف الناس على حميرهم فامتنع خروج السائقين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير وسقائين الجمال والبراسمية فحصل للناس ضيق بسبب ذلك.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق على العادة ونصها: الحمد لله وحده هذا خطاب الى جميع أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصي من عقلاء الأنام علماء الإسلام والوجاقات والتجار الفخام نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنسية صفع الصفح الكلي عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أرادل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنسية وعفا عفواً شاملاً وأعاد الديوان الخصوصي في بيت قائد آغا بالأزبكية ورتبه من أربعة عشر شخصاً أصحاب معرفة وإتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً كان انتخبهم بموجب فرمان وذلك لأجل قضايا حوايج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه بمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم وقد اقتضى من عسكره الذين أسأوا بمنزل الشيخ محمد الجوهري وقتل منهم اثنين بقراميدان وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى أدنى مقام لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيين خصوصاً مع النساء الأرامل فإن ذلك قبيح عندهم لا يفعله إلا كل خسيس ووضع القبض بالقلعة على رجل نصراني مكاس لأنه بلغه أنه زاد المظالم في الجمر ك بمصر القديمة على الناس ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع في الندامة رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم إلا من كان له دعوى شرعية فليتوجه الى قاضي العسكر المتولي بمصر المحمية بخط السكرية والسلام عن أفضل الرسل على الدوام.

وفيه أرسلوا الوالي لينبه على السقائين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم. وفي

ليلة الأربعاء ثالث عشرينه خرج عدة كبيرة من العسكر

وطلب كبير الفرنسية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بك كتخدا الباشا المتولي أمير الحاج ويأخذ أيضاً قاضي العسكر بجمقشي زاده وأربعة أنفار من المتعممين وهم الفيومي والصاوي والعريشي والدواخلي وجماعة أيضاً من التجار والوجاقلية ونصاري القبط والشوام.

وفي سادس عشرينه نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلاً في رمضان حكم المعتاد.

وفيه انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل وهو بيت ابراهيم بك الوالي وسكن بيت أيوب بك الكبير المطل على بركة الفيل وانتقلوا جميعهم الى بركة الأزبكية.

وفيه أعرض حسن آغا محرم المحتسب لساري عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل لذلك المحتسب احتفالاً زائداً وعمل وليمة عظيمة في بيته أربعة أيام أولها السبت وآخرها الثلاثاء دعا في أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقية وغيرهم وفي ثاني يوم التجار والأعيان وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضًا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام وأمير الحاج وساري عسكر بونابارته ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضي بين القصرين فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء ثم ركب من هناك بالموكب وأمامه المشاغل الكثيرة والطبول والزمرور والنقاير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة غارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على أفقيتهم بشكل بشيع مهول وانقضى شهر شعبان وحوادثه.

فمنها أن أهل مصر جروا على عادتهم في بدعهم التي كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها واحتشموها خوفًا من الفرنسيين فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنساوية القيد ورخصوا لهم وسايروهم رجعوا إليها وانهمكوا في عمل مواليد الأضرحة التي يرون فرضيتها وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقربهم الى الله زلفى في المسالك فرمحوها في غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر وكساد غالب البضائع وغلوها وانقطاع الأخبار ومنع الجالب ووقوف الانكليز في البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد حتى غلت أسعار جميع الأصناف المجلوبة من البحر الرومي وانقطع أثر كثير من أرباب الصنائع التي كسدت لعدم طلابها واحتاجوا الى التكسب بالحرف الدنيئة كبيع الفطير وقلي السمك وطبخ الأظعمة والمأكولات والأكل في الدكاكين وإحداث عدة قهاوي وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة فأكثرهم عمل حمارًا مكاربًا حتى صارت الأزقة خصوصًا جهات العسكر مزدحمة بالحمير التي تكرر للتردد في شوارع مصر فإن للفرنسيين بذلك عناية عظيمة ومغالة في الأجرة بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجري به مسرعًا في الشارع وكذلك تجتمع الباعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها في المشي والإسراع وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ويشاركونهم المكارية في ذلك كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد الى حانات الراح والتغالي في شراء الفواكه والبواطي والأقداح.

ومن طبعهم في الشرب أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس فإن زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم ومن سكر وخرج الي السوق ووقع منه أمر مخل عاقبه وعزروه.

ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيين ومشيههم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش القول واستذلهم المسلمين كل ذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد والحال الحال والمركز في الطبع مازال والبعض استهوته الشياطين ومرق والعياذ بالله من الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومنها تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلاً مغربيًا يقال له الشيخ الكيلاني كان مجاورًا بمكة والمدينة والطائف فلما وردت أخبار الفرنسيين الى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز ويدعوهم الى الجهاد ويحضرهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتابًا مؤلفًا في معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم

وأنفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر الى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه.

فورد الخبر في أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أترك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة انبابة وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيين فلم تثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هواره الصعيد والمتجمعة من القرى وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك الى ناحية اسنا وصحبته حسن بك الجداوي وعثمان بك حسن تابعه ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع وينفصل الفريقان بدون طائل.

ومنها أن الفرنسيين عملوا كرتيلة بجزيرة بولاق وبنوا هناك بناء فيحجزون بها القادمين من السفار أيامًا معدودة كل جهة من الجهات القبلية لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس والبحرية بحسبها والله أعلم.

ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأربعاء سنة 1213.

فيه أخذ بونابارته في الاهتمام بالسفر الى جهة الشام وجهزوا طلبًا كثيرًا وصاروا في كل يوم يخرج منه طائفة بعد طائفة.

وفي يوم السبت عمل ساري عسكر ديوانًا وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم في أمر خروجه للسفر وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم الى أقصى الصعيد وأنهم متوجهون الى الفرقة الأخرى بناحية غزة فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات برًا وبحرًا لعمار القطر وصلاح الأحوال وأتينا نغيب عنكم شهرًا ثم نعود وعندنا نرتب النظام في البلاد والشرائع وغير ذلك فعليكم ضبط البلد والرعية في مدة غيابنا ونهوا مشايخ الأخطاط والحارات كل كبير يضبط طائفته خوفًا من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقًا مطبوعة على العادة في معنى ذلك وألصقوها بالطرق وفي ذلك اليوم خرج القاضي ومصطفى كتحدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر الى جهة العادلية وخرج أيضًا عدة كبيرة من عسكرهم ومعهم أحمال كثيرة حتى الأسرة والفريش والحصار وعدة مواهي ومحفات للنساء والجواري البيض والسود والحبوش اللاتي أخذوها من بيت الأمراء وتزينا أكثرهن بزي نسائهم الإفرنجيات وغير ذلك.

وفي يوم الأحد خامسه ركب ساري عسكر الفرنسيين وخرج أيضًا الى العادلية وذلك في الساعة الرابعة بطالع الحمل وفيه القمر في تربع زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التي بناها على التلول وقائمقام وبوسليك وساري عسكر ويزه بجملة من العسكر في الصعيد وكذلك سوارى عسكر الأقاليم كل واحد معه عسكر في جهة من الجهات وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسي الحروب وكبيرهم أبو خشبة بمصر ثم تراسل المتخلفون في الخروج كل يوم تخرج منهم جماعة.

وفي يوم الثلاثاء سابعه انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيين في يوم الخميس تاسعه فأرسل قائمقام خلف المهدي والآغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له: هذا كذب لا أصل له وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم في المسلمين ففحص عنم اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم في الاعتقال ثم أن نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة في لبس العمائم السود والزررق وتركوا لبس العمائم البيض والشيلاان الكشميري الملونة

والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيين لهم من ذلك ونهبوا أيضًا بالمناداة في أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عاداتهم مع المسلمين أولاً ولا يتجاهرون بالأكل ولا يشربون الدخان ولا شيئاً من ذلك بمرأى منهم كل ذلك لاستجلاب خواطر الرعية حتى أن بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهزه فرد عليه ردًا شنيعًا فنزل ذلك المتعمم وضرب النصراني واجتمع عليه الناس وحضر حاكم الخطة فرفعهما الى قائم مقام فسأل من النصارى الحاضرين عن عاداتهم في ذلك فأخبروه أن من عاداتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يأكلون في الأسواق ولا بمرأى من المسلمين أبدًا فضرب النصراني وترك المتعمم لسبيله.

وفي تاسع عشرينه أحضروا مراد آغا تابع سليمان بك الآغا ومعه آخر من الأجناد من ناحية قبلي فأصعدوهما القلعة قبل قتلهم.

وفي خامس عشرينه ورد الخبر بأن الفرنسيات ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادي في الأسواق أن الفرنسيات ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك وفي غد يعملون شكًا ويضربون مدافع فإذا سمعتم ذلك فلا تفرعوا فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكًا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيين وأمامهم طلبهم وخرج بعض الناس فشاهدتهم ولما وصلوا الى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهري خرج الآغا وبرطلمين بطوافيهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوائف ومشوا معهم الى الأزبكية من الطريق التي أحدثوها ودخلوا بهم الى بيت قائم مقام فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم فذهبوا الى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما يوسف كاشف الرومي واسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبهم نحو ألف عسكري مغاربة وأرنؤد فحضر لهم الفرنسيين الذين كانوا في المقدمة في أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وجاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه ثم حضر إليهم ساري عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا في حصارهم فأرسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعمئة وعليهم قاسم بك أمين البحرين فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنسيات بها وإحاطتهم حولها فنزلوا قريبًا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيين بالليل فاستشهد قاسم بك وغيره وانهزم الباقون ولم يزل أهل القلعة يجاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يومًا فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية بهم وتولية سبيلهم فحضرهم الى مصر كما ذكر وأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ويظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم.

وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش فبعضهم انضاف إليهم وأعطوهم جامكية وعلوفة وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيين والبعض لم يرض بذلك فأخذوا سلاحه وأطلقوهم في حال سبيلهم وذهب الفرنسيين الى ناحية غزة وفي ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به وضربوا عدة مدافع بالقلعة والأزبكية وأظهر النصارى الفرح والسرور بالأسواق والدور وأولموا في بيوتهم الولائم وغيروا الملابس والعمائم وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا في القبح والشناعة.

وفي يوم الأربعاء توفي أحمد كاشف المذكور فجأة وفي عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيين نحو الخمسة والعشرين هم راكبون الهجن وعلي رؤوسهم عمائم بيض ولايسون برانس بيضًا على أكتافهم فذهبوا الى بيت قائم مقام بالأزبكية فلما أصبح يوم

الخميس عملوا الديوان وقرأوا المكاتبة التي حضرت مع الهجانة حاصلها أن الفرنسيين أخذوا غزة و خان يونس وأخبار مختلفة.

منها أنهم وجدوا ابراهيم بك ومن معه ارتحلوا من هناك وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم الى جبل نابلس وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا وفي ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيين ومهم كبير منهم وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمام بيضاء وجماعة أيضًا ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه ويدهم بيارق وهي التي كانت عند المسلمين على قلعة العريش الى أن وصلوا الى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالًا وركبًا بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوي فسلموه تلك البيارق وأمره برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقًا وعلى منارة أخرى بيرقًا ثالثًا وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسرورًا وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند الغرب ضربوا عدة مدافع أيضًا إعلانًا بالعيد وبعد العشاء الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عاداتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وأن يلبسوا أحسن ثيابهم ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقًا وأرسلوها الى البلاد ونصها: فرمان عام موجه من أمير الجيوش الى أهالي الشام قاطبة: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من طرف بونابارته أمير الجيوش الفرنسية الى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالي نواحي غزة والرملة وبافا حفظهم الله تعالى بعد السلام نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور نعلمكم أننا حضرنا في هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزائر عنكم والى أي سبب حضور عسكر الجزائر وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه والى أي سبب أيضًا أرسل عساكره الى قلعة العريش بذلك هجم على أراضي مصر فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه فأما أنتم يا أهالي الأطراف المشار إليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا في محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجًا عن محله ووطنه أن يرجع ويقم في محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافي والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم في مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا أن القضاة يلزمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزًا ومعتبرًا والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين.

إذ كل خير يأتي من الله تعالى وهو يعطي النصر لمن يشاء ولا يخفاكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لأن كل ما نضع به يدنا لا يد من تمامه للخير والذي يتظاهر بالعدو يهلك ومن كل ما حصل تفهمون جيدًا أننا نقمع أعداءنا ونعصد من يحبنا.

وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء المساكين.

ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارًا بصورة الواقعة وبصموه نسجًا وقرئ بالديوان وألصقوا نسخته المطبوعة بالأسواق وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخير أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال اسكندر يرتبه خطابًا الى حضرة ساري عسكر دوجا وكيل الجيوش بمصر يخبره فيه بأن العساكر الفرنسية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان في خان يونس وفي فجر تلك الليلة توجهوا سائرين الى ناحية غزة فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزائر جالسين تجاه غزة فتوجه إليهم الجنرال مرارًا مع عساكر الفرنسية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عسكر المماليك وعسكر الجزائر فلما انتهوا له فروا هاربين ووقع بينه وبين أطراف العساكر بعض مضاربة يسيرة لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنسية مات عسكري واحد ومات من عسكر المماليك والجزائر ناس قلائل وحين

تشاغل ساري عسكر مراد بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة ساري عسكر كلهبر الذي كان حاكمًا بالاسكندرية وكان ساكنًا بالأزبكية الى بندر غزة وملكها من غي ر معارض له ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعًا وحاصلًا كبيرًا مملوءًا بالخيام الكثيرة وجللاً ونبات مهينات محضرات كصنعة الإفرنج هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع في كيفية ملك العريش سابقًا فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتادبوا في أحكام مولاكم الذي خلقكم وسواكم والسلام ختام.

وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم إلا في النادر واختفائهم بالليل جملة كافية وانفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجيء وزيارة الإخوان ليلاً والمشي على العادة بالفوانيس ودونها واجتماع الناس للسهر في الدور والقهاوي ووقود المساجد صلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلي بالرواية والنقول وترجي المأمول وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار.

ومنها أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للإفطار والسحور ويعملون لهم الولائم ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعاداتهم ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين تظميناً لخواطرهم ويذهبون هم أيضاً ويحضرون عندهم الموائد ويأكلون معهم في وقت الإفطار ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ويحذون حذوهم ووقع منهم من المساييرة للناس وخفض الجانب ما يتعجب منه والله أعلم.

شهر شوال سنة 1213 استهل بيوم الجمعة وفي صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد واجتمع الناس لصلاة العيد في المساجد والأزهر واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسي قراءة الفاتحة في الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور.

فانتبذ بعض الحرافيش نواحي تربة باب النصر وأسرع في مشيه هو يقول: نزلت عليكم العرب يا ناس فهاجت الناس وانزعجت النساء ورمحت الجعيدية والحرافيش وخطفوا ثياب النساء وأزرهن وما صادفوه من عمائم الرجال وغير ذلك واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة حتى أن بعض النساء ماتت تحت الأرجل ولم يكن لهذا الكلام صحة وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك.

وفيه ركب أكابر الفرنسيين وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد وجاملهم الناس بالمدارة وفي أوائله وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية القبلين تفرقوا من بعضهم فذهب مراد بك وآخرون الى نواحي ابراهيم بك ومنهم من ذهب الى ناحية أسوان والألفي عدى بجماعته الى ابر الشرقي.

وفي خامسه قدم الشيخ محمد الدواخلي من ناحية القرين متمرصًا وكان بصحبته الصاوي والفيومي متخلفين بالقرين وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيين لما ارتحل من الصالحية أرسل الى كتخدا الباشا والقاضي والجماعة الذين بصحبتهم يأمرهم بالحضور الى الصالحية لأنهم كانوا يباعدون عنه مرحلة فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق فخافوا من المرور.

فذهبوا الى العرين فأقاموا هناك واتخذ عسكر الفرنسيين جمالهم فأقاموا بمكانهم فتقلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ففارقوهم وذهبوا للقرين وتخلف عنهم الفيومي فأقام مع كتخدا الباشا والقاضي فحصل للدواخلي توعك فحضر الى مصر وبقي رفيقاه في حيرة.

وفي سابعه أحضر الآغا رجلاً ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب والسبب في ذلك أن الفرنسي ساوي حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ويسى دلوي أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادهم ومنعهم من دفع معتاد الوالي فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسييس الذي يقال له شيخ البلد وشكوا إليه وكان الأمير ذو الفقار حاضراً وهو يسكن تلك الجهة فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم فأرسل شيخ البلد الى دلوي فانتهره وأمره برد ما أخذه فأخبره أتباعه أن ذا الفقار هو الذي عضدهم وأنهى شكواهم الى كبيرهم فقام دلوي المذكور ودخل على ذي الفقار في بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم وأخبره بفعل دلوي معه فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة.

ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذي وقع من دلوي لباعة الغلة إنما هو بإغراء خادمه وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميطة تأتيه بأشكالها هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة في القهوة التي بخطهم ليلاً ونهاراً وتبيت معهم في البيت ويصبحون على حالهم فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر ولا بأس بما حصل.

وفي ثامنه يوم الجمعة نودي في الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان والتنبية باجتماع الوجاقات وأرباب الأثاير وخلافهم على العادة في عمل الموكب فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس في الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالي والمحاسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الأثاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر الينكجارية من المسلمين نحو المائتين أو أكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع وهو لابس فروة عظيمة ثم مواكب القلقات ثم موكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا وخلفه النوبة التركية فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل وارتفاع السفل وكثرة الحشرات وعجائب المخلوقات واجتماع الأضداد ومخالفة الوضع المعتاد وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره حضر عدة من الفرنسييس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة يبارق وألام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسييس ملكوا قلعة يافا ويدهم مكاتبة من ساري عسكرهم بالإخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس واجتمع أرباب الديوان فقرأ عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية وهي عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك.

وصورتها: بسم الله الرحمن الرحيم مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد سبحانه الحكم العدل الفاعل المختار ذي البطش الشديد هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور فرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر فرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين رمضان ووصلوا الى الرملة في الخامس والعشرين منه في أمن واطمئنان فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزائر هارين بسرعة قائلين الفرار الفرار.

ثم أن فرنساوية وجدوا في الرملة ومدينة لد مقداراً كبيراً من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألقاً وخمسائة قرية مجهزة جهزها الجزائر يسير بها الى إقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ومراده أن يتوجه إليها بأشرار العربان من سطح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل قاصداً سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية وتجبره وظلمه مشهور لأنه تربية الممالك الظلمة المصرية ولم يعلم من خسافة عقله وسوء

تدبيره أن الأمر لله كل شيء بقضائه وتدبيره وفي سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات فرنساوية الى بندر يافا من الأراضي الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا الى حاكمها وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبمسكره الدمار فمن خسافة رأيه وسوء تدبيره سعى في هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب.

وفي أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر فرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين وانقسموا على ثلاثة طواوير: الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيدًا عن يافا أربع ساعات وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة ساري عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة لأنه وجد سور يافا ملأًا بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة.

وفي تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة أمر حضرة ساري عسكر المشار إليه أن ينصب المدافع على المتاريس وأن يضعوا أهواء القنبر بإحكام وتأسيس وأمر بنصب مدافع آخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا.

لأنه وجد في المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة المحاصرون أن عسكر فرنساوية قلائل في رأي العين للناظرين لمدارة فرنساوية في الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين ووطنوا أنهم يغلبون فرنساوية فهجم عليهم الفرنسيين وقتلوا منهم جملة كثيرة في تلك الواقعة والجوؤهم للدخول ثانيًا في القلعة.

وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند ساري عسكر شفقة قلبية وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه فأرسل إليهم مكتوبًا من رسول مضمونه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة ساري عسكر اسكندر برتيه كتحدا العسكر فرنساوي الى حضرة حاكم يافا نخبركم أن حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته أمرنا أن نعرفك في هذا الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة لأنه تعدى بإرسال عسكره الى العريش ومرابطته فيها والحال أنها من إقليم مصر التي أنعم الله بها علينا فلا يناسبه الإقامة بالعريش لأنها ليست من أرضه فقد تعدى على ملك غيره ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقناير وفي مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ونخبركم أن حضرة ساري عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصًا بالضعفاء من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين إذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين فلزمننا أننا نرسل لكم هذا الخطاب أمانًا كافيًا لأهل البلد والأغراب ولأجل ذلك آخر ضرب المدافع والقناير الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة وإني لكم لمن الناصحين وهذا آخر جواب الكتاب فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحرية والشرعية المطهرة المحمدية وحالًا في الوقت والساعة هيج ساري عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتداء ضرب المدافع والقناير الموجب للتدمير وبعد مضي زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار وبال وتنكيس وفي وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع وفي الحال أمر حضرة ساري عسكر بالهجوم عليهم وفي أقل من ساعة ملكت فرنساوية جميع البندر والأبراج ودار السيف في المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة. وفي

يوم الجمعة غرة شوال وقع الصبح الجميل

من حضرة ساري عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غني وفقير الذين كانوا في يافا وأعطاهم الأمان وأمرهم برجعهم الى بلدهم مكرمين وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجعهم الى أوطانهم سالمين لأجل أن يعرفوا مقدار شفقتة ومزيد رأفته ورحمته يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة مع تمكنه ومزيد إتقانه وتحصينه وفي هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون وأخذوا ذخائر كثيرة وأمواً غزيرة وأخذوا المراكب التي في المينة واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين مدفع ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لا تنفع فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله.

فلما تحقق الناس هذا الخبر تعجبوا وكانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصاً ف المدة القليلة ولكن المقضي كائن.

وفي يوم الجمعة خامس عشره شق جماعة من أتباع الشرطة في الأسواق والحمامات والقهواي ونهبوا على الناس بترك الفضول والكلام واللغط في حق الفرنسيين ويقولون لهم: من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلينته ويترك الكلام في ذلك فإن ذلك مما يهيج العداوة وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم في ذلك عوقب أو قتل فلم ينتهوا وربما قبض على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم.

وفي ذلك اليوم كان التحويل الربيعي وانتقال الشمس الى برج الحمل وهو أول شهر من شهورهم فعملوا ليلة السبت شنكاً وحراقاً وسواريح وتجمعوا بدار الخلاعة نساء ورجالاً وتراقصوا وتسابقوا وأوقدوا سراجاً وشموعاً وغير ذلك وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور.

وفي يوم السبت المذكور أرسلوا الأعلام والبيارق التي أحضروها من قلعة يافا وعدتها ثلاثة عشر وفيها من له طلائع فضة كبار الى الجامع الأزهر وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات وأرسلوا بدلها أعلام يافا وعملوا لها موكباً بطائفة من العسكر يقدمهم طبلهم وخلفهم الآغا بجماعته وطائفته والمحتسب ومدبرو الديوان وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطائفة الأولى وبعدهم عدة من العسكر على رؤوسهم عمام بيض يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة وخلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر وآخرون راكبون على حمير المكارية فلما وصلوا الى باب الجامع الأزهر رتبوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة وبعضها على الباب الآخر من الجهة الأخرى عند حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية ولم يصعدوا منها على المنارات كما صنعوا في أعلام العريش.

وفي يوم الأحد سابع عشره رتبوا أوامر وكتبوها في أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق إحداها بسبب مرض الطاعون وأخرى بسبب الضيوف الأغراب ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته خطاباً لأهل مصر وبلاق ومصر القديمة ونواحيها: إنكم تمثلون هذه الأوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم والقصاص العظيم وهي المحافظة من تشويش الكبة وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهتمتم أو شككتهم فيه ذلك في محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ريع يلزمهم ويتحتم عليكم

أن تعملوا كرتيلة ويجب قفل ذلك المكان ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذي فيه ذلك أن يخبر حالاً قلق فرنساوية حاكم ذلك الخط والقلق يخبر شيخ البلد قائم مقام مصر وأقاليمها ويكون ذلك فوراً.

وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها والأطباء إذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض يتوجه كل طبيب الى قائم مقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قائم مقام ويجازى مشايخ الحارات بمائة كبراج جزاء للتقصير وملزوم أيضاً من أصابه هذا التشويش أو حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته الى آخر أن يكون قصاصه الموت وهو الجاني على نفسه بسبب انتقاله وكل رئيس ملة في خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة في خطه أو بمن مات بها أيضاً حالاً فوراً كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت والمغسل إن كان رجلاً أو امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أوشك في موته ولم يخبر قبل مضي أربع وعشرين ساعة كان جزاؤه وقصاصه الموت وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الإنكجارية وحكام البلد فرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور مخفية وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قائم مقام وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام.

ومضمون الثانية: الخطاب السابق من ساري عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسني قائم مقام يلزم المديرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذي يدخل في محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو إقليم أن يعرف عنه حالاً حاكم البلد ولا يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربعة وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذي قدمه منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أي طائفة أو ضيقاً أو تاجرًا أو زائرًا أو غريبًا مخصصًا لآبد لصاحب المكان من إيضاح البيان والحذر ثم الحذر من التليس والخيانة وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر في شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعدياً ومذنباً وخائناً وموالسًا مع المماليك.

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخماير والوكائل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالاً فرانسة في المرة الأولى وأما في المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيين الفاتحين للخماير والبيوت والوكائل والسلام.

وفيه اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا في شأن مصطفى بك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج وهو أنه لما ارتحل مع ساري عسكر وصحبته القاضي والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار وافترق منهم عند بليس وتقدم هو الى الصالحية ثم أنهم انتقلوا الى العرين فحضر جماعة من العساكر المسافرين فاحتاجوا الى الجمال فأخذوا جمالهم فلما وصل ساري عسكر الى وطنه أرسل يستدعيهم الى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب فلم يمكنهم اللحاق به فأقاموا بالعرين بالعين المهمة عدة أيام وأهمل أمرهم ساري عسكر ثم أن الشيخ الصاوي والعريشي والدواخلي وآخرين خافوا عاقبة الأمر ففارقوهم وذهبوا الى القرين بالقاف وحصل للدواخلي توعك وتشويش فحضر الى مصر كما تقدم ذكر ذلك وانتقل مصطفى بك المذكور والقاضي وصحبته الشيخ الفيومي وآخرون من التجار والوجاقلية الى كفور نجم وأقاموا هناك أياماً واتفق أن الصاوي أرسل الى داره مكتوباً وذكر في ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لائقة.

فلما حضر ذلك المكتوب طلبه الفرنساوية المقيمين في مصر وقرأوه وبحثوا عن الأمور اللائقة فأولها بعض المشايخ أنه قصر في حقهم والاعتناء بشأنهم فسكتوا وأخذوا في التفحص.

فظهر لهم خيانتهم ومخامرتهم عليهم واجتمع عليه الجبالي وبعض العرب العصاة وأكرمهم وخلص عليهم وانتقل بصحبته إلى منية غمر ودقدوس وبلاد الوقف وجعل يقبض منهم الأموال وحين كانوا على البحر مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيين بدمياط فقاطعوا عليهم وأخذوا منهم ما معهم قهراً وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ما وقع لهم معه فأثبتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعصيانه وأرسلوا هجاءً بإعلام ساري عسكرهم بذلك.

فرجع إليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكراً ويرسلوا إلى داره جماعة ويقبضون عليه ويختمون على داره ويحبسون جماعته.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه عينوا عليه عسكراً وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلاء فقبضوا على كتخدائه الذي كان ناظرًا على الكسوة وعلى ابن أخيه ومن معهم وأودعهم السجن بالجيزة وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه وعبي الخيل والسروج وغيرها شيئاً كثيراً.

وجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضاً فانقبض خواطر الناس لذلك فإنهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضي ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيين وكلمتهما عندهم مقبولة وأوامرهما مسموعة ثم انهم أرسلوا أماناً للمشايخ والوجاقية والتجار بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم.

وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندي نقيب الأشراف حضر إلى دمياط وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين مثل عثمان أفندي العباسي وحسن أفندي كاتب الشهر ومحمد أفندي ثاني قلفة وباش جاجرت والشيخ قاسم المصلي وغيرهم وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد لم يتعرضوا للمصريين وطلبهم إليه وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر وألبسهم ملابس وأنزلهم في مركب وأرسلهم إلى دمياط من البحر.

وفي يوم الاثنين نادوا في الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون إلى بيت الوكيل ويأخذون لهم أورقاً بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ومن وجد من غير وثيقة في يده بعد ذلك يستأهل الذي يجري عليه وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية وفي يوم الثلاثاء نادوا في الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج في البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة وذلك بعد أن عملوا مشورة في ذلك.

وفيه حضر إمام كتخدا الباشا ومعه مكتوب فيه الثناء على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج وفي آخر المكتوب: وإن بلغكم من المنافقين عنا شيء فهو كذب ونميمة فلا تصدقوه فقرئ كتابه بالديوان فلما فهمه الفرنسيين كذبوه ولم يصغوا إليه وقالوا إن خيانتهم ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار ثم كتبوا له جواباً وأرسلوه صحبة إمامه مضمونه إن كان صادقاً في مقالته فليذهب إلى جهة ساري عسكر بالشام وأمهلوه

ست ساعات بعد وصول الجواب إليه وإن تأخر زيادة عليها كان كاذبًا في مقالته وأمروا العسكر بمحاربتة والقبض عليه.

وفيه كتبوا أوراقًا ونادوا بها في الشوارع وهي: يا أهل مصر خبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه في هذا الأمر ولم ينسب لهم شيء فالحمد لله الذي برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ما عليهم سوء ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة في البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون يكون في علمكم أن تكونوا مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين.

وفي يوم السبت غايته حضر المشايخ والوجاقات والتجار ما خلا القاضي فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتحدا وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التي منها أن الفرنسيات عملوا جسرًا من مراكب مصطفى وعليها أخشاب مسمرة من بر مصر بالقرب من قصر العيني إلى الروضة قريبًا من موضع طاحون الهواء تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم إلى البر الآخر وعملوا كذلك جسرًا عظيمًا من الروضة إلى الجيزة.

ومنها أن توت الفلكي رسم في فسحة دارهم العليا بيت حسن كاشف جركس خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة في أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ينزل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ويعرف منه الباقي للزوال ومدارات البروج شهرًا شهرًا وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ورسم أيضًا مزولة بالحائط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاويل ولكن لساعات قبل الزوال وبعده خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر وفضل دائر الغروب وقوس الشفق والفجر وسمت القبلة وتقسيم الدرج وأمثال ذلك لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لا يحتاجون إلى ذلك فلم يعانوه ورسم أيضًا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر منزلة بخطوط عديدة في قاعدة عامود قصير طوله أقل من قامة قايم بوسط الجنيينة وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة وهي متقنة الرسم والصناعة وحولها معاريفها واسم واضعها بالخط الثلث العربي المجود حفرًا في النحاس وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم وغير ذلك.

ومنها أنهم لما سخطوا على كتحدا الباشا وقبضوا على أتباعه وسجنوهم وفيهم كتحده الذي كان ناظرًا على الكسوة فقيدوا في النظر على مباشرة إتمامها صاحبنا السيد اسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب أحد العدول بالمحكمة فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك وأظهروا أيضًا الاهتمام بتحصيل مال الصرة وشرعوا في تحرير دفتر الإرسالية الخاصة.

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة 1213 في سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيين ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبًا من سورها وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها وأنهم استعجلوا في إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق فكونوا مطمئنين وبعد سبعة أيام نحضر عندكم بسلام.

وفيه حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفًا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيين فأرسل الفرنسيين للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من خلایا وقرى فاس مثل الفلاحين فأذنوا لهم في تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم فحضر شخص منهم إلى الفرنسيين ووشى إليهم أنهم قدموا

لمحاربهم والجهد فيهم وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحاً وقصدهم إثارة فتنة فأرسل الفرنسيين إليهم جماعة ينظرون في أمرهم فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذي نقل عنهم فقالوا: إنما جئنا بقصد الحج لا لغيره.

ثم رجعوا وصحبهم كبير المغاربة فعملوا الديوان في صبحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذي وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال: إنا لم نأت إلا بقصد الحج فقل له ولاي شيء تشترون الأسلحة والخيول فقال نعم لازم لنا ذلك ضرورة فقل له إنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنسيين وتقولون الجهاد أفضل من الحج فقال هذا كلام لا أصل له فقل له إن الناقل لذلك رجل منكم فقال إن هذا الرجل حرامي أمسكناه بالسرقة وضربناه فحمله الحقد على ذلك وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا إلا نصف قنطار بارود ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدي جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح فأجابهم إلى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية فلما كان يوم السبت خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم إلى العادلية فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا في المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم في كرشاتهم وصياحهم وأشاعوا أن الفرنسيين خرجت لقتال المغاربة فأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم فلم يعد المغاربة ذلك اليوم وعدوا في ثاني يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيين إلى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر.

وفي يوم الثلاثاء عاشره سافر عدة من عسكر الفرنسيين إلى عرب الجزيرة فإن مصطفى بك كتخدا الباشا ذهب إليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر.

وفي يوم الأربعاء فرجوا عن جماعة من القليونية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة وفيهم المعلم نقولا النصراني الأرمني الذي كان رئيس مركب مراد بك الحرية التي أنشأها بالجزيرة وأسكنوه بيت حسن كتخدا بباب الشعرية.

وفيه حضر بن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان وكان عاصياً فأعطوه الأمان وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسمات العسكر بالشام.

وفي يوم السبت حادي عشرينه حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها.

وفيه عملوا كرتيلة عند العادلية لمن يأتي من بر الشام من العسكر إلى ناحية شرق اطفح بسبب محمد بيك الألفي.

وفيه حضر الذين كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل وأما مصطفى بك فلم تعلم عنه حقيقة حال قيل إنه ذهب إلى الشام.

وفي خامس عشرينه وصلت مراسلة من المذكور خطاباً للمشايخ بالشام ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدائه ويتحفظون على الأمتعة التي أخذوها فإنها من متعلقات الدولة فلما أطلعوهم على تلك المكاتبه قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى ساري عسكر ويأتينا منه خطاب في شأنه فإنه من الجائر أنه يكذب في قوله.

وفيه ثبت أن محمد بك الألفي مر من خلف الجبل وذهب إلى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك

النواحي وقدم له وفي سابع عشرينه لخص الفرنساوية طومارًا قرئ بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة وكان الناس أكثرها من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيين المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والأشراف الذين معه وغير ذلك.

وصورتها: من محفل الديوان الكبير بمصر بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا من حضرة ساري عسكر الكبير خطابًا منه الى حضرة ساري عسكر الوكيل بثغر دمياط تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه.

يخبر فيه أننا أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط الأولى أرسلنا في خمسة وعشرين شوالاً والثانية في ثمانية وعشرين منه أخبرناكم فيهما عن مطلونا إرسال جانب جلل وذخائر الى عساكرنا المحافظين في غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة وأما من قبل العرضي فإن الجلل عندنا كثيرة والذخائر والمأكّل والمشارب والخيرات غزيرة حتى أنها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما رمته الأعداء فكأن أعداءنا أعانونا ونخبركم أننا عملنا لغماً مقدار عمقه ثلاثون قدماً وسرنا به حتى قربناه الى السور الجواني بمسافة نحو ثمانية عشر قدماً وقد قربت عساكرنا من الجهة التي تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وأربعون قدماً بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا إليكم وقبل إتمام قراءته عليكم نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين فإننا تهيأنا الى دخولها بآتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب وأما بقية إقليم الشام وما يلي عكا من البلاد فإنهم لنا طائعون وبالاغتناء ومزيد المحبة راغبون يأتوننا بكل خير عظيم ويحضرون لنا أفواجًا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم وهذا من فضل الله علينا ومن شدة بغضهم الجزار باشا ونخبركم أيضاً أن الجنرال بنوت انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقابلهم بثلاثمائة عسكري مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستمائة نفس ما بين مقتول ومجروح وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب أن ثلاثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس فعلمنا أن النصر من عند الله لا بالقلّة ولا بالكثرة هذا آخر كتاب ساري عسكر الكبير الى وكيله بدمياط وأرسل إلينا بالديوان حضرة الوكيل ساري عسكر دوجا الوكيل بمصر المحروسة يخبرنا بصورة هذا المکتوب ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ويتركوا الكذب والخراف فإن كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين فإن حضرة ساري عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف والحال أن الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة ساري عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلاني قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا فلم يكن الآن في بلاد الصعيد شيء يخالف المراد وسلم من الفتن والعناد فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التي توقعكم في الهلاك والتلاف وامسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار والأولى للعاقل الاشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه فإن العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب هذا شأن أهل الكمال يتركون القيل والقال ويشغلون بإصلاح الأحوال ويرجعون الى الكبير المتعال والسلام.

وفي هذا الشهر كتبوا أوراقًا بأوامر ونصها: من محفل الديوان العمومي الى جميع سكان مصر وبولاقي ومصر القديمة إننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضروري وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النساء المشهورات لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يومًا من تاريخه أعلاه لجميع الناس إن كان فرنساويًا أو مسلمًا أو روميًا أو نصرانيًا أو

يهوديًا من أي ملة كان كل من أدخل الي مصر أو بولاق أو مصر القديمة النساء المشهورات إن كان في بيوت العسكر أو من كان داخل المدينة فيكون قصاصه بالموت كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر إن دخلن من أنفسهن أيضًا يقاصن بالموت.

من حوادث هذا الشهر أنه حضر الى القلزم مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع ففر أناس من سكان السويس الى مصر وأخبروا بذلك أنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول الى السويس.

ومنها أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيين وعاثوا في نواحي تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيين وغيرهم وينهبون البلاد والزروع.

ومنها أن الكيلاني المذكور آنفًا توفي الى رحمة الله تعالى وتفرقت طائفته في البلاد حتى أنه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفون ويسلط عليهم الفرنسيين فيقبضون عليهم.

ومنها أنه حضر الى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيين الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا في حال رجوعهم بني عدي من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم في دفع المال والكلف ويرون في أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقتلوه فملك عليهم الفرنسيين تلا عاليًا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جروهم ثم كبسوا عليهم وأسرفوا في قتلهم ونهبهم وأخذوا شيئًا كثيرًا وأموالًا عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساير أهل البلاد القبلية لظن منعهم وكذلك فعلوا بالميمون.

في ثانيه خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيين للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفي وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيين وذهبوا الى جهة دمنهور وفعلوا بها ما فعلوا في بني عدي من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربي يدعى المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرًا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا الى دمنهور وقتلوا من بها من الفرنسيين واستمر أيامًا كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحي وتفترق والمغربي المذكور تارة يغرب وتارة يشرق.

وفيه أشيع أن الألفي حضر الى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيين ثم ارتحل الى الجزيرة.

وفي سابعه حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجارح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبي خشبة عند العامة واسمه كفرللي مات وحزنوا لموته لأن كان من دعاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال وإقدام عن المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها.

وفي يوم الأربعاء كان عيد النحر وكان حقه يوم الخميس وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة أعلامًا بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع في ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشي لكونها محجزة في الكرنتيلة في شغل عن ذلك.

ومن الحوادث في ذلك اليوم أن رجلاً رومياً من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن في طبقة بوكالة ذي الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلداً بسلاح ومتزيئاً بمثل ملابس القليونجية فقال له من أين لك هذا اللباس فقال من عند جارنا فلان العسكري فأمره بنزع ذلك لم يستمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه فخرج من الطبقة وحدثه نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيقاً فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق إلى سطح آخر ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان وخرج إلى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول: الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيين ونحو ذلك من الكلام ومر إلى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيين فقتل منهم شخصاً وهرب الإثنان ورجع على إثره والناس يعدون خلفه من بعد إلى أن وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها والفرنسيين تجمع منهم طائفة وظنوا ظنوناً آخر وبادروا إلى القلاع وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم ثم لم تزل الفرنسيين تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا إلى ذلك الدرب فدخلوه فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلّى بيئاً في تلك الدار فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة فسألوه عن أمره وما السبب في فعله ذلك.

فقال إنه يوم الأضحية فأحببت أن أضحي على الفرنسيين وسألوه عن السلاح فقال إنه سلاحه فحبسوه لينظروا في أمره وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدي وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ثم أطلقوهم بدون شرر وأخذوا سيده من عند المهدي وحبسوه وحضر الآغا وبرطلمين إلى الخان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجي والجيران وصعدوا إلى الطابق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئاً وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد بن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجي وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضاً وقتلوا المملوك في ثاني يوم واستمر الجماعة في الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة.

وفي ذلك اليوم أيضاً مر نصراني من الشوام على المشهد الحسيني وهو راكب على حمار فرآه ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبد الله فأمره بالنزول إجلالاً للمشهد على العادة.

فامتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض فذهب ذلك النصراني إلى الفرنسيين وشكا إليهم السيد عبد الله المذكور فأحضره وحبسوه فشفع فيه مخدمه فلم يطلقوه وادعى النصراني أنه كان بعيداً عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبد الله متهور في فعله وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت في جيبه واستمر الترجمان محبوساً عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهي ستة آلاف درهم.

وفيه أرسل فرنسيس مصر إلى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب صحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبس ورجعوا بعد يومين.

وفيه حضر إلى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرقي بن وكانت الانكليز منعهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التنقل والشحنة وأخذوا منهم عشوراً وسامح الفرنسيين بن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى

السويس بنحو عشرين يومًا وطبعوا صورتها في أوراق وألصقوها بالأسواق وهي خطاب لبوسليك.

من مات في هذه السنة من الأعيان ومن له ذكر في الناس مات الإمام العمدة الفقيه العلامة المحقق الفهامة المتقن المتفنن المتجرعين أعيان الفضاء الأزهرية الشيخ أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد البيلي العدوي المالكي ولد ببني عدي سنة إحدى وأربعين ومائة وألف وبها نشأ فقرأ القرآن وقدم الجامع الأزهر ولازم الشيخ علي الصعيدي ملازمة كلية حتى تمهر في العلوم وبهر فضله في الخصوص والعموم وكان له قريحة جيدة وحافظة غريبة يملئ في تقريره خلاصة ما ذكره أرباب الحواشي مع حسن سبك والطلبة يكتبون ذلك بين يديه وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقرأها حتى صارت مجلدات وانتفع بها الطلبة انتفاعًا عامًّا ودرس في حياة شيخه سنيًّا عديدة واشتهر بالفتوح وكان الشيخ الصعيدي يأمر الطلبة بحضوره وملازمته وكان في اتصاف زائد وتؤدة ومروءة وتوجه إلى الحق ولديه أسرار ومعارف وفوائد وتمائم وعلم بتنزيل الأوفاق والوفيق المئيني العددي والحرفي وطرائق تنزيله بالتطويق والمربعات وغير ذلك ولما توفي الشيخ محمد حسن جلس موضعه للتدريس بإشارة من أهل الباطن ولما توفي الشيخ أحمد الدردير ولي مشيخة رواق الصعايدة وله مؤلفات منها مسائل كل صلاة بطلت على الإمام وغير ذلك.

ولم يزل على حالته وإفادته وملازمة دروسه والجماعة حتى توفي في هذه السنة ودفن في تربة المجاورين رحمة الله تعالى عليه. ومات

العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي الشافعي الأزهرى

قرأ على والده وتفقه وأنجب ولم يزل ملازمًا لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس في محله.

واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم ولازم مكانه بالأزهر طول النهار يملئ ويفيد ويفتي على مذهبه ويأتي إليه الفلاحون من جيزة بلاده بقضاياها وخصوماتهم وأنكحتهم فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوى في الدعاوى التي يحتاجون فيها إلى المرافعة عند القاضي وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ويسمعون لقوله ويمثلون لأحكامه وربما أتوه بهدايا ودراهم.

واشتهر ذكره وكان جسيمًا عظيم اللحية فصيح اللسان ولم يزل على حالته حتى اتهم في فتنة الفرنسيين المتقدمة ومات مع من قتل بيد الفرنسيين بالقلعة ولم يعلم له قبر.

ومات الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب الشبراوي الشافعي الأزهرى تفقه على أشياخ العصر وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوي والحفني والبراوي وعطية الأهجوري وغيرهم وتصدر للإقراء والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسيني ويحضر درسه فيه الجم الغفير من العامة ويستفيدون منه ويقرأ به كتب الحديث كالبخاري ومسلم وكان حسن الإلقاء سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلًا على شأنه ولم يزل ملازمًا على حالته حتى اتهم في إثارة الفتنة وقتل بالقلعة شهيدًا بيد الفرنسيين في أواخر جمادى الأولى من السنة ولم يعلم له قبر.

ومات الشاب الصالح والنبه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصليحي الشافعي الأزهرى.

حفظ القرآن والمتون وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدي واليراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ أحمد العمروسي وحضر الكثير على الشيخ محمد المصليحي وأنجب وأملى دروسًا بجامع الكردي بسويقة اللالا وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح ولم يزل ملازمًا على حاله حتى اتهم أيضًا في حادثة الفرنسيين وقتل مع من قتل شهيدًا بالقلعة.

ومات العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنواني تولى شيخًا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشيراوي وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت وجمع بجاههم أموالًا عظيمة وعقارات فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ويطالبهم بها كيلاً وعيًّا ومن عصى عليه أرسل إليه الجيوش الكثيرة من العميان فلا يجد بدًا من الدفع وإن كانت غلاله معطلة صالحة بما أحب من الثمن وله أعوان يرسلهم إلى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون إليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك وبيعها في سني الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة ويطحن منها على طواحينه دقيقًا وبيع خلاصته في البطط بحارة اليهود ويعجن نخالته خبزًا لفقراء العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشحادة في طوافهم أثناء الليل وأطراف الهار بالأسواق والأزقة وتغنيهم بالمدائح والخرافات وقراءة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك ومن مات منهم ورثة الشيخ المترجم المذكور وأحرز لنفسه ما جمعه ذلك الميت وفيهم من وجد له الموجود العظيم ولا يجد له معارضة في ذلك واتفق أن الشيخ الحفني نقم عليه في شيء فأرسل إليه من أحضره موثقًا مكشوف الرأس مضروبًا بالنعال على دماغه وقفاه من بيته إلى بيت الشيخ بالموسكي بين ملأ العالم ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار إليهم في المجالس تخشى سطوته وتسمع كلمته ويقال قال الشيخ كذا وكذا وأمر الشيخ بكذا وصار يلبس الملابس والفراوي ويركب البغال وأتباعه محدقة به.

وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات واشترى السراري البيض والحبش والسود وكان يفرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنة ولم يزل حتى حمله التفاخر في زمن الفرنسيين على تولية كبر إثارة الفتنة التي أصابته وغيره وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر وكان ابنه معوقًا ببيت البكري فلما علم بموته قلق وكاد يخرج من عقله خوفًا على ما يعلم مكانه من مال أبيه حتى خلس في ثاني يوم بشفاعة المشايخ ولم يكن مقصودًا بالذات بل حضر ليعود أباه فحجزه القومة عليهم زيادة في ومات الأجل المفوه العمدة الشيخ اسمعيل البراوي بن أحمد البراوي الشفعي الأزهرى وهو ابن أخي الشيخ عيسى البراوي الشهير الذكر تصدر بعد وفاة والده في مكانه وكان قليل البضاعة إلا أنه تغلب عليه النباهة واللسانة والسلطة والتدخل وذلك هو الذي أوقعه في حبال فرنساوية وقتل مع من قتل شهيدًا ولم يعلم له قبر غفر الله لنا وله.

ومات الوجيه الأجل الأمثل السيد محمد كريم وخبره أنه كان في أول أمره قبائيًا يزن البضائع في حانوت بالثغر وعنده خفة في الحركة وتودد في المعاشرة فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن التودد ويستجلب خواطر حواشي الدولة وغيرهم: من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجهة وشهرة في أبناء جنسه حتى أحبه واشتهر ذكره في ثغر الإسكندرية ورشيد ومصر واتصل بصالح بك حتى كان وكيلاً بدار السعادة وله الكلمة النافذة في ثغر رشيد وتملكها وضواحيها واسترق أهلها وقلد أمرها لعثمان خجا فاتح به وبمخدومه السيد محمد المذكور واتصل بمراد بك بعد صالح آغا فتقرب إليه ووافق منه الغرض ورفع شأنه على أقرانه وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر ونفذت كلمته وأحكامه وتصدر لغالب الأمور وزاد في المكوسات والجمارك ومصادرات التجار خصوصًا

من الإفرنج ووقع بينه وبين السيد شبهة الحادثة التي أوجبت له الاختفاء بالصهرج وموته فيه فلما حضر الفرنسيين ونزلوا الاسكندرية قبضوا على السيد محمد المذكور وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب ولما حضروا الى مصر وطلعوا الى قصر مراد بك وفيها مطالعته بأخبارهم وبالحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم فاشتد غيظهم عليه فأرسلوا وأحضروه الى مصر وحبسوه فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار فلم يمكن الى أن كانت ليلة الخميس.

فحضر إليه مجلون وقال له: المطلوب منك كذا وكذا من المال وذكر له قدرًا يعجز عنه وأجله اثنتي عشرة ساعة وإن لم يحضر ذلك القدر وإلا يقتل بعد مضيها فلما أصبح أرسل الى المشايخ والى اسيد أحمد المحروقي فحضر إليه بعضهم فترجاهم وتدخل عليهم واستغاث وصار يقول لهم اشتروني يا مسلمون وليس بيدهم ما يفتدونه به وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشيء يصيبه وذلك في مبادئ أمرهم فلما كان قريب الظهر وقد انقضى الأجل أركبوه حمارًا واحتاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلحة وبقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به الصليبة الى أن ذهبوا الى الرميطة وكتفوه وربطوه مشبوحًا وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ثم قطعوا رأسه ورفعوها على نبوت وطاقوا بها بجهات الرميطة والمنادي يقول: هذا جزاء من يخالف الفرنسيين ثم إن أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مع جثته.

وانقضى أمره وذلك يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول.

ومات الأمير ابراهيم بك الصغير المعروف بالوالي وهو من ممالك محمد بك أبي الذهب. وتقلد الزعامة بعد موت أستاذه ثم تقلد الإمارة والصنجدية في أواخر جمادى الأولى سنة 1192.

وهو أخو سليمان بك المعروف بالآغا وعندما كان هو واليًا كان أخوه أغات مستحفظان وأحكام مصر والشرطة بينهما وفي سنة سبع وتسعين تعصب مراد بك وإبراهيم بك على المترجم وأخرجوه منفياً هو وأخوه سليمان بك وأيوب بك الدفتردار ولما أمره بالخروج ركب في طوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة فركب خلفه علي بك أباطة ولاجين بك ولحقوا حملته عند المعادي فحجزوها وأخذوها وأخذوا هجته ومتاعه وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العيني ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج فأقام بها أيامًا وكان أخوه سليمان بك بالمنوفية فلما أرسلوا بنفيه الى المحلة ركب بطوائفه وحضر الى مسجد الخصري وحضر إليه أخوه المترجم وركبا معًا وذهبا الى جهة البحيرة ثم ذهبا الى طندتا ثم ذهبا الى شرقية بلبس ثم توجهوا من خلف الجبل الى جهة قبلي وكان أيوب بك بالمنصورة فلحق بهما أيضًا وكان بالصعيد عثمان بك الشرقاوي ومصطفى بك فالتقا عليهما وعصى الجميع وأرسل مراد بك وإبراهيم بك محمد كتحدا أباطة وأحمد آغا شويكار الى عثمان بك ومصطفى بك يطلبانهما الى الحضور فأبيا وقالوا: لا نرجع الى مصر إلا بصحبة إخواننا وإلا فنحن معهم أينما كانوا ورجع المذكوران بذلك الجواب فجهزوا لهم تجريدة وسافر بها إبراهيم بك الكبير وضمهم وصالحهم وحضر بصحبة الجميع الى مصر فحنق مراد بك ولم يزل حتى خرج مغضبًا الى الجيزة ثم ذهب الى قبلي وجرى بينهما ما تقدم ذكره من إرسال الرسل ومصالحة مراد بك ورجوعه وإخراج المذكورين ثانيًا فخرجوا الى ناحية القليوبية وخرج مراد بك خلفهم ثم رجعوا الى جهة الأهرام وقبض مراد بك عليهم ونفيهم الى جهة بحري وأرسل المترجم الى طندتا ثم ذهبوا الى قبلي خلا مصطفى بك وأيوب بك ثم رجعوا الى مصر بعد خروج مراد بك الى قبلي واستمر أمرهم على ما ذكر حتى ورد حسين باشا وخرج الجميع وجرى ما تقدم ذكره وتولى المترجم إمارة الحاج ولم يسافر به ولما رجعوا الى مصر بعد الطاعون

وموت اسمعيل بك ورجب بك صاهره ابراهيم بك الكبير وزوجه ابنته كما تقدم ولم يزل في سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا الى بر انبابة ومات هو في ذلك اليوم غريقاً ولم تظهر رمتة وذلك يوم السبت سابع صفر من السنة.

ومات الأمير علي بك الدفتردار المعروف بكتخدا الجاويشية وأصله مملوك سليمان أفندي من خشداشين كتخدا ابراهيم القازدغلي وكان سيده المذكور رغب عن الإمارة ورضي بحاله وقنع بالكفاف ورغب في معاشرة العلماء والصلحاء وفي الانجماع عن أبناء جنسه والتدخل في شؤونهم وكان يأتي في كل يوم الى الجامع الأزهر ويحضر دروس العلماء ويستفيد من فوائدهم ولازم دروس الشيخ أحمد السليماني من الفقه الحنفي الى أن مات فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزي كذلك واقترن في حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشي وكان إذ ذاك مقبل الشيبية مجرداً عن العلائق فكان يعيد معه الدروس فاتحد به لما رأى فيه من النجاسة فجذبه الى داره وكساه وواساه واستمر يطالع معه في الفقه ويعيد معه الدروس ليلاً وزوجه وأغدق عليه وكان هو مبدأ زواجه ولم يزل ملازماً حتى توفي سليمان أفندي المذكور في سنة 1175 فتزوج المترجم بزوجة سيده واستمر هو وخشداشه الأمير أحمد بمنزل أستاذهما وتتوق نفس المترجم للترفع والإمارة فتردد الى بيوت الأمراء كغيره من الأجناد فقلده علي بك الكبير كشوفية بشرق أولاد يحيى في سنة 1182 فتقلدها بشهامة وقتل البغاة وأخاف الناحية وجمع منها أموالاً واستمر حاكمها بها الى أن خالف محمد بك أبو الذهب على سيده علي بك.

وخرج من مصر الى الجهة القبلية فلما وصل الى الناحية كان المترجم أول من أقبل عليه بنفسه وما معه من المال والخيام فسر به محمد بك وقربه وأدناه ولم يزل ملازماً لركابه حتى جرى ما جرى وتملك محمد بك الديار المصرية فقلده أغاوية المتفرقة أياماً قليلة ثم خيره في تقليد الصنجدية أو كتخدا الجاويشية فقال له حتى استخير في ذلك وحضر الى المرحوم الشيخ الوالد وذكر له ذلك فأشار عليه بأن يتقلد كتخدا الجاويشية فإنه منصب جليل واسع الإيراد وليس على صاحبه تعب ولا مشقة غفر ولا سفر تجاريد ولا كثرة مصاييف فكان كذلك وذلك في سنة ست وثمانين وسكن بيت سليمان أغا كتخدا الجاويشية بدرب الجماميز على بركة الفيل ونما أمره واتسع حاله واشتهر وانتظم في عداد الأمراء ولم يزل على ذلك الى أن مات محمد بك فاستقل بإمارة مصر ابراهيم بك ومراد بك فكان المترجم ثالثهما واتحد بابراهيم بك اتحاداً عظيماً حتى كان ابراهيم بك لا يقدر على مفارقتة ساعة زمانية وصار معه كالأخ الشقيق والصاحب الشفيق وصار في قبول ووجاهة عظيمة وكلمة نافذة في جميع الأمور ولم يزل على ذلك حتى حضر حسن باشا بالصورة المتقدمة وخرج ابراهيم بك ومراد بك وباقي الأمراء فتخلف عنهم المترجم وقد كان راسل حسن باشا سرّاً فلما استقر حسن باشا أقبل عليه وسلمه مقاليد الأمور وقلده الصنجدية وأضاف إليه الدفتردارية وفوض إليه جميع الأمور الكلية والجزئية فانحصرت فيه رئاسة مصر وصار عزيزها وأميرها ووزيرها وقائد جيوشها ولا يتم أمر إلا عن مشورته ورأيه واجتمع بيته الدواوين وقلد الأمريات والمناصب كما يختار وقرب وأدنى وأبعد وأقصى من يختار واشتهر ذكره في إقليم مصر والشام والروم وأشار بتقليد مراد كاشف الصنجدية وإمارة الحاج وسموه محمد بك المبدول كراهة في اسم مراد واشتهر بالمبدول ونجز له لوازم الحاج والصرة في أيام قليلة وسافر بالحاج على النسق المعتاد وشهل أيضاً التجاريد والعساكر خلف ولما استهل رمضان أرسل لجميع الأمراء والأعيان البلكات والكساوي لهم ولحريمهم ومماليكهم بالأحمال وكذلك الى العلماء والمشايخ حتى الفقهاء الخاملين المحتاجين وظن أن الوقت قد صفا له ولم يزل على ذلك حتى استقر اسمعيل بك وسافر حسن باشا وظهر له أمر حسن بك الجداوي وخشداشيه أخذ يناكد المترجم ويعارضه في جميع أموره وهو يسامح له في كل ما يتعرض له فيه ويساير حاله بينهم ويكظم غيظه ويكتم قهره وهو مع ذلك وافر الحرمة واعتراه صداع في رأسه وشقيقة زاد ألمه بها ووجعه أشهراً وأتلف إحدى عينيه وعوفي

قليلاً واستمر على ذلك حتى وقع الطاعون بمصر سنة خمس ومات ابن له مراهق أحزنه موته وكذلك ماتت زوجته وأكثر جواربه ومماليكه ومات اسمعيل بك وأمراؤه ومماليكه ورضوان بك العلوي وبقي هو وحسن بك الجداوي فتجاذبا الإمارة ولم يرض أحدهما بالآخر فوقع الاتفاق على تأمير عثمان بك طبل تابع اسمعيل بك ظلًا منهما أنه يصلح لذلك وأنه لا يمالئ الأعداء فكان الأمر بخلاف ذلك وكره الإمارة هو أيضًا لمناكدة حسن بك له وراسل الأمراء القبليين سرًا حتى حضر وأعلى الصورة المتقدمة وقصد حسن بك وعلي بك الاستعداد لحربهم وخرجوا الى ناحية طرا وتأهبوا لمبارزتهم وصار عثمان بك يثبطهما ويظهر لهما أنه يدبر الحيل والمكايد ولم يعلما ضميره ولم يخطر ببالهما ولا غيرهما خيانتته.

بل كان كل منهما يظن بالآخر حتى حصل ما تقدم ذكره في محله وفر المترجم وحسن بك الى ناحية قبلي فاستمر هناك مدة ثم انفصل عن حسن بك وسافر من القصير الى بحر القلزم وطلع الى المويلح وأرسل بعض ثقاته فأخذ بعض الاحتياجات سرًا وذهب من هناك الى الشام واجتمع بأحمد باشا الجزار ونزل بحيفا وأقام بها مدة راسل الدولة في أمره فطلبوه إليهم فلما قرب من اسلامبول أرسلوا إليه من أخذه وذهب به الى برصا فأقام هناك وعينوا له كفايته في كل شهر وولد له هناك أولاد ثم أحضره في حادثة الفرنسيين وأعطوه مراسيم الى ابراهيم باشا ساري عسكر في ذلك الوقت فلما وصل بيروت راسل أحمد باشا وأراد الاجتماع به وعلم أحمد باشا ما بيده من المرسومات الى ابراهيم باشا فتنكر له وانحرف طبعه منه وأرسل إليه يأمره بالرحيل وصادف ذلك عزل ابراهيم باشا فارتحل مقهورًا الى نابلس فمات هناك بقهره وحضر من بقي من مماليكه الى مصر وسكنوا بداره التي بها مملوكه عثمان كاشف وابنته التي تركها بمصر صغيرة وقد كبرت وتأهلت للزواج فتزوج بها خازن داره الذي حضر وهو الى الآن مقيم معها صعبة خشداشينه بيتها الذي بدرج الحجر.

وكان المترجم أميرًا لا بأس به يميل الى فعل الخير حسن الاعتقاد ويحب أهل العلم والفضائل ويعظمهم ويكرمهم ويقبل شفاعاتهم وفيه رقة طبع وميل للخلاعة والتجاهر غفر الله له وسامحه.

ومات أيضًا الأمير أيوب بك الدفتردار وهو من مماليك محمد بك تولى الإمارة والصنجدية بعد موت أستاذه وقد تقدم ذكره غير مرة وكان ذا دهاء ومكر ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الأشراف والعلماء ويشترى المصاحف والكتب ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين.

وبواظب على صلاة في الجماعة ويقضي حوائج السائلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعانيد خصوصًا إذا كان الحق بيده ويتعلل كثيرًا بمرض البواسير وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيين بنحو شهرين تدل على ذلك وعلى موته في حربهم.

ولما حصل ذلك وحضروا الى بر انبابة عدى المترجم قبل بيومين وصار يقول أنا بعث نفسي في سبيل الله فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعدما توضع وصلى ركعتين وركب في مماليكه.

وقال اللهم إني نويت الجهاد في سبيلك واقتحم مصاف الفرنسيات وألقى نفسه في نارهم.

واستشهد في ذلك اليوم وهي منقبة اختص بها دون أقرانه بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر.

ومات الأمير صالح بك أمير الحاج في تلك السنة وهو أيضًا من ممالك محمد بك أبي الذهب وتولى زعامة مصر بعد ابراهيم بك الوالي وأحسن فيها السيرة ولم يتشك منه أحد ولم يتعرض لأحد بأذية وتقلد أيضًا كتخدا الجاويشية عندما خرج ابراهيم بك مغاضبًا لمراد بك.

وكان خصيلًا به فلما اصطلحا ورجع ابراهيم بك وعلي آغا كتخدا الجاويشية تقلد على منصبه كما كان واستمر المترجم بطالًا لكنه وافر الحرمة معدودًا في الأعيان ولما خرجوا من مصر في حادثة حسن باشا أرسله وخشداشينه الى الروم وكاد يتم لهم الأمر فقبض عليه حسن باشا وكان إذ ذاك بالعرضي في السفر ولما رجعوا الى مصر بعد موت اسمعيل بك سكن بيت البارودي وتزوج بزوجه وهي أم أيوب التي كان سرية مراد بك ثم سافر ثانيًا الى الروم بمراسلة وهدية وقضى أشغاله ورجع بالوكالة وأخذ بيت الحبانية من مصطفى آغا وعزله من وكالة دار السعادة وسكن بالبيت واختص بمراد بك اختصاصًا زائدًا وبنى له دارًا بجانبه بالحيزة وصار لا يفارقه قط وصار هو بأبه الأعظم في المهمات وكان فصيح اللسان مهذب الطبع يفهم بالإشارة يظن من يراه أنه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه ويميل بطبعه الى الخلاعة وسماع الألحان والأوتار ويعرف طرقها ويأشر الضرب عليها بيده ثم ولي الصنجدية وتقلد إمارة الحج سنة 1213 وتمم أشغاله وأموره ولوازمه على ما ينبغي وطلع بالحج في تلك السنة في أبهة عظيمة على القانون القديم في أمن وأمان ورخاء وسخاء وراج موسم التجار في تلك السنة الى الغاية وفي أيام غيابه بالحج وصل الفرنسية الى القطر المصري وطار إليهم الخبر بسطح العقبة وأرسلوا من مصر مكاتبة بالأمان وحضوره بالحج في طائفة قليلة فأرسل إليهم ابراهيم بك يطلبهم الى بليس فخرج المترجم بالحاج الى بليس وجرى ما تقدم ذكره ولم يزل حتى مات بالديار الشامية وبعد مدة أرسلت زوجته فأحضرت رمته ودفنتها بمصر بترية المجاورين.

ومات العمدة الفاضل والتحرير الكامل الفقيه العلامة السيد مصطفى الدمنهوري الشافعي تفقه على أشياخ العصر وتمهر في المعقولات ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ملازمة كلية.

واشتهر بنسبته إليه ولما ولي مشيخة الأزهر صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد في القضايا والمهمات والمراسلات عند الأكابر والأعيان وكان عاقلًا ذكيًا وفيه ملكة واستحضر جيد للفروع الفقهية وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب وعبارته سليمة وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين واقتنى كتبًا في ذلك مثل كتاب السلوك والخلط للمقرئزي وأجزاء من تاريخ العيني والسخاوي وغير ذلك ولم يزل حتى ركب يومًا بغلته وذهب لبعض أشغاله فلما كان بخطة الموسيقى قابله خيال فرنساوي يخج فرسه فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور وألقته من على ظهرها وصادف حافر فرس الفرنسية أذنه فرض صماخه فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه في تابوت الى منزله وومات من ليلته رحمه الله.

ومات عبد الله كاشف الجرف وهو عبد اسمعيل كاشف الجرف تابع عثمان بك ذي الفقار الكبير وكان معروفًا بالشجاعة والإقدام كسيده وأدرك بمصر إمارة وسيادة ونفاذ كلمة.

واشترى الممالك الكثيرة والخيول المسومة والجواري والعبيد وعنده عدة من الأجناد والطوائف وعمر دارًا عظيمة داخل الدرب المحروق ولم يزل حتى قتل يوم السبت تاسع صفر بحرب الفرنسية بانبابة وكان جسيمًا أسود ذا شهامة وفروسية مشهورة وجبروت.

ثم دخلت سنة أربع عشر ومائتين وألف استهل شهر المحرم بيوم الأربعاء فيه حضر جماعة من الفرنسيين الى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدمهم فلما كان في ثاني

يوم عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبًا مترجمًا ونسخته: صورة جواب من العرضي قدام عكا وفي سابع عشرين فريبال الموافق لحادي عشر شهر الحجة 1213 من بونابارته ساري عسكر أمير الجيوش الفرنساوية الى محفل ديوان مصر نخبركم عن سفره من بر الشام الى مصر فإني بغاية العجلة بحضوري لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضي من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يومًا وجائب معي جملة محابيس بكثرة وبيارق ومحقت سراية الجزار وسور عكا وبالقنبر هدمت البلد ما أبقيت فيها حجرًا على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت ومن جملة ثلاثين مركبًا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرفت من كثرة مدافع مراكبنا وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع والذي أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقي تلف وتهدل والغالب منهم عدم وإني بغاية الشوق الى مشاهدتكم لأنني بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلوبكم لكن جملة فلائية دائرون بالفتنة لأجل ما يحركون الشر في وقت دخولي كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس ومنتوره مات من تشويش هذا الرجل صعب علينا جدًا والسلام.

منتوره هذا ترجمان ساري عسكر وكان لبيبًا متبحرًا ويعرف باللغة التركية والعربية والرومية والطليلاني والفرنساوي ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا وعزموا على الرجوع الى مصر أرسل بونابارته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببًا.

الأول الإقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة أيام الى أن جاءت الانكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج.

الثاني الستة مراكب التي توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الانكليز قدام يافا.

الثالث الطاعون الذي وقع في العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريًا.

الرابع عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا.

السادس بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلاني لناحية الصعيد.

السابع المغربي محمد الذي صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب.

الثامن ورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط.

التاسع ورود عمارة الموسقو قدام رودس.

العاشر ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء.

الحادي عشر ورود جواب مكتوب منا لتيبو أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا.

وتيبو هذا هو الذي كان حضر الى اسلامبول بالهدية التي من جملتها طائران يتكلمان بالهندية والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الإمداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له في بلاده فوعده ومنوه وكتبوا له أوراقًا وأوامر وحضر الى ذلك في سنة 1202 أيام السلطان عبد الحميد وقد سبقت الإشارة إليه في حوادث تلك السنة وهو رجل كان مقعدًا تحمله أتباعه في تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم ثم إنه توجه الى

بلاد فرانسوا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره الى مصر واتفق معه على أمر في السر لم يطلع أحد غيرهما ورجع الى بلاده على طريق القلزم فلما قدم فرنساوبة لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان ثم إن تيبو المذكور بقي في حرب الانكليز الى أن ظفروا به الثاني عشر موت كفرللي الذي عملت المتاريس بمقتضي رأيه وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر وكفرللي هذا هو المعروف بأبي خشبة المهندس.

الثالث عشر سماع أن رجلاً يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر.

الرابع عشر أن الجزائر أنزل ثقله بمراكب الانكليز وعزم على أنه عندما تملك البلد ينزل في مراكبهم ويهرب معهم.

الخامس عشر لزوم ومحاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب انتهى. وفي

يوم الثلاثاء سابعه حضر جماعة أيضًا من العسكر بأثقالهم

وحضرت مكاتبة من كبير فرنساوبة أنه وصل الى اصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك.

فلما كان ليلة الجمعة عاشره أرسلوا الى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية وملازمون وجاوبشية وغير ذلك وحضر الوكيل وقائم مقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعًا بالترتيب من الأزبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا ساري عسكر بونابارته هناك وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ونسائهم وأطفالهم في نحو خمس ساعات من النهار الى أن وصل الى داره بالأزبكية وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يومًا حربًا مستقيمًا ليلاً ونهارًا وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنًا وشهد له الخصم.

وفيه قبضوا على اسمعيل القلق الخربطلي وهو المتولي كتحدا العزب وكان ساكنًا بخط الجمالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه الى القلعة وحبسوه والسبب في ذلك أنه عمل في تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرًا بطول الليل فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر ولما وصل ساري عسكر فرنساوبة الى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهي والبهاوين وطوائف الملاعبين والحواة والقرادين والنساء الراقصات والخلايض ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واستمروا على ذلك ثلاثة أيام وفي كل يوم من تلك الأيام يعملون شنگًا وحراقات ومدافع وسواريح ثم انفض الجمع بعد ما أعطاهم ساري عسكر دراهم وبقاشيش.

وفي يوم الأحد عزلوا دستان قائم مقام وتولى عوضه دوجا الذي كان وكيلًا عن ساري عسكر.

وتهيأ المعزول للسفر الى جهة بحري وأصبح مسافرًا وصحبته نحو الألف من العسكر وسافر أيضًا منهم طائفة الى جهة البحيرة.

وفيه طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال.

وفي خامس عشره أرسلوا الى زوجات حسن بك الجداوي وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال وذلك لسبب أن حسن بك التف على مراد بك وصار يقاتل الفرنسيين معه.

وقد كانت الفرنسيين كاتبت حسن بك وأمنتته وأقرته على ما بيده من البلاد وأن لا يخالف ويقاوم مع الأخصام فلم يقبل منهم ذلك فلما وقع لنسائه ذلك ذهب الى الشيخ محمد المهدي ووقع عليه فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة.

وفي تاسع عشره هلك مخايل كحيل النصراني الشامي وهو من رجال الديوان الخصوصي فجأة وذلك لقهره وغمه وسبب ذلك أنهم قرروا عليه في السلفة ستة آلاف ريال فرانسة وأخذ في تحصيلها ثم بلغه أن أحمد باشا الجزائر قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من وفيه كتبوا أوراقًا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا وهي من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء.

وصورتها: من محفل الديوان الخصوصي بمحروسة مصر خطابًا لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة النصيحة من الإيمان قال تعالى في محكم القرآن: ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقال تعالى وهو أصدق القائلين في الكتاب المكنون: ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فعلى العاقل أن يتدبر في الأمور قبل أن يقع في المحذور نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وقد حضر الى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنسية حاضرة بونابارته محب الملة المحمدية ونزل بعسكره في العادلية سليمًا من العطب والأسقام ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة في موكب عظيم وشنك جليل فخيم وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية وكان يومًا عظيمًا مشهودًا وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه وهو الأمير الأول بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه شرح الله صدره للإسلام والذي أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية وتعطيل الأموال الديوانية لا يحبون راحة العبيد وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم أن بطش ربك لشديد وقد بلغنا أن الألفي توجه الى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلي والعيادة الفجرة المفسدين يسعون في الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين إن ربك لبالمرصاد ويزورون على الفلاحين المكاتب الكاذبة ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة والحال أنها ليس بحاضرة فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الأثر وإنما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر مثل ما كان يفعل ابراهيم بك في غزة حيث كان ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ويدعي أنها من طرف السلطان ويصدقها أهل الأرياف خسفاء العقول ولا يقرأون العواقب فيقعون في المصائب وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفًا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم فإن المجرم يؤخذ مع الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان فكان أهل الصعيد أحسن عقلًا من أهل بحري بسبب هذا الرأي السديد ونخبركم أن أحمد باشا الجزائر سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ولا يفرق بين الأخيار والأشرار وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها وأحبوا اجتماعهم عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها ولكن لم تساعد الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار وقد كان أرسل بعض هذه

العساكر الى قلعة العريش ومراده أن يصل الى قطيا فتوجه حضرة ساري عسكر أمير الجيوش الفرنسية وكسر عسكر الجزائر الذين كانوا في العريش ونادوا: الفرار الفرار بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلاثة آلاف ومملك قلعة العريش وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ولما دخل غزة نادى في رعيته بالأمان وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية وإكرام العلماء والتجار والأعيان ثم انتقل الى الرملة وأخذ ما فيها من بقسمات وأرز وشعير وقرب أكثر من ألفي قرية كبار كان قد جهزها الجزائر لذهابه الى مصر ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخائر الجزائر بالتمام ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه وقتل منهم نحو أربعة آلاف أو يزيدون بعدما هدم سورها وأكرم من كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم وجهزهم في المراكب الى مصر وغفرهم بعسكره خوفًا عليهم من العربان وأجزل عطايهم وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزائر هلكوا جميعًا وبعضهم ما نجاه إلا الفرار ثم توجه من يافا الى جبل نابلس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدر كان ثم أخرج سور عكا وهدم قلعة الجزائر التي كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر حتى إنه يقال كان هناك مدينة وقد كان بني حصارها وشيد بنيانها في نحو عشرين من السنين وظلم في بنيانها عباد الله وهكذا عاقبة بنيان الظالمين ولما توجه إليه أهل بلاد الجزائر من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة فهل ترى لهم من باقية نزل عليهم كصاعقة من السماء ثم توجه راجعًا الى مصر المحروسة لأجل شيئين: الأول: أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر والوعد عند الحردين.

والسبب الثاني: أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور في بعض الأقاليم والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية وحبه لمصر وأقاليمها شيء عجيب ورغبته في الخير لأهلها ونيلها بفكره وتديبره المصيب ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتتمها في الحروب من الأعداء والأخصام فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتلوا لأحكام الله ولا تسعوا في سفك دمائكم وهتك عيالكم ولا تتسبوا في نهب أموالكم ولا تسمعوا كلام الغز الهربانيين الكاذبين ولا تقولوا إن في الفتنة إعلاء كلمة الدين حاشا الله لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبي عليه الصلاة والسلام.

والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم وإذا كانوا في بلد وقدمت عليهم الفرنسيين فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس ولما حضر ساري عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبي عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان وأمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية وإجراء خيرات الأوقاف السلطانية وأعطى عوائد الوجاقلية وسعى في حصول أقوات الرعية فانظروا هذه الألفاظ والمزية ببركة نبينا أشرف البرية وعرفنا أن مراده أن يبني لنا مسجدًا عظيمًا بمصر لا نظير له في الأقطار وأنه يدخل في دين النبي المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام انتهى بحروفه.

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بأن ساري عسكر بونابارته مات بحرب عكا وتناقله الناس وأنهم ولوا أخلافه فهذا هو السبب في قولهم في ذلك الطومار: وقد حضر سليمان من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم.

وفي ثاني عشرينه أرسل ساري عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضي العسكر ونهبوا بعضًا من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة فانزعج عليه عياله

وحريمه ووالدته انزعاجًا شديدًا وفي صباحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيين قرئت عليهم مضمونها أن ساري عسكر قبض على ابن القاضي وعزله وأنه وجه إليكم أن تفتنعوا وتختاروا شيخًا من العلماء يكون من أهل مصر ومولودًا بها يتولى القضاء ويقضي بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأي العلماء للعلماء فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم: إننا جميعًا نتشفع ونترجى عنده في العفو عن ابن القاضي فإنه إنسان غريب ومن أولاد الناس الصدور وإن كان والده وافق كتخدا الباشا في فعله فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو انطلاقه وعوده الى مكانه فإن والدته وجدته وعياله في وجد وحزن عظيم عليه وساري عسكر من أهل الشفقة والرحمة وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد في القول بأن قال: وأيضًا إنكم تقولوا دائمًا إن الفرنسيات أحياء العثمانية وهذا ابن القاضي من طرف العثماني فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنسيات ويكذب قولهم وخصوصًا عند العامة فأجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله لا بأس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ أمر ساري عسكر في اختيار قاضٍ خلافه وألا تكونوا مخالفين ويلحكم الضرر بالمخالفة فامتلأوا وعملوا القرعة فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشي الحنفي ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون وذهب به الوكيل الى ساري عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات فتغير خاطره عليه وأمر بإحضاره آخر النهار فلما حضر لأمه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدي ووكيل الديوان الفرنسيات بالديوان حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف الى منزله بعد أن عوقه حصة من الليل فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية في منزل دوجا قائمقام وركبوا صحبته الى بيت ساري عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشي فألبسه فروة مثممة وركبوا جميعًا الى المحكمة الكبيرة بين القصرين ووعدهم بالإفراج عن ابن القاضي بعد أربع وعشرين ساعة وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحروقي وجلسوا عنده ولما كان في ثاني يوم أفرجوا عنه ونزل الى عياله وصحبته أرباب الديوان والآغا ومشوا معه في وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القيل والقال.

وفي تلك الليلة قتلوا شخصين: أحدهما علي جاويش رئيس الريالة الذي كان بالاسكندرية عند حضور الفرنسيين والثاني قبطان آخره فلم يزالا بمصر يحبسونهما أيامًا ثم يطلقونهما فحبسوهما آخرًا فلم يطلقوهما حتى قتلوهما.

وفي صبيحة ذلك اليوم قتلوا شخصين أيضًا من الأتراك بالرميلة.

وفيه أفرجوا عن زوجات حسن بك الجداوي.

وفي ثامن عشره جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم.

وفي تاسع عشره قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهم يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بك الكبير وآخر يسمى أبو كلس والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلي يسمى حسين مملوك الدالي ابراهيم فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات في حسين التاجر المذكور فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة.

فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوسًا بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريبه فأطلق وبقي الآخر.

وفي يوم الأحد ثالثه حضر السيد عمر أفندي نقيب الأشراف سابقًا من دمياط الى مصر وكان مقيمًا هناك من بعد واقعة يافا ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا الى البحر وفيهم عثمان أفندي العباسي وحسن أفندي كاتب الشهر وأخوه قاسم أفندي وأحمد أفندي عرفة والسيد يوسف العباسي والحاج قاسم المصلي وغيرهم فمنهم من عوق بالكرنتيلة

ومنهم من حضر من البر خفية فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية علي بك التي بساحل بولاق حتى وصل إلى داره وتوجه في ثاني يوم مع المهدي وقابل ساري عسكر فبش له ووعد به بخير ورد إليه بعض تعلقاته واستمر مقيمًا بداره والناس تغدو وتروح إليه على العادة.

وفي رابعه حضر أيضًا حسن كتحدا الجريان بأمان وكان بصحبته عثمان بك الشرقاوي وفيه أشيع أن مراد بك ذهب إلى ناحية البحيرة فرارًا من الفرنسيين الذين بالصعيد.

وفي خامسه قتلوا عبد الله آغا أمير يافا وكان أخذ أسيرًا وحبس ثم قتل.

وفيه قتل أيضًا يوسف جرجي أبو كلس ورفيقه حسن كاشف.

وفي سادسه عمل الشيخ محمد المهدي وليمة عرس لزواج أحد أولاده ودعا ساري عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا.

وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكًا أسرى وأصعدوهم إلى القلعة قيل إنهم كانوا لاحقين بمراد بك بالبحيرة فأووا إلى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس فنزل عليهم طائفة من العرب فأخذوا الخيول فمروا مشاة فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيين فمسكوهم وقيل إهم آووا إلى بلده وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد وكانوا أكثر من ذلك وفيهم كاشف من جماعة عثمان بك الطنبرجي فذهب الفلاحون إلى الفرنسيين وأعلموهم بمكانهم فحضروا إليهم ليلاً وفر من فر منهم وقتل من قتل وأسروا الباقي وأما الكاشف فيسمى عثمان التجا إلى كبير الفرنسيين فحماه وأخذه عنده وأحضروا الأسرى إلى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيب وعلى رؤوسهم عراقي من لباد وغيره وأصعدوهم إلى القلعة وقتلوا منهم في ثاني ليلة أشخاصًا.

وفي تاسعه أحضروا أيضًا ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم إلى القلعة وفي ذلك اليوم قتلوا أيضًا نحو العشرة من الأسرى المحابيس.

وفي يوم الأحد عاشره ركب في عصره ساري عسكر وعدى إلى بر الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك ولما صاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بك عندهم وفي هذا اليوم ظهر أن مراد بك رجع ثانيًا إلى الصعيد وشاع الخبر أيضًا أن عثمان بك الشرقاوي وسليمان آغا الوالي وآخرين مروا من خلف الجبل وذهبوا إلى ناحية الشرق فخرج عليهم جماعة من العسكر وفيهم برطلمين بني الرومي رئيس عسكر الأروام ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضمة إليهم وبعض فرنساوية.

فأدركوهم بالقرب من بليس وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة.

وكان عثمان بك يغتسل فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا عثمان بك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم وقذور الطعام على النار ولم يمت منهم إلا مملوكان وأسروا منهم اثنين ووجدوا على فراش عثمان بك مكاتبة من ابراهيم بك يستدعيهم إلى الحضور إليه بالشام.

وفي ليلة الاثنين حادي عشره وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبي قير وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية إلى أبي قير فتيين

أن حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربي بسبب ذلك وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهري وفي ضحوة اليوم الثاني عدى الكثير من العسكر أيضًا واهتم حنا بينو المتولي على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر وبعث بالمقدمة.

وركب هو في يوم الثلاثاء ثاني عشره وأرسل مكتوبًا الى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا في غيبته السابقة.

وفي سادس عشره ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبي قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقتلوا من بها من الفرنشاوية وملكوها وأسروا من بقي بها وعثمان خجا هذا هو الذي كان متوليًا إمارة رشيد من طرف صالح بك وحج معه ورجع صحبتته الى اشام فلما توفي صالح بك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور.

فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط في الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام فقال المسلم للنصراني إن شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتهي منكم وكلام من هذا المعنى فذهب هذا النصراني الى الفرنسييس مع عصية من جنسه وأخبروهم بالقصة وزادوا وحرفوا وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة فأرسل قائمقام الى الشيخ المهدي وتكلم معه في شأن ذلك وحاججه وأصبحوا فاجتمعوا بالديوان فقام المهدي خطيبًا وتكلم كثيرًا ونفى الريبة وكذب أقوال الأخصام وشدد في تبرئة المسلمين عما نسب إليهم وبالغ في الحطيطه والانتقاص من جانب النصارى وهذا المقام من مقاماته المحموده ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات.

وفي ثامن عشره وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار وكلها على نسق واحد تزيد عن المائة مضمونها بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية في ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر فصار الناس يحكي بعضهم لبعض ويقول البعض: أنا قرأت المکتوب الواصل الى فلان التاجر ويقول الآخر مثل ذلك ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ولم يعلم من فعل هذه الفعلة واختلق هذه النكتة ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة في الناس ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم وسبحان الله علام الغيوب.

وفي ليلة الأربعاء عشرينه أشيع أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبي قير.

وأخذوا مصطفى باشا أسيرًا وكذلك عثمان خجا وغيرهم وأخير الفرنسييس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقي القلاع المحيطة وبصحن الأربكية وعملوا في ليلتها أعني ليلة الأربعاء حراقة بالأربكية من نفوط وبارود وسواريح تصعد في الهواء.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه حضرت مكاتبة من الفرنسييس بحكاية الحالة التي وقعت لم أقف على صورتها.

واستهل ربيع الأول بيوم السبت سنة 1214 في ثانيه وصلت مراكب من بحري وفيها جرحى من الفرنساوية.

وفيه قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلي الزيات من أعيان أهالي بولاق وحبسوه ببيت قائمقام والسبب في ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأنه يدخل بعض حواصله الذي في وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك أخبر الواشي فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ثم نقلوه الى القلعة.

وفي سادسه حضر أيضًا جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عاداتهم في رواية الأخبار.

وفيه حضرت حجاج المغاربة ووصلت صحبة الحج الشامي وأخبروا أنهم حجوا صحبته وأمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم.

وفي ليلة الأحد تاسعه حضر ساري عسكر الفرنساوية بونابارته ودخل الى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس الى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته فشاهدوا الأسرى وهم وقوف في وسط البركة ليراهم الناس ثم أنهم صرفوهم بعد حصة من النهار فأرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج الحسينية وأصعدوا باقيهم الى القلعة وأما مصطفى باشا ساري عسكر فإنهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه الى الجيزة مكرّمًا وأبقوا عثمان خجا بالاسكندرية ولما استقر بونابارته في منزله ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان وسلموا عليه فلما استقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان إن ساري عسكر يقول لكم إنه لما سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة في غيابه وأما في هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيين لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الآغا في أحكامه وإن المهدي والصاوي ما هم بونو أي ليسوا بطيبين ونحو ذلك وسبب كلامه هذا الحكاية المتقدمة التي حبسوا بسببها مشايخ الحارات فإن الآغا الخبيث كان يريد أن يقتل في كل يوم أناسًا بأدنى سبب فكان المهدي والصاوي يعارضانه ويتكلمان معه في الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة وهو يرسل الى ساري عسكر فيطالعه بالأخبار ويشكو منهما فلما حضر عاتبهم في شأن ذلك فلاطفوه حتى انجلى خاطره وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين الى أبي قير والنصر عليهم وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره عمل المولد النبوي بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكري ساري عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسوارخ ونادوا في ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج قناديل واصطناع مهرجان وورد الخبر بأن الفرنسيين أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافي القدمين وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره فقطعوا رأسه تحتها ثم رفعوا رأسه وعلقوها من شباك داره ليراها من يمر بالسوق.

وفي ثالث عشره أشيع بأن كبير الفرنسيين سافر الى جهة بحري ولم يعلم أحد أي جهد يريد وسئل بعض أكابرهم فأخبر أن ساري عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان متوجّها الى ناحية أبي قير ووعدته بالعود إليه بعد وصوله الى مصر وراج ذلك على الناس وظنوا صحته.

ولما كان يوم الاثنين سادس عشره خرج مسافرًا من آخر الليل وخفي أمره على الناس.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه الموافق التاسع مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك فنودي بوفائه على العادة وخرج النصارى من القبطة والشوام والأروام وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب وذهبوا تلك الليلة الى بولاق ومصر العتيقة والروضة

واكثروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغاني وخرجوا في تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسلك الأمراء سابقًا من النزول في المراكب الكثيرة المقاذيف وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين وبعضهم تزيا بزى أمراء مصر وليس سلاحًا وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك وأجرى الفرنسيون المراكب المزينة وعليها البارق وفيها أنواع الطبول والمزامير في البحر ووقع في تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصي والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم بل كل إنسان يفعل ما تشتهي نفسه وما يخطر بباله وإن لم يكن من أمثاله.

وأكثر الفرنسيين في تلك الليلة وصباحها من رمي المدافع والسواريح من المراكب والسواحل وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير وفي الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته أكابر الفرنسيين وأكابر أهل مصر وحضروا إلى قصر السد وجلسوا به واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم في المراكب لضرب المدافع المتتالية إلى أن انكسر السد وجرى الماء في الخليج فانصرف.

وفي خامس عشرينه طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسًا.

وفي سادس عشرينه كتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق مضمونها أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضروا سوق الخيل ويشترروا ما أحبوا من الخيل.

وفيه ألصقوا أوراقًا أيضًا مضمونها بأن من كان عليه مال ميري ملزوم بغلاقه ومن لم يغلق ما عليه بعد مضي عشرين يومًا عوقب بما يليق به ونادوا بموجب ذلك بالأسواق.

وفي سابع عشرينه كتبوا أوراقًا أيضًا مضمونها انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس ومن أراد استثمار شيء من ذلك فليحضر إلى الديوان ويأخذ ما يريد بالمزاد.

وفيه أفرج عن الأنفار التي قدم بها الفرنسيون من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسًا دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون في البعض الباقي فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه.

وفي ثامن عشرينه تشفع أرباب الديوان في أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضًا فوقع التوافق معهم على الإفراج عنهم بمصلحة مائة كيس فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا في مجلس خاص بينهم فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها في كل عشرين يومًا خمسة وعشرين كيسًا فدفع التجار خمسة وعشرين كيسًا وأفرج عنهم من القلعة وأجلوا الباقي على الشرح المذكور.

وفيه ورد من بونابارته ساري عسكر الفرنسيون كتاب من الاسكندرية خطابًا لأهل مصر وسكانها فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه أنه سافر يوم الجمعة حادي عشرين الشهر المذكور إلى بلاد الفرنسيون لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع عساكره فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفوا له ملك مصر ويقطع دابر المفسدين وأن المولى على أهل مصر وعلى رئاسة الفرنسيون جميعًا كهلب ساري عسكر دمياط فتحير الناس وتعجبوا في كيفية سفره ونزوله البحر مع وجود مراكب الانكليز ووقوفهم بالثغر ورصدهم الفرنسيون من وقت قدومهم الديار المصرية صيفًا وشتاء ولكيفية خلوصه وذهابه أبناء وحيل لم أقف على حقيقتها. وفي

يوم السبت تاسع عشرينه قدم ساري عسكر كلهر صبيحة ذلك اليوم

فضربوا لقدمه المدافع من جميع القلاع وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم وذهب الى بيت بونابارته الذي كان ساكنًا به وهو بيت الألفي بالأزبكية وسكن مكانه وفي ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم فضربوها ونهبوها ومعهم السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم موثوقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة.

وفيه ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة ساري عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا الى الغد فانصرفوا وحضروا في ثاني يوم فقابلوه فلم يروا منه واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأحد سنة 1214 في أوائله ابتدأوا في عمل مولد المشهد الحسيني وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليالي متوالية آخرها ليلة الخميس ثاني عشره.

وفيه طلب ساري عسكر الجديد من نصارى القبط مائة وخمسين ألف ريال فرانسة في مقابله بواقى سنة 1212 وشرعوا في تحصيلها.

وفي يوم الجمعة سادسه ركب ساري عسكر الجديد من الأزبكية ومشى في وسط المدينة في موكب حافل حتى صعد الى اقلعة وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم النبايت وهم يأمرن الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره وكان صحبتة عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالي والآغا وبرطلمين بمواكبهم وكذلك القلقات والوجاقية وكل من كان مولى من جهتهم ومنضماً إليهم ما عدا رؤساء الديوان من الفقهاء فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى في ذلك الموكب ولما صعد الى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب الى داره.

وفي يوم السبت سابعه ركب أغات الينكجيرية في أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيين وأمامه المنادي يقول: حكم ما رسم ساري عسكر خطاً للآغا: إن جميع الدعاوى والقضايا العامة لا تعمل إلا ببيت الآغا وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستأهل ما يجري عليه.

وفيه ركب ساري عسكر الكبير في موكب دون الأول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوي ثم رجع الى داره.

وفي يوم الأحد ثامنه عمل ساري عسكر وليمة في بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ثم انصرفوا الى ديارهم.

وفي يوم الثلاثاء عاشره كان آخر المولد الحسيني وحضر ساري عسكر الفرنساوية مع أعيانهم الى بيت شيخ السادات بعد العصر في موكب عظيم وأمامه الآغا والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم ويدهم السيوف المسلولة فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل.

وفي سادس عشره نودي بنشر الحوائج وكتبوا بذلك أوراقاً وألصقوها بالأسواق وشددوا في ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم عسكري من طرف الفرنساوية وامرأة أيضاً للكشف عن أماكن النساء فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحديثهم أوهامهم بأمور يتخلونها كقولهم: إنما يريدون بذلك

الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم مع أنه لم يكن شيء سوى التخوف من العفونة والوباء.

وفي عشرينه نودي بعمل مولد السيد علي البكري المدفون بجامع الشرايبي بالأزبكية بالقرب من الرويعي وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة في تلك الجهات وأذنوا لهم بالذهاب والمجيء ليلاً ونهاراً من غير حرج وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد وأنه كان رجلاً من البله وكان يمشي بالأسواق عرباتاً مكشوف الرأس والسواتين غالباً وله أخ صاحب دهاء ومكر لا يلتئم به واستمر على ذلك مدة سنين ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه كما هي عادة أهل مصر في أمثاله فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثياباً وأظهر للناس أنه أذن له بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه والإنصات إلى تخطيطاته وتأويلها بما في نفوسهم وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم في كراماته وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات وينطق بها في النفوس فانهمكوا على التردد إليه وقلد بعضهم بعضاً وأقبلوا عليه بالهدايا والندور والإمدادات الواسعة من كل شيء وخصوصاً من نساء الأمراء والأكابر وراج حال أخيه واتسعت أمواله ونفقت سلعته وصادت شبكته وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة حتى صار مثل البو العظيم فلم يزل على ذلك إلى أن مات في سنة سبع بعد المائتين كما تقدم فدفنوه بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع وعمل عليه مقصورة ومقاماً وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأثاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه في قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شبابه وأعتابه ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه في أعابهم وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً فلما حضر الفرنسية إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه في جملة المهملات وترك مع المروكات فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ورخص الفرنسية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة 1214 فيه اهتم الفرنسيين بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفي وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل وشدوا في ذلك وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين ولم يعملوه على هيئة العام الماضي من الاجتماع بالأزبكية عند الصاري العظيم المنتصب والكيفية المذكورة لأن ذلك الصاري سقط وامتلأت البركة بالماء فلما كان يوم الأحد نهو على الأمراء والأعيان بالكور إلى بيت ساري عسكر.

فاجتمع الجمع في صبح يوم الاثنين فركب ساري عسكر معهم في موكب كبير وذهبوا إلى قصر العيني فمكثوا هناك حصة وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم ولعبوا لعبهم في ميدان الحرب وخلع ساري عسكر على الشيخ الشرقاوي والقاضي وأغات اليكجرية خلع سمور ثم رجع إلى منازلهم ثم نودي في جميع الأسواق بوقود أربع قناديل على كل دكان في تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك عوقب.

ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريح ولعبوا في المراكب طول ليلهم.

وفي سابعه بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر فجمع الفرنسية كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم: هذه الغلة الموجودة الآن إنما هي زراعة العام

الماضي وأما هذا العام فلا تخرج زراعته إلا في العام المقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا الطاف الله ورحمته ونعمه العظيمة الشاملة حصلت.

وفيه أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية الى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور لم أتحقق تفصيلها وترددت بينه وبين ساري عسكر الرسل والمراسلات ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة واصطلح معهم على شروط منها تقليده إمارة الصعيد تحت حكمهم.

وفي هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثير اهتمام الفرنساوية بإخراج الجيخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والفرين وبلبيس.

واستهل شهر رجب يوم الجمعة سنة 1214 وفيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا الى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا وعثمان آغا كتحدا الدولة وحسين آغا نزله أمين ومصطفى أفندي الدفتردار وباقي رجال الدولة وعسفوا في البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال فلما كان في منتصفه وردت الأخبار بوصولهم الى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها في تاسع عشره.

واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجيخانة وآلات الحرب وصعد مصطفى باشا الذي باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرع العظيم فاتفق أنه وقعت نار على مكان الجيخانة والبارود المخزون بالقلعة وكان شيئاً كثيراً فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد آغا أرنؤد الجلفي وغيره من المصرية ومات كثير ممن كان خارجاً عنها وبقرها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة في أسرع وقت ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش وأن عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تهاً ساري عسكر الفرنساوية واستعد للخروج والسفر في أسرع وقت وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية الى سينت كبير الانكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش خطاباً الى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ليتشاور معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ما سيشرطونه بينهم فوجهوا إليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب وديزه ساري عسكر الصعيد فنزلوا في البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كلهر ساري عسكر رسلاً من طرفه لاستفسار الأخبار.

واستهل شهر شعبان المعظم سنة 1214 فورد الخبر بقدمهما في اثنين وعشرين فيه الى الصالحية فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجان إليه وحضرا الى مصر وشاع أمر الصلح وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقق الدماء وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطاً رسمت وطبعت في طومار كبير وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً.

وأرسل ساري عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال الى دوجا قائمقام فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخاً كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع.

وصورته: بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ما عدا ترجمة الأسطر التي باللغة الفرنسية وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة وحضرة بسليغ مدير الحدود العام نواب ساري العسكر العام كلهبر المفوضين بكامل السلطان.

وجناب سامي المقام مصطفى رشيد أفندي دفتر دار ومصطفى راسيه أفندي رئيس كتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامي المقام أن للجيش الفرنسي بمصر عندما قصد أن يوضح ما في نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء وبرى نهاية الخصام المضر الذي قد حصل ما بين المشيخة الفرنسية والباب العالي فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصري بحسب هذه الشروط الآتي ذكرها يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك الى صلح العام في بلاد المغرب قاطبة.

الشرط الأول - أن الجيش الفرنسي يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمته الى الاسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرنسا إن كان ذلك في مراكبهم الخاص بهم أم في تلك التي يقتضي للباب العالي أن يقدمها لهم بقدر الكفاية ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال فقد وقع الاتفاق بعد مضي شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه الى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالي وصحبته خمسون نفرًا.

الشرط الثاني - فلا يدعن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصري وذلك من عهد إمضاء شروط الاتفاق هذه وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضي قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالي تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة يقتضي مطالبتها الى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال ومن الواضح أنه لا بد عن إصراف الوسائط الممكنة من قبيل الفريقين لكي لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس إن كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد إذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم.

الشرط الثالث - فرحيل الجيش الفرنسي يقتضي تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وساري العسكر كلهبر وإذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل في هذا الصدد فلينتخب من قبل حضرة سيد نهى سميت رجل لينهي المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانكليز.

الشرط الرابع - قطية والصالحية لا بد من خلوهما عن الجيش الفرنسي في ثامن يوم وأعظم ما يكون في عاشر يوم من إمضاء شروط الاتفاق هذه ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يومًا وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يومًا وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر وأما المحلات الكائنة في الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها في اليوم العاشر والدلتا أي الإقليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يومًا من بعد خلو مصر.

ولكن من حيث أنها لا بد أن تستمر بيد الفرنسية الى أن يكون انحذار العسكر من جهات الصعيد فجأة الغربية وتعلقاتها كما ذكر فمممكن أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد والمحلات التي تترك من الجيش فتسلم الى الباب الأعلى كما هي في حالها الآن.

الشرط الخامس - ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يومًا وأكثر ما الشرط السادس - إنه لقد وقع الاتفاق صريحًا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء في أن الجيش الفرنسي الموجود في الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحي:

بكامل ما له من السلاح والعزال لنحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بامتعته أو بكرامته وذلك إما من أهالي البلاد وإما من جهة العسكر السلطاني العثملي.

الشرط السابع - وحفظاً لإتمام الشرط المذكور أعلاه وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلا بد عن استعمال الوسائط في أن عسكر الإسلام يكون دائماً متباعدًا عن العسكر الفرنسي.

الشرط الثامن - فمن تقرير وإمضاء هذه الشروط فكل من كان من الإسلام أم من باقي الطوائف من رعايا البلم الأعلى بدون تمييز الأشخاص أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانس أو تحت أمر الفرنسيات بمصر يعطى لهم الإطلاق والتعلق.

وبمثل ذلك فكل الفرنسيات المسجونين في كامل البلدان والأساكل من مملكة العثملي وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت أولئك الذين كانوا في تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنسيات لابد عن انعتاقهم.

الشرط التاسع - فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالاً من بعد خلو مصر والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلاء في اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا الصدد.

الشرط العاشر - فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصري من أي ملة كانت.

وذلك لا في أشخاصهم ولا في أموالهم نظرًا الى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنسيات من إقامتهم بأرض مصر.

الشرط الحادي عشر - ولابد أن يعطى للجيش الفرنسيات إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطتين معه أعني بها مملكة انكلترة ومملكة المسكوب فرمانات الإذن والأوراق المحافظة بالطريق وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجع الجيش المذكور بالأمن والأمان الى بلاد فرانس.

الشرط الثاني عشر - وعند نزول الجيش الفرنسيات المذكور الكائن بمصر الآن فالباب الأعلى وباقي الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى أراضي فرانس لا يحصل عليهم شيء قط مما يكدرهم وينظر ذلك فحضرة الجنرال كلهبر ساري العسكر لعام يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنسيات الكائن بمصر بأنه لا يصدر منهم ما يؤول الى المعاداة على الإطلاق مادامت المدة المذكورة وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقي الممالك المرتبطة معه وكذلك أن السفن التي يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترى في حد من الحدود إلا بتلك التي تختص بأراضي فرانس ما لم يكن ذلك في حادث ما ضروري.

الشرط الثالث عشر - ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الإقليم المصري فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه إذا حضر في حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانس بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ودخل بمينا اسكندرية فلازم عن سفره حالاً وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ويرجع الى فرانس وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة وإذا صادف الأمر أن مركبًا من هذه المراكب يحتاج الى الترقية فهذه لا غير يباح

لها الإقامة الى أن ينتهي إصلاحها المذكور وفي الحال من ثم تتوجه الى بلاد فرانساً نظير التي قد تقدم القول عنها عند أول ربح يوافقها.

الشرط الرابع عشر - وقد يستطيع حضرة الجنرال كلهر ساري العسكر العام أن يرسل خبراً الى أرباب الأحكام الفرنساوية في الحال ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضي ليسهل بهذه الوسيلة وصول الخبر الى أصحاب الحكم بفرانساً.

الشرط الخامس عشر - وإذا قد اتضح أن الجيش الفرنساوي يحتاج الى المعاش اليومي مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الإقليم المصري وكذلك لمعاش الثلاثة أشهر الأخرى التي يكون مبتدأها من يوم نزولهم بالمراكب فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن وذلك بموجب القائمة التي تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوي إن كان ذلك مما يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم والذي يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شؤونه وذلك من بعد إمضاء هذه الشروط فينخضم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى.

الشرط السادس عشر - ثم إن الجيش الفرنساوي منذ ابتداء وقوع إمضاء هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعاً بالإقليم المصري لا بل وبالعكس فإنه يخلي للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه وذلك الى حين سفرهم.

وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانه والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ونظير ذلك شئون الغلال الواردة لهم من تحت المال وأخيراً مخازن الخراج فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيها من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ومن أمين البحر الانكليزي وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهر ساري العسكر وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر الى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التي تقتضي للجيش الفرنساوي المذكور لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب وإذا كانت الأسعار في هذه الأمتعة المذكورة لا توازي المبلغ المرقوم أعلاه فالخسيس والنقص في ذلك لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة تلك التي يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهر ساري العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور.

الشرط السابع عشر - ثم إنه إذا كانت تقتضي للجيش الفرنساوي بعض مصاريف لخلوهم مصر فلا بد أن تقبض وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط المذكورة القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتي ذكره أعني فمن بعد مضي خمسة عشر يوماً خمسمائة كيس وفي غلاق الثلاثين يوماً خمسمائة كيس أخرى وبتمام الأربعين يوماً ثلثمائة كيس أخرى وعند تمام الخميس يوماً ثلثمائة كيس شرجه وعند غلاق الستين يوماً ثلثمائة كيس أخرى وفي السبعين يوماً ثلثمائة كيس أخرى وعند تمام الثمانين يوماً ثلثمائة كيس أخرى وعند غلاق التسعين يوماً خمسمائة كيس أخرى وكل هذه الأكياس المذكورة هي عن كل كيس خمسمائة غرش عثملي ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ولكي يسهل إجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضاء على النسختين من الفريقين الشرط الثامن عشر - ثم إن فرد المال الذي يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق في الجهات المختلفة بالإقليم المصري فقد تخضم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها.

الشرط التاسع عشر - ثم إنه لكي يسهل خلو المحلات سريعًا فالنزول في المراكب الفرنسية المختصة بالحمولة والموجودة في المين بالإقليم المصري مباح به مادامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الاسكندرية ومن اسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط.

الشرط العشرون - فمن حيث أنه للطمان الكلي في جهات البلاد الغربية يقتضي الاحتراس الكلي لمنع الوباء الطاعوني عن أنه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أولئك الذين مشكوك بهم براءة من هذا الداء الطاعوني أن ينزل بالمراكب بل أن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت تلك التي بسببها لا يقتضي أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصري الواقع عليها الاتفاق يستمرو نفي بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالي الشأن ويعالجونهم الأطباء من الفرنسية أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم إلى أن يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل الشيء الذي لا بد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع ما يمكن ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر في الشرطين الحادي عشر والثاني عشر من هذا الاتفاق نظير ما يجري على باقي الجيش ثم إن أمير الجيش الفرنسي يبذل جهده في إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التيبتعين لهم من رؤساء الأطباء تلك المين التي يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة ولا بد عنها.

الشرط الحادي والعشرون - فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التي تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط فلا بد عن تجاوزها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالي الشأن وحضرة الجنرال كلهر ساري العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو.

الشرط الثاني والعشرون - وهذه الشروط لا تعد صحيحة إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل النسخ وذلك بمدة ثمانية أيام ومن بعد حصول هذا الإقرار لا بد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما.

صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش في شهر يوليوز سنة ثمان من إقامة المشيخة الفرنسية وفي رابع عشرينه شهر كانون الثاني غربي من سنة ألف وثمانمائة الواقع في ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة 1224 هجرية.

الممضيين الجنرال متفرقة ذره البلدي بوسيهلغ المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهر وجناب سامي مقام مصطفى رشيد أفندي دفتر دار ومصطفى راسيسه أفندي رئيس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالي الشأن منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية إلى الوكلاء العثملي بدلًا من التي قد وجهوها باللغة التركي ممضي ذره وبوسيهلغ تقرير الجنرال ساري العسكر العام محرر في آخر السنة التركية التي بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم إنني أنا الواضع اسمي أدناه الجنرال ساري العسكر العام أمير الجيش الفرنسي بالإقليم المصري أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على إجراءات بالعمل بالنوع والصورة إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرطًا المشروحة إلى الآن هي موافقة على التدقيق باللغة الفرنسية الممضي عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالي الشأن الترجمة التي لا بد عن الاعتماد بإجرائها كل مرة إن كان لسبب أم لآخر ممكن حصول بعض الاختلافات ومن ثم فتقلد بعض المشاكل.

صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية في ثامن شهر يوليوز سنة ثمان من المشيخة.

ممضي كلهير عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام في الجيش
الفرنساوي.

ممضي داماس انتهى بحروفه وما فيه من خطأ أو تحريف فهو طبق الأصل المطبوع
بالمطبعة الفرنسية باللغة العربية ولم أغير منه سوى ما في تواريخ الأشهر والسنين
بالأرقام الهندية والله أعلم.

استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة 1214 في ثانيه حضر ساري عسكر
الفرنساوية كلهير الى ناحية العادلية وصحبته آغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد
آغا فأرسل ساري عسكر الى حسن آغا نجاتي المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله في بيته
ويكرمه إكرامًا زائدًا فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الآغا الى مصر في موكب فحصل
للناس ضجة عظيمة وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه وارتفعت أصواتهم وعلا
ضحجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف وانطلقت النساء والزغاريت من
الطيقان واختلفت آراؤهم في ذلك القادم ولم يعلموا ما هو فدخل من باب النصر وشق
القاهرة ولم يزل سائرًا حتى وصل الى بيت حسن آغا بسويقة اللالا فنزل هناك فلما
استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس.

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانًا وجمع العلماء والوجاقية وأعيان الناس وكبار
النصارى من الأقباط والشوام فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانًا من الوزير فقرئ عليهم
بالمجلس فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك أي المكوس بمصر بولاق ومصر القديمة
وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذي يسعره هو
بمعرفة المحتسب وبودعه في المخازن وأبرز فرمانًا آخر قرئ بالمجلس مضمونه أن
الوزير أقام مصطفى باشا الذي كان أسر بأبي قير وكيلاً عنه وقائم مقام بمصر الى حين
حضوره وأن السيد أحمد المحروقي كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس
المعينة لترحيل الفرنسية.

وانفض المجلس على ذلك وأخذ السيد أحمد المحروقي في تحصيل ذلك القدر من الناس
وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف وشرعوا في تحكير الأقوات فغلت أسعارها
وضاقت مؤن الناس ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين وكان أول قادم منهم
أمير المكوسات ومحكر الأقوات وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم
وتغريمهم واجتهد السيد أحمد المحروقي في توزيع ذلك وجمعه في أيام قليلة فكان كل
من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد في تحصيله وأخرجه عن طيفه قلب وانشرح خاطر
وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنسية ويقول سنة مباركة ويوم
سعيد بذهاب الكلاب الكفرة كل ذلك بمشاهدة الفرنسيين ومسمعهم وهم يحقدون ذلك
عليهم وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن بيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين.

وأرسل الوزير فرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال
والكلف من الأقاليم وأرسل الى البنادر وجعل في كل بندر أميرًا ووكيلًا لجمع الغلال
والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل ولا يخفى ما يحصل في ضمن ذلك من
الجزئيات التي سيتضح بعضها فيما بعد وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فإنهم
استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيين بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة
الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتناولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم
يفكروا في عواقب الأمور ولم يتركوا معهم للصلح مكانًا حتى أن فقهاء المكاتب كانوا
يجمعون الأطفال ويمشون بهم فرقًا وطوائف حسية وهم يجهرون ويقولون كلامًا مقفى
بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم كقولهم: الله ينصر السلطان
ويهلك فرط الرمان ونحو ذلك وظنوا فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرًا حتى

تنقضي الأيام المشروطة على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التي تأسست في قلوب الفرنسيين وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس.

وقال الشعبي من جملة كلام: وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء وأخذ الفرنسيات في أهبة الرحيل وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية ولبليس ودمياط والسويس ثم إن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وأخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم مثل القهوة والحمامية والخياطين والمزنيين وغيرهم فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قائم مقام وشكوا إليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة.

ووصل الخبر بوصول حضرة الوزير إلى بلبيس وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا إلى مراد بك ومن معه بالحضور إلى العرضي فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه في الصعيد.

فلم يقبلوا عذره فأكدوا عليه بالحضور فاستأذن الفرنسيات سرًا فاستأذنوا له في المقابلة وكان سفيره في ذلك عثمان بك البرديسي ثم إنه حضر وقابل الوزير بصحبة إبراهيم بك وخلع عليهما ورجع مراد بك فخيم جهة العادلية وحضر حسن آغا نزله أمين ودخل مصر وأخلى أفرنساوية قلعة الجبل وباقي القلاع التي أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانه وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور وحضر أيضًا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجيء الفرنسيات إليها من الأغوات والوجاقية والأفندية والكتبة مثل إبراهيم أفندي الروزنامجي وثاني قلعة وغيرهما بنسائهم وأولادهم يظنون فروغ القضية والذي خافوا منه وقعوا فيه كما ستراه وأرسل إبراهيم بك إلى السيد أحمد المحروقي يطلب كساوي وثيابًا وطرايش وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه فأرسل إليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتب والنظام وهيات نساء الأمراء والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم في العالي ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح إلى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال والرهونات والحمير الفارهة وفي جحورهم تعابي الثياب والبقي المزركشة بالذهب والفضة.

وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالي الأطبحة والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخریات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيين بمرأى منهم ومسمع إلى غير ذلك مما يحرك الحفاظ ويوغر الصدور.

ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك في الثاني والعشرين من شهر رمضان استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا في التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم فذهبوا أيضًا إلى ساري عسكر كلهر واستأذنه فأذن لهم أيضًا فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا إلى نصوح باشا وإلى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى ثم خلع عليهم خلعة وانصرفوا من عنده فطافوا على أكابر الدولة بالعرضي وكذلك على الأمراء المصرية ورجعوا إلى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبته قاضي العسكر وهو لابس قبوط أسود ووصل نصوح باشا والأمراء إلى جهة الخانكاه ثم إلى المطرية.

وفيه حضر درويش باشا وإلى الصعيد إلى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكت أيامًا ثم توجه إلى قبلي وصحبته نحو المائة نفر وكذلك ذهبت طائفة إلى السويس وإلى دمياط والمنصورة وانبثوا في البلاد ودخلوا مصر شيئًا فشيئًا. واستهل

شهر شوال سنة 1214 في سابعه وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية

وهي أول الحوادث التي حصلت بينهم وهو أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر فرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوي ووقعت في الناس زعجة وكرشة وأغلَقوا الحوانيت وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب فتوسطت بينهم كبراء العسكر في تمهيد ذلك وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان وبحث مصطفى باشا عمن أثار الفتنة وهم ستة أنفار وأرسلهم الى ساري عسكر فرنساوية فلم يطلب خاطره بذلك.

وقال لابد من خروج عسكرهم الى عرضيهم حتى تنقضي الأيام المشروطة وإذا دخل منهم أحد الى المدينة لا يدخلون إلا بطريقة وبدون سلاح فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ولا يبقى منهم أحد ووقف جماعة من فرنساوية خارج باب النصر فإذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول الى المدينة فعند وصوله إليهم ينزل عندهم وينزع ما عليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضي شغله ويرجع فإذا وصل الى فرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضي الى أصحابه فكان هذا شأنهم.

وفي منتصفه توجه جماعة من أعيان فرنساوية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائم مقام وديزه ساري عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدير الحدود ونزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم فأرسلوا الى ساري عسكر بمصر وعرفوه الحال فأرسل بذلك الى الوزير فأجابه بجواب لم يرتضه وأصبح زاحقاً الى سطح الخانكاه وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها في دخول الوزير الى مصر وخروج فرنساوية منها فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام أجله زيادة على أيام المهلة فأجيبوا الى ذلك ووصل الأمراء المصرية وعرضي نصوح باشا وجملة من العساكر العثمانية الى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك ثم إن فرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة طرُقاً لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلاً بأطراف مصر ممتداً من مصر القديمة الى شبرا وترددوا الى نواحي القلاع وهي لم يكن بها أحد وشرعوا واجتهدوا في رد الجبخانه والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلاً ونهاراً والناس يتعجبون من ذلك.

ومصطفى باشا قائم مقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيئاً والبعض يقول إن الوزير أرسل إليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ونحو ذلك من الخرافات التي لا تروج على الفطن.

ويقال إن فرنساوية أرسل إليهم بعض أصدقائهم من الانكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الانكليز على الإحاطة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر فلما حصل منهم معهم ما سبقت الإشارة إليه تحققوا ذلك وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجبهم بجواب شاف وعجل بالرحيل والقُدوم ناحية مصر وقد كان فرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة والعرضي تفرسوا في عرضي العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم فلما حصر ما ذكر تاهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيده به من عساكرهم واستوثقوا من ذلك خرجوا بآجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا في تلك

النواحي ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بداخل القلاع وأشخاص بيت الألفي بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل.

وفي العشرين منه طلبوا مصطفى باشا وحسن آغا نزله أمين فلما حضرا إليهم أرسلوهما للجيزة فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال ركب ساري عسكر كلهير قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبته المدايع وآلات الحرب وقسم عساكره طواوير فمنهم من توجه الى عرضي الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليها فلم يسعهم إلا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنسية ولحقوا بالذاهبين من إخوانهم الى جهة العرضي فلما قاربوه أرسلوا الى الوزير يأمره بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه إلا الارتحال والفرنساوية في أثره وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال ومقررات الفرض وظلم الفقراء.

وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقليل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال فهاجوا ورمحوا الى أطراف البلد وقتلوا أشخاصا من الفرنسية صادفهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهدت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضي الفرنسية وخرج السيد عمر أفندي نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقي وانضم إليهما أترك خان الخليلي والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين آغا شتن أخو أيوب بك الصغير وتبعهم كثير من عامة أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبأيدي الكثير منهم النبايت والعصي والقليل معه السلاح وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة والأوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالأزقة وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على تلك الصورة فلما تضجى النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشيء لجهلهم أيضا حقيقة الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلدة ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم وخلفهم ابراهيم بك ثم أخرى وخلفهم سليم آغا ثم أخرى كذلك وخلفهم عثمان كتحدا الدولة ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبته السيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروقي وحسن بك الجداوي وعثمان بك المرادي وعثمان بك الأشقر وعثمان بك الشرقاوي وعثمان آغا الخازندار وابراهيم كتحدا مراد بك المعروف بالسناي وصحبته مماليكهم وأتباعهم فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا الى وكالة ذي الفقار فقال نصوح باشا عند ذلك للعامة: اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعندما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم فذهبت طائفة الى حارات النصارى وبيوتهم التي بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكي فصاروا يكسبون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنسية والأروام وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر فوق الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمي بالبندق والقرايين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم والآخرين يرمون من أسفل ويكسبون الدور ويتسورون عليها وبات نصوح باشا وكتحدا الدولة وابراهيم بك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوائف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذي الفقار فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفالية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا وشمير عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمراء المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة

مدافع وسحبوها الى الأزيكية وضربوا منها على بيت الألفي وكان به أشخاص مرابطون من عساكر فرنساوية فضربوهم أيضًا بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار فسكن الحرب وياتوا ينادون بالسهر وفي هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزيكية وشرعوا في بناء بعض جهات السور واجتهدوا في تحصين البلد بقدر الطاقة وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل أطلق فرنساوية المدافع والنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعًا بها فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأي الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات والقلاع بيد فرنساوية ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها في كل يوم وربما امتنع وصول ذلك إذا تجسمت الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل.

وتسامح الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج وغصت الخطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدهام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضًا وازدحمت تلك النواحي بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال وياتوا على تلك الصورة ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف وتسامع أهل خان الخليلي من الألداشات وبعض مغاربة الفجامين والغورية ذلك فجاءوا للجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وعصدهم طائفة عساكر الينكجيرية وعمدوا الى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضي والوكائل وأغلقوا باب النصر وبات في تلك الليلة أصحابهم بالجمالية وفي أزقة الحارات أيضًا وكل متهيئ للخروج.

فلما حصل ذلك وأصبح يوم السبت فتهيا كرباء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذي لا قوة له للحرب وذهب المعظم الى جهة الأزيكية وسكن الكثير في البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الأمراء وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضائع من حديد وأحجار استعملوها عوضًا عن الجلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت ساري عسكر بالأزيكية واستمر عثمان كتحدا بوكالة ذي الفقار بالجمالية وكان كل من قبض على نصراني ويهودي أو فرنساوي أخذه وذهب به الى الجمالية حيث عثمان كتحدا وياخذ عليه البقشيش فيحبس البعض حتى يظهر أمره ويقتل البعض ظلمًا وربما قتل العامة من قتلوه وأتوا برأسه لأجل البقشيش وكذلك كل من قطع رأسًا من رؤوس فرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزيكية وإما لعثمان كتحدا بالجمالية وياخذوا في مقابلة ذلك الدراهم وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقي الأبواب التي في أطراف البلد وزاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس وجلس عثمان بك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدايع وعثمان بك طبل عند متاريس المحجر ومحمد بك المبدول عند الشيخ ربحان ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بك الكبير والصغير عند الناصرية ومصطفى بك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف المحمودي عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الينكجيرية وباب الحديد وباب القرافة وجماعة خان الخليلي والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب وبالجملة كل من كان في حارة من أطراف البلد انضم الى العسكر الذي بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة من هؤلاء وصار جميع أهل مصر إما بالأزقة ليلاً ونهارًا وهو من لا يمكنه القتال.

وأما بالأطراف وراء المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب ولم ينم أحد بيته سوى الضعيف والجبان والخائف وناصف باشا وابراهيم بك وجماعاتهم وعسكر من

الينجرية والأرنؤد والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهواء والرحبة الواسعة التي عند جامع أزيك والعتبة الزرقا وأنشاء عثمان كتحدا معملاً للبارود ببيت قائد آغا بخط الخرنفش وأحضر القندقجية والعرجية والحدادين والسباكين لإنشاء مدافع وبنيات وإصلاح المدافع التي وجدوها في بعض البيوت وعمل العجل والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات الجزئية وأحضروا لهم ما يحتاجون إليه من الأخشاب وفروع الأشجار والحديد وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذي بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني واهتم لذلك اهتمامًا زائدًا وأنفق أموالاً جمة وأرسلوا فأحضروا المدافع الكائنة بالمطرية فكانوا كلما أدخلوا مدفعًا أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات مثل قولهم: الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك وحضر محمد بك الألفي في ثاني يوم وتترس بناحية السويقة التي عند درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وكذلك كشافة وخصوصًا اسمعيل بك كاشف المعروف بأبي قطية فإنه لم يزل يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بك الذي أصله بيت حسن بك الأزيكاوي وبيت أحمد آغا شويكار وتترس فيهما وحسن بك الجداوي تترس بناحية الرويعي.

وربما فارق متراسه في بعض الليالي لنصرة جهة أخرى وحضر أيضًا رجل مغربي يقال إنه الذي كان يحارب الفرنسيين بجهة البحيرة سابقًا والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلاني الذي تقدم ذكره وفعل ذلك الرجل المغربي أمورًا تنكر عليه فكان يتجسس على البيوت التي بها الفرنسيين والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلي والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعًا فيما على رأسها وشعرها من الذهب وتتبع الناس عورات بعضهم البعض وما دعتهم إليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم واتهم الشيخ خليل البكري بأنه يوالي الفرنسيين ويرسل إليهم الأطعمة.

فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ونهبوا داره وسجنوه مع أولاده وحریمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له إهانة بالغة وسمع من العامة كلامًا مؤلمًا وشتائمًا فلما مثلوه بين يدي عثمان كتحدا هاله ذلك واغتم غمًا شديدًا.

ووعده بخير وطيب خاطره وأخذه سيدي أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة وياشر السيد أحمد المحروقي وباقي التجار ومساكين الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب وكذلك جميع أهل مصر كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان بعضهم بعضًا وفعلوا ما في وسعهم وطاقاتهم من المعونة وأما الفرنسيات فأنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفي وما والاها من البيوت الخاصة بهم والبيوت القبضة المجاورين لهم واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر الى مصر أيامًا قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى وأهل الأرياف القريبة تأتي بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون الى بلادهم كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنسيات المتوجهين مع كبيرهم للحرب واختلفت الروايات والأخبار وأما الوزير فإنه لما ارتحل بالعرضي تخلف عنه ببليس جملة من العسكر وأما عثمان بك حسن وسليم بك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنسيات ثم رجعا الى ببليس فحاصروا من بها وكان عثمان بك وسليم بك وعلي باشا الطرابلسي وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا الى ناحية العرضي فحارب الفرنسيات من

بليس من العسكر ولم يكن لهم بهم طاقة فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاؤوا فذهبوا أشتاء في الأرياف يتكفون الناس ويأوون الى المساجد الخربة ومات أكثرهم من العري والجوع ثم لما لحق عثمان بك ومن معه بالعرضي ناحية الصالحية وتكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام فاعتذر إليهم بأعذار ومنها عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجبخانه والمدافع الكبار بالعريش اتكالاً على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة الفرنسيات عما دبره عليهم مع الانكليز فقال له عثمان بك: أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا فخطب العسكر وبذل لهم الرغائب فامتنعوا ولم يمثل منهم إلا المطيع والمتطوع وهم نحو الألف وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتاً وممتشراً في البلاد ورجعوا يريدون محاربة الفرنسيات فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه في قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم فصاربوهم بالنبايت والحجارة وأصيب سرج ساري عسكر بنيوت فانكسر وسقط ترجمانه الى الأرض وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنسيات عساكرهم فلاحقوا بهم ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنسيات بعساكر المسلمين فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على إثرهم الى الصالحية فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع الى الشام وأما مراد بك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيين على اباشا والأمراء بالمطرية.

وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الأمور وأقام مطمئناً على نفسه واعتزل الفريقين واستمر على صلحه مع الفرنسيات هذا حاصل خبر الشرقيين ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافة لثلاث تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وإرسال السعاة في طلب النجدة والمعونة.

وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتزوج عليهم وتسرى في غفلتهم ويقولون للناس في كل وقت إن حضرة الصدر الأعظم مجتهد في محاربة الفرنسيين وفي غد أو بعد غد يقوم بالعساكر والجنود بعد قطع العدو وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح وتهدم العساكر القلاع وتقلبها على من يبقى من الفرنسيات وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد واجتهدوا فيما أنتم فيه وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربي والتركي بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك ووصل طائفة من عسكر الفرنسيات ورجعوا من عرضهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر فقويت بهم نفوس الكائنين بمصر ووقفت طائفة منهم خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغوري والمنيل وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرناؤد وهم الذين كان الوزير وجههم الى القرى لقبض الكلف والفرض فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنسيات الواقفة على التلول الخارجة فحاموا ودافعوا عن أنفسهم وخلصوا منهم ودخلوا الى مصر وفرح الناس لقُدومهم وضجت القلعة بحضورهم واشتدت قواهم واتفقوا أن يقولوا للناس إذا سئلوا أنهم حاضرون مدداً وسيأتي في إثرهم عشرون ألفاً وعليهم كبير ونحو ذلك وأما بولاق فإنها قامت على ساق واحد وتحزم الحاج مصطفى ابشتيلي وأمثاله وهيجوا العامة وهياؤا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا وأول ما بدؤوا به أنهم ذهبوا الى وطاق الفرنسيين الذي تركوه بساحل البحر وعنده حرسية منهم فقتلوا من أدركوه منهم ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره ورجعوا الى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودائع التي للفرنسيات وأخذوا ما أحيوا منها وعملوا كرانك حوالي البلد ومتاريس واستعدوا للحرب والجهاد وقوي في رأسهم العناد واستطالوا على من كان ساكناً ببولاق من نصارى القبط والشوام فأوقعوا بهم بعض النهب وربما قتل

منهم أشخاص هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر ساري عسكر الفرنساوية ومن معه فإنه لما استوثق بهزيمة الوزير وعدم عوده ونجاته بنفسه لم يزل لخفه حتى بعد عن الصالحية فأبقى بها بعضًا من عسكر الفرنسيين محافظين وكذلك بالقربين ولبليس ورجع الى مصر وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء وقيام الرعية فلم يزل حتى وصل الى داره بالأزبكية وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج وذلك بعد ثمانية أيام من ابتداء الحركة وقطعوا الجالب عن البلدين وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم فكانت جماعة من المفوضين لهم المحصورين داخل المدينة كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم يهربون إليهم ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم فعند ذلك اشتد الحرب وعظم الكرب وأكثروا من الرمي المتتابع بالمكاحل والمدافع وأكثروا وأوصلوا وقع القناير والبنات من أعالي التلول والقلعات خصوصًا البنات الكبار على الدوام والاستمرار آناء الليل وأطراف النهار في الغدو والبكور والأسحار وعدمت الأقوات وغلت أسعار المبيعات وعزت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات وارتفع وجود الخبز من الأسواق وامتنع الطوائفون به على الأطباق وصارت العساكر الذين مع الناس بالبلد يحفظون ما يجدونه بأيدي الناس من المأكول والمشرب وغلا سعر الماء المأخوذ من الآبار أو الأسيلة حتى بلغ سعر القرية نيقًا وستين نصقًا وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد وتكفل التجار ومساير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمطاريح المجاورة لهم فالزموا الشيخ السادات بكلفة الذين عند قناطر السباع وهم مصطفى بك ومن معه من العساكر وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهري وفلتيوس وملطي فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا في دورهم وهم في وسطهم وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين فأرسلوا إليهم الأمان فحضرهم وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء وأعانوهم بالمال واللوازم وأما يعقوب فإنه كرنك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي واستعد استعدادًا كبيرًا بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الأولى فكان معظم حرب حسن بك الجداوي معه هذا والمناداة في كل وقت بالعربي والتركي على الناس بالجهاد والمحافظة على المطاريح واتهم مصطفى آغا مستحفظان بموالاته للفرنساوية وأنه عنده في بيته جماعة من الفرنسيين.

فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر فوجدوا أنفاريًا قليلة من الفرنسيين فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حمية حتى خلصوا الى الناصرية وأما الآغا فإنهم قبضوا عليه وأحضره بين يدي عثمان كتحدا ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلاً بالوكالة التي عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناداة ومنعهم من دخول الدور وكل من وجده داخل داره مقتله وضربه فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمراء والأعيان وهلك البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من التين والفول والشعير والدريس.

بحيث صار ينادي على الحمار أو البغل المعدد الذي قيمته ثلاثون ريالاً وأكثر بمائة نصف فضة أو ريال واحدًا وأقل ولا يوجد من يشتريه وفي كل يوم يتضاعف الحال وتعظم الأهوال وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب وتراعى الفريقان بالمدافع والبيران حتى احترق ما بينهم من الدور وكان اسمعيل بك كاشف الألفي تحصن ببيت أحمد آغا شويكار الذي كان بيته وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغماً بالبارود المدفون فاشتعل ذلك اللغم ورفع ما فوقه من الأبنية والناس وطاروا في الهواء واحترقوا عن آخرهم وفيهم اسمعيل كاشف المذكور وانهدم جميع ما هناك من الدور والمباني العظيمة والقصور المطلة على البركة واحترق جميع البيوت التي من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتحدا الى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالسكاكيت بأجمعها الى الرحبة المقابلة لبيت الألفي سكن ساري عسكر الفرنساوية وكذلك خطة الفواله بأسرها وكذلك خط الرويعي

بالبساط العظيمين وما في ضمن ذلك من البيوت الي حد حارة النصارى وصارت كلها تلاً وخرائب كأنها لم تكن مغني صبابات ولا مواطن أنس ونزاهات وقد جنت عليها أيدي الزمان وطوارق الحداث حتى تبدلت محاسنها وأقفرت مساكنها وهكذا عقبى سوء ما عملوا فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

وأرسلوا الى مراد بك يطلبونه للحضور أو يرسلوا الأمراء والأجناد التي عنده فأرسل يعتذر عن الحضور ويقول إنه محافظ على الجهة التي هو فيها فأرسلوا إليه بالإرسال والاستكشاف عن أمر الوزير فأرسل يخبر أنه أرسل هجاءاً الى الشرق من نحو عشرة أيام والى الآن لم يحضر وأن الفرنساوية إذا ظفروا بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم وأنتم كذلك معهم.

فقبلوا نصحي واطلبوا الصلح معهم واخرجوا سالمين فلما بلغهم تلك الرسالة حنق حسن بك الجداوي وعثمان بك الأشقر وغيرهم وسفهبوا رأيهم وقالوا: كيف يصح هذا الأمر وقد دخلنا الى البلد وملكنها فكيف نخرج منها طائعين ونحو ذلك هذا مما لا يكون أبداً فأشار ابراهيم بك برجوع البرديسي وصحبته عثمان بك الأشقر ليقول الأشقر لمراد بك ما يقوله فلما اجتمع به ورجع لم يرجع على ما كان عليه حال ذهابه وفترت همته وجنح لرأي مراد بك واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب وشدة البلاء والكرب ووقوع النباتات على الدور والمساكن من القلاع والهدم والحرق وصراخ النساء من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع مع القحط وفقد المأكول والمشارب وغلق الحوانيت والطوايين والمخابز.

ووقوف حال الناس من البيع والشراء وتفليس الناس وعدم وجدان ما ينفقونه إن وجدوا شيئاً.

واستمر ضرب المدافع والقناير والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً حتى كان الناس لا يهناً لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن ومقامهم دائماً أبداً بالأزقة والأسواق وكانما على رؤوسهم الجميع الطير وأما النساء والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية الى غير ذلك.

وفي أثناء ذلك فرضوا على الناس من أهل الأسواق وغيرهم مائة كيس فردوها على بعض الناس كالسادات والصاري وصار مؤونة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل واللبن.

ويبيعون ذلك في طشوت وأوان بالأسواق وفي كل ساعة تهجم العساكر الفرنسية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس فيصيحون على بعضهم بالمناداة يتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون: عليكم بالجهة الفلانية الحقوا إخوانكم المسلمين فيرمحون الى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها وينتقلون الى غيرها فيفعلون كذلك وكان المحتمل لغالب هذه المدافعات حسن بك الجداوي فإنه كان عندما يبلغه زحف الفرنسية على جهة من الجهات يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة ورأى الناس من إقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلاً ونهاراً ما ينبئ عن فضيلة نفس وقوة قلب وسمو همة وقل أن وقع حرب في جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها هذا والآغا والوالي يكررون المناداة وكذلك المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقي والسيد عمر النقيب يمرون كل الوقت ويأمرون الناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد وكذلك بعض العثمانية يطوفون من أتباع الشرطة وينادون باللغة التركية مثل ذلك وجرى على الناس ما لا يسطر في كتاب ولم يكن لأحد في حساب ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلاً عن جزئياته منها عدم النوم ليلاً ونهاراً وعدم الطمأنينة وغلو الأقوات وفقد الكثير منها خصوصاً الأدهان وتوقع الهلاك كل

لحظة والتكليف بما لا يطاق ومغالبية الجهلاء على العقلاء وتطاول السفهاء على الرؤساء وتهور العامة ولغط الحرافيش وغير ذلك مما لا يمكن حصره ولم يزل الحال على هذا المنوال الى نحو عشرة أيام وكل هذا والرسول من قبل الفرنسيات وهم عثمان بك البرديسي تارة ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى والاثنان من أتباع مراد بك يترددون في شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر والتهديد بحرقها وهدمها إذا لم يتم هذا الغرض واستمروا على هذا العناد ثم نصب الفرنسيات في وسط البركة فساطاً لطيفاً وأقاموا عليه علماً وأبطلوا الرمي تلك الليلة وأرسلوا رسولاً من قبلهم الى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم في شأن هذا الأمر فأرسلوا الشرقاوي والمهدي والسرسي والفيومي وغيرهم فلما وصلوا الى ساري عسكر وجلسوا خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله أن ساري عسكر قد أمن أهل مصر أماناً شافياً وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضي وعلى الفرنسيات القيام بما يحتاجون إليه من المؤونة والذخيرة حتى يصلوا الى معسكرهم وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم فليقم وله الإكرام ومن أراد الخروج فليخرج والجرحى من العثماني يجرّدون من سلاحهم وإن كان يأخذه الكتخدا فليأخذه وعلينا أن نداوهم حتى يبرأوا ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مؤونته ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج وعلى أهل مصر الأمان فإنهم رعيّتنا وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه ولما كان الغد وشاع أمر المودعة واستفيض أمر الصلح على هذا قالوا لهم لأي شيء تفعلون هذا الفعل وهذه المحاربات والوزير ولي مهزوماً ورجع هارباً ولا يمكن عوده في هذا الحين إلا أن يكون بعد ستة أشهر فاعتذروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخدا الدولة: وإبراهيم بك ومن معهم فإنهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ومنوا الناس الأمان الكاذبة والعامة لا عقول لهم فقالوا لهم بعد كلام طويل: قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم فإنهم لا طاقة لهم على حربنا ويكونون سبباً لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق فقالوا له: نخشى أنهم إذا امتثلوا وجنحوا للمودعة وخرجوا وذهبوا الى ساري عسكرهم تنتقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك فقالوا: لا نفعل ذلك فإنهم إذا رضوا ومنعوا الحرب اجتمعنا معكم وإياهم وعقدنا صلحاً ولا نطالبكم بشيء والذي قتل منا في نظير الذي قتل منكم وزودناهم وأعطيناهم ما يحتاجون من خيل وجمال وأصبحنا معهم من يوصلهم الى مأمّنهم من عسكرنا ولا نضر أحداً بعد ذلك فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الانكشارية والناس قاموا عليهم وسبّوهم وشتموهم وضربوا الشرقاوي والسرسي ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون: هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيين وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول وتشدد في ذلك الرجل المغربي الملتف عليه أخلاط العالم ونادى من عند نفسه: الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه وكان السادات بيت الصاري فتحير واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادي بقوله: الزموا المتاريس ليقى بذلك نفسه من العامة ووافق ذلك أغراض العامة لعدم إدراكهم لعواقب الأمور فالتوا عليهم وتعصد كل بالآخر وأن غرضه هو في دوام الفتنة فإن بها يتوصل لما يريد من النهب والسلب والتصوير بصوره الإمارة باجتماع الأوغاد عليه وتكفل الناس له بالماكل والمشرب هو ومن انضم إليه واشتطاط في الماكل مع فقد الناس لا دون ما يؤكل حتى أنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول: لا أكل إلا الفراخ ويظهر أنه صائم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته في هذه الشدة بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود ثم هو مع ذلك لا يغني شيئاً بل إذا دهم العدو تلك الجهة التي هو فيها فارقها وانتقل لغيرها وهكذا كان ديدنه ثم هو ليس ممن له في مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك بل كما قيل: لا ناقتي فيها ولا جملي فإذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه الى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره وحينئذ يكون كأحاد الناس ويرجع لحالته الأولى وتبطل الهيئة الاجتماعية التي جعلها لجلب الدنيا فخاً منصوباً ومخرق بها على سخاف العقول وإخفاء

الأحلام وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجة ولو أن نيته محضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم أو اقتحم كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين في الجهات وفي بيع أنفسهم في مرضاة رب العباد لظا الهيحاء ولم يتعنت على الفقراء ولم يجعل ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم وبالجمله فكان هذا الرجل سببًا في تهدم أغلب المنازل بالأزبكية ومن جملة ما رميت به مصر من البلاء وكان ممن ينادي به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ: الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر ضرب عنقه وهذا منه أفتيات وفضول ودخول فيما لا يعني حيث كان في البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحًا أو يبرمه وأي شيء يكون هو حتى ينادي أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك: لكنها الفتن يشتتسر بها البغات سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغاء إذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم على أن المشايخ لم يأمرؤا بشيء ولم يذكرؤا صلحًا ولا غيره إنما بلغوا صورة المجلس الذي طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام وسبؤهم وشتمؤهم بل وضربؤهم وبعضهم رمؤا بعمامته الى الأرض وأسمعؤهم قبيح الكلام وفعلؤا معهم ما فعلؤا وصارؤا يقولون: لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ما طلبوا المصالحة والموادعة وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت ونحو ذلك من الظنون الفاسدة ولم يردؤا عليهم جوابًا بل ضربوا بالمدافع والبنادق فأرسلوا أيضًا رسلاً يسألونهم عن الجواب الذي توجه به المشايخ فأرسل إليهم الباشا والكتخدا يقولان لهم: إن العساكر لم يرضؤا بذلك ويقولون لا نرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا وليس في قدرتنا قهرهم على الصلح فأرسل الفرنسية جواب ذلك في ورقة يقولون في ضمنها: قد عجبنا من قولكم إن العساكر لم ترض بالصلح وكيف يكون الأمير أميرًا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ونحو ذلك وأرسلوا أيضًا رسولًا الى أهل بولاق يطلبونهم للصلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك فلم يرضؤا وصمموا على العناد فكررؤا عليهم المراسلة وهم لا يزدادون إلا مخالفة وشغبًا فأرسلوا في خامس مرة فرنساويًا يقول: أمان أمان سوا سوا ويده ورقة من ساري عسكر فأنزلوه من على فرسه وقتلوه وظن كامل أهل مصر أنهم إنما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف وأشعلوا نيران القتال وجدوا في الحرب من غير انفصال.

والفرنساوية لم يقصروا كذلك ورأسلوا رمي المدافع والقناير والبندق المتكاثر وحضر الألفي الي عثمان كتحدا برأي ابتدعه ظن أن فيه الصواب وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلامًا نهارًا ويوقدون عليها القناديل ليلا ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدي ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم منصورون وكذلك صنع معهم أهل بولاق وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكرًا قادمين لنجدتهم.

وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم فصمموا على ذلك للحرب واستمر هذا الحال بين الفريقين الى يوم الخميس ثاني عشرينه الموافق لعاشر برمودة القبطي وسادس نيسان الرومي فغيمت السماء غيمًا كثيفًا وأرعدت رعدًا مزعجًا عنيفًا وأمطرت مطرًا غزيرًا وسيلت سيلًا كثيرًا فسالت المياه في الجهات وتوجلت جميع السكك والطرقات فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأحوال ولطخت الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم بالطين.

والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم في خارج الألفية وهي لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة في ملابسهم وما على رؤوسهم وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنائعهم بخلاف المسلمين فلما حصل ذلك اغتتموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتائل مغمسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوبة على أعناقهم معمولة بالنفط والمياه المصنوعة المقطرة التي تشتعل ويقوى لهبها بالماء وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد

وكوم أبي الريش وجهة بركة الرطلي وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة فكانوا يرمون المدافع والبنات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ويهجمون أيضًا وأمامهم المدافع وطائفة خلفهم بواردية يقال لهم السلطات يرمون بالبندق المتتابع وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهيرون بها السقائف وضرف الحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة شيئًا فشيئًا.

والمسلمون أيضًا بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم وتحول الآغا وأكثر الناس الى تلك الجهة وزلزلوا في ذلك اليوم واللييلة زلزالًا شديدًا وهاجت العامة وصرخت النساء والصبيان ونطوا من الحيطان والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليلة الجمعة وكذلك الرعد والبرق وعثمان بك الأشقر الابراهيمى وعثمان بك البرديسي المرادي ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويحيئون من الفرنسييس الى المسلمين ومن الفرنسييس إليهم ويسعون في الصلح بين الفريقين.

ثم إنهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبي العلا بالطريقة المذكورة بعضها وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم في النيران حتى غلب الفرنسييس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هولته النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والأزقة واحترقت الأبنية والدور والقصور وخصوصًا البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الأطراف وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلية ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور والذي وجدوه منعكًا في داره أو طبقته ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحًا نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيًا وأصبح من بقي من ضعفاء أهل بولاق وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يستر عوراتهم.

وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه وكان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانًا لنفسه وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم وفي وقت هجوم العساكر انفصل إليهم واختفى البشتيلي.

فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرؤساء فحبسوا البشتيلي بالقلعة والباقي بيت ساري عسكر وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول وفي اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلي من العامة وسلموهم البشتيلي وأمرهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذي كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه: إن الكلب دعانا للصلح فأبينا منه وأرسله مع رجل ليوصله الى الكتخدا فوقع في يد ساري عسكر كلهم فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذي فعله وقوبل على ذلك بأن أسلم الى عصبته وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه ففعلوا ذلك وقتلوه بالنباييت وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانًا لفصل الأحكام.

وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ثم بعد مضي يومين ألزموا بغرامة مائتي ألف ريال وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب الى سادس عشرينه حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهرة وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار مع ما هم فيه من عدم القوت حتى هلكت الناس وخصوصًا الفقراء والدواب وإيذاء عسكر العثمانلي للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم حتى

تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين على حالتهم التي كانوا عليها والحال كل وقت في الزيادة وأمر المسلمين في ضعف لعدم الميرة والمدد والفرنساوية بالعكس وفي لك يوم يزحفون الى قدام والمسلمون الى وراء فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحي وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ويملكون المتاريس الى أن وصلوا من ناحية قنطرية الحروبي وناحية باب الحديد الى قرب باب الشعيرة.

وكان شاهين آغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحه فقام من مكانه ورجع القهقري فعند رجوعه وقعت الهزيمة ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض.

وملك فرنساوية كوم أبي الريش وصاروا يحاربون من كوم أبي الريش وهم في العلو والمسلمون أسفل منهم وكان المحروقي زور كتابًا على لسان الوزير وجاء به رجل يقول إنه رسول الوزير وإنه اختفى في طريق خفية ونط من السور وإن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة وإنه ترك بالصالحية وإن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جوابًا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه الى الوزير في أثناء الواقعة.

هذا والبرديسي ومصطفى كاشف والأشقر يسعون في أمر الصلح الى أن تموه على كف الحرب وأن فرنساوية يمهلون العثمانية والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبون حيث أتوا وجعلوا الخليج حدًا بين الفريقين لا يتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر وأبطلوا الحرب وأخمدوا النيران وتركوا القتال وأخذ العثمانية والأمراء والعسكر في أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم وزودهم فرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالًا وغير ذلك وكتبوا بعقد الصلح فرمانًا مضمونه أنهم يعوقون عندهم عثمان بك البرديسي وعثمان بك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتحدا حتى يصل الى الصالحية وأن يوصلهم ساري عسكر داماس بثلاثمائة من العسكر خوفًا عليهم من العرب وأن من جاء منهم من جهة يرجع إليها ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ما عدا عثمان بك الأشقر فإنه إذا رجع الثلاثة مع فرنساوية يذهب مع البرديسي الى مراد بك بالصعيد وأرسلوا الثلاثة المذكورين الى وكالة ذي الفقار بالجمالية وأجلسوهم بمسجد الجمالي صحبة نصوح باشا فهاجت العامة وراموا قتلهم وهموا بقتل عثمان كتحدا فأغلق دونهم باب الخان ومنع نصوح باشا العامة من الهجوم على المسجد وركب المغربي فتوجه الى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيين فحضر أهل الحسينية الى عثمان كتحدا يستأذونه في موافقة ذلك المغربي أو منعه.

فأمر بمنعه وكفهم عن القتال وركب المحروقي عند ذلك ومر بسوق الخشب وقدامه المنادة بأن لا صلح ولزوم المتاريس ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالعصي فهاجوا في العامة ففروا وسكن الحال. واستهل

شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1215

فيه خرج العثمانية وعساكرهم وابراهيم بك وأمراؤه ومماليكه والألفي وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقي الشاه بندر وكثيرون من أهل مصر ركبًا ومشاة.

الى الصالحية وكذلك حسن بك الجداوي وأجاده وأما عثمان بك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير فلم يسع ابراهيم بك وحسن بك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم الى قبلي بل رجعا بجماعتهما على إثرهما وذاقوا وبال أمرهم وانكشف الغبار عن تعسة المسلمين وخيبة أمل الذاهيين والمتخلفين وما استفاد الناس من هذه العمارة وما جرى

من الغارة إلا الخراب والسخام والهباب فكانت مدة الحرب والحصار بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة سبعة وثلاثين يومًا وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشتات والهباج وخراب الدور وعطائهم الأمور وقتل الرجال ونهب الأموال وتسلبت الأشرار وهتك الأحرار وخصوصًا ما أوقع الفرنسيات بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه وخرب في هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجلييلة مثل جهة الأربكية الشرقية من حد جامع عثمان والفواله وحارة كتحدا رصيف الخشاب وخطة الساكت الى بيت ساري عسكر بالقرب من قنطرة الدكة.

وكذلك جهة باب الهواء الى حارة النصارى من الجهة القبيلة وأما بركة الرطلي وما حولها من الدور والمنتزهات والبساتين فإنها صارت كلها تلالًا وخرائب وكيمان أثرية وقد كانت هذه البركة من أجل منتزهات مصر قديمًا وحديثًا وبالقرى منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبرنج والجسر وكانت تعرف ببركة الطوابين ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون لأنه هو الذي احتفرها وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري وبنى القنطرة المنسوبة إليه وعمر عليها الدور والمناظر وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورًا بهية وكان هذا الجسر من أجل المنتزهات وقد خربت منازلها في القرن العاشر في واقعة السلطان سليم خان مع الغوري وصار محله بستانًا عظيمًا قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنسيات.

ومما تخرب أيضًا حارة المقس من قبل سوق الخشب الى باب الحديد وجميع ما في ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرائب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات ويتذكر بها ما يتلى في حق الظالمين من الآيات فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون وقال تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون.

وقال تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا.

ودخل الفرنسيات الى المدينة يسعون والى الناس بعين الحقد ينظرون واستولوا على ما كان اصطنعه وأعداه العثمانية والقنابر والبارود وآلات الحرب جميعها وقيل إنهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه وقبضوا ذلك من الفرنسيات.

وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيين فلما وصلوا الى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها: النصر لله الذي يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس وبناء على ذلك ساري عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر ولو كانوا يخالطون العثملي في الحروب.

وأنهم يشتغلون بمعايشهم وصنائعهم ثم نبه عليهم بحضورهم الى قبة النصر بكرة تاريخه.

ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان والأمان فلما أصبح ذلك اليوم ركبت المشايخ والوجاقلية وذهبوا الى خارج باب النصر.

وخرج أيضًا القلقات والنصاري القبط والشوام وغيرهم فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبًا وساروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسية يأمرهم الناس بالقيام وبعض فرنساوية راكبين خيلًا وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرهم بالوقوف

على أقدامهم ومن تباطأ في القيام أهانوه فاستمرت الناس وقوفًا من ابتداء سير الموكب الى انتهائه ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الخيالة الفرنسية بأيديهم سيوف مسلولة وكلهم لابسون جوحًا أحمر وعلى رؤوسهم طراوير من الفراوي على غير هيئة خيالتهم ومشايتهم ثم تتالى بعد هؤلاء طوائف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة ثم الأعيان والمشايخ والوجاقية وأتباعهم الى أن قدم ساري عسكر الفرنسية وخلف ظهره عثمان بك البرديسي وعثمان بك الأشقر.

وخلفهم طوائف من خيالة الفرنسيين.

ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثاء مع السهر ووقود القناديل ليلاً ثم دعاهم في يوم الأربعاء وعمل لهم سماطاً عظيماً على طريقة المصرية.

وقلدوا في ذلك اليوم محمد آغا الطناني أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان وأعطوا البكري بيت عثمان كاشف كتحدا الحج وهو بيت البارودي الثاني فسكن به وشرع في تنظيمه وفرشه ولبسوه في ذلك اليوم فروة سمور فقاموا من عنده فرحين مطمئنين مستبشرين.

فلما كان يوم الخميس سابعه ذهب الى مراد بك بجزيرة الذهب باستدعاء فمد لهم أسمطة عظيمة وانيسط معهم وافتخر افتخاراً زائداً وأهدى الى بعضهم هدايا جليلة وتقدم عظيمة.

وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها وكانت نحو الأربعة آلاف رأس وولوه إمارة الصعيد من جرجا الى أسنا ورجع عائداً الى داره بالأزبكية فلما كان في صباحها يوم الجمعة ثامنه بكروا بالذهاب الى بيت ساري عسكر ولبسوا أفر ثيابهم وأحسن هياتهم وطمع كل واحد منهم وطن أن ساري عسكر يقله في هذا اليوم أجل المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل في أهل الديوان فيكون في الديوان الخصوصي فلما استقربهم الجلوس في الديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يؤذن لهم ولم يخاطبهم أحد ثم فتح باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى ثم خرج إليهم ساري عسكر وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسي في وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجمان وأصحابه حواله واصطف الوجاقية والحكام من ناحية وأعيان النصارى والتجار من ناحية وعثمان بك الأشقر والبرديسي أيضاً حاضراً وكلم ساري عسكر الترجمان كلاماً طويلاً بلغتهم حتى فرغ فالتفت الترجمان الى الجماعة وشرع يفسر لهم مقالة ساري عسكر ويترجم عنها بالعربي والجماعة يسمعون فكان ملخص ذلك القول إن ساري عسكر يطلب منكم عشرة آلاف ألف الى آخر العبارة الآتية وأما هذه العبارة فإنه قالها المهدي: فقط إننا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمثلون ثم أنكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالإحسان وخفضنا لكم جناح الطاعة وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة وأوهمتنا أن الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون فلما حضر العثملي فرحتم لقدمهم وقمتهم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا فقالوا له: نحن ما قمنا مع العثملي إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا في حكم العثملي من ثاني شهر رمضان وأن البلاد والأموال صارت له وخصوصاً وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين وما شعرنا إلا

بحدوث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا في وسطهم فلم يمكننا التخلف عنهم.

فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ثم أجابهم بقوله: ولأي شيء لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم بنا فقالوا: لا يمكننا ذلك خصوصًا وقد تقوتوا علينا بغيرنا وسمعتهم ما فعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا عندما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال فقال لهم: وإذا كان الأمر كما ذكرتم ولا يخرج من يداكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك فما فائدة رياستكم وإيش يكون نفعكم إلا الضرر لأنكم إذا حضر أخصامنا قمتهم معهم وكنتهم وإياهم علينا وإذا ذهبوا رجعتهم إلينا معتذرين فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبي حريمكم وأولادكم ولكن حيث أننا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وإنما نأخذ منكم الأموال فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف فرنك عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألف ألف فرانسة عنها خمس عشرة خزنة رومي بثلاث عشرة خزنة مصري منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين على الشيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفًا والشيخ محمد بن الجوهري خمسون ألفًا.

وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفًا والشيخ مصطفى الصاوي خمسون ألفًا والشيخ العناني مائتان وخمسون ألفًا نقطتعا من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العثملي مثل المحروقي والسيد عمر مكرم وحسين آغا شتن وما بقي تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصًا انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ وقام من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب.

ووقف الحرس على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وامتفعت وجوههم ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكري والمهدي لكون البكري حصل له ما حصل في صحائفهم والمهدي حرق بيته بمرأى منهم.

وكان قبل ذلك نقل جميع ما فيه بداره بالخرنفس ولم يترك به إلا بعض الحصر ولم يكن به غير بعض الخدم وكان يستعمل المداينة وينافق الطرفين بصناعته وعادته ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم أنه لم يكن شيئًا مذكورًا ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم في ثيابه وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون في عرضهم فالذي انحشر فيهم ولم يكن معدودًا من الرؤساء أخرجوه بحجة أو سبب وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيًا وما صدق بخلاص نفسه.

هذا والنصاري والمهدي يتشاورون في تقسيم ذلك وتوزيعه وتديره وترتيبه في قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على الحواة والقردية والمخيطين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلي والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانين وقضاة المحاكم وغيرهم.

كل طائفة مبلغ له صورة ثمل ثلاثين ألف فرانسا وأربعين ألفًا وكذلك يباعون التنباك والدخان والصابون والخردجية والعطارون والزياتون والشواؤون والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة ثم أنهم استأذنوا للمشايخ الخالص يتوجه حيث أراد والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه فأما الصاوي وفتوح بن الجوهري فحبسوهما بيت قائمقام والعناني هرب فلم يجدوه وداره احترقت فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة وخمسون ألف فرانسة وانفض المجلس على ذلك وركب ساري

عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة ووكّل يعقوب القبطي يفعل في المسلمين ما يشاء وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدير الأمور والرهونات ونزل الشيخ السادات وركب الى داره فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره فلما مضت حصة من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضًا فأركبوه وطلعوا به الى القلعة وحبسوه في مكان فأرسل الي عثمان بك البرديسي وتدخل عليه فشفع فيه فقالوا له: أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلا بد من دفعه ولا بد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما.

ثم أنزلوه الى بيت قائمقام فمكث به يومين ثم أصدوه الى القلعة ثانيًا وحبسوه في حاصل ينّام على التراب ويتوسد بحجر وضربوه تلك الليلة فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع إليه هو وبرطلمان فقال لهما: أنزلوني الى داري حتى أسعى وأبيع متاعي وأشهل حالي.

فاستأذنوا له وأنزلوه الى داره فأحضر ما وجده من الدراهم فكانت تسعة آلاف ريال معاملة.

عنها ستة آلاف ريال فرانسة ثم قوموا ما وجدوه من المصاغ والفضيات والفراوي والملابس وغير ذلك بأبخس الثمن فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحدًا وعشرين ألف فرانسة والمحافظون عليه من العسكر ملازمونه ولا يتركونه يطلع الى حريمه ولا الى غيره وكان وزع حريمه وابنه الى مكان آخر وبعد أن فرغوا من الموجودات جاسوا خلال الدار يفتشون ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها فلم يجدوا شيئًا ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماشيًا وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا في الصباح ومثلها في الليل وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما فأحضرهما محمدًا السندوبي تابعه وقرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم بمكانهما فأحضرهما وأودعوا ابنه عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه فكانوا يضربونه بحضرتها وهي تبكي وتصح وذلّك زيادة في الإنكاء ثم أن المشايخ وهم الشرقاوي والفيومي والمهدي والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتخدا تشفعوا في نقلها من عنده فنقلوها الى بيت الفيومي وبقي الشيخ على حاله وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما وتغيّب أكثر أتباعه واختفوا ثم وقعت المراجعة والشفاعة في غرامة الشيخ فتوح الجوهري والصاوي فأضعفوها وجعلوها على كل واحد منها خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقي على الفردة العامة.

وأما الشيخ محمد ابن الجوهري فإنه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار نسيبه المعروف بالشويخ ثم أنه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بك فأرسلت الى مراد بك وهو بالقرب من الفشن فأرسل من عنده كاشفًا وتشفع فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضًا على الفردة العامة ثم أنهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطي وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك بيت البارودي وألزموا الآغا بعدة طوائف كتبها في قائمة بأسماء أربابها وأعطوه عسكرًا وأمره بتحصيلها من أربابها وكذلك علي آغا الوالي الشعراوي وحسن آغا المحتسب وعلي كتخدا سليمان بك فنهبوا على الناس بذلك وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم فدهى الناس بهذه النازلة التي لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها.

ومضى عيد النحر ولم يلتفت إليه أحد بل ولم يشعروا به ونزل بهم من البلاء والذل ما لا يوصف فإن أحد الناس غنيًا كان أو فقيرًا لا بد وأن يكون من ذروي الصنائع أو الحرف فيلزمه دفع ما وزع عليه في حرفته أو في حرفيته وأجرة داره أيضًا سنة كاملة فكان يأتي على الشخص غرامتان أو ثلاثة ونحو ذلك وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل الى

القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشتري وإذا أعطوهم ذلك لا يقبلونه فضايق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه ثم وقع الترجي في قبول المصاعف والفصيات فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان.

وأما أثاث البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقًا سوى خمسة أنفار من المسلمين وهم الشرقاوي والمهدي والفيومي والأمير وابن محرم والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم وفي كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر في طلب الناس وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم والذي لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره فإن لم يجدوا شيئًا ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته.

وتناولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصالح مكافئًا وصرخوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين هذا والكتبة والمهندسون والبنائون يطوفون ويحررون أجر المكان والعقارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها.

وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا إلى القرى والأرياف وكان ممن خرج من مصر صاحبنا النبيه العلامة الشيخ حسن المشار إليه فيما تقدم فتوجه لجهة الصعيد وأقام بأسبوط فأقام بها نحو ثمانية عشر شهرًا.

ثم أن أكثر الفارين رجع إلى مصر لضيق القرى وعدم ما يتعيشون به فيها وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار والقتل فيما بينهم وتعدى القوي على الضعيف.

واستمرت الطرق محفرة والأسواق معفرة والحوانيت مقفولة والعقول مخبولة والنفوس مطبوقة والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة والمطالب عظيمة والمصائب عميمة والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة وإذا أراد الإنسان أن يفر إلى أبعد مكان وينجو بنفسه ويرضى بغير أبناء جنسه لا يجد طريقًا للذهاب وخصوصًا من الملاعين الأعراب الذين هم أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس وبالجملة فالأمر عظيم والخطب جسيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد.

وفي عشرينه انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودي إلى بيت القيسرلي بالميدان ووقع التشديد في الطلب والانتقام بأدنى سبب وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام إقليم مصر والشام والروم والبيت الحرام.

فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين برًا وبحرًا ووقوف الانكليز بثغر الاسكندرية ودمياط يمنعون الصادر والوارد وتخطوا أيضًا بمراكبهم إلى بحر القلزم.

ومنها انقطاع الحج المصري في هذا العام أيضًا حتى لم يرجع المحمل بل كان مودوعًا بالقدس فلما حضر العساكر الإسلامية أحضره صحبتهم إلى بلبيس.

فيقال إن السيد بذرا رجع به إلى جبل الخليل.

ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والدقهلية وسائر النواحي فمنعوا السبيل ولو بالخفارة وقطعوا طريق السفار ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهالي البلاد والحرف بالعري والخطف للمتاع والمواشي من البقر والغنم والجمال والحمير وإفساد المزراع ورعيها حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج ببهائمهم الى خارج القرية للرعي أو للسقي لترصد العرب لذلك ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب فدخلوهم وتناولوا عليهم وضربوا عليهم الضرائب وتلبسوا بأنواع الشرور واستعان بعضهم على بعض وقوي القوي على الضعيف وطمعت العرب في أهل البلاد وطلبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة وأن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلعة الضم فلما انقضت حروب الفرنسيين نزلوا الى البلاد واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب فضربوهم ونهبوهم وسيبوهم وطلبوهم بالمغارم والكلف الشاقة فإذا انقضوا وانتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم وهكذا كان حالهم وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.

ومنها أن النيل قصر مده في هذه السنة فشرقت البلاد وارتحل أهل البحيرة الى المنوفية والغربية فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقي لهم في الحي نخيل.

ومنها أنه لما حضرت العثمانية وشاع أمر الصلح وخضوع فرنساوية لهم نزل طائفة من الفرنسيين الى المنوفية وطلبوا من أهلها كلفة لرجلهم فلما مروا بالمحلة الكبيرة تعصب أهلها واجتمعوا الى قاضيها وخرج لحربهم فأكمن الفرنسيين لهم وضربوا عليهم طلقًا بالمدافع البنادق فقتلوا منهم نبيًا وستمائة إنسان ومنهم القاضي وغيره ولم ينج منهم إلا من فر وكان طويل العمر وكذلك أهل طنتداء عند حضورهم إليهم وصل إليهم رجل من الجزائريين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق لزيارة سيدي أحمد البدوي وهو راكب على فرس وحوله نحو الخمسة أنفار وكان بعض الفرنسيين بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم فصاحت السوق والباعة عند رؤية ذلك الرجل بقولهم: نصر الله دين الإسلام وهاجوا وماجوا ولقلقت النساء بالسنتهن وصاحت الصبيان وسخروا بالفرنسيين وتراموا بما على رؤوسهم.

وضربوهم وجرحوهم وطردهوهم فتسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام ورجعوا بجمعي عسكرهم ومعهم الآلات من المدافع فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهم مدفعًا ارتجوا له ثم هجموا عليه ودخلوا إليهم وبأيديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طلبهم وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغراء القبط وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم فلم يمكنهم التغيب خوفًا على نهب الدور وغير ذلك فظهروا لهم فأخذوهم الى خارج البلد وقيدهم وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها يأخذون في كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منوف وحبسوهم أيامًا ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الحرارة بمصر.

فلما انقضت تلك الأيام وسرحوا في البلاد نزلت طائفة في طنتداء وهم بصحبتهم وقرروا عليهم أحدًا وخمسين ألف ريال فرانسة وعلى أهل البلدة كذلك بل أزيد وأقاموا حول البلد محافظين عليهم وأطلقوا بعضهم وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر في الوظيفة والالتزام وطالبوه بالمال وفي كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب حتى على كفوف يديه ورجليه ويربطونه في الشمس في قوة الحر والوقت مصيف وهو رجل جسيم كبير الكرش فخرجت له نفاخات في جسده ثم أخذوا خليفة المقام أيضًا وذهبوا به الى منوف ثم ردوه وولوه رئاسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك واستمروا على ذلك الى انقضاء العام

حتى أخذوا عساكر المقام وكانت من ذهب خالص زنتا نحو خمسة آلاف مثقال وأما المحلة الكبرى فإنهم رجعوا عليها وقرروا عليها نيقًا ومائة ألف ريال فرانسة وأخذوا في تحصيلها وتوزيعها وهجموا دورها وتتبع المياسير من أهلها كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة في كل يوم منها ومن طنتداء والتعنت عليهم وتسلب طوائف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح في الظلم من الفرنسيين بل ومن العرب فإنهم معظم البلاد أيضًا فإنهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ويشيعون أحوالهم ويتجسسون على عوراتهم وبغرون بهم.

واستمروا على ذلك أيضًا ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون.

ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل الوزير فرمانات للتغور بإطلاق الأسافيل وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها إلى ثغر الاسكندرية وصحبته ثلاثة غلايين سلطانية وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثماني فلما قربوا من الثغر أقاموا البنديرات وضربوا مدافع للشنك فطمعهم فرنساوية وأظهروا لهم المسالمة وأظهروا لهم بنديرة العثماني فدخلوا إلى المينا ورموا مراسيم ووقعوا في فخ الفرنسيين فاستولوا على الجميع وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القباطين وأعيان التجار وأخذوا الملاحين والمتسبين من البحرية والنصارى الأروام وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحًا وزيوهم بزيتهم وأضافوهم إلى عسكرهم وأرسلوهم إلى مصر فكانوا أقبح مذكور في تسلطهم على إيذاء المسلمين ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضائع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم.

وبقي الأمر على ذلك وكان ذلك في أواسط شهر القعدة.

ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيين عسكرًا إلى متسلم السويس الذي كان تولاها من طرف العثمانية فتعصب معه أهل البندر فحاربوهم فغلبهم الفرنسيين وقتلوهم عن آخرهم ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك.

ومنها أن مراد بك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد من أغنام وخيول وميرة وكان شيئًا كثيرًا فتسلم الجميع منه وعدى درويش باشا إلى الجهة الشرقية متوجهًا إلى الشام وأرسل مراد بك جميع ذلك للفرنساوية بمصر.

ومنها أيضًا انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسيين على المخازن والغلا التي كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية والقليلية وكذلك الشيعر والأتبان طلب فرنساوية مثل ذلك من البلاد وقرروا على النواحي غلالًا وشعيرًا وفولًا وتبًا وزادوا خيلًا وجمالًا فوق على كل إقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل سوى ما يدفع مصالحته على قبولها للوسائط وهو نحو ثمنها أو أزيد وكذلك التعنت في نقض الغلال وغربلتها وغير ذلك.

وكل ذلك بإرشاد القبطة وطوائف البلاد لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة وتقاسموا الأقاليم والتزموا لهم بجمع الأموال ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام بسرة الإقليم مثل الأمير والعساكر فرنساوية وهو في أبهة عظيمة وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهونات والخيول المسومة والقواسة والمقدمون وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة ويرسل إلى ولايات الإقليم من جهته المتسوفين من القبط أيضًا بمنزلة الكشاف ومعهم العسكر من فرنساوية والطوائف والجاويشية والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور فينزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ويؤجلونهم بالساعات فإن

مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبي وخصوصًا إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم وسحبوهم معهم في الجبال وأذاقوهم أنواع النكال وخاف من بقي فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين وتقربوا إليهم بما يستميلون قلوبهم به وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم في التشفي من بعضهم وما يوجب الحقد والتحاسد الكامن في قلوبهم الى غير ذلك ما يتعذر ضبطه وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون.

ممن له ذكر مات الإمام الفاضل الصالح العلامة الشيخ عبد العليم ابن محمد بن محمد بن عثمان المالكي الأزهرى الضرير حضر دروس الشيخ علي الصعيدي رواية ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمايل والجامع الصغير ومسلسلات بن عقيلة وروى عن كل من الملوي والجوهري والبيدي والسقاط والمنير والدردير والتاودي بن سودة حين حج ودرس وأفاد من البكائين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية وكان يعرف أشياء في الرقي والخواص وفوائد القرينة وأم الصبيان ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها وأخبرني بها توفي في هذه السنة ودفن ببستان المجاورين. ومات

العمدة الفاضل والنبية الكامل صاحبنا العلامة الوجيه الشيخ شامل

أحمد بن رمضان بن مسعود الطرابلسي المقرئ الأزهرى حضر من بلده طرابلس الغرب إلى مصر في سنة إحدى وتسعين وجاور بالأزهر وكان فيه استعداد وحضر دروس الشيخ أحمد الدردير والبيلي والشيخ أبي الحسن الغلطي وسمع على شيخنا السيد مرتضى المسلسل بالأولية وغير المسلسل أيضًا وأخذ منه الإجازة في سنة اثنتين وتسعين ولما مات الخواجا حسن البناني من تجار المغاربة فتوصل الى أن تزوج بزوجه بنت الغرياني وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين.

وتجمل بالملابس وتودد للناس بحس المعاشرة ومكارم الأخلاق وكان سموح النفس جدًا دمث الطباع والأخلاق جميل العشرة ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسي الضرير من مشيخة رواقهم كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ونوه بذكره وزادت شهرته وكان وجهًا طويل القامة بهي الطلعة بشوشًا ولما حصلت واقعة الفرنسيين خرج تلك الليلة مع الفارين وذهب الى بيت المقدس وتوفي هناك في هذه السنة.

ومات السيد الأفضل والسند الأكمل المقرئ بن المقرئ والفهامة الذي بكل فن على التحقيق يدري بدر أضاء في سماء العرفان وعارف وضح دقائق المشكلات بإتقان فله دره من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها وكشف عن مخدرات الفهوم لثامها فأظهر الأنفس من نفيسها والأعز من عزيزها فلا غرو فإنه بذلك حقيق كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التي به تليق العلامة الشريف الحسن بن علي البدرى العوضي ربي في حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون وأخذ عن أبيه علم القراءات وأتقن القراءات الأربعة عشر بعد أن أتقن العربية والفقه وباقي العلوم وحضر أشياخ الوقت وتمهر وأنجب وقرأ الدروس ونظم الشعر الجيد وشهد له الفضلاء وله ديوان مشهور بأيدي الناس وامتدح الأعيان وبينه وبين الصلاحي وقاسم ابن عطاء الله مطارحات ذكرنا منها طرقًا في ترجمتها وله أيضًا تأليف وتقييدات وتحقيقات ورسائل في فنون شتى ورسالة بليغة في قوله تعالى استكبرت أم كنت من العالين وكان الباعث على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخلفي في تفسير الآية بمجلس علي بك الدفتردار فظهر بها على الشيخ المذكور

وأجاره الأمير المذكور بأن رتب له تدريسيًا بالمشهد الحسيني ورتب له معلومًا بوقته وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة يستغلها من جانب الوقف في كل شهر واستمر بقبضها حتى ماتفي شعبان من هذه السنة رحمه الله ولم يخلف بعده مثله في الفضائل والمعارف.

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين وألف كان ابتداء المحرم يوم الأحد في خامسه أصدوا الشيخ السادات الى القلعة وكان أرسل الى كبار القبط بأن يسعوا في قضيتهم ورهن حصصه ويعلق الذي عليه فردوا عليه بأنه لا بد من تشهيل قدر نصف الباقي أولًا ولا يمكن غير ذلك وأما الحصص فليست في تصرفه ولما تكرر إرساله للنصارى وغيرهم نقلوهم الى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس وهي المرة الثالثة.

وفيه أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم الى ثغر الاسكندرية وسافر ساري عسكر كلهر وصحبته الفرنسية فغاب أيامًا ثم عاد الى مصر ولم يظهر لهذا الخبر أثر.

وفيه طلبوا عسكرًا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيمهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك وأرسلوا الى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم الى مصر وأضافوهم الى العسكر.

وفي حادي عشرينه أعادوا الشيخ أحمد العريشي الى القضاء كما كان وعملوا له موكبًا وركب معه أعيان الفرنسيين وسواري عساكرهم بطبولهم وزمورهم والمشايخ والتجار والأعيان وبجانبه قائمقام عبد الله منو الذي كان ساري عسكر برشيد فلم يزالوا معه حتى أوصلوه الى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة.

وفي ذلك اليوم أعني يوم السبت وقعت نادرة عجيبة وهو أن ساري عسكر كلهر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذي بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حليبي وقصده فأشار إليه بالرجوع وقال له ما فيش وكررها فلم يرجع وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر في قضائها فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فمد إليه الآخر يده فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده في يده اليمنى أربع ضربات متوالية فشق بطنه وسقط الى الأرض صارخًا فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه أيضًا ضربات وهرب فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس فدخلوا مسرعين فوجدوا كلهر مطروحًا وبه بعض الرمق ولم يجدوا القاتل فانزعجوا وضربوا طلبهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل واجتمع رؤساؤهم وأرسلوا العساكر الى الحصون والقلاع وظنوا أنها من فعل أهل مصر فاحتاطوا بالبلد وعمررو المدافع وحرروا القناير وقالوا لا بد من قتل أهل مصر عن آخرهم ووقعت هوجة عظيمة في الناس وكرشة وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدري حقيقة الحال ولم يزالوا يفتشون عن ذلك القاتل حتى وجدوه منزويًا في البستان المجاور لبيت ساري عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حائط منهدم فقبضوا عليه فوجدوه شاميًا فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده فوجدوه حليبيًا واسمه سليمان فسألوه عن محل ماواه فأخبرهم أنه يأوي وبيت بالجامع الأزهر فسألوه عن معارفه ورفقائه وهل أخبر أحدًا بفعله وهل شاركه أحد في رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك وكلم له بمصر من الأيام أو الشهور وعن صنعته وملته وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد وقد كانوا أرسلوا أشخاصًا من ثقاتهم تفرقوا في الجهات والنواحي يتفرسون في الناس فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ورأوهم يسألون من الفرنسيين عن الخبر فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك ثم أنهم أمروا بإحضار الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ أحمد العريشي القاضي وأعلموهم بذلك وعوقوهم الى نصف الليل وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل وأنه أخبرهم

بفعله فركبوا وصحبتهم الآغا وحضروا الى الجامع الأزهر وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع فأخذهم الآغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية ثم أنهم رتبوا صورة محاكمة على طريقتهم في دعاوى القصاص وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل وأطلقوا مصطفى أفندي البرصلي لكونه لم يخبره بعزمه وقصده فقتلوا الثلاثة المذكورين لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيين فكأنهم شاركوه في الفعل وانقضت الحكومة على ذلك وألقوا في شأن ذلك أوراقًا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخًا كثيرة باللغات الثلاث الفرنسية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم في اللغة ثم رأيت كثيرًا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقي أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالعقوبة ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم وأطلقوا مصطفى أفندي البرصلي الخطاط حيث لم يلزمه حكم ولم يتوجه عليه قصاص كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد.

صورة ترجمة الأوراق المذكورة بيان شرح الاطلاع على جسم ساري عسكر العام كلهير يوم الخامس والعشرين من شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي في الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم والجراحي من أول مرتبة الذي صار مرتبة باش جراحي في غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر الى بيت ساري عسكر العام في الأزبكية بمدينة مصر وكان سبب روحتنا هو أننا سمعنا دقة الطبل وغاغة الناس التي كانت تخبر أن ساري عسكر العام كلهير انغدر وقتل وصلنا له فرأينا في آخر نفس فحطنا عن جروحاته فتحقق لنا أنه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد وجروحاته كانت أربعة الأول منها تحت البر في الشقة اليمنى الثاني أوطى من الأول جنب السرة الثالث في الذراع الشمال نافذ من شقة لشقة والرابع في الخد اليمين فهذا حررنا البيان بالشرح في حضور الدفتردار سارتلون الذي وضع اسمه فيه كمثلنا لأجل أن يسلم البيان المذكور الى ساري عسكر مدير الجيوش تحريًا في سراية ساري عسكر العام في النهار والسنة بعد الظهر بإمضاء باش حكيم وخط الجراحي من أول مرتبة كازايبانكا والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستين بروتاين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي في الساعة الثالثة بعد الظهر نحن الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجراحي من أول مرتبة الذي صار مرتبة باش جراحي في غيبته انطلقنا من الدفتردار سارتلون أننا نعمل بيان شرح جروحات الستين بروتاين المهندس وعضو من أعضاء مدرسة العلماء في بر مصر الذي انغدر هو أيضًا في جنب ساري عسكر العام كلهير مدير الجيوش ومضروب ستة أمرار بسلاح مدبب وله حد وهذا بيان الجروحات الأول في جنب الصدغ الثاني في الكف في عظمة الإصبع الخنصر الثالث بين الضلوع الشمالية الخامس في الشدق الشمالي والسادس في الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق ثم الى تأييد ذلك وضعنا أسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون تحريًا في سراية ساري عسكر مدير الجيوش في اليوم والشهر والسنة والساعة المرموقة أعلاه بإمضاء باش حكيم وخط الجراحي من أول مرتبة كازايبانكا والدفتردار سارتلون عن.

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي في بيت ساري عسكر داماس مدير الجيوش واحد فسيال من ملازمين بيت عسكر العام حضر ويده ماسك راجل من أهل البلد مدعيًا أن هذا هو الذي قتل ساري عسكر العام كلهر المتهم المذكور اعرف من الستوين بروتاين المهندس الذي كان مع ساري عسكر حين انغدر لأنه أيضًا انضرب برفقته بالخنجر ذاته وانجرح بعض جروحاته.

ثانيًا المتهم المذكور كان انشاف بين جماعة ساري عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبى في الجنية التي حصل فيها القتل وفي الجنية نفسها انوجد الخنجر الذي به انجرح ساري عسكر وبعض حوائج أيضًا بتوع المتهم فحالًا بدئ الفحص بحضور ساري عسكر منو الذي هو أقدم أقرانه في العسكر وتسلم في مدينة مصر والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان ساري عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذي أحضره ساري عسكر منو لأجل ذلك المتهم المذكور.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة فجاوب أنه يسمى سليمان ولادة بر الشام وعمره أربعة وعشرون سنة ثم صنعتة كاتب عربي وكانت سكنته في حلب.

سئل كم زمان له في مصر فجاوب أنه بقي له خمسة أشهر وأنه حضر في قافلة وشيخها يسمى سئل عن ملته فجاوب أنه من ملة محمد وأنه كان سابقًا سكن ثلاث سنين في مصر وثلاث سنين أخرى في مكة والمدينة.

سئل هل يعرف الوزير الأعظم وهل له مدة ما شافه فجاوب أنه ابن عرب ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم.

وسئل عن معارفه في مدينة مصر فجاوب أنه لم يعرف أحدًا وأكثر قعاده في الجامع الأزهر وجملة ناس تعرفه وأكثرهم يشهدون في مشيه الطيب.

سئل هل راح صباح تاريخه الجيزة فجاوب نعم وأنه كان قاصد ينشيك كاتب عند أحد ولكن ما قسم له نصيب.

سئل عن الناس الذين كتب لهم أمس فجاوب أن كلهم سافروا.

سئل كيف يمكن أنه لم يعرف أحدًا من الذين كتب لهم في الأيام الماضية وكيف يكونون كلهم سافروا فجاوب أنه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم وأن غير ممكن أن يفتكر أسماهم.

سئل من هو الآخر في الذين كتب لهم فجاوب أنه يسمى محمد مغربي السويسى بياع عرقسوس وأنه ما كتب لأحد في الجيزة.

سئل ثانيًا عن سبب روحته للجيزة فجاوب دائمًا أنه كان قاصدًا أن ينشيك كاتبًا.

سئل كيف مسكوه فيجنية ساري عسكر فجاوب أنه ما انمسك في الجنية بل في عارض الطريق فذاك الوقت انقال له انه ما ينجيك إلا الصحيح لأن عسكر الملازمين مسكوه في الجنية وفي المحل ذاته انوجدت السكينة وفي الوقت انعرضت عليه فجاوب صحيح أنه كان في الجنية ولكن ما كان مستخبي بل قاعد لأن الخيالة كانت ماسكة الطرق وما كان يقدر أن يروح للمدينة وأن ما كان عنده سكينة ولم يعرف أن كان هذا موجود في الجنية.

سئل لأي سبب كان تابع ساري عسكر من الصبح فجاوب أنه كان مراده فقط يشوفه.

سئل هل يعرف حنة قماش خضرة التي باينة مقطوعة من لبيسه وكانت انوجدت في المحل الذي انغدر فيه ساري عسكر فجواب بأن هذه ما هي تعلقه.

سئل إن كان تحدث مع أحد في الجيزة وفي أي محل نام فجواب أنه ما تكلم مع ناس إلا لأجل مشترى بعض مصالح وأنه نام في الجيزة في جامع فأشاروا له على جروحاته التي ظاهرة في دماغه وقيل له إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذي غدر ساري عسكر لأن أيضًا الستوين بروتاين الذي كان معه عرفه وضربه كم عصاية الذين جرحوه فجواب أنه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه.

سئل هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف أو مع مماليكه فجواب أنه ما شافهم ولا كلمهم فلما أن كان المتهم لم يصدق في جواباته أمر ساري عسكر أنهم يضربونه حكم عوائد البلاد فحالًا انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يقر بالصحيح فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده وصار يحكي من أول وجديد كما هو مشروح.

سئل كم يوم له في مدينة مصر فجواب أنه له واحد وثلاثين يومًا وأنه حضر من غزة في ستة أيام على هجين.

سئل لأي سبب حضر من غزة فجواب لأجل أن يقتل ساري عسكر العام.

سئل من الذي أرسله لأجل أن يفعل هذا الأمر فجواب أنه أرسل من طرف أغات الينكجيرية وأنه حين جعل عساكر العثملي من مصر إلى بر الشام أرسلوا إلى حلب بطلب شخص يكون قادرًا على قتل ساري عسكر العام الفرنسي ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة أن يقدموه في الوجاقات ويعطوه دراهم ولأجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا.

سئل من هم الناس الذين تصدروا له في هذه المادة في بر مصر وهل سارر أحدًا على نيته فجواب أن ما أحد تصدر له وأنه راح سكن في الجامع الأزهر وهناك شاف السيد محمد الغزي والسيد أحمد الوالي والشيخ عبد الله الغزي والسيد عبد القادر الغزي الذين ساكنون في الجامع المذكور فبلغهم على مراده فهم أشاروا عليه أنه يرجع عن ذلك لأن غير ممكن أن يطلع من يده ويموت فرط وأن كان لازم يشخصوا واحدًا غيره في قضاء هذه المادة ثم أنه كل يوم كان يتكلم معه في الشغل المذكور وأن أمس تاريخه قال لهم إنه رائج يقضي مقصوده ويقتل ساري عسكر وأنه توجه إلى الجيزة حتى ينظر إن كان يطلع من يده وأن هناك قابل النواتية بنوع قنجة ساري عسكر فاستخبر عليه منهم إن كان يخرج برًا فسألوه ايش طالب منه فقال لهم إن مقصوده يتحدث معه فقالوا له إنه كل ليلة ينزل في جنينة ثم صباح تاريخه شاف ساري عسكر معديًا للمقياس وبعده ماشي إلى المدينة فتبعه لحين ما غدره هذا الفحص صار من حضرة ساري عسكر منو بحضور باقي سوارى العساكر الكبار وملازمين بيت ساري عسكر العام ثم انختم بإمضاء ساري منو والدفتردار سارتلون في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ثم انقرا على المتهم وهو أيضًا خط يده واسمه بالعربي سليمان إمضاء ساري عسكر عبد الله منو إمضاء عسكر داماس إمضاء الجنرال والتين إمضاء الجنرال موراند إمضاء الجنرال مارتينه إمضاء دفتردار البحر لروا إمضاء الدفتردار سارتلون إمضاء الترجمان لوماكا إمضاء الترجمان حنا روكه إمضاء داميانوس براشويس كاتم السر وترجمان ساري عسكر العام.

فحص الثلاثة مشايخ المتهمين نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي في الساعة الثامنة بعد الظهر حضروا في منزل ساري عسكر العام أمير الجيوش الفرنسي السيد عبد الله الغزي ومحمد الغزي والسيد أحمد الوالي وهم الثلاثة متهمين في قتل ساري عسكر العام كلهب فساري عسكر منو أمر

بفحصهم فبدئ ذلك حالاً في حضور بعض سوارى العساكر المجتمعين لذلك وبواسطة الستوين لوماكا الترجمان كما يذكر أدناه السيد عبد الله الغزي هو الذي سئل أولاً لوحده.

سئل عن اسمه وعن مسكنه وصنعتة فجاوب أنه يسمى السيد عبد الله الغزي ولادة غزة ومسكنه في مصر في الجامع الأزهر وهناك كان كاره مقرئ القرآن وأنه لم يعرف كم عمره ولكن تخمينه يجيء ثلاثين سنة.

سئل إن كانت سكنته في الجامع الأزهر هل يعرف جميع الغرباء الذين يدخلونه فجاوب أنه ساكن ليل ونهار ويعرف الغرباء الذين فيه.

سئل هل يعرف رجلاً حضر من بر الشام من مدة شهر فجاوب أن من مدة خمسين يوم ما شاف أحداً حضر من بر الشام فقل له إن رجلاً من طرف عرضي الوزير حضر من مدة ثلاثين يوماً قال إنه يعرفك والظاهر أنك لم تتكلم بالصدق فجاوب أنه ملهى دائماً في وظيفته وأنه ما شاف أحداً من بر الشام بل سمع أن قافلة كانت وصلت من ناحية الشرق فقل له أيضاً إن ناساً حضروا من بر الشام يقولون إنهم تكلموا معه ويعرفون فجاوب أن هذا غير ممكن وأنهم يقابلوه مع الذي فتن عليه.

سئل هل يعرف واحداً اسمه سليمان كاتب عربي حضر من حلب من مدة ثلاثين يوماً فجاوب لا فقل له إن هذا الرجل يحقق أنه شافه وأنه أخبره ببعض أشياء لازمة فجاوب أنه ما شافه وأن هذا الرجل كذاب وأنه يريد أن يموت إن كان ما يحكي الصحيح فحالاً ساري عسكر نده الى محمد الغزي الذي هو أيضاً متهم في قتل ساري عسكر وبدئ الفحص كما يذكر.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة فجاوب أنه يسمى الشيخ محمد الغزي وعمره نحو خمسة وعشرين سنة ولادة غزة وسكن بمصر في الجامع الأزهر ثم صنعتة مقرئ القرآن من مدة خمس سنين وما يخرج من الجامع إلا لكي يشتري ما يأكل.

سئل هل يعرف الغرباء الذين يجيئون يسكنون في الجامع فجاوب أن في بعض الأوقات يحضر ناس غرباء وأما البواب فهو الذي يقارشهم ومن قبله ينأ بعض ليالي في الجامع والبعض في بيت الشيخ الشرقاوي.

سئل هل يعرف رجلاً يسمى سليمان حضر من بر الشام من مدة ثلاثين يوماً فجاوب أنه لم سئل أنه يحكي على الذي تكلم به معه سليمان فإن المذكور يحقق أنه تكلم معه في الجامع فجاوب أنه يعرفه من مدة ثلاث سنين وأنه كان عنده خبر أنه راح مكة وأما من بعده ما شافه ولم يعرف إن كان رجع أم لا.

سئل هل السيد عبد الله الغزي يعرفه أيضاً فجاوب نعم فقل له محقق إن أمس تاريخه سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة وأن الشواهد موجودة فجاوب أن هذا صحيح سئل لأي سبب كان بدأ يقول إنه ما شافه فجاوب أن تخمينه ما قال هذا وأن المترجمين غلطوا.

سئل هل سليمان المذكور ما بلغه عن شيء مذهب قوي وتحقيقاً لذلك معلوم عندنا أنه كان قصده يحوشه فجاوب أنه لم يعرف هذا الأمر وأن سليمان المذكور راح وجاء كام مرة إلى مصر وبقي له هنا مقدار شهر فقل له إنه موجود شواهد أن سليمان المذكور كان أخبره أن مراده أن يغدر ساري عسكر العام وأنه أراد أن يمنعه فجاوب أنه ما بلغه عن هذا الأمر بل أمس تاريخه قال له إنه رائج ويمكن أن ما بقى يرجع فبعده أحضرنا عبد الله الغزي لأجل ينفحص ثانياً كما يذكر أدناه.

سئل لأي سبب قال إنه لم يعرف سليمان الحلبي حين سأله عنه بحيث أن موجودة شواهد أن هذا له في مصر واحد وثلاثون يومًا وأنه تقابل وإياه جملة مرات وتحدث معه أكثر الأيام فجاوب سئل هل يعرف واحد يسمى محمد الغزي الذي هو مثله مقرئ القرآن في جامع الأزهر فجاوب نعم.

سئل السيد عبد الله المذكور لأي سبب أنكر ذلك فجاوب أنهم لخبطوا عليه السؤال وأن هذا الوقت بحيث أنهم سأله عن سليمان الذي في حلب فيقر أنه يعرفه فقليل له إنه معلوم عندنا أنه شافه مرارًا كثيرة وتحدث معه فجاوب أنه بقي له ثلاثة أيام ما شافه.

سئل هل أنه ما قصد يمنعه عن قتل ساري عسكر العام فجاوب أنه ما قال له أبدًا على هذا الأمر وأنه لو كان بلغه منه ذلك كان منعه بكل قدرته.

سئل لأي سبب ما يحكي الصحيح بحيث أنه موجودة عليه شواهد فجاوب أنه غير ممكن يوجد عليه شواهد وأنه ما شاف سليمان المذكور إلا لأجل أن يسلموا على بعض حين تقابلوا.

سئل هل سليمان ما أخبره أبدًا عن سبب مجيئه الى مصر فجاوب حاشا فبعد ذلك أخروا الاثنين المذكورين وأحضروا السيد أحمد الوالي الذي هو متهم وسئل كما يذكر.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة فجاوب أنه يسمى السيد أحمد الوالي ولادة غزة وصنعتة مقرئ القرآن في الجامع الأزهر من مدة عشر سنين ولم يعرف كم عمره.

سئل هل يعرف الغرباء الذين يدخلون في الجامع فجاوب أن وظيفته يقرأ ولا ينتبه الى الغرباء فقليل له إن بعض الغرباء الذين حضروا هناك عن قريب يقولون إنهم شافوه في الجامع فجاوب أنه ما شاف أحدًا.

سئل هل شاف رجلًا حضر من بر الشام من طرف الوزير وهذا الرجل قال إنه يعرفه فجاوب لا وإن كانوا يقدروا يحضروا هذا الرجل حتى يقابله.

سئل هل يعرف سليمان الحلبي فجاوب أنه يعرف واحدًا يسمى سليمان الذي كان يروح يقرأ عند واحد أفندي وكان طالب أنه يستقيم في الجامع وأن هذا الرجل قال إنه من حلب ومن مدة عشرين يومًا كان شافه وبعدها ما قابله ثم كان قال له إن الوزير في يافا وإن عساكره ما كان عندهم دراهم وكانوا يفوتوه.

سئل هل هذا الرجل المذكور ما هو تحت حمايته فجاوب أنه لم يعرفه طيبًا حتى يضمه.

سئل هل الاثنان الآخرا المتهمان معارفه وهل أن الثلاثة تحدثوا سواء عن قريب أم أمس تاريخه مع سليمان المذكور فجاوب لا بل إنه يعرف أن سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع وأنه وضع في الجامع جملة أوراق مضمونها أنه كان قوي متعبدًا لخالفه.

سئل هل المذكور أمس أيضًا ما وضع أوراقًا في الجامع فجاوب أن ما عنده خبر بذلك.

سئل هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ فجاوب أنه أبدًا ما حدثه بهذا الشيء ولكن قال له سئل ايش هو الجنان الذي قاصد يعمله وحدثه عليه فجاوب أنه قال له إنه كان مراده يغازي في سبيل الله وإن هذه المغازاة هي قتل واحد نصراني وليكن ما أخبره باسمه وأنه قصد يمنعه بقوله إن ربنا أعطى القوة للفرنساوية ما أحد يقدر يمنعم حكم البلاد فبعد هذا المتهم المذكور انشال لمحلة وهذا الفحص تحتم بحضور سوارى العساكر

المجموعين بإمضاء ساري عسكر منو والدفتردار سارتلون الذي هو ذاته حرر هذا الفحص ساري عسكر منو ثم بعد قراءته على المتهمين وضعوا أسماءهم وخطهم بالعربي تحريراً في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ثلاثة إمضاءات بالعربي إمضاء ساري عسكر منو إمضاء الدفتردار سارتلون إمضاء الترجمان لوماكا ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنسية في مصر.

المادة الأولى - أن ينشأ ديوان قضاة لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا ساري عسكر العام كلهب في اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال.

المادة الثانية - القضاة المذكورون يكونوا تسعة وهم ساري عسكر رينيه ساري عسكر فرياند ساري عسكر رويين الجنرال موراند رئيس المعمار بريراند الوكيل رجينيه دفتردار البحر لرو والدفتردار سارتلون في وظيفة مبلغ والوكيل لبهر في وظيفة وكيل الجمهور.

المادة الثالثة - القضاة المذكورون ينظر لهم كاتم سر.

المادة الرابعة - القضاة المذكورون مفوضون الأمر في الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدوا حتى أنهم يطلعوا على الذين لهم حصة في الذنب المذكور أو يكون عندهم خبرة المادة الخامسة - القضاة المذكورون يتفقوا على العذاب اللائق الى موت القاتل ورفقائه.

المادة السادسة - القضاة المذكورون يجتمعوا من نهار تاريخه الذي هو السادس والعشرون من شهر برريال لحد خلاص الشريعة المذكورة إمضاء ساري عسكر منو وهذه نسخة من الأصل إمضاء الجنرال رنه كتحدا مدير الجيوش الفرنسية.

شرح اجتماع القضاة في السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي في اليوم السادس والعشرين من شهر برريال حكم أمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنسي المحرر في نهار تاريخه اجتمعوا في بيت ساري عسكر رينيه المذكور وساري عسكر رويين ودفتردار البحر لرو والجنرال مارتينه عوضاً عن ساري عسكر فرياند حكم أمر ساري عسكر منو ثم الجنرال موراند ورئيس العسكر جرحه ورئيس العمارة بريراند ورئيس المدافع فاورو الوكيل رجييه والدفتردار سارتلون في رتبة مبلغ والوكيل أبهر في وظيفة وكيل الجمهور لأجل قضاء شريعة قتل ساري عسكر العام كلهب الذي انغدر أمس تاريخه القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم ساري عسكر رينيه وعلى قرار أمر ساري عسكر منو المشروح أعلاه وحكم المادة الثالثة المحررة فيه استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذي حلف كما هي العوائد ولزم وظيفته ثم القضاة المذكورون وكلوا ساري عسكر رينيه والمبلغ الدفتردار سارتلون في التفتيش والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر في المادة الرابعة المحررة أعلاه وهذا لكي يظهروا رفقاء القاتل ثم أن السكينة التي وجدت مع القاتل حين انمسك تبقى عند كاتم السر لأجل يظهرها في الوقت الذي يلزم ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه في الساعة الرابعة قبل الظهر ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر إمضاء الوكيل رجينيه إمضاء رئيس المعمار بريراند إمضاء رئيس المدافع فاور إمضاء رئيس العسكر جرحه إمضاء الجنرال موراند إمضاء الجنرال مارتينه إمضاء دفتردار البحر لرو إمضاء ساري عسكر رويين إمضاء ساري عسكر رينيه إمضاء كاتم السر بينه إقرار الشهود نهار تاريخه في ستة وعشرين شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي نحن الواضعون أسماءنا فيه الدفتردار سارتلون المسمى من حضرة ساري عسكر العام منو أمير الجيوش في وظيفة مبلغ حكم الأمر الذي خرج من طرفه.

انتشار القضاة في شرع القاتلين ساري عسكر العام كلهير والسيتوين بينه المسمى من القضاة المذكورين في مرتبة كاتم السر أنه حضر بين يدنا يوسف برين عسكري خيال من الطبخية الملازمين بيت ساري عسكر العام وقال لنا هو ورفيقه خيال أيضًا يسمى روبرت مسكوا المسلم سليمان المتهم في غدر ساري عسكر العام وأنهم وجدوه في الجنيئة التي معمول فيها الحمامان الفرنسيان الملتزقان بجنيئة ساري عسكر وأنهم رأوه مخبأ بين حيطان الجنيئة المهدودة وأن الحيطان المذكورة كانت ملغمة بدم في بعض نواحي وأن سليمان المذكور كان أيضًا ملغمة بدم وأنهم مسكوه في هذه الحالة وأن بعده التزموا يضربوه بالسيف لأجل يمشوه ثم برين المذكور قال إن بعد حوشة سليمان بساعة في الموضع ذاته الذي كان مخبأ فيه شاف سكيئة بدمها وأنه سلم السكيئة في بيت ساري عسكر العام فقربنا إليه إقراره هذا وسألناه هل فيه شيء زائد أم ناقص فجاوب إن هذا كل الذي فعله وعأينه ثم حرر خط يده معنا إمضاء برين الخيال إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه ثم حرر أيضًا بين أيدينا الشاهد الثاني وهو السيتوين روبرت الخيال أحد الطبخية الملازمين وقال إنه حين كان يفتش على الذي قتل ساري عسكر دخل في الجنيئة التي فيها الحمامان الفرنسيان لرق جنيئة ساري عسكر العام وهناك شاف برفقة برين المذكور سليمان الحلبي مستخبي في ركن حيطان مهدودة وكان ملغمة دم وفي رأسه شرموطة زرقاء وأن في هذه الحالة عرفت أن هذا هو القاتل وأن الحيطان التي كان فات عليها كانت أيضًا ملغمة دم وأن حين مسكوه بان منه وهم وأن بعد حوشته بساعة شاف برفقة السيتوين برين في الموضع ذاته سكيئة بدمها وأنهم سلموها في بيت ساري عسكر العام والسكيئة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض فقرأنا عليه إقراره هذا ثم سألناه إن كان ما فيه زائد أم ناقص فجاوب أن هذا هو الذي فعله وشافه ثم حرر خط يده معنا حرر بمدينة مصر في النهار والشهر والساعة المحررة أعلاه إمضاء روبرت الخيال إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه أنا الدفتردار سارتلون المبلغ رحت الى بيت السيتوين بروتاين لأنه كان راقداً بسبب جراحاته ثم استلمت منه التبليغ الآتي أدناه: أنا حنا قسطنطين بروتاين المهندس وعضو أعضاء مدرسة العلم في بر مصر أنني كنت أتمشور تحت الكعبية الكبيرة التي في جنيئة ساري عسكر وتطل على بركة الأزبكية وكنت برفقة ساري عسكر العام فنظرت رجلاً لابساً عثملي خارج من مبتداً التكعيبية من جنب الساقية فانا كنت بعيد كام خطوة عن ساري عسكر أنادي على الغفراء فانتبهت لأجل أشوف السيرة رأيت أن الرجل المذكور يضرب ساري عسكر بالسكيئة ذاتها كام مرة فارتميت على الأرض وفي الوقت سمعت ساري عسكر يصرخ ثانياً فهميت ورحت قريباً من ساري عسكر فرأيت الرجل يضربه فهو ضربني ثانياً كام سكيئة التي رمتني وغيب صوابي وما عدت نظرت شيا غير أنني أعرف طيب أننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما أحد يسعفنا فبعده قرئت هذا الإقرار على السيتوين بروتاين وسألته هل فيه زائد أم ناقص فجاوب أن هذا الذي فعله وعأينه ثم حرر خط يده معنا إمضاء بروتاين إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه والسيتوين بروتاين بعدما ختم الورقة أعلاه قال إن مقصوده يضيف عليها أن بعد غدر ساري عسكر بزمان قليل حين شاف سليمان الحلبي الذي هو متهم في غدره وغدر ساري عسكر العام عرفه أنه هو ذاته الذي كان ضرب ساري عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكيئة غيب صوابه فقربنا عليه أيضًا هذه الإضافة فجاوب أنها حاوية الحق وما فيها زائد ولا ناقص ثم ختمها معنا إمضاء بروتاين سارتلون إمضاء كاتم السر بينه نهار تاريخه ستة وعشرين في شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي أنا الواضع اسمي فيه مبلغ القضاة المأمور في شرع قتلة ساري عسكر العام كلهير ذهبت الى مساعدين ساري عسكر المذكور لأجل أن أسمع إقرارهم ثم كان معي كاتم السر بينه وهم قالوا لنا كما يذكر أدناه السيتوين فورتونه دهوج ابن أربعة وعشرين سنة فسيال في طابور الخيالة ومساعد عند ساري عسكر كلهير قال إنه في اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال كان ساري عسكر العام حين حضر الى الأزبكية يشوف بيته الذي كان داير فيه العمارة وأنه شاف رجلاً بعمة خضراء ودلق وحش وكان دائماً تابع ساري عسكر حين كان دائر

يتفرج على المحلات وأنه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة فما أحد سألهم ولكن حين نزل ساري عسكر من بيته الى الجينة لأجل ينفذ الى جينة ساري عسكر داماس السيتوين دھوج شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة ساري عسكر فنهره وطرده برا فبعد ساعتين حين انغدر ساري عسكر السيتوين دھوج المذكور عرف دلق الخائن لأنه كان رماه جنب ساري عسكر وبعده حين انمسك الرجل فعرفه أنه هو الذي قبل بشويه طرده من الجينة ثم قرئ هذا المضمون على السيتوين دھوج المذكور لأجل بيان هل يوجد شيء خلافه يزيد أن ينقص فجاوب أن هذا الحق حكم ما عاين وفعل ثم حرر خط يده مع كاتم السر تحريراً في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء السيتوين دھوج إمضاء سارتلون إمضاء بينه كاتم السر.

ثاني فحص سليمان الحلبي نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهوري الفرنساوي نحن الواضعون أسماءنا فيه الدفتردار سارتلون برتيه مبلغ والوكيل بينه في رتبة كاتم سر القضاة المنقامين الى شرع كل من هو متهم في غدر ساري عسكر العام كلهبر أحضر سليمان الحلبي لأجل نسأله من أول وجديد عن صورة غدر وقتل ساري عسكر وهذا صار بواسطة سئل المذكور عن قصة ساري عسكر فجاوب أنه حضر من غزة مع قافلة حاملة صابون ودخان وأنه كان راكب هجين وبحيث أن القافلة كانت خائفة أن تنزل بمصر توجهت الى ريف يسمى الغيطة في ناحية الألفية وهناك استكرى حماراً من واحد فلاح وحضر لمصر ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار ثم أن أحد آغا ياسين آغا من أغوات الينكجربة بحلب وكلوه في قتل ساري عسكر العام بسبب أنه يعرف مصر طيب بحيث أنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات وأنهم كانوا وصوه أنه يروح ويسكن في الجامع الأزهر وأن لا يعطي سره لأحد كلياً بل يوعي لروحه ويكسب الفرصة في قضاء شغله لأنها دعوة تحب السر والنباهة ثم يعمل كل جهده حتى يقتل ساري عسكر لكن حين وصل الى مصر التزم يسارر الأربعة مشايخ الذين أخبر عنهم لأنه لو كان ما قال لهم فما كانوا يسكنونه في الجامع وأنه كان كل يوم يتحدث معهم في هذا الأمر وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا عقله عن هذا الفعل بقولهم إنه ما يقدر عليه وهو ما دعاهم لمساعدته لأنه كان يعرفهم بليدين وأن اليوم الذي قصد التوجه فيه ليقتل ساري عسكر قابل أحدهم الذي هو محمد الغزي فعرفه أن مقصوده أن يتوجه الى الجيزة ليفعل هذا الغدر وأن تخمينه أنه مثل المجنون من حين أراد أن يقضي هذا الأمر لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزة لهذا الأمر وأن الأوراق التي وضعها هي بعض آيات من القرآن لأنه عوائد الكتبة أولاد العرب وضعوا ذلك في الجامع وأنه ما أخذ دراهم من أحد في مصر لأن الأغوات كانوا أعطوا له كفايته وأن الأفندي الذي كان يروح يقرأ عنده يسمى مصطفى أفندي وكان يقرأ عليه نهار الاثنين والخميس تبع العادة ولكن ما أخبره بسر خوفاً أن ينشهر وأما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح أنه قال لهم كل شيء لأنهم من أولاد بلاده ثم حقق لهم أنه ناوي أن يغاري في سبيل الله.

سئل أين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر في ابتداء شهر جرمينال الموافق لشهر الإسلام ذي القعدة فجاوب أنه كان في القدس حاجج من حين كان الوزير أخذ العريش.

سئل أين شاف أحمد آغا الذي يقول إنه عرض عليه مادة قتل ساري عسكر وفي أي يوم قال له ذلك فجاوب أنه حين انكسر الوزير رجع الى العريش وغزة في أواخر شوال أو في أوائل شهر ذي القعدة الموافق لشهر جرمينال الفرنساوي وأن أحمد آغا المذكور هو من جملة أغوات الوزير ولكن كان رسم عليه في غزة من حين أخذ العريش وحين رجع أرسله الى القدس في بيت المتسلم ثم أنه يوم وصوله توجه سلم عليه في بيت المتسلم وشكا له من ابراهيم باشا متسلم حلب الذي كان يظلم أباه الذي يسمى الحاج محمد أمين بياع سمن وحططوه غرامات زائدة ومن الجملة واحدة قيل سفر الوزير من الشام ثم وقع بعرضه بشأن ذلك ثم أنه رجع عند أحمد آغا ثاني يوم وأن الآغا في وقتها قال له

إنه محب ابراهيم باشا وأنه ما يقصر ويوصيه في راحة أبيه ولكن بشرط أنه يروح يقتل أمير الجيوش الفرنسية ثم في ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضًا هذا السؤال وحالا أرسله الى ياسين آغا في غزة لأجل أن يعطي له مصروفه وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس الى الخليل وهناك قعد كام يوم وما وصله ولا مكتوب من أحمد آغا وأما أحمد آغا المذكور كان أرسل خدامًا الى غزة لأجل يخبر ياسين آغا بالذي اتفقوا عليه.

سئل كم يوم قعد في الخليل فجاوب عشرين يومًا.

سئل لأي سبب قعد عشرين يومًا في الخليل وهل في هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنين الأغوات فجاوب أن السكة كانت ملآنة عرب وأنه خائف منهم فالتزم يستنظر سفر القافلة التي سافر برفقتها وأنه كان في غزة في أواخر شهر ذي القعدة الموافق لغرة شهر فلوريال الفرنسية.

سئل ايش عمل في غزة وايش قال له ياسين آغا فجاوب أن ثاني يوم وصوله راح شاف الآغا والمذكور قال له إنه يعرف الشغل الذي هو سبب مشواره هذا وإنه أسكنه في الجامع الكبير وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلاً ونهارًا ويتحدث معه في هذا الأمر ووعدته أنه يرفع الغرائم عن أبيه وأنه دائمًا يجعل نظره عليه في كل ما يلزمه ثم بلغه عن كل الذي كان لازم يفعله كما شرح أعلاه وهذا صار سرًا بينهم ثم أعطى له أربعين قرشًا لمصروف السفر وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ووصل هنا بعد ستة أيام كما عرف سابقًا وأن سفره من غزة كان في أوائل شهر ذي الحجة الموافق الى نصف شهر فلوريال الفرنسية فبقي باين أنه حين غدر ساري عسكر كان له واحد وثلاثون يومًا في مدينة مصر.

سئل هل يعرف الخنجر الملعط دم الذي قتل به ساري عسكر فجاوب نعم يعرفه.

سئل من أين أحضر هذا الخنجر وهل أحد من الأغوات أعطاه له أم أحد خلافهم فجاوب أنه ما أحد أعطاه له وإنما بحيث أنه كان قاصد قتل ساري عسكر توجه الى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه.

سئل هل أن أحمد آغا أو ياسين آغا ما حدثاه أصلًا عن الوزير

وعشموه بشيء من طرفه إن كان يقدر يقتل ساري عسكر فجاوب لا بل أنهم ذاتهم وعدوه أنهم يساعدوه في كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشيء من يده.

سئل هل أن الوزير نادى في تلك النواحي بقتل الفرنسية فجاوب أنه لا يعلم بل يعرف أن الوزير كان أرسل طاهر باشا لأجل يعين الذين كانوا بمصر وأنه رجع حين شاف العثملي مقبلين لبر الشام من مصر.

سئل هل هو فقط الذي توكل في هذه الإرسالية فجاوب أن تخمينه هكذا لأن هذا الكلام قد سئل كيف كان يعمل حتى أنه كان يعرف الأغوات بالذي فعله فجاوب أنه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم أو يرسل لهم حالًا ساعي فبعد خلاص الفحص المذكور انقرأ على المتهم وهو حرر خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء سليمان الحلبي بالعربي إمضاء كاتم السر بينه.

مقابلة المتهمين مع بعضهم نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسية أنا الواضع اسمي فيه مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهم في قتل ساري عسكر العام كلهبر أحضرنا الشيخ محمد الغزي لأجل تجدد

فحصه ونقابله مع سليمان الحلبي قاتل ساري عسكر ولهذا كان موجود معنا السيتوبين بينه كاتم سر القضاة المذكورين وصار كما يذكر أدناه.

سئل الشيخ محمد الغزي هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل سليمان الحلبي هل يعرف الشيخ محمد الغزي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل محمد الغزي هل أن سليمان الحلبي ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يومًا أنه حضر من بر الشام من طرف أحمد آغا وياسين آغا لأجل ساري عسكر العام وهو كل يوم ما حدثه في هذا الشغل حتى أنه في آخر يوم قال له إنه رائج الى الجيزة حتى يغدر ساري عسكر فجاوب أن هذا ما له أصل لكن حين شافوا بعضًا وقع بينهم سلام فقط ومن قبل آخر يوم الذي نوى فيه سليمان على الرواح الى الجيزة جاب له ورق وجبر وقال له إنه ما يرجع إلا غدًا فقبل إنه ما يخبر بالصحيح لأن سليمان يحقق أنه أخبره بهذه السيرة كل يوم وأن عشية قبل غدر ساري عسكر كان قال له إنه رائج لقضاء هذا الأمر فجاوب أن هذا الرجل يكذب.

سئل هل كان يروح مرارًا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوي وهل في الأيام الأخيرة ما راح بات عنده فجاوب أن من حين دخول فرنساوية ما راح أبدًا بات عنده وأما قبل دخول فرنساوية كان يبيت عنده بعض مرار فقبل له إنه ما يحكي الصحيح لأن في فحص أمس قال إنه كان يروح مرارًا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوي فجاوب أنه ما قال ذلك.

سئل سليمان الحلبي هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بأنه كل يوم كان يخبره على نيته في قتل ساري عسكر وخصوصًا عشية النهار الذي صباحه صار القتل فجاوب نعم وأنه ما قال إلا الصحيح وأن الشيخ محمد الغزي ما كان يقر بالحق أمرنا بضربه كعادة البلد فحالًا انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يحكي على كل شيء فارتفع عنه الضرب.

سئل هل سليمان أخبره على ضميره في قتل ساري عسكر فجاوب أن سليمان كان قال له إنه حضر من غزة لأجل أنه يغاري في سبيل الله بقتل الكفرة فرنساوية وأنه معه عن ذلك بقوله إنه يحصل له من ذلك ضرر وما عرفه أنه مراده يغدر ساري عسكر إلا الليلة التي راح فيها الى الجيزة وصباحها قتله.

سئل لأي سبب ما حضر أخبرنا على سليمان المذكور فجاوب أنه أبدًا ما كان يصدق أن واحدًا مثل هذا يقدر على قتل ساري عسكر الذي الوزير بذاته ما قدر عليه.

سئل هل أخبر بالذي قال له عليه سليمان لأحد من المدينة وخصوصًا الى الشيخ الشرقاوي فجاوب أنه ما أخبر أحدًا بذلك وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك.

سئل هل يعرف أحدًا خلاف سليمان حضر لأجل غدر فرنساوية وأين هم قاعدين فجاوب أنه ما يعرف وأن سليمان ما قال له على أحد.

سئل سليمان المذكور أنه يشهر رفقاءه فجاوب أنه لم يعرف أحد في مصر وأن تخمينه ما فيه غيره الذي قاصد قتله فرنساوية فبعد هذا صرفنا محمد الغزي المذكور لحبسه وأبقينا سليمان لأجل نقابله مع السيد أحمد الوالي الذي حالًا أحضرنا لأجل ذلك.

سئل هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل أيضًا سليمان هل يعرف السيد أحمد الوالي الموجود ههنا فجاوب هو أيضًا نعم.

سئل السيد أحمد الوالي هل أن سليمان ما أخبره على نيته في قتل ساري عسكر وخصوصًا في العشية التي قصد بها التوجه لذلك فجاوب أن سليمان حين وصل من مدة ثلاثين يومًا كان قال له إنه حضر حتى يغازي في الكفرة وأنه نصحه عن ذلك بقوله إن هذا شيء غير مناسب وما أخبره على سيرة ساري عسكر.

سئل سليمان المذكور أنه يبين هل حدثه أحمد الوالي في قتل ساري عسكر وكم يوم له ما حدثه فجاوب أن في أوائل وصوله قال له إنه حضر بصد الغزو في الكفار وأن السيد أحمد ما رضي له بذلك ثم بعد ستة أيام أخبره على نيته في قتل ساري عسكر ومن بعدها عاد حدثه بذلك وقبل الغدر بأربعة أيام ما كان قابله فقبل للسيد أحمد الوالي إنه لم يصدق في قوله لأنه ينكر أن سليمان ما أخبره بأنه كان ناوي بقتل ساري عسكر فجاوب الآن لما فكره سليمان افكر أنه أخبره.

سئل لأي سبب ما أشهر سليمان المذكور فجاوب أنه ما أشهره لسببين الأول أنه كان يخمن أنه يكذب والثاني ما كان مستعنيه في فعل مادة مثل هذه.

سئل هل سليمان ما عرفه برفقائه وهل هو ما تحدث مع أحد بذلك وخصوصًا مع الشيخ الجامع الذي هو ملزوم يخبره بكل ما يجري فجاوب أن سليمان ما قال له على رفقائه وهو ما أخبر بذلك أحدًا ولا أيضًا شيخ الجامع.

سئل هل يعرف الأمر الذي خرج من ساري عسكر العام بأن كل من شاف عثملي في البلد يخبر عنه فجاوب أنه ما دري بذلك.

سئل هل سكن سليمان بالجامع لسبب أنه قال على مراده في قتل ساري عسكر فجاوب لا لأن كل أهل الإسلام تقدر تسكن في الجمع.

سئل سليمان هل أنه ما قال بأنهم ما كانوا يريدون يسكنوه لولا أنه قال لهم على سبب مجيئه لمصر فجاوب أن كامل الغرباء لازم يخبروا عن سبب حضورهم وأما هو يقول الحق إن ما أحد من المشايخ ارتضى على مقصوده فبعد هذا أرسلنا السيد أحمد الوالي إلى حبسه وبقي سليمان الحلبي لأجل مقابلة السيد عبد الله الغزي الذي أحضرناه في الحال.

سئل سليمان هل يعرف السيد عبد الله الغزي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل السيد عبد الله الغزي هل ما بلغه نية سليمان في قتل ساري عسكر فجاوب وأقر أن يوم حضور سليمان عرفه أنه حضر يغازي في الكفرة وأنه مراده يقتل ساري عسكر وأنه قصد يمنعه عن ذلك.

سئل لأي سبب ما شكاه فجاوب أنه كان يظن أن سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار وأن المذكورين يمنعه ولكن من الآن صار يخبر بالذين يحضرون بهذه النية.

سئل هل يعرف أنه موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين في قتل الفرنساوية فجاوب أن ما عنده خبر وأن تخمينه لم يوجد أحد.

فبعد ذلك انقرأ هذا الفحص على الأربعة المتهمين وهم سليمان الحلبي ومحمد الغزي والسيد أحمد الوالي والسيد عبد الله الغزي وسألوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ولا فيها

زائد ولا ناقص فأريعتهم جاوبوا لا ثم حرروا خط يدهم معنا بالعربي برفقة الاثنين المترجمين وكاتم السر حرر بمدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء المتهمين بالعربي إمضاء المترجمان لوماكا إمضاء دمياسومر براشويش كاتم السر وترجمان ساري عسكر العام إمضاء المبلغ سرتلون إمضاء كاتم السر بينه بعد خلاص الفحص المشروح أعلاه أنا المبلغ سارتلون سألت الأربعة المتهمين المذكورين أنهم يختاروا لهم واحدًا ليتكلم عنهم قدام القضاة ويحامي عنهم والمذكورون قالوا إن ما هم عارفون من يختاروا فأورينا لهم المترجمان لوماكا لأجل يمشي لهم في ذلك.

بيان فحص مصطفى أفندي نهار تاريخه ستة وعشرين شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي أنا المبلغ سارتلون وبينه كاتم سر القضاة المنتشرين لشرع كل من كان له جرة في قتل ساري عسكر العام سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة فجاوب بأنه يسمى مصطفى أفندي ولادة برصة في بر أناضول وعمره واحد وثمانون سنة وساكن في مصر ثم صنعتة معلم كتاب.

سئل هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبي فجاوب أن هذا الرجل مشدوده من مدة ثلاث سنين وأنه من مدة عشرة أو عشرين يومًا حضر عنده وبات ليلة ومن حيث أنه رجل فقير قال له يروح يفتش له عن محل غيره.

سئل هل سليمان المذكور ما أخبره أنه حضر من بر الشام حتى يقتل ساري عسكر العام فجاوب لا بل حضر عنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من قديم.

سئل هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره لهذا الطرف وهل هو نفسه ما استخبر عن ذلك فجاوب أن كل إجهاده كان في أنه يصرفه من عنده بحيث أنه رجل فقير بل سأل عن سبب حضوره فأخبره لأجل يتقن القراءة.

سئل هل يعرف بأن سليمان راح عند ناس من البلد وخصوصًا عند أحد من المشايخ الكبار فجاوب أنه لا يعرف شيئًا لأنه ما شافه إلا قليلًا وأنه لم يقدر يخرج كثيرًا من بيته بسبب ضعفه وكبره.

سئل هل أنه ما يعلم القرآن إلا مشايدده فجاوب نعم.

سئل هل أن القرآن يرضى بالمغازاة ويأمر بقتل الكفرة فجاوب ما يعرف ايش هي المغازاة التي في القرآن ينبي عنها.

سئل هل يعلم مشايدده هذه الأشياء فجاوب واحد اختيار مثله ما له دعوة في هذه الأشياء بل أنه يعرف أن القرآن ينبي عن المغازاة وأن كل من قتل كافرًا يكسب أجرًا.

سئل هل علم هذا الغرض لسليمان فجاوب أنه ما علمه إلا الكتابة فقط.

سئل هل عنده خبر أن أمس تاريخه رجل مسلم قتل ساري عسكر الفرنسي الذي ما هو من ملته وهو بموجب تعليم القرآن هذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبي محمد فجاوب أن القاتل يقتل وأما هو يظن أن شرف الفرنسي هو من شرف الإسلام وإذا كان القرآن يقول غيره شيا هو ما له علاقة فحالًا قدمنا سليمان المذكور وقابلناه بمصطفى أفندي ثم سألناه هل شاف مصطفى أفندي مرارًا كثيرة وهل بلغه عن نيته فجاوب أنه ما شافه سوى مرة واحدة لأجل أنه يسلم عليه بحيث أنه معلمه القديم وبما أنه رجل اختيار وضعيف قوى ما رأى مناسب يخبره عن ضميره.

سئل هل هو من ملة المغازين وهل أن المشايخ سمحوا له في قتل الكفار في مصر ليكتب له أجر ويقبل عند النبي محمد فجاوب أنه ما فتح سيرة المغازاة إلا إلى الأربعة مشايخ فقط الذين سئل هل أنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوي فجاوب أنه ما شاف هذا الشيخ لأنه ما هو من ملته بسبب أن الشيخ الشرقاوي شافعي وهو حنفي فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى أفندي إقرارهم هذا فجاوبوا أن هذا هو الحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء الاثنين المتهمين بالعربي إمضاء لوماكا الترجمان إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه.

هذه الرواية المنقولة في اليوم السابع والعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من إقامة الجمهور الفرنسي عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل ساري عسكر العام كلهبر وأيضًا لمحاكمة شركاء القاتل المذكور: يا أيها القضاة إن المناحة العامة والحزن العظيم الذي نحن مشتملون بهما الآن يخبران بعظم الخسران الذي حصل الآن بعسكرنا لأن ساري عسكرنا في وسط نصراته ومماجده ارتفع بغته من بيننا تحديد قاتل رذيل ومن يد مستأجرة من كبراء ذوي الخيانة والغيرة الخبيثة والآن أنا معين ومأمور لاستدعاء الانتقام للمقتول وذلك بموجب الشريعة من القاتل المسفور وشركائه كمثل أشنع المخلوقات لكن دعوني ولو لحظة خالطًا فيض دموع عيني وحسراتي بدموعكم ولوعاتكم التي سببها هذا المفدي الأسيف والمكرم المنيف فقلبي احتسب جدًا اهتياجه لتأدية تلك الجزية لمستحقها فوظيفتي كأنها ليست في الرؤية إلا ألمًا بتغريق المهيب بماء هذه المصنوعة الشنيعة التي بوقوعها ارتبكت سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقي المكتوبات عما جرى منهم وقط ما ظهر سيئة أظهر من هذه السيئة التي أنتم محاكمون فيها من صفة الغدارين ببيان الشهود وإقرار القاتل وشركائه والحاصل كل شيء متحد ورامي الضياء المهيب لمناورة ذا القتل الكريه إني أنا راوي لكم سرعة الأعمال جاهد نفسي إن ظفرت لمنع غضبي منهم منها فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها أن الوزير الأعظم سلطنة العثمانية ورؤساء جنود عسكرها ردلوا أنفسهم حتى أرسلوا قتال معدوم العرض إلى الجريء والأنجب كلهبر الذي لا استطاعوا بتقهيره وكذلك ضعوا إلى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم بالذي ترأسوا قبل السماء والأرض تذكروا جملتكم تلك الدول العثمانية المحاربين من اسلامبول ومن أقاصي أرض الروم وأناضول وأصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسخير وضبط بر مصر وطالبيين تخليتها بموجب الشروط الذي بمتفقيتهم بذاتهم مانعوا إجراءها والوزير أغرق بر مصر وبر الشام بمناداته مستدعي بها قتل عام الفرنسيات وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم وفي لحظة الذين هم أهالي مصر محتفين بأغويات الوزير كانوا محرومين شققات ومكارم نصيرهم وفي دقيقة الذين هم أسارى ومجروحين العثمانية هم مقبولين ومرعيين في دور ضيوفنا وضعفائنا تقيد الوزير بكل وجوه بتكميل سوء غفارته تلوه منذ زمان طويل واستخدم لذلك آغا مغضوبًا منه ووعد له إعادة لطفه وحفظ رأسه الذي كان بالخطر إن كان يرتضي بذا الصنع الشنيع وهذا المغوي هو أحمد آغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير في أوائل شهر جرمينال الماضي والآغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد وفي ذلك الملجأ فهو مفتكر بإجراء السوء الخبيث الذي يستثقل التقدير لا فهم ولا معه تدبير سيما هو عامل شيء لإجراء انتقام الوزير وسليمان الحلبي شب مجنون وعمره أربعة وعشرون سنة وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا ظهر عند ذا الآغا يوم وصوله القدس ويترجى صيانتة لحراسة أبيه تاجر بحلب من أذيات إبراهيم باشا والي حلب يرجع له سليمان يوم غدره فقد كان استفتش الآغا عن احتيال أصل وفصل ذا الشب المجنون وعلم أنه مشغول بجامع بين قراءة القرآن وأنه هو الآن بالقدس للزيارة وأنه قد حج سابقًا بالحرمين وأن العته النسكي هو منصوب في أعلى رأسه المضطرب من زيغانه وجهالاته بكماله إسلامه وباعتماده أن المسمى منه جهاد وتهليك غير المؤمنين فمما أنهى وأيقن أن هذا هو

الإيمان ومن ذلك الآن مار ما بقي تردد أحمد أغا في بين ما نوى منه فوعد له حمايته وإنعامه وفي الحال أرسله الى ياسين أغا ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة وبعثه بعد أيام لمعاملته وأقبضه الدراهم اللازمة له وسليمان قد امتلأ من خباثته وسلك بالطرق فمكث واحد وعشرين يوم في بلد الخليل يجربون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية وكل مستعجل ووصل غزة في أوائل شهر فلوربال الماضي وياسين أغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته والمجنون يواجهه مرارًا وتكرارًا بالنهار والليل مدة عشرة أيام مكثه بغزة يعلمه وبعد ما أعطاه أربعين غرشًا أسديًا ركبته بعقبة الهجين الذي وصل مصر بعد ستة أيام وممتن بخنجر دخل بأواسط شهر فلوربال الى مصر التي قد سكنها سابقًا ثلاث سنين وسكن بموجب تربيته بالجامع الكبير ويتحضر فيه للسينة التي هو مبعوث لها ويستدعي الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور: علاه وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قرأ والقرآن مثله وهم مثله مولودين ببر الشام وسليمان أخبرهم بسبب مراسلته وكان كل ساعة معهم متامرين به لكن ممنوعين بصعوبة ومخاطر الوحدة محمد الغزي والسيد أحمد الوالي وعبد الله الغزي وعبد القادر الغزي هم معتمدين سليمان بارتهان ما نواه ولا عاملوا شيء لممانعته أو لبيانه وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين ومشاركين في قبحة القاتل هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر فعقبة جزم توجهه الى الجيزة وبذاك اليوم أعقد سره الى الشركاء المذكورين أعلاه وكان كل شيء صار سهل جزم القاتل بمصنوعته الشنيعة ويوم الغدوة طلع السر عسكر من الجيزة متوجهًا مصر وسليمان طوى الطرق ولحقه هلقدر حتى لزم أن يطردوه مرارًا مختلفة لكن هو المكار عقيب غدارًا تعداه وفي يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجاري وصل واختفى في جينة السر عسكر لتقيل يده فالسر عسكر لا أبى على قيافة فقره وفي حال ما السر عسكر ترك له يده ضربه سليمان بخنجره ثلاثة جروح وقصد الستون بروتاين الذي هو رئيس المعمار ومصاحب العرفاء وجاهد لحماية السر عسكر لكن ما نفع جسارته فهو بذاته وقع أيضًا مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات وبقي لا يستطيع شيء وهكذا وقع بلا صيانة وهو الذي كان من الأماجد في الحرب ومخاطرات الغزا وهو أول اذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور الفرنسي المنصور الرهن الرهين وهو فتح ثانيًا بر مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية فكيف اقتدر واضم الوجع العميق الجملة الى دموع الأجناد الى لوعات الرؤساء وجميع الجنرالية أصحابه بالمجاهدة والمماجدة بالمناحة وموالهة العسكر أنتم جميعًا تنعوه والمحاسنات تستأله وتبغى له القاتل سليمان ما قدر يهرب من مغاشاة الجيوش غصوبين له الدم ظاهر في ثيابه وخنجره واضطرابه ووحشة وجهه وحاله كشفوا جرمه وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ومسمى شركاء وهو كمداح نفسه للقتل الكريه صنع يديه وهو مستريح بجواباته للمسائل وينظر محاضر سياسات عذابه بعين رفيعة والرفاهية هي الثمر المحصول من العصمة والتفاوه فكيف تظهر بوجوه الأثمين ومسامحينهم شركاء سليمان الأثيم كانوا مرتين سره للقتل الذي حصل من غفلتهم وسكوتهم قالوا باطلا أنهم ما صدقوا سليمان هو مستعدد بذات الإثم وقالوا باطلا أيضًا أن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا في الحال شايعين خيائته لكن الأعمال شهود تزور وتنبئ أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف مهلكتهم ومصميمين تهلكة غيرهم ولا هم مستعذرين وجهًا من الوجوه لا حكي لهم شيء من مصطفى أفندي بما أن لا ظهر شيء عند ذاك الشيب يثبت معاقرة بشكل العذاب اللائق للمذنبين هو تحت اصطفاكم بموجب الأمر من الذي أتت مأمورون بعقبيه لمحاكمة السيئين وأظن أن يليق أن تصنعوا لهم من العذابات العادية ببلاد مصر ولكن عظمة الإثم تستدعي أن يصير عذابه مهيبًا فإن سألتوني أجبت أنه يستحق الخوزقة وأن قبل كل شيء تحرق يد ذا الرجل الأثيم وأنه هو يموت بتعذيبه ويبقى جسده لمأكول الطيور وبجهة المسامحين له يستحقون الموت لكن بغير عقوبة كما قلت لكم ونبهت فليعلم الوزير والعملية الظالمين تحت أمره حد جزاء الأثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم المروءة أنهم عدموا من عسكرنا واحد مقدم سبب دائمى دموعنا ولوعتنا الأبدية فلا يحسبوا ولا ياملوا بإقلال جزائنا إنما خليفة السر عسكر

المرحوم هو رجل قد شهر شجاعة ومضى قدماه بصفاء ضمير منير وهو مشار إليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور المنصور وهو يهدينا بالنصرة وأما أولئك المعدومون القلب والعرض فلا احمرت وجوههم بانتقامهم وانهزامهم باق ثم عدم اعتبارهم بالتواريخ لأبدانهم باقين بالردالة لا نفع لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ولعدم أولًا - أن سليمان الحلبي مثبت اسمه الكريه بقتل السر عسكر كلهبر فلهذا هو يكون مدحوصًا بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور.

ثانيًا - أن الثلاثة مشايخ المسمين محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الغزي يكونون متبينين منكم أنهم شركاء لهذا القاتل فلذلك يكونون مدحوصين بقطع رؤوسهم.

ثالثًا - أن الشيخ عبد القادر الغزي يكون مدحوصًا بذلك العذاب.

رابعًا - أن إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين لدفن السر عسكر وأمام العسكر وناس البلد لذاك الفعل موجودين فيه.

خامسًا - أن مصطفى أفندي تبين غير مثبت مسامحته وهو مطلق الى ما نرى.

سادسًا - أن ذا الإعلام وبياناته وما جرى بطبع في خمس نسخ ويؤول من لسان الفرنسي بالفرنساوي والعربي والتركي لتلزيقها بمحلات بلاد بر مصر بكمالها بموجب المأمور حرر بمصر القاهرة في اليوم السابع وعشرين من شهرنا برريال سنة ثمانية من إقامة الجمهور المنصور ممضي سارتلون.

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين بأمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنسي في مصر لأجل شرعية كل من له جرة في غدر وقتل ساري عسكر العام كلهبر في السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي وفي اليوم السابع والعشرين من شهر برريال اجتمعوا في بيت ساري عسكر رينيه المذكور وساري عسكر رويين ودفتردار البحر لرو والجنرال مارتينه والجنرال مورانه ورئيس العسكر جوجه ورئيس المدافع فاور ورئيس المعمار برترنه والوكيل رجينه والدفتردار سارتلون في رتبة مبلغ والوكيل لهر في رتبة وكيل الجمهور والوكيل بينه في رتبة كاتم السر وهذا ما صار حكم أمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنسي الذي صدر أمس وأقام القضاة المذكورين لكي يشرعوا على الذي قتل ساري عسكر العام كلهبر في اليوم الخامس والعشرين من الشهر ولكي يحكموا عليه بمعرفتهم فحين اجتمعوا القضاة المذكورون وساري عسكر رينيه الذي هو شيخهم أمر بقراءة الأمر المذكور أعلاه الخارج على يد ساري عسكر منو ثم بعده المبلغ قرأ كامل الفحص والتفتيش الذي صدر منه في حق المتهمين وهم سليمان الحلبي والسيد عبد القادر الغزي ومحمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي ومصطفى أفندي فبعد قراءة ذلك أمر ساري عسكر رينيه بحضور المتهمين المذكورين قدام القضاة وهم من غير قيد ولا رباط بحضور وكيلهم والأبواب مفتحة قدام كامل الموجودين فحين حضروا ساري عسكر رينيه وكامل القضاة سألوهم جملة سؤالات وهذا بواسطة الخواجا براشويش الترجمان فهم ما جاوبوا إلا بالذي كانوا قالوه حين انفحصوا فساري عسكر رينيه سألهم أيضًا إن كان مرادهم يقولوا شيئًا مناسبًا لتبرئتهم فأجابوه بشيء فحالًا ساري عسكر المذكور أمر بدرهم الى الحبس مع الخفراء عليهم ثم أن ساري عسكر رينيه التفت الى القضاة وسألهم إيش رأيهم في عدم حديث المتهمين وأمر بخروج كامل الناس من الديوان وقفل المحل عليهم لأجليستشاروا بعضهم من غير أن أحدًا يسمعهم ثم انوضع أول سؤال وقال: سليمان الحلبي ابن أربعة وعشرين سنة وساكن بحلب متهم بقتل ساري عسكر العام وجرح السيتوين بروتاين المهندس وهذا صار في جنينة ساري عسكر العام في خمسة وعشرين من الشهر

الجاري فهل هو مذب فالقضاة المذكورون ردوا كل واحد منهم لوحده والجميع يقول واحد أن سليمان الحلبي مذب.

السؤال الثاني - السيد عبد القادر الغزي مقرئ قرآن في الجامع الأزهر ولادة غزة وساكن في مصر متهم أنه بلغه بالسر في غدر ساري عسكر العام وما بلغ ذلك وقصد الهروب فهل هو مذب فالقضاة جاوبوا تمامًا أنه مذب.

ثم وضع السؤال الثالث وقال: محمد الغزي ابن خمسة وعشرين سنة ولادة غزة وساكن في مصر مقرئ قرآن في الجامع الأزهر متهم أنه بلغه بالسر في غدر ساري عسكر وأنه حين ذلك الغادر كان نوى الرواح لقضاء فعله بلغه أيضًا وهو ما عرف أحدًا بذلك فهل هو مذب فالقضاة جاوبوا تمامًا أنه مذب.

السؤال الرابع: - عبد الله الغزي ابن ثلاثين سنة ولادة غزة ومقرئ قرآن في الجامع الأزهر متهم أنه كان يعرف في غدر ساري عسكر وأنه ما بلغ أحدًا بذلك فهل هو مذب فالقضاة جاوبوا تمامًا أنه مذب.

السؤال الخامس - أحمد الوالي ولادة غزة مقرئ قرآن في جامع الأزهر متهم أن عنده خبر في غدر ساري عسكر وأنه ما بلغ أحدًا بذلك فهل هو مذب فالقضاة جاوبوا تمامًا أنه مذب.

السؤال السادس - مصطفى أفندي ولادة برصة في بر أناضول عمره واحد وثمانين سنة ساكن في مصر معلم كتاب ما عنده خبر بغدر ساري عسكر فهل هو مذب فالقضاة تمامًا جاوبوا بأنه غير مذب وأمروا بإطلاقه فبعد ذلك القاضي وكيل الجمهور طلب أنهم يفتوا بالموت على المذنبين المشروحين أعلاه فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لائق لموت المذنبين أعلاه ثم بدؤوا بقراءة خامس مادة من الأمر الذي أخرجه أمس ساري عسكر منو بسبب ذلك والذي بموجه أقامهم قضاة في فحص وموت كل من كان له جرة في غدر وقتل ساري عسكر العام كلهبر ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين ويكون لافق للذنب الذي صدر وأفتوا أن سليمان الحلبي تحرق يده اليمين وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رتمه الطيور وهذا يكون فوق التل الذي برا قاسم بك ويسمى تل العقارب وبعد دفن ساري عسكر العام كلهبر وقدم كامل العسكر وأهل البلد الموجودين في المشهد ثم أفتوا بموت السيد عبد القادر الغزي مذب أيضًا كما ذكر أعلاه وكل ما تحكم يده عليه يكون حلال للجمهور الفرنسيواي ثم هذه الفتوى الشرعية تكتب وتوضع فوق الذيت الذي مختص بوضع رأسه وأيضًا أفتوا على محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي أن تقطع رؤوسهم وتوضع على نابيت وجسمهم يحرق بالنار وهذا يصير في المحل المعين أعلاه ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل أن يجري فيه شيء هذه الشريعة والفتوى لازم أن ينطبع بالغة التركية والعربية والفرنساوية م كل لغة قدر خمسمائة نسخة لكي يرسلوا ويعلقوا في المحلات اللازمة والمبلغ يكن مشهل في هذه الفتوى تحريًا في مدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ثم ان القضاة حطوا خط يدهم بأسمائهم برفقة كاتم السر ممضي في أصله ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتفسرت على المذنبين بواسطة السيتوين لو ما كان الترجمان قبل قضايتهم فهم جاوبوا أن ما عندهم شيء يزيدوا ولا ينقصوا على الذي أقروا به في الأول فحالا قضاوا أمرهم في ثمانية وعشرين من شهر برريال حكم الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة حرر بمصر في ثمانية وعشرين برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسيواي ثم ختموا بأصله الدفتردار سارتلون وكاتم السر بينه وهذه نسخة من الأصل إمضاء بينه كاتم السر أه وهذا آخر ما كتبوه في خصوص هذه القضية

ورسموه وطبعوه بالحرف الواحد ولم أغير شيئاً مما رقم إذ لست ممن يحرف الكلم وما فيه من تحريف فهو كما في الأصل والله أعلم.

ولما فرغوا من ذلك اشتغلوا بأمر ساري عسكرهم المقتول وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ونصبوا مكانه عبد الله جاك منو ونادوا ليلة الرابع من قتلته وهي ليلة الثلاثاء خامس عشرين المحرم في المدينة بالكنس والرش في جهات حكام الشرطة فلما أصبحوا اجتمع عساكرهم وأكابرهم وطائفة عينها القبط والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركباً ومشاة وقد وضعوه في صندوق من رصاص مسنم الغطاء ووضعوا ذلك الصندوق على عربة وعليه برنيطته وسيفه والخنجر الذي قتل به وهو مغموس بدمه وعملوا على العربة أربعة بيارق صغار في أركانها معمولة بشعر أسود ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة وعلى أطبول خرق سود والعسكر بأيديهم البنادق وهي منكسة إلى أسفل وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقه حرير سوداء ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخرق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التي بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا أحضروا سليمان الحلبي والثلاثة المذكورين فأمضوا فيهم ما قدر عليهم ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العيني فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب يوسط تخشبية صنعوها وأعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض وزرعوا حوله أعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر بينادقهما ملازمان ليلاً ونهاراً يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى أمره واستقر عوضه في السر عسكرية قائمقام عبد الله جاك منو وهو الذي كان متولياً على رشيد من قدومهم وقد كان أظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة وقلدوا عوضه في قائمقامية بليار فلما أصبح ثاني يوم حضر قائمقام والآغا إلى الأزهر ودخلا إليه وشقا في جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ.

وفي يوم الخميس حضر ساري عسكر عبد الله جاك منو وقائمقام لو الآغا وطافوا به أيضاً وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ثم ذهبوا فشرعت المجاورون به في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلا الأروقة ونقلوا الكتب المرقوفة بها إلى أماكن خارجة عن الجامع وكتبوا أسماء المجاورين في ورقة وأمروهم أن لا يبيت عندهم غريب ولا يؤوا إليهم آفاقاً مطلقاً وأخرجوا منه المجاورين من طائفة الترك ثم أن الشيخ الشرقاوي والمهدي والساوي توجهوا في عصريتها عند كبير الفرنسيين منو واستأذنوه في قفل الجامع وتسميره فقال بعض القبط الحاضرين للأشياخ وهذا لا يصح ولا يتفق هذا لا يصح ولا يتفق فحنق عليه الشيخ الشرقاوي وقل أكفونا شر دسائسكم يا قبطه وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة فإن للأزهر سعة لا يمكن الإحاطة بمن يدخله فربما دس العدو من يبيت به واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونبل مراده من المسلمين والفقهاء ولا يمكن الاحتراس من ذلك فإذن كبير الفرنسيين بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطلاً فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات.

وفي غايته جمعوا الوجاقلية وأمروهم بإحضار ما عندهم من الأسلحة فأحضروا ما أحضروه فشدوا عليهم في ذلك فقالوا لم يكن عندنا غير الذي أحضرناه فقالوا وأين الذي كنا نرى لمعانه عند متاريسكم فقالوا تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها. واستهل

شهر صفر بيوم الثلاثاء سنة 1215

في أوائله سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعض بعث حريمه وأقام هو مسافر الشيخ محمد الحريري وصحب معه حريم الشيخ السحيمي وصهره الشيخ المهدي فلما رأهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة وأكثروا المراكب والجمال وغير ذلك فلما أشيع ذلك كتب الفرنسييس أوراقًا ونادوا في الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يومًا نهبت داره فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر إلا من أخذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس أو احتج بعذر كائن في خدمة لهم أو قبض خراج أو مال أو غلال من التزامه.

وفيه قرروا فردة أخرى وقدرها أربعة ملايين وقدر المليون مائة وستة وثمانون ألف فرانسة وكان الناس ما صدقوا قرب تمام الفردة الأولى بعدما قاسوا من الشدائد ما لا يوصف ومات أكثرهم في الحبوس وتحت العقوبة وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم الى البلاد ثم دهوا بهذه الداهية أيضًا فقرروا على العقار والدور مائتي ألف فرانسة وعلى الملتزمين مائة وستين ألفًا وعلى التجار مائتي ألف وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفًا وأسقطوا في نظير المنهوبات مائة ألف وقسموا البلدة ثمانية أخطاط وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات والأمير الساكن بتلك الخطة مثل المحتسب بجهة الحنفي وعمر شاه وسويقة السباعين ودرج الحجر ومثل ذي الفقار كتخدا جهة المشهد الحسيني وخان الخليلي والغورية والصنادقية والأشرفية وحسن كاشف جهة الصليبية والخليفة وما في ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت فشرعوا في توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة وقسموها عال وأوسط ودون وجعلوا العال ستين ريالًا والوسط أربعين والدون عشرين ويدفع المستأجر قدر ما يدفع المالك والدار التي يجدونها مغلقة وصاحبها غائب عنها يأخذون ما عليها من جيرانها.

وفي سادس عشرينه أفرجوا عن الشيخ السادات ونزل الى بيته بعد أن غلق الذي تقرر عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وأن لا يركب بدون إذن منهم ويقتصد في أمور معاشه ويقلل أتباعه.

شهر ربيع الأول سنة 1215 فيه نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر من بعد اثنين وثلاثين يومًا من وقت المنادة نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاعت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولا شفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته واحتجب ساري عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين وكذلك عظماء الجنرالات وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول واستوحشوا منهم ونزل بالرعية الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنسية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام بالإهانة حتى صاروا يأمرونهم بالقيام إليهم عند مرورهم ثم شددوا في ذلك حتى كان إذا مر بعض عظمائهم بالشارع ولم يقم إليه بعض الناس على أقدامه رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه وأصعدوه الى الحبس بالقلعة وضربوه واستمر عدة أيام في الاعتقال ثم يطلق بشفاعته بعض الأعيان.

وفيه أنزلوا مصطفى باشا من الحبس وأهدوا إليه هدايا وأمتعة وأرسلوه الى دمياط فأقام بها أيامًا وتوفي الى رحمة الله تعالى.

شهر ربيع الثاني سنة 1215 فيه اشتد أمر المطالبة بالمال وعين لذلك رجل نصراني قبلي يسمى شكر الله فنزل بالناس منه ما لا يوصف فكان يدخل الى دار أي شخص كان لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنساوية والفيلة وبأيديهم القزم فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير الى غير ذلك وخصوصًا ما فعله ببولاك فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق وينوع عليهم العذاب ثم رجع الى مصر يفعل كذلك.

وفيه أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة في يوم واحد وختموا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خائفًا بعد خان فإذا فتحوا حصلوا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأخس الأثمان وحسبوا غرامته فإن بقي لهم شيء أخذوه من حاصل جاره وإن زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم وإذا فتحوا مخزنًا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائبًا.

وفيه حرروا دفاتر العشور وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلًا يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر وجعلوا جامع أزيك الذي بالأزبكية سوقًا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها وأقاموا على ذلك أيامًا كثيرة يجتمعون لذلك في كل يوم ويشترك الإثنان فأكثر في القلم الواحد وفي الأقلام المتعددة.

وفيه كثر الهدم في الدور وخصوصًا في دور الأمراء ومن فر من الناس وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وإنشاء قلاع في عدة جهات وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبانات حتى ببلاد الصعيد القبلية.

والأمور من أنواع ذلك تتضاعف والظلمات تتكاثر وشرعوا في هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والأضرحة فكانوا إذا دهموا دارًا وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ولا أخذ شيء من أنقاض دارهم فينهبونها ويهدمونها وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط الى حيث عمارتهم وأبنيتهم وما بقي يبيعون منه ما أحبوا بأخس الأثمان ولوقود النيران وما بقي من كسارات الكشاب يحزمه الفيلة حزمًا ويبيعونه على الناس بأعلى الأثمان لعدم حطب الوقود ويباشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية فهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره وذلك مع مطالبته بما قرر على أملاكهم ودورهم من الفردة فيجتمع على الشخص الواحد النهب والهدم والمطالبة في آن واحد وبعد أن يدفع ما على داره أو عقاره وما صدق أنه غلق ما عليه إلا وقد دهموه بالهدم فيستغيث فلا يغاث فترى الناس سكارى وحيارى ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم وتولى ذلك أمير الخطة وشيخ الحارة والكتبة والأعوان وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة في كتابة التنايه وهي أوراق صغار باسم الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره بحسب اجتهدهم ورأيهم وعلى هامشها كراء طريق المعينين ويعطون لكل واحد من أولئك القواسم عدة من تلك الأوراق فقبل أن يفتح الإنسان عينيه ما يشعر إلا بالمعين واقف بابه ويده ذلك التنبيه فيوعده حتى ينظر في حاله فلا يجد بداً من دفع حق الطريق فما هو إلا أن يفارقه حتى يأتيه المعين الثاني بتنبيه آخر فيفعل معه كالأول وهكذا على عدد الساعات فإن لم يوجد المطلوب وقف ذلك القواس على داره ورفع صوته وشتتم حريمه أو خادمه فيسعى الشخص جهده حتى يغلق ما تقرر عليه بشفاعه ذي وجهة أو نصراني وما يظن أنه خلص إلا والطلب لاحقه أيضًا بمعين وتنبيه فيقول ما هذا فيقال له إن الفردة لم تكمل وبقي منها كذا وكذا وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة أو

ما سولت لهم أنفسهم فيرى الشخص أن لا بد من ذلك فما هو إلا أن خلص أيضًا إلا وكرة أخرى وهكذا أمرًا مستمرًا ومثل ذلك ما قرر على الملتزمين فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهي المقلقة ونكسات الحمى المطبوعة.

وفي خامسه كان عيد الصليب وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتدال الخريفي وهو أول سنة الفرنسيين وهي السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ويسمى عندهم هذا الشهر وندمير وذلك يوم عيدهم السنوي فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة بالليل وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم الى خارج باب النصر وعملوا مصافهم فقرئ عليهم كلام بلغتهم على عادتهم وكأنه مواعظ حربية ثم رجعوا وفي هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا حتى انقطعت الطرقات وغرقت البلدان وطف الماء من بركة الفيل وسال الى درب الشمسي وكذلك حارة الناصرية وسقطت عدة دور من المطة على الخليج ومكث زائدًا الى آخر توت.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1215 فيه قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون بدفعها في كل سنة أعلى وأوسط وأدنى فالأعلى وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر خمسمائة ريال والأوسط وهو ما كانت خمسمائة فأزيد ثلثمائة ريال والأدنى مائة وخمسون ريالًا وجعلوا الشيخ سليمان الفيومي وكيلًا في ذلك فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنسي الذي يقال له يريدون فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد لأن منهم من لا يملك عشاءه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان وزادت في الخراج واستملوا البلاد والكفور من القبطه فأملوها عليهم حتى الكفور التي خربت من مدة سنين بل سموا أسماء من غير مسميات.

وفيه شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار فيه خصوصي وعمومي على ما سبق شرحه بل هو ديوان واحد مركب من الشيخ الأمير والشيخ الصاوي وكتابه والشيخ موسى السرسى والشيخ تسعة رؤساء هم الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والمهدي كاتب السر خليل البكري والسيد علي الرشيدى نسي ساري عسكر والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسمعيل الزرقاني وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسمعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عربي وقاسم أفندي كاتب رومي وترجمان كبير القس رفائيل وترجمان صغير الياس فخر الشامي والوكيل الكمثاري فوريه ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ومقدم وخمسة قواسم متعممين لا غير وليس فيهم قبلي ولا وجاقلي ولا شامي ولا غير ذلك وليس واختاروا لذلك بيت رشوان بك الذي بحارة عابدين وكان يسكنه برطلمان فانتقل منه الى بيت الجلفي بالخرنفس وعمر وبيض وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشًا فاخرًا وعينوا عشر جلسات في كل شهر وانتقل إليها فوريه وسكنها باتباعه وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنسية مكانًا خاصًا يجلسون به في غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا أيضًا بجانبها دارًا نفذوها إليها وشرعوا في تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر وأخذوا يرتبون أنفارًا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار والكبير على ذلك كله فوريه ولم يتم ذلك المكان الثاني.

وفي خامس عشره شرعوا في جلسة الديوان وصورته أنه إذا تكامل حضور المشايخ يخرج إليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير رفائيل ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان وهو من خشب مقفص وله باب كذلك وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلاف أرباب الحوائج ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق فيحكى صاحب الدعوة قضيته فيترجمها له

الترجمان فإن كانت من القضايا الشرعية فإما أن يتمها قاضي الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها إلى القاضي الكبير بالمحكمة إن احتاج الحال فيها إلى كتابة حجج أو كشف من السجل وإن كانت من غير جنس القضايا الشرعية كأمور الالتزام أو نحو ذلك يقول الوكيل ليس هذا من شغل الديوان فإن ألح على أرباب الديون في ذلك يقول اكتبوا عرضًا لساري عسكر فيكتب الكاتب العربي والسيد اسمعيل يكتب عنده في سجله كل ما قال المدعى عليه وما وقع في ذلك من المناقشة وربما تكلم قاضي الديوان في بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات إلى الأذان أو بعده بقليل بحسب الاقتضاء ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة أربعة عشر ألف فضة في كل شهر عن كل يوم أربعمئة نصف فضة وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء وفي أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان وكاتب السر فطلعت للشرقاوي والمهدي على عادتهما وكذلك الجاويشية والترجمان وكتبت تذكرة من أهل الديوان خطأ بالساري عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان ولما كانت الجلسة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس وأتوا إليه من كل فج يشكون.

وفي ثالث عشرينه أمروا بجمع الشحاذين أي السؤال بمكان وينفق عليهم نظار الأوقاف.

وفيه أيضًا أمروا بضبط إيراد الأوقاف وجمعوا المباشرين لذلك وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا وأرسلوا بذلك إلى حكام البلاد والأقاليم.

وفي غايته حضر رجل إلى الديوان مستغيث بأهله وإن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قائمقام وهو رجل زيات وسبب ذلك أن امرأة جاءت إليه لتشتري سمًا فقال لها لم يكن عندي سمن فكررت عليه حتى حنق منها فقالت له كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملي تريد بذلك السخرية فقال لها نعم رغبًا عن أنفك وأنوف الفرنسيس فنقل عنه مقالته غلام كان معها حتى أنهوه إلى قائمقام فأحضره وحبسه ويقول أبوه أخاف أن يقتلوه فقال الوكيل لا لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئنًا فإن الفرنسية لا يظلمون كل هذا الظلم فلما كان في اليوم الثاني قتل ذلك الرجل ومعه أربعة لا يدري ذنبهم وذهبوا كيوم مضى.

والطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد وأبرزوا أوامر أيضًا بتقرير مليون على الصنائع والحرف يقومون بدفعه في كل سنة قدره مائة ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسة ويكون الدفع على ثلاث مرات كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث وهو إثنتان وستون ألف فرانسة فدهى الناس وتحيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم وأشيع أن يعقوب القبطي تكفل بقبض ذلك من المسلمين ويقلد في ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى واختلفت الروايات فقليل إن قصده أن يجعلها على العقار والدور وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة وذلك عشرها لأن الفردة كانت عشرة ملايين فالذي دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار ثم قيدوا لذلك رجلًا فرنسًا وبقا يقال له دناويل وسموه مدير الحرف فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة أربعة فممن دفع عشرة في الفردة يدفع أربعة الآن فعورض في ذلك بأن هذا غير منقول فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ومن لم يدخل في هذه الفردة كالمشايع والفارين فإن الذي جعل عليهم أضيف على من بقي فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم في شأن ذلك فأروا أن هذا شيء لا طاقة للناس به من وجوه الأول وقف الحال وكساد البضائع وانقطاع الأسفار وقلة ذات اليد وذهاب البقية التي كانت في أيدي الناس في الفرد والدواهي المتتابعة الثاني أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسبين وكل من كان

له اسم في الدفتر من مدة سنين ثم ذهب ما في يده وافتقر حاله وخلا حانوته وكيسه فألزموه بشخص من ذلك وكلفوه به وكتب اسمه في دفتر الدافعين ويلزم ما يلزمهم وليس ذلك في الإمكان الثالث أن الحرفة التي دفعت مثلاً ثلاثين ألفاً يلزمها ثلاث آلاف في السنة على الرأي الأول وعلى الثاني اثنا عشر ألفاً وقد قل عددهم وغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاءهم وخصوصاً إذا ألزموا بذلك المليون فيفر الباقي ويبقى من لا يمكنه الفرار ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل.

وفيه أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء الذين تقلدوا قضاء البلاد من طرف القاضي والذين لم يتقلدوا وأخبر أن السر في ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها له وأنه لا بد من استئناف ولايات القضاة حتى قاضي مصر بالقرعة من ابتداء سنة الفرنسية ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليد من ساري عسكر الكبير فكتبت له القائمة كما أشار.

وفي رابعه قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودي عليهم هذا جزاء من يتداخل في الفرنسيين والعثملي.

وفي سادسه عملت القرعة على طهابل زاد تكرارها ثلاث مرات لقاضي مصر واستقرت للعريشي على ما هو عليه وخرج له التقليد بعد مدة طويلة.

وفي ثامنه قتل غلام وجارية بباب الشعرية ونودي عليهما هذا جزاء من خان وغش وسعى وفي تاسعه حضر جماعة من الوجاقلية الى الديوان وهم يوسف باشا جاويش ومحمد آغا سليم كاتب الجاويشية وعلي آغا يحيى باشا جاويش الجراكسة ومصطفى آغا أبطال ومصطفى كتخدا الرزاز وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقي الفردة المطلوبة من الملتزمين وقدرها خمسة وعشرين ألف ريال وقد استدانوا لذلك قدرًا من البن بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسة ليوفوا ما عليهم من الديون وأنهم أرسلوا الى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج فامتنع الفلاحون من الدفع وأخبروا أن الفرنسية خرجوا عليهم ومنعواهم من دفع المال للملتزمين فكتب لهم عرض حال في شأن ذلك وأرسل الى ساري عسكر ولم يرجع جوابه.

وفي رابع عشره صنع الجنرال بليار المعروف بقائمقام عزومة لمشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ومد لهم أسمطة حافلة وتعشوا عنده ثم ذهبوا الى بيوتهم.

وفي ثاني عشرينه طيف بامرأتين في شوارع مصر بين يدي الحاكم ينادي عليهما هذا جزاء من يبيع الأحرار وذلك أنها باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريالات.

وفيه طلب الخواجة الفرنسي بموسى كافو من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلقها توقف الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنسية وعدم تحصيلهم المال من بلادهم ثم أحيلوا بعد كلام طويل على استيفاء الخازندار لأن ذلك من وظائفه وفي سابع عشرينه حضر الوجاقلية ومعهم بعض الأعيان وحريمات ملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ويقولون إنه بلغنا أن جمهور الفرنسية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذي دفعوا حلوانه ومغارمه ولا يرفع أيدي الملتزمين عن التصرف في الالتزام جملة كافية وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهم عن حصصهم إما لفرارهم وعودهم بالأمان وإما لقصر أيديهم عن الحلوان وإما لشراقي بلادهم وإما لانتظارهم الفرج وعود العثمانيين فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم فلما طال المطال وضاق حال الناس عضروا أمرهم وطلبوا من مراحم الفرنسية الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ليتعيشوا به ووقع في ذلك بحث

طويل ومناقشات يطول شرحها ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروع عنه أيضًا ونزع أيدي المسلمين بالكلية وأنهم يستشفعون بأهل الديوان عند ساري عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم بتعيشون به ويقضون ديونهم التي استدانوها في الحلوان ومغارم الفردة فقال فوريه الوكيل هل بلغكم ذلك من طريق صحيح فقالوا نعم بلغنا من بعض الفرنساوية وقال الشيخ خليل البكري وأنا سمعته من الخازندار وقال الشيخ المهدي مثل ذلك وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور فقال الملتزمون إن بيدنا الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونا بارتة ومن السلاطين السابقين ونوابهم وقائمون بدفع الخراج وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا إلى الخروج من البلد والهجاء وخراب دورهم ويصبحون صعايك ولا يأتهم الناس وطال البحث في ذلك والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ويناقش أخرى إلى أن انتهى الكلام بقوله إن الكلام في هذا وأمثاله ليس من وظيفتي فإني حاكم سياسة الشريعة لا مدبر أمر البلاد نعم من وظيفتي المعاونة والنصح فقط.

وفي خامس عشره اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا إلى النزهة جهة الشيخ قمر ومعهم جماعة آتية يغنون ويضحكون فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنسية المقيمين بالقلعة الظاهرية خارج الحسينية وقبضوا عليهم وجسّوهم وأرسلوا شخصًا منهم إلى شيخ البلد بليار وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم فلقبه ثم رده إلى القلعة الظاهرية ثانيًا فبات عند أصحابه ثم طلبهم في ثاني يوم فذهبوا وصحبهم جماعة من العسكر بالبندق تحرسهم فقابلوه ومن عليهم بالإطلاق وذهبوا إلى منازلهم.

وفيه منعوا الآغا والوالي والمحتسب من عوائدهم على الحرف والمتسبين فإنها اندرجت في أقلام العشور ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور يقبضونها في كل شهر.

واستهل شهر شعبان سنة 1215 فيه أجيب الملتزمون بإبقاء التزامهم عليهم وأنكروا ما قيل في رفع أيديهم وعوتب من صدق هذه الأكذوبة وإن كانت صدرت من الخازندار فإنما كانت على سبيل الهزل أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل.

وفيه حضر التجار إلى الديوان وذكروا أمر المليون وأن قصدهم أن يجعلوه موزعًا على الرؤوس ولا يمكن غير ذلك وطال الكلام والبحث في شأن ذلك ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأي عقلاء المسلمين وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم في ذلك بشرط أن لا يتدخل معهم في هذا الأمر نصراني أو قبضي وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم وأن لا يجعلوا على النساء ولا الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدامين شيئًا وكذلك الفقراء وبراغي في ذلك حال الناس وقدرهم وصناعتهم ومكاسبهم ثم قالوا نرجو أن تضيفوا إلينا بولاقي ومصر القديمة فلم يجابوا إلى ذلك لكونهم جعلوها مستقلين وقرروا عليهما قدرًا آخر خلاف الذي قرروه على مصر.

وفيه لخصوا عرضًا ولطفوا فيه العبارة لساري عسكر فأجيبوا إلى طلبهم ما عدا بولاقي ومصر القديمة وأخرجوا من أرباب الحرف الصيارفة والكيالين والقبانية وجعلوا عليهم بمفردهم ستين ألف ريال خلاف ما يأتي عليهم من المليون أيضًا يقومون بدفعها في كل سنة والسر في تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها أن صناعتهم من غير رأس مال.

وفيه أفردوا ديوانًا لذلك بيت داود كاشف خلف جامع الغورية وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو وأحمد بن محمود محرم وإبراهيم أفندي كاتب البهار وطائفة من الكتبة وشرعوا في تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم وجعلوها طبقات فيقولون فلان من نمرة عشرة أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ومشوا على هذا الاصطلاح.

وفيه أبطلوا عشور الحرير الذي يتوجه من دمياط الى المحلة الكبرى.

وفيه أرسل ساري عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون في الأسواق ويكشفون غوراتهم ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية وتعتقدهم العامة ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جائز عندكم في دينكم أو هو محرم فأجابوه بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وستتنا فشكرهم على ذلك وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يروونه كذلك فإن كان مجنونًا ربط بالمارستان أو غير مجنون فإما أن يرجع عن حالته.

وفيه أرسل رئيس الأطباء الفرنسي نسيًا من رسالة ألفها في علاج الجدري لأرباب الديوان لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العصال فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جوابًا شكرًا له على ذلك وهي رسالة لا بأس بها في بابها. وفي

حادي عشره وجدت امرأة مقتولة

بغيط عمر كاشف بالقرب من قناطر السباع فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضي والآغا وأخذوا الغيطانية وحبسوها وكان بصحبتهما أيضًا القبطان الحاكم بالخط ولم يظهر القاتل ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام.

وفيه كمل المكان الذي أنشؤوه بالأزبكية عند المكان المعروف بباب الهواء وهو المسمى في لغتهم بالكمرى وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشر ليال واحدة يتفرجون به على ملاعب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلية والملاهي مقدار أربع ساعات من الليل وذلك بلغتهم ولا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة وهيئة مخصوصة.

وفي سادس عشره ذكروا في الديوان أن ساري عسكر أمر وكيل الديوان أنه يذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ومن يولد من المسلمين وأخبرهم أن ساري عسكر بونابارته كان في عزمه ذلك وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويرتبه وبديره ويعمل له جامكية وافرة فلم يتم مرامه والآن يريد تتميم ذلك ويطلب منه التدبير في ذلك وكيف يكون وذكر لهم أن في ذلك حكمًا وفوائد منها ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار فقال بعض الحاضرين وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضًا ثم اتفق الرأي على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنساء القوابل وما في معنى ذلك ثم ذكر الوكيل أن ساري عسكر ولد له مولود فينبغي أن تكتبوا له تهنئة بذلك المولود الذي ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية وجوابًا عن هذا الرأي فكتبوا ذلك في ورقة كبيرة وأوصلها إليه الوكيل فوریه.

وفي غايته سقطت منارة جامع قوصون سقط نصفها الأعلى فهدم جانبًا من بوائك الجامع ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات وبقي مسندًا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود.

واستهل شهر رمضان سنة 1215 ثبت هلاله ليلة الجمعة وعملت الرؤية وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك نظير عوائده التي كان يصرفها في لوازم الركبة.

وفي خامسه وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة التي كانت صنعت على يد مصطفى آغا كتحدا الباشا وكملة بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل الأريب الأديب الناظم الناصر السيد اسمعيل الشهير بالخشاب ووضعت في مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني

وأهمل أمرها الى حد تاريخه وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخبر السقف من المطر فقال الوكيل إن ساري عسكر قصده التوجه بصحبكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسيني ويكشف عنها فإن وجد بها خللاً أصلحه ثم يعيدها كما كانت وبعد ذلك يشرع في إرسالها الى مكانها بمكة وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنسية فقالوا لهم شأنكم وما تريدون وقرئ في المجلس فرمان بمضمون ذلك.

وفي ذلك اليوم قرئ فرمان مضمونه أنه وردت مكاتبات من فرانساً بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس بشروط ممضاة مرضية وقد أطلقا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة فمن سافر له الحماية والصيانة في ذهابه وإيابه وإقامته باسم دولة الجمهور الفرنسية الى آخره ولم يظهر لذلك أثر.

وفيه قرئ تقليد الشيخ أحمد العريشي بقضاء مصر ووصل أيضاً تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندي عبد القادر وأبيار للعلامة الشيخ رضوان نجا ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيد وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر وقرئ ذلك بالديوان ولم يحصل بعد ذلك غيرهم فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد بليار الى العريشي ومشايخ الديوان والوجاقية فلما تكاملوا خلع على القاضي العريشي فروة سمور بولايته القضاء وركب بصحبته الجميع وجملة من العساكر الفرنسية وشيخ البلد بجانبه ومشوا من وسط المدينة الى أن وصلوا المحكمة بين القصرين فجلسوا ساعة من النهار وقرئ تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان فوريه ثم رجعوا الى منازلهم.

وفي يوم الخميس الموعد بذكره توجه الوكيل ومشايخ الديوان الى المشهد الحسيني لانتظار حضور ساري عسكر الفرنسيين بسبب الكشف على الكسوة وازدحم الناس زيادة على عادتهم في الازدحام في رمضان فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد العبور للمسجد رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول وخاف من العبور وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له هذه عادة الناس في نهار رمضان يزدهمون دائماً على هذه الصورة في المسجد ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم فركب فرسه ثانية وكر راجعاً وقال نأتي في يوم آخر وانصرف حيث جاء وانصرفوا.

وفي ليلة السبت تاسعه حصلت كائنة سيدي محمود وأخيه سيدي محمد المعروف بأبي دفية وذلك أن سيدي محمود المذكور كان بينه وبين علي باشا الطرابلسي صداقة ومحبة أيام إقامته بالجيزة وحج صحبته في سنة تسع ومائتين وألف فلما وقعت حادثة الفرنسية وخرج علي باشا المذكور مع من خرج الى الشام ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير في العام الماضي وصحبته علي باشا المذكور وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع في المشورة لخبرته بالأقطار المصرية ومعرفته أهالي البلاد استثاره في شخص يعرفه يكون عيئاً بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار فأشار عليه بمحمود أفندي المذكور فكانوا يرسلونه ويطالعههم بالأخبار سرّاً فلما قدموا الى مصر في السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح ورجوع الوزير ولم يزل سيدي محمود تأتية المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقي أيضاً ولأن علي باشا ارتحل الى الديار الرومية فيطالعههم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفاً من سطوة الفرنسية وتجنس عيونهم المقيدة لذلك فكان يذهب القاصد ويرد له الجواب فلما كان في التاريخ ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنسية وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها في أماكن معينة حيث سكن الفرنسية فوزع اثنين وقصد وضع الثالثة في موضع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك إلا ليلاً فأعطاهما خادمه وأمره أن يشكها بمسماً في حائط ذلك المكان وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب ففعل وتلكاً في الذهاب فاطلع

عليه بعض الفرنسيين من أعلى الدار فنزل إليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم وصادف ذلك مرور حسن القلق وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجهة عند الفرنسيين فاعتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنسيين وسيدته ينظر إليه من بعيد وعلم أنه وقع في خطب لا ينجيه منه إلا الفرار فرفع إلى داره وتناجي مع أخيه واستشاره فيما وقع فيه وكيف يكون العمل فأشار عليه بالاختفاء ويستمر أخوه بالمنزل مستهدفاً للقضاء وليكون وقاية على منزله وعرضه وليس هو مقصوداً بالذات فكان كذلك وتغيب سيدي محمود وأصبح الطلب قاصده فلما لم يجده قبضوا على أخيه سيدي محمد أفندي ومن كان معه بالبيت وهو الشيخ خليل المنير وقرابته اسمعيل حليبي ونسيبه البرنوسي والسقاء وشيخ حارثهم وحسوههم ببيت قائم مقام وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولاً وأوقفوا حرساً بدارهم واجتهدوا في الفحص عن سيدي محمود وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أياماً فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبات ثم أصددهم إلى القلعة وضيّقوا عليهم وأرسلوا خلف الشواربي شيخ قلوب ومن كان ينتقل عندهم وألزمهم بإحضاره فأنكروه وجحدوه ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة وجعلوا له ألفاً إن دلهم عليه وقيّدوا به عيئاً يتبعه أينما توجه فاستمر أياماً يغدو ويروح في مظناته فلما لم يقع له على خبر فردوه إلى السجن ثانياً عند أصحابه ولم يزالوا حتى فرج الله عنهم وأما المطلوب فوقع له مزيد المشقة في مدة اختفائه وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العريان وغيرهم وتنكروا منه ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبي حلاوة وأولاده بناحية أمية بالقلوبية باطلاع الشواربي فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ولم يزل مقيماً عندهم في غاية الإكرام حتى فرج الله عنه.

ولما كان يوم الخميس رابع عشره تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة استوفوا خازن دار الجمهور وفوريه وكيل الديوان فحضر صحبتهم المشايخ والقاضي والآغا والوالي والمحتسب بعدما أخلى المسجد من الناس وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين وجلوا رباطاتها وكشفوا عليها فوجدوا بها بعض خلل فأمرُوا بإصلاحه ورسموا لذلك ثلاثة آلاف فضة وكذلك رسموا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة وخدمة الضريح ألف نصف ثم ركبوا إلى منازلهم ثم طويت ووضعت في مكانها بعد إصلاحها.

وفي رابع عشرينه ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فراسن افههما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابارته أغار على بلاد النيمسا وحاربهم وحاصرهم وضايقهم وأنهم نزلوا على حكمه وبقي الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح وأنه استغنى عن هذه الأشياء المرسله وسيأتي في أثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت في حكم الفرنسيين لا يشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا وقرؤوه في ورقة بالديوان.

واستهل شهر شوال سنة 1215 فيه بدا أمر الطاعون فانزعج الفرنسيين من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وفي ثامنه قال وكيل الديوان للمشايخ إن حضرة ساري عسكر بعث إلي كتاباً معناه إيضاح ما يتعلق بأمر الكرتينه ويرى رأيكم في ذلك وهل توافقون على رأي الفرنسيين أم تخالفون فقالوا حتى ننظر ما هو المقصود فقال حضرة أرباب الديون يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذي يكون سبباً لانقطاع هذه العلة فإننا نبغي لهم ولغيرهم الخير فإن أجابوا فذاك وإلا فليزموا ولو قهراً وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ومن الذي يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الداء فإن رأينا قد انعقد على ذلك ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان لأن حفظ الصحة واجب ولذا نرى كثيراً من الناس ولاسيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد اعتمدوا فعل الكرتينة الآن فعلماء القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط إذ قد ربطت الأسباب

بالمسببات فقليل له وما الذي تأمرون به أن يفعل فقال هو الحذر لا غير وهو الغاية والنتيجة وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتاً ألا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به وخدمة المريض وعلاجه وسيوضح لكم ذلك فيما بعد يعني أن تدعوا للطاعة وعدم المخالفة وظل البحث والمناقشة في ذلك بين أرباب الديوان والوكيل وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض ساري عسكر في ذلك ثم يدبرون أمراً وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية وفي ثالث عشره ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها.

وفي رابع عشره قرئ فرمان من ساري عسكر بالديوان وألصقت منه نسخ في مفارق الطرق والأسواق.

ونصه: بعد البسملة والحمدلة من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى كامل الأهالي كبير وصغير غني وفقير المقيمين حالاً بمحروسة مصر وبمملكة مصر الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ولا يفتشون إلا على الإضرار بالناس وإضراركم يظهرهم في وسط المدينة بينكم أخباراً رديئة تزويراً لتخويفكم وتخويف المملكة وكل ذلك كذب وافتراء فإنما نحن نخبركم جميعاً أن كلاً من الأهالي المذكورة من أي طائفة وملة كان الذي يثبت عليه بالإشهاد أو النشر من نفسه بينكم تلك الأخبار الرديئة المكذوبة تخويفاً لكم وإضلالاً بالناس ففي الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبتة بوسط واحدة طرق مصر وبأهالي مصر انتهوا وتذكروا هذه الكلمات وكونوا مسترحين البال ومترفهين الحال إنما دولة الجمهور فرنساوي حاضرة لحمايتكم وصيانتكم ولكن ناظر كذلك الى تعذيب العصاة والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة تحرير في شهر وافثور سنة تسع الموافق لحادي عشر شهر شوال انتهى.

فعلم الناس من ذلك فرمان ورود شيء وحصول شيء على حد كاد المرتاب أن يقول خذني وليس للناس ذكر ولا فكر إلا في بواقي الفردة وما لزمهم في المليون ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدي محمود أبي دفية باللغة فرنساوية التي تقدم ذكرها واشتهر أيضاً أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب انكليز جهة أبي قير وفي ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأي شيء فقال لا بد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك في هذا المجلس وهو أن فرنساوية كانت تحارب القرانات والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ما عدا الانكليز فإنه الآن مضيق عليه وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول في الصلح وقد خرج من فرنسا عمارة ربما توجهت على الهند وربما أنهم يقدمون الى مصر وقد وصل لساري عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التي تحمل الذخائر الى فرنساوية وأن يمكنهم من دخول اسكندرية وقد خرج سنة غلايين من فرنسا الى بحر الهند فربما قدموا بعد ذلك الى جهة السويس وبورود هذه الأخبار تعين خلوص مصر الى جمهور فرنساوية وفي سالف الزمان كانت جميع القرانات التي بالجهة الشمالية ضدًا للفرنساوية وقد زالت الآن هذه الضدية ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرفاة والنظر بالملاطفة للرعية والذي أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب ولو دامت المسالمة لما وقع شيء من هذا فقال بعض أهل الديوان سنة الملوك العفو والصفح وما مضى لإبعاد فارحموا واعفوا عما سلف فقال الوكيل قد وقع الامتحان ولم يبق إلا السلم والمسامحة.

وفيه قبضوا على القلق المعروف بعمر آغا وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرياً وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما علي جليبي والآخر مصطفى جليبي وسجنا بالقلعة وسبب ذلك أنه حضر الى مصطفى جليبي مكتوب من نسييه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج فقرئ ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر فوشي بهم رجل قواس

فقبضوا على الجميع وكان مصطفى جليبي المذكور سكن بيته محمد أفندي ثاني قلعة فدخلوا يفتشون عليه في الدار فلم يجدوه فألزموا به محمد أفندي المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوع عن محمد أفندي بل استمر معهم في الترسيم ووجدوا مكانًا بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه وانتهبت الدار والحارة وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله ثم فرج الله عن محمد أفندي بعد ثلاثة أيام وأطلق عمر القلق لظهور براءته ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت وانتقل محمد أفندي من تلك الدار وما صدق بخلاصة منها وبقي علي جليبي ومصطفى جليبي في الحبس وفي سابع عشره استفيضت وفي ثامن عشره خرج جملة من العسكر الفرنسية وسافروا الى الجهة البحرية برًا وبحرًا.

وفي عشرينه اجتمع أهل الديوان فيه على العادة فبدأ الوكيل يقول إنه كان يظن أنه يكون حرب ولكن وردت أخبار أن المراكب التي حضرت الى اسكندرية وهي نحو مائة وعشرين مركبًا قد رجعت فليل له وما هذه المراكب فقال مراكب فيها طائفة من الانكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار إلا قليل جدًا وباقيها صغار تحمل الذخيرة ثم قال إن حضرة ساري عسكر قد كان وجه إليكم فرمائيًا في شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هناك حربًا ولكن من حيث كونه قد برز الى الوجود فينبغي أن يتلى علي مسامعكم ثم أمر رفائل الترجمان بقراءته ونصه: من عبد الله جاك منو سر عسكر أمين عام جيوش دولة جمهور الفرنسية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا الى جميع الكبير والصغير الأغنياء والفقراء المشايخ والعلماء وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالي بر مصر سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر في أربعة عشر شهر وتوز سنة تسع من قيام الجمهور الفرنسية واحد ولا ينقسم ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة وتحت أن الله هو هادي الجنود ويعطي النصر لمن يشاء والسيف الصليل في يد ملاكه يسابق دائمًا الفرنسية ويضمحل أعداؤهم أن الانكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر في كل المواضع فهم ظهروا في السواحل وإن كان يتجروا يضعوا أرجلهم في البر فيرتدوا في الحال على أعقابهم في البحر والعثمانيين متحركين كهؤلاء الانكليزية يعملون أيضًا بعض حركات فإن كان يقدموا ففي الحال يرددوا وينقلعوا في غبار وعفار البادية فأنتم يا أهالي مملكة ومحروسة مصر إني أنا أخبركم إن كان تسلكوا في طريق الخائفين الله وتبقوا مستريحين في بيوتكم ومقيمين كما كنتم في أشغالكم وأغراضكم فحينئذ لا خوف عليكم ولكن إن كان واحد منكم يسلك للفساد وإضلالكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنسية فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمي تلك الساعة فتذكروا في كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة وجرى دماء أفانكم ونسائكم وأولادكم في كل مملكة مصر وخصوصًا محروسة مصر وخواصكم انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد فأدخلوا في عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن والسلام على كل من هو في طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ممضي خالص الفؤاد عبد الله جاك منو.

وفي ذلك اليوم عملوا شنكًا وضربوا عدة مدافع من القلاع فارتاع الناس لذلك واضطربوا اضطرابًا شديدًا فسئل من الفرنسيين فأخبروا أن ذلك سرور بقدم مركبين من فرانسة الى اسكندرية.

وفي ذلك اليوم أيضًا وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب الى أبي قير شحت الخلال وارتفعت من الرقع على العادة وزادت أثمانها فتفاوضوا في شأن ذلك وأنه لابد من الاعتناء من الحكام وزجر

الباعة وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل ولما قرئ الفرمان المذكور قال بعض الحاضرين العقلاء لا يسعون في الفساد وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم فقال الوكيل ينبغي للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين فإن البلاء يعم المفسد وغيره فقال بعضهم هذا ليس بجيد بل العقاب لا يكون إلا على المذنب قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وقال آخر من أهل المجلس ولا تزروا وزرة وزر أخرى فقال الوكيل المفسدون فيما تقدم وهاجوا الفتنة فعمت العقوبة والمدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فإنها لا تقرأ القرآن وقال آخر المخلص نيته تخلصه فقال الوكيل إن المصلح من يشمل صلاحه الرعية فإن صلاحه في حد ذاته يخصه فقط والثاني أكبر نفعًا وطال البحث والمناقشة في نحو ذلك فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من ساري عسكر إلى وكيل الديوان فارسل خلف الشيخ اسمعيل الزرقاني فاستداعه وسلمه إليه وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان في بيوتهم فيقرؤه وهو مبني على جواب المناقشة المذكورة وصورته بعد البسملة والجلالة من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ومظاهرها حكومتها ببر مصر حالاً إلى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضائلهم وألهمهم الحكمة الواجبة لإجراء فرائضهم نرسل لحضراتكم يا مشايخ وبأعلماء الكرام نداء جديداً خطاباً إلى جميع أهالي مملكة مصر وخصوصاً أهل محروسة مصر ولا شبهة لي في تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغير ذلك تذكروا أن هذا التنبيه هو غرضكم إنما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور فرنساوي فيبقى في عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخيرة تفهموا بناء على ذلك كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق لاه إن كان يصير أصغر الحركات فلا بد ثقلها يقع على رؤوسكم وغير ذلك ورد لنا في الحال أخبار من فرانساً أنه كملت المصالحة مع إمبراطور النمسا وأن قيصر روسيا ييزو أقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام.

ولما أصبح ثاني يوم اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوي وحضر الآغا والوالي والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم وأن لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وأنهم هم المأخوذون بذلك كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم فالعقل يشتغل بما يعنيه على أنه لم يبق في الناس إلا رسوم هافنة وانفصلوا على ذلك هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد وبث المعينين من القواسمة والفرنساوية في المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة والتشديد في أمر الكرنتينة وإزعاج الناس من ذلك وخوفهم من حصول الطاعون وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء في مكان كشفوا عليه فإن كان مريضاً بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتينة عندهم وانقطع خبره عن أهله إلا أن كان له أجل باق وبشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحاً وإلا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلاً ولا يدرى خبره لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتينة ودفنوه بشيابه في حفرة وردموا عليه التراب وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ويحرقون ثيابه التي تختص به ويقف على بابه حرس فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرنتنوه وإن مات الشخص في بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه فإن قرب منه أحد كرتنوه في الحال وبعد دفنه يكرنتنون على كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن فلا يخرجون إلا لخدمة أخرى مثلها بشرط لا مساس فهاهنا الناس هذا الفعل واستبشعوه وأخذوا في الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك والتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب إلى أبي قير وتحذر فرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة.

وفي تاسع عشره خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم وذهبوا الى جهة الشرق وأشيع حضور عرضي العثمانية ووصولهم الى العريش صحة يوسف باشا الوزير.

وفيه أصدوا الشيخ السادات الى القلعة من غير إهانة.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه قبضوا أيضًا على حسن آغا المحتسب وأصدوه الى القلعة أيضًا بشخص يخدمه فحبسوه بالبرج الكبير فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه فقال لم يكن إلا الحذر من إثارة تلك الفتن في البلد وإهانة العامة لبغضك الفرنسيين لما سبق لك منهم من الإيذاء وأما المحتسب فإن الشيخ البكري والسيد أحمد الزور ذهبا الى قائمقام والى ساري عسكر وتكلما في شأنه فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه فقال إننا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا في قبض المليون ولا نعرف له ذنبًا يوجب حبسه لأنه ناصح في خدمة الفرنسيين فقالا على لسان الترجمان الله يعلم ذنبه وساري عسكر وهو أيضًا يعلم ذلك من نفسه ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره فكان كتخذه يركب مع الآغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة وفيه نادوا في الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتينه وأن من مات لا تحرق إلا ثيابه التي على بدنه لا غير وكان أشيع في الناس ما تقدم وزادوا على ذلك حرق الدار التي يموت فيها أيضًا وأن قصدهم أيضًا عمل كرنتينه على البلد بتمامها فحصل من هذا المشاع في الناس كرب عظيم ووهم جسيم فنودي بذلك ليسكن روع الناس.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه أرسل كبير الفرنسيين وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا الى منزله فأعلمهم أنه مسافر الى بحري وترك بمصر قائمقام بليار وجملة من العسكر والكتبة والمهندسي وأوصاهم بأن يكون نظريهم على البلد وكان في العزم حبسهم رهينة فاستثار في ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك وركب من فوره مسافرًا ولم يرجع من هذه السفارة الى مصر وحضر الجماعة الى اديوان واجتمعوا بالوكيل فوريه فأخبرهم أنه حضر الى ناحية أبي قبر طائفة من الانكليز وصحبته طائفة من المالطية وأخرى نابلطية وطلعوا الى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء وأن الفرنسيين محيطون بهم من كل جهة.

وفي سابع عشرينه رجعت العساكر التي كانت توجهت الى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم وصحبته ساري عسكر الشرقية رينه فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم برًا وبحرًا أو أخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الصالحية وأرسلوا هجانة الى العريش فلم يجدوا أحدًا فكروا راجعين وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقًا وأصل الخبر أن ساري عسكر رينه كاشف القليوبية والشرقية أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقليزم فأرسل بخبر ذلك الى ساري عسكر منو ويقول له في ضمن ذلك ويشير عليه بأن يتوجه صحة جانب من العسكر ويحصن نواحي الاسكندرية خوفًا من ورود الانكليز تلك الناحية وأن رينه يتكفل له بمن يرد الى ناحية الشرق وأكد عليه في ذلك فأجابه ساري عسكر بقوله إن الانكليز لا يأتون من هذه الناحية وأنهم يأتون من ساحل الشام ويأمره الارتحال والذهاب الى الصالحية يربط فيها فتوانى في الحركة وأرسل إليه ثانيًا بمعنى الجواب الأول وبحته على تحصين ثغور الاسكندرية وترددت بينهما المراسلات في ذلك ومضت أيام فيما بين ذلك فورد الخبر للفرنساوية ورود مراكب الانكليز وتردادها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها فكتب ساري عسكر منو يقول لرينه إنهم تراؤوا ليوهموا بأن قصدهم ورود الاسكندرية ثم غابوا وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ويستحثه على الرحلة والذهاب الى الصالحية فلم يسعه إلا الامتثال والارتحال وكتب إليه كتابًا يقول فيه إنهم لا يريدون إلا ثغر الاسكندرية وإنما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم وأنه رحل امتثالًا للأمر ويشير عليه هو أيضًا بعدم تأخره

عن الذهاب الى الاسكندرية ويقبل إشارته فلم يستمع وتأخر عن ذلك ورحل رينه الى جهة البركة ولم يستعجل الذهاب ثم انتقل الى الزوامل ثم الى بلبس وفي كل يوم ووقت يرسل إليه ساري عسكر منو وبأمره بالذهاب الى الصالحية وهو يتلکأ في الرحيل ثم أرسل له آخرًا يقول له إنه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك الى القدوم ويحتم عليه في الرحيل الى الصالحية فعند ذلك جمع رينه سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك وسفه رأيه وأن هذا الخبر لا أصل له وأنا أعلم أننا لا نصل الى الصالحية حتى يأتي الخبر بخلاف ذلك وبأيتنا الأمر بالرجوع والذهاب الى الاسكندرية فلا نستفيد إلا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القرين في ثلاثة أيام وإذا بمراسلة ساري عسكر منو الى رينه يخبره بأن الانكليز وصلوا الى أبي قير وطلعوا الى البر وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية وظهروا عليهم ويستعجله في الرجوع والذهاب الى الاسكندرية فقال رينه هذا ما كنت أخمنه وأظنه وارتحل راجعًا وعدى على بر انبابة بعساكره وتقدم ساري عسكر منو وسبقه الى الاسكندرية.

شهر القعدة سنة 1215

في ثلثه أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لساري عسكر مكتوبًا بالسلام ففعلوا ما أمروا به.

وفي سادسه توفي محمد آغا مستحفظان مطعونًا مرض يوم السبت وتوفي ليلة الأحد فوضعه في نعش وخرج به الحمالون لا غير وأمامه الطرادون ولم يعملوا له مشهدًا ولا جماعة وكترتوا داره وأغلقوها على من فيها ولم يقلدوا عواضه أحدًا بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضًا عنه وذلك بمعونة نصر الله النصراني ترجمان قائمقام فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسبًا فكان ذلك من جملة النوادر والعبر فإن عبد العال هذا كان من أسافل العامة وكان أجبر البعض من نصارى الشوام بخان الحمزاوي يخدمه ثم توسط بمصطفى آغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية فجعله كتحداه ومشيره فلما تولى محمد آغا تقيد معه كما كان مع مصطفى آغا ولكن دون الحالة التي كان عليها مع ذلك لصاحية محمد آغا المقتول فلما توفي في هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لإشغال الفرنساوية بما هو الأهم من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه أشيع في الناس وصول العثمانيين الى ناحية غزة وأن جواسيسهم وصلوا الى العريش وقدمت الهجانة الى الفرنساوية بالخبر فلما كان عشاء تلك الليلة طلبوا المشايخ الى الديوان فلما تكامل حضورهم حضر فوريه الوكيل وصحبته آخر من الفرنسيين من طرف قائمقام فتكلم فوريه كلامًا كثيرًا ليزيل عنهم الوهم ويؤانسهم بزخرف القول كقوله إنه يحب المسلمين ويميل بطبعه إليهم وخصوصًا العلماء وأهل الفضائل ويفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ولا يحب لهم إلا الخير وسياسة الأحكام تقتضي بعض الأمور المخالفة للمزاج وأن ساري عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسومًا وأمرهم بإجرائها والمشي عليها في أوقاتها وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ويتركهم في الترسيم رهينة عن المسلمين فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا الى أبي قير ليسوا من المسلمين وإنما هم انكليزية ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضًا وليسوا من ملتهم حتى يتعصبوا من أجلهم والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان وذلك من قوانين الحروب عندنا بل وعندكم ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم والوكيل دائمًا نظره معهم ولا يغفل عن تعليل مزاجهم في كل وقت ويوم ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرقاوي والشيخ المهدي والشيخ الصاوي والشيخ الفيومي فاصعدوهم الى

القلعة في الساعة الرابعة من الليل مكرمين وأجلسوهم بجامع سارية ونقلوا الى مكانهم الشيخ السادات فاستمر معهم بالمسجد وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم اليكري والأمير السرسى وكاتبه أن يكون نظركم على البلد ويجمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضررهم معززون مكرمون وأطلقوا لكل شيخ منهم خادمًا يطلع إليه وينزل ليقضي له أشغاله وما يحتاج إليه من منزله والذي يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالإذن من قائم مقام ويطلع بها فلا يمنع وكذلك أصدوا ابراهيم أفندي كاتب البهار وأحمد ابن محمود محرم وحسين قرا ابراهيم وبوسف باشجاويش تفكجيان وعلي كتحدا يحيى أغات الجراكسة ومصطفى آغا أبطال وعلي كتحدا النجدلي ومحمد أفندي سليم ومصطفى أفندي جمليان ورضوان كاشف الشعراوي وغيرهم وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظركم الى البلدة والعامه وأنهم يترددون على بليار قائم مقام ويعلمونه بالأمر التي ينشأ عنها الشرور والفتن وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه وكذلك كسرة الفردة ونفس الله عن الناس وكذلك تسوئل في أمر الكرنتينة وإجازة الأموات وعدم الكشف عليهم وتصديق الناس بما يخبرون به في مرض من يموت وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم الى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلا ونهارًا والطاعون متعلق فيهم ويموت منهم العدة الكثيرة في كل يوم.

وفي حادي عشره أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومي وأنزلوا من القلعة ليكون مع من لم يحبس وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور الى الديوان على عادتهم ولا يهملونه فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ولا يرد عليهم إلا القليل من الدعاوى ثم ينصرفون الى منازلهم وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشي القاضي بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك وذلك حفظًا للناموس لا غير.

وفي ثالث عشره نقل الكمثاري فوريه الوكيل متاعه الى القلعة وصعد إليها فلم ينزل وأرسل الى الشيخ سليمان الفيومي تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه في مكان بداره ففعل ما أمره به ولم يتركوا به إلا الحصر وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون.

وفي رابع عشره نقلوا حسن آغا المحتسب من البرج الى جامع سارية صحبة المشايخ وكذلك فوريه الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور وأظهر أن قصده مؤانستهم وليس إلا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيين وكثرة ما نقلوه إليها من الأمتعة والذخائر والفلال والأحطاب مع ما هدموه من أماكنها حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها فكانوا ينزلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات.

وفي تاسع عشره ورد مكتوب من كبير الفرنسيين من ناحية اسكندرية مؤرخ بثالث عشر القعدة وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره وصورته بعد الصدر المعتاد من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش فرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالًا الى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله فضائلهم ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور ما فصلتم لنا به وثبت من مفهومنا صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهور فرنساوية ودمتم حضراتكم وكافة أهالي مصر بالحمية والاستقامة الموعودة ومعلوم على فضائلكم أن الله يهدي كلا فما النصر إلا منه ووضعت عليه اعتمادي وما توفيقى إلا به وبرسوله الكريم عليه السلام الدائم وإن ابتغيت النصره فما هو إلا لسهولة خيراتى الى بر مصر وسكان ولايتها وخير أمور أهلها والله تعالى يكون دائماً معكم وبكرم وجوهكم بالسلامة.

وفيه سمع ونقل عن بعض الفرنسيين أنه وقع الحرب بين فرنسا وفرنساوية والانكليزية وكانت الهزيمة على فرنسا وفرنساوية وقتل بينهم مقتلة كبيرة وانحازوا الى داخل الاسكندرية ووقع بينهم الاختلاف واتهم منو ساري عسكر رينه وداماص ورايه منهما ما رابه وكان سبباً لهزيمته فيما يظن ويعتقد فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما وذلك أن رينه وداماص لما ذهبا على الصورة المتقدمة ونظر رينه وأرسل من كشف على متاريس الانكليز فوجدها في غاية الوضع والإتقان فاجتمعوا للمشورة على عادتهم ودبروا بينهم أمر المحاربة فرأى ساري عسكر منو رايه فلم يعجب رينه ذلك الرأي وإن فعلنا ذلك وقعت الغلبة علينا وإنما الرأي عندي كذا وكذا ووافق على ذلك داماص وكثير من عقلائهم فلم يرض بذلك منو وقال أنا ساري عسكر وقد رأيت رأيي فلم يسعهم مخالفته وفعلوا ما أمر به ف وقعت عليهم الهزيمة وقتل منهم في تلك الليلة خمسة عشر ألفاً وتنحى رينه وداماص ناحية ولم يدخلوا في الحرب بعسكرهما فاعتاظ منه ونسبهما للخيانة والمخامرة عليه وتسفيههم لرأيه وأكد ذلك عنده أنهما لما حضرا الى الاسكندرية أخذوا معهما أثقالهما وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأي كبيرهما فاشتد إنكاره عليهما وعزل عنهما العسكر وحبسهما ثم أطلقهما ونزلا الى المراكب مع عدة من أكابرهم وسافر الى بلادهما وكان منو أرسل الى بونابارته يخبر عن ورود الانكليز ويستجده فأرسل إليه عسكرًا فصادفوا الجماعة المذكورين في الطريق فأخبروهم عن الواقع وردوهم من أثناء الطريق وقد أشاروا لذلك في بعض مكاتباتهم وأخبر أيضًا المخبرون أن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق الاسكندرية وصارت جميعها لجة ماء ولم يبق لهم طريق مسلوكة إلا من جهة العجمي الى البرية وأن الانكليز تترسوا اقبالهم من جهة الباب الغربي.

وفيه ورد الخبر بأن حسين باشا القبطان ورد بعساكره جهة أبي قير وطلع عسكره من المراكب الى البر وقويت القرائن الدالة على صحة هذه الأخبار وظهرت لوائح ذلك الفرنسيين مع شدة تجلدهم وكتمان أمرهم وتنميق كلامهم.

وفيه سدوا باب البرقية المعروف بباب الغرب وبنوه فضاك خناق الناس بسبب الخروج الى القرافة بالأموات فكان الذي مدفنه ببستان المجاورين يخرج بجنازته من باب النصر ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة حتى ينتهوا الى مدفنهم فحصل للناس مشقة شديدة وخصوصًا مع كثرة الأموات فكل يوم الأحد حادي عشرينه بعض المشايخ قائمقام في شأن ذلك فأرسل الى قبطان الحنطة ففتح بابًا صغيرًا من حائط السور جهة كفر الطماعين على قدر النعش والحمالين والمشاة.

وفي ثاني عشرينه سافر جماعة من أعيان فرنسا وفرنساوية الى جهة بحري وهم استوف الخازندار العام ومدير الحدود وفوريه وكيل الديوان وشنانيلو مدبر أملاك الجمهور وبرانار وكيل دار الدرب وريج خازندار دار الضرب ولابرت رئيس مدرسة المكتب وحافظ سجلاتهم وكتبهم وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط وفيهم جرجس الجوهري وأشيع في الناس بأن سفرهما لتقرير الصلح وليس كذلك.

وفي ثالث عشرينه توكل بحضور الديوان كمثاري يقال له جيران.

وحضر يوم الجمعة سادس عشرينه بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل العمدة السيد اسمعيل المعروف بالخشاب وحضرة قاسم أفندي أمين الدين كاتب الديوان فلما استقر به الجلوس أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منو باللغة الفرنسية مضمونه أنه مقيم بسكندرية وهو مؤرخ بعشرين القعدة ومثل ذلك من الكلام فارغ.

وفيه قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيين وذهبوا بهم الى بيت قائمقام فاستفسر منهم فاختل كلامهم وتبين كذبهم فأمر بحبسهم.

وفيه حضر جماعة من الفرنسيين من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ومروا في شارع المدينة ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار ولم يعلم سبب قدومهم ثم تبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية وبعد أيام حضر أيضاً الذين كانوا بالقرين وكذلك الذين كانوا ببليس وناحية الشرق شيئاً بعد شيء.

شهر ذي الحجة الحرام سنة 1215 فيه حصل الاجتماع بالديوان وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس منها أنه قد مات جماعة من كبار الانكليز وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون إلى بلادهم وأن العطش مضارهم وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات فأجيب بأن البلد مطمئنة والرعية ساكنة والغلال موجودة فقال لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة.

وفيه أشيع أن الانكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها وحاربوا من كان بها من الفرنسيين حتى أجلوهم عنها ودخلوها.

وفي ذلك اليوم قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم وذلك من فعل عبد العال الآغا.

وفيه أمر بليار قائمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ويمرون بشوارع المدينة فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ومرة الشيخ سليمان الفيومي وذلك لتطمئن الرعية.

وفي سادسه قرئ مكتوب زعموا أنه حضر من ساري عسكر منو من جهة الاسندرية وصورته بعد البسلمة والجلالة والصدر المعتاد الى حضرات كافة المشايخ العلماء الكرام المستشارين بمحفل اديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضائلهم وما النصره إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدائم العساكر الفرنسية والانكليزية هما الى هذا الآن حصيران قبلهما فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ولأجل انتظامها أن سلطان الروسية المحمية أعلن ببواسطة مرسله الى حضرة السلطان سليم أذن الأمر الى عساكره لأجل مايتجانبوا ويتراووا ويخلو من بر مصر جميعاً وإلا لابد من سلطان الروسيات الجمعية الإقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطابه الى عساكره لتخليه بر مصر ولكامل من بالبر المذكور لكي وثم ولكن ذهب الانكليزية كفاً للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية ويتقديم امتثالهم الى أوامر سلطانهم فأعلنوا وأخبروا كل ذلك الى أهالي مصر فانتظموا كما كنتم دائماً بالخير واعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنسية والله تعالى يديم فضائلكم عن الإلهام بالخير والسلامات حرر في الخامس والعشرين من شهر جرمينال سنة تسعة الموافق لثلاثة ذي الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر وكتب بالفاظه وحروفه من خط منشئه لوماكا الترجمان ثم قال الترجمان إن الفرنسيين الذي حمل هذا الكتاب نقل لي عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم فدوموا على ذلك فأجيب السمع والطاعة ثم أن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلاً من المنوفية يقال له موسى خالد كان الفرنسية أحسنوا إليه وقدموه على أقرانه فلما خرجوا من المنوفية أفسد في البلاد وقطع الطريق ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضي وصادره في نحو ثلاثة آلاف ريال وكذلك صادر كثيراً من أغنياء منوف وغيرها وأخذ أموالهم فقال الوكيل ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون ثم أمر بكتابة

مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابًا للتجار والمتسبين ولمشايخ البلاد يأمرهم وفيه كتبوا جوابًا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيين جوابًا عن المكتوب المذكور آنفًا.

وفيه ذكر قائمقام بليار لبعض الرؤساء أنه إذا رجع ساري عسكر منصورًا ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم رفع عنهم نصف المليون والظلم.

وفي عاشره أفرجوا عن ابن محرم التاجر بتوسل والدته بقائمقام بليار على مصلحة ألفين ريال فرانسة.

وفيه خرج عبد العال الى ناحية أبي زعبل ورجعل ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ضرب عنق أحدهم.

وفي ثاني عشره قبض عبد العال على أناس من الغورية والصاغة ومرجوش وغيرهم وألزمهم بمال وسئل عن ذلك فقال لهم أفعله من قبل نفسي بل عن أمر من الفرنسيين.

وفيه حفروا خندقًا عند تلال البرقية فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور فحصل للناس غاية المشقة واتفق أن ميًا سقط على رقاب الحمالين وتدحرج الى أسفل التل.

وفيه ورد الخبر بموت مراد بك بالوجه القبلي بالطاعون وكان موته رابع الشعر ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف وأقيم عزاءه عند زوجته الست نفيسة وبنت له قبرًا بمدفن علي بك واسماعيل بك بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأشيع نقله إليه ثم ترك ذلك وبطل وكان الفرنسية عندما اصطاح معهم وأعطوه إمارة الصعيد رتبوا لزوجته المذكورة في كل شهر مائة ألف فضة واستمرت تقبض ذلك حتى أخرج الفرنسية جوابات الى أمراء المرادية يعزونهم في أستاذهم وتقريرًا الى عثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجي بأن يكون أميرًا ورئيسًا على خشداشينه وعوضًا عن مراد بك ويستمرن على أمرتهم وطاعتهم.

وفيه حضرت جوابات المراسلات التي أرسلت الى البلاد بسبب الغلال والأقوات بأن المتسبين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة غير أن المانع لهم قطاع الطريق وتعدى العرب ومنعهم السبيل وأن أبواب البلدان مغلقة بحيث لا يمكن الخروج منها فإذا أمنت الطرق حضر المطلوب وكلام هذا معناه وأما الساعي المرسل الى المنصورة فإنه رجع من أثناء لطريق ولم يمكنه الوصول إليها لأن العساكر القادمة قد دخلوها وصارت في حكمهم.

وفيه أي في هذا الشهر زاد أمر الطاعون وطعن مصطفى آغا أبطال بالقلعة فلما ظهر فيه ذلك رفعوه بطريق مهانة وأنزلوه الى الكرنتينه بباب العزب وألقوه بها ثم تكلم في شأنه أرباب الديوان فأنزلوه الى داره فمات بها وكذلك وقع لحسين قرا ابراهيم التاجر وعلي كتحدا النجدلي وذلك في أوائله وفي كل يوم يموت من الفرنسيين الكائنين بالقلعة الثلاثون والأربعون وينزلون بهم من كرنتينة القلعة على الأخشاب مثل الأبواب كل ثلاثة أو أربعة سواء يحملهم الحمالون وأمامهم إثنان من الفرنسيين يمنعون الناس ويباعدونهم عن القرب منهم الى أن يخرجوا بهم من باب القرافة فيلقونهم في حفر عميقة قد أعدها الحفارون ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم ثم يلقون صفا آخر ويغطونهم بالتراب وهكذا حتى تمتلئ الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع فيكيسونها بالتراب والأحجار ويحفرون أخرى غيرها كذلك فيكون في الحفرة الواحدة إثنًا عشر وستة عشر وأكثر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ويرمونهم بشياهم وأعطيتهم وتواسيمهم التي في أرجلهم وذلك المكان الذي يدفنون به في العلوة الكائنة خارج مزار القادرية بين

الطريقين الموصولين الى جهة مزار الإمام الشافعي رضي الله عنه وفيه أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنه فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض لتعطل المال الميري واحتياج العسكر الى النفقة وقيل لهم أيضًا إن كان يمكنكم أن تكتبوا الى البلاد بدفع الميري رفعنا الطلب عن الناس فقالوا هذا غير ممكن لحصول البلاد في حيازة القادمين وقطع الطريق من وقوف العرب بها وعدم الانتظام وإنما القصد الملاطفة والرفق فإن وظيفتنا النصح والوساطة في الخير.

وفي يوم الخميس سادس الحجة حضر استوف الخازندار وجرجس الجوهري ومن معهما من القبطه وغيرهم ما عدا الفرنسيين الذين ذهبوا معهم فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد فلما كان في صباحها حصلت الجمعية وأحضر الخازندار والوكيل وعبد العال وعلي أغا الوالي وبعض التجار كالسيد أحمد الزور والحاج عبد الله التاودي شيخ الغورية والحاج عمر الملطيلي التاجر بخان الخليلي ومحمود حسن وكليمان الترجمان فتكلم استوف وترجم عنه الترجمان بقوله إن ساري عسكر الكبير منو يقرئكم السلام ويشني عليكم كثيرًا وسينجلي هذا الحادث إن شاء الله تعالى ويقدم في خير ويرى أهل مصر ما يسرهم وقد هلك من الانكليز خلق كثير وباقيهم أكثرهم مرمودون الأعين وبمرض الزحير وجاءت طائفة منهم الى الفرنسية وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم ولتعلموا أن الفرنسية لميسلموا في رشيد قهراً عنهم بل تركوها قصداً وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا الى البلاد وتتفرق عساكرهم فتمكن عند ذلك من استئصالهم ونخبركم أنه قد وردت الى اسكندرية مركب من فرانس وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ما عدا الانكليز فإنهم لم يدخلوا في الصلح وقصدهم عدم سكون الحرب والفتن ليستولوا على أموال الناس واعلموا أن المشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم رفع الفتن والخوف عليهم وشريعة الفرنسية اقتضت ذلك ولا يمكن مخالفتها ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم وقد بلغنا أن السلطان العثملي أرسل الى عسكره بالكف عن الفرنسية والرجوع عن قتالهم فخالف عليه بعض السفهاء منهم وخرجوا عن طاعته وأقاموا الحرب بدون إذنه فأجابه بعض الحاضرين بقوله إن القصد حصول الراحة والصلح والفرنساوية عندنا أحسن حالاً من الانكليز لأننا قد عرفنا أخلاقهم ونعلم أن الانكليز إنما يريدون بانضمامهم الى العثمانية تنفيذ أغراضهم فقط فإنهم يدلون العثملي ويغرونه حتى يوقعوه في المهالك ثم يتركوه كما فعلوا سابقاً ثم قال الخازندار إن الفرنسية لا يحبون الكذب ولم يعهد عليهم فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به فقال بعض الحاضرين إنما يكذب الحشاشون والفرنساوية لا يأكلون الحشيش ثم قال الخازندار إن وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول واعلموا أن الفرنسية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبداً لأنها صارت بلادهم وداخله في حكمهم وعلى الفرض والتقدير إذا غلبوا على مصر فإنهم يخرجون منها الى الصعيد ثم يرجعون إليها ثانياً ولا يخطر في بالكم قلة عساكرهم فإنهم على قلب رجل واحد وإذا اجتمعوا كانوا كثيرًا وطال الكلام في مثل هذه التمويهات والخرافات وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات ثم قال الخازندار القصد منكم معاونة الفرنسية ومساعدتهم وغلاق نصف المليون وتشفع بعد ذلك عند ساري عسكر في فوات النصف الثاني حكم ما عرفكم قائمقام بليار فاجتهدوا في غلاقه من الأغنياء وأتركوا الفقراء فأجابوا في آخر الكلام بالسمع والطاعة فقال لكن ينبغي التعجيل فإن الأمر لازم لأجل نفقة العسكر ثم قال لهم ينبغي أن تكتبوا جواباً بالساري عسكر تعرفوانه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال وقيامكم بوظائفكم وهو إن شاء الله يحضر إليكم عن قريب وانفض المجلس وكتب الجواب المأمورية وأرسل.

وفيه ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرئودي بجملة من العساكر الأرئودية الى أبي زعبل.

وفيه خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب وقطاع الطريق فنهبوه وحضروا الى مصر بمتاعهم ومواشيهم.

وفيه أرسل بليار قائمقام يطلب من الوراقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين وقدره اثنا عشر ألف ريال وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكر بيوتهم ونقلهم الى أضيق الحبوس بل واستعملهم في شيل الأحجار فاعتذروا بضيق ذات يدهم وحبسهم فتصدر إليهم السيد أحمد الزور وتشفع عند قائمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ويؤجلوا بالباقي وينزلوا من القلعة لتحصيل ذلك فأجابه وأنزل علي أغا يحيى أغات الجراكسة ويوسف باشجاويش الى بيت عبد العال وحبسهم بمكان بداره وحبس معهم مصطفى كتحدا الرزاز فكان يتهدهدهم ويرسل إليهم أعوانه يقولون لهم شهلوا ما عليكم وإلا ضربكم الآغا بالكراييج فسبحان الفعال لما يريد فإن عبد العال هذا الذي يتهدهدهم ربما كان لا يقدر على الوصول الى الوقوف بين يدي بعض أتباعهم فضلًا عنهم.

وفيه أحاط الفرنسيين بمنزل حسن آغا الوكيل المتوفي قبل تاريخه وذلك بسبب أنه وجد بيته غلام فرنساوي مختف أسلم وحلق رأسه وقبضوا على أحد خشداشينه وحبسوه لكونه علم ذلك ولم يخبر به.

وفيه حضرت رسل من طرف عرضي الوزير لقائمقام بليار فاجتمعوا به وخلا بهم ووجههم من ليلتهم فلما حصلت الجمعية بالديوان سئل الوكيل عن ذلك فقال نعم إنهم أرسلوا يطلبون الصلح.

وفي ثامن عشره أفرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار ليساعد في قبض نصف المليون وفي رابع عشرينه قبضوا على أبي القاسم المغربي شيخ رواق المغاربة وحبسوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم في بعض المجالس ويقول أنا شيخ المغاربة وأحكم عليهم ويتباهى بمثل هذا القول فنقل عنه ذلك الى عبد العال والفرنسيين ووطنوا صحة قوله وأنه ربما أثار فتنة فقبضوا عليه وحبسوه وكذلك حبسوا محمد أفندي يوسف ثاني قلعة وآخر يقال له عبيد السكري.

وفي خامس عشرينه أبرزوا مكتوبًا وزعموا أنه حضر من ساري عسكرهم وقرئ بالديوانية وصورته بعد الصير خطابًا الى كافة العلماء والمشايخ الكرام بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالًا أدام الله تعالى فضائلهم ورد لنا مكتوبكم وانشرح قلبي من كل ما شهدت لنا فيه بأنه يثبت عقلكم السليم وصدقكم وتقييد قلوبكم في طارق الدستور فدوموا مهتدين بهذه الملكة ولا بد لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا واطمئنان عليكم منها ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابارته وعلى الخصوص من طرفنا وكان ضد أوامري أن الستويان فوربه الذي كنت وضعته قرب فضائلكم ترك ذلك الموضع وتوجه الى اسكندرية وما تلك الفعلة إلا من نقص جسارته في ذي الوقعة فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان جيران رجل واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله وخصوصًا لأجل غيرته وجسارته فلذلك هو كسب اعتمادي فاعتمدوا الى كل ما هو قائل بفضائلكم من جانبنا وبمنه وعونه تعالى عن قرب نواجهمكم بمصر بخير وسلامة ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة والسياسة بين غيرهم وكذلك نرجو من رب الأجناد بحرمة سيد العباد أن تشدوا قلوبكم توكلًا له لأن عوننا اسمه العظيم حرر في ثلاثة عشر فلوريل سنة تسعة موافقًا لثمانية عشر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر ممضي عبد الله جاك منو انتهى بألفاظه وحروفه.

وفيه أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوي بشفاعة حسين كاشف وسافر الى جهة الصعيد.

وفي ثامن عشرينه وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا الى مدينة بليس وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه.

وفيه أخبر وكيل الديوان أن ساري عسكر أرسل كتابًا الى الست نفيسة بالتعزية ورتب لها في كل شهر مائة ألف نصف وأربعين.

وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها فمناها توالي الهدم والخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبي فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام والمنارة العظيمة ذات الهلالين واتصل هدم باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس الى باب الحديد حتى بقي ذلك كله خرابًا متصلًا واحدًا وبقي سور المدينة الأصلي ظاهرًا مكشوفًا وعمروه ورموا ما تشعث منه وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه في العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظامًا وأبوابًا داخلية وخارجية وأخشابًا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلاً ونهارًا ثم سدوا باب الفتوح بالبناء وكذلك باب البرقية وباب المحروق وأنشأوا عدة قلاع فوق التلال البرقية ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء وذلك من حد باب النصر الى باب الوزير وناحية الصوة طولًا فمهدوا أعالي التلال وأصلحوا طرقها وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها وهدموا أبنية رأس الصوة حيث الخطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة وهدموا أعالي المدرسة النظامي ومنارتها وكانت في غاية من الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى في توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها الى خارج فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهدًا بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضًا بعد أن هدموا منارتها أيضًا وكذلك هدموا مدرسة القانية والجامع المعروف بالسب سلاطين وجامع الجركسي وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها وسدوا الباب وعملوا الجامع الناصري الملاصق له قلعة بعد أن هدموا منارته وقبابه وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميعة وناحية عرب اليسار وأوصلوا سهور باب القرافة بجامع الزمر وجعلوا ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجرة التي كانت تنقل الماء الى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها وجعلوها سورًا بذاتها ولم يبقوا منها إلا قوصرة واحدة من ناحية الطبي جهة مصر القديمة جعلوها بابًا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ولقبض المكس من الخارج والداخل وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضًا وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه وذلك حيث سواقي المجرة التي كانت تنقل الماء الى القلعة وحفروا خلف ذلك خندقًا.

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية ثغر الاسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد فشيء كثير جدًا وذلك كله في زمن قليل.

ومنها تخريب دور الأزيكية وردم رصيفاتها بالأتربة وتبديل أوضاعها وهدم خطة قنطرة الموسيقى وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام الى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء حيث جامع أزيك وما كان في ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة فيسلك المار من على القنطرة في رحبة متسعة تنتهي الى رحبة

الجامع الأزبكي وهدموا بيت الصابونجي ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد حتى ينتهي الى قنطرة الدكة وفي متوسط ذلك الجسر ينعطف جسراً آخر الى جهة اليسار عند بيت الألفي حيث سكن ساري عسكر ممتد ذلك الجسر الى قنطرة المغربي ومنها يمتد الى بولاق على خط مستقيم الى ساحل البحر حيث موردة التبن والشون وزرعوا بحافته السيسبان والأشجار وكذلك برصيفات الأزبكية وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما وجدوه من الأبنية والغيطان وعملوا هناك بوابة وكرنكاً وعسكرًا ملازمين الإقامة والوقوف ليلاً ونهاراً وذلك عند مسكن بليار قائمقام وهي دار جرجس الجوهري وما جاوره وكان في عزمهم إيصال ما انتهوا الى هدمه بقنطرة الموسكي الى سور باب البرقية ويهدمون من حد حمام الموسكي حتى يتصل المهذوم بناحية الأشرفية ثم الى خان الخليلي الى اسطبل الطارمة المعروف الآن بالشنواني الى ناحية كفر الطماعين الى البرقية ويجعلون ذلك طريقاً واحداً متسجاً وبحافته الحوانيت والخانات وبها أعمدة وأشجار وتكايب وتعاريش ويساتين من أولها الى آخرها من حد باب البرقية الى بولاق فلما انتهوا في الهدم الى قنطرة الموسكي تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر وشرعوا في أبنية حوائط بحافتي القنطرة ومعاطف ومزالق الى حارة الإفرنج وحارة النباقة وذلك بالجر النحت المتقن الوضع وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة داخل مصر وخارجها على ذلك الشكل مثل قنطرة السد والقنطرة التي من بين أراضي الناصرية وطريق مصر القديمة وقنطرة الليمون وقنطرة قديدار وقنطرة الأوز وغير ذلك ثم فاجأهم حادث الطاعون ووصول القادمين فتركوا ذلك واشتغلوا بأمور التحصين وسيأتي تنمة ذلك ومنها توالي خراب بركة الفيل وخصوصاً بيوت الأمراء التي كانت بها وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ووقود النيران والبيع وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام وكانت هذه البركة من جملة محاسن مصر وفيها يقول أبو سعيد الأندلسي وقد ذكر القاهرة وأعجبنني في ظاهرها بركة الفيل لأنها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ويسرج أصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب.

وتخرب أيضاً جامع الرويعي وجعلوه خمارة وبعض جامع عثمان كتحدا القزدغلي الذي بالقرب من رصيف الخشاب وجامع خير بك حديد الذي يدرب الحمام بقرب بركة الفيل وجامع البنهاوي والطرطوشي والعدوي وهدموا جامع عبد الرحمن كتحدا المقابل لباب الفتوح حتى لم يبق به إلا بعض الجدران وجعلوا جامع أربك سوقاً لبيع أقلام المكوس.

ومنها أنهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبة العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التي بها عامود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به لكنه لم يتم وهي على ذلك باقية الى الآن ورفعوا قاعدة العامود العليا ذراعاً وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ومنها أنهم هدموا مساطب الحوانيت التي بالشوارع ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التي ينقلون عليها المتاع واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره والمعنى الخفي الشافي خوفاً من التترس بها عند حدوث الفتن كما تقدم وكانوا وصلوا في هدم المساطب الى باب زويلة ومن الجهة الأخرى الى عطفة مرجوش فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق الى آخر باب الشعيرة ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين الى آخر باب النصر وباب الفتوح فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك وصاروا يجلسون في داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران في الشقوق وبعض الزوايا والجوامع والرباع التي درجها خارج عن سمت حائط البناء لما هدموا درجه وبسطته بقي باب مدخله معلقاً فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب مصنوع يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها وذلك عمل كثير.

ومنها تبرج النساء وخروج غالبيهن عن الحشمة والحياء وهو أنه لما حضر الفرنسيين الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحريري الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخصوعهم للنساء وبذلك الأموال لهن وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر وحاربت الفرنسيين بولاق وقتكوا في أهلها وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسونه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم فزبوهن بزى نسائهم وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر.

ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيين ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهن لهن وموافقة مرادهم وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتأسومتها فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس الى الشهوات وخصوصاً عقول القاصرات وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهن ونوالهم فيظهر حالة العقد الإسلام وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزييات يزهن ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية والأحكام العادية والأمر والنهي والمناداة وتمشي المرأة بنفسها أو معها بعض أترباها وأضيافها على مثل شكلها وأمامها القواصة والخدم وبأيديهم العصي يفرجون لهن الناس مثل ما ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ودخل الماء الى الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيين ومصاحبتهم لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة وصحبتهن آلات الطرب وملاحو السفن يكثر من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بسخيف موضوعاتهم وكتائف مطبوعاتهم وخصوصاً إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم وتحكمت في عقولهم فيصرخون وبطلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنسية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير.

وأما الجوّاري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن إليهم أفجواً فرادى وأزواً فنططن الحيطان وتسلقن إليهم من الطيقان ودلوهم على مخبات أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك.

ومنها أن يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنسية وجمعوه ساري عسكر القبطية جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنسية مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة وعليه قطعة فروة سوداء من جلد الغنم في غاية البشاعة مع ما يضاف إليها من قبج صورهم وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم وصيرهم عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصرى التي هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنان عظام وكذلك بنى أبراجاً في ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفي جميع السور المحيط والأبراج طيقاناً للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذي رمه الفرنسية ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهاراً وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنسية ومنها قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنان الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العيني وخارج الحسينية وبساتين بركة الرطلي وأرض الطبالة

وبساتين الخليج بل وجميع القطر المصري كالشرقية والغربية والمنوفية ورشيد ودمياط كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار في جميع الجهات وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار وكذلك المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضًا مع شدة الاحتياج إليها وعدم إنشاء الناس سفنًا جديدة لفقرهم وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقي اللوازم حتى أنهم حال حلولهم الديار المصرية وسكنهم بالأزبكية كسروا جميع القنج والأغربة التي كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه وكذلك ما كان ببركة الفيل وبسبب ذلك شحت البضائع وعلت الأسعار وتعطلت الأسباب وضافت المعاييش وتضاعفت أجرة حمل التجارات في السفن ومنها هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفًا من تترس المحاربين بها فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم فيسقط المكان بجميع أجزائه من وقود البارود وانحباسه في الأرض فيسمع له صوت عظيم ودوي فهدموا شيئًا كثيرًا على هذه الصورة وكذلك أزالوا جانبًا كبيرًا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة خوفًا من تمكن الخصم منها والرمي على القلعة. ومنها

زيادة النيل الزيادة المفرطة التي لم يعد مثلها

في هذه السنين حتى غرقت الأراضي وحوصرت البلاد وتعطلت الطرق فصارت الأرض كلها لجة ماء وغرق غالب البلاد التي على السواحل فتهدم من دورها شيء كثير وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلى الطريق المسلوكة وطفح من بركة الفيل إلى درب الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه.

ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلول البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب حتى غلت أسعار جميع الأصناف وانتهى سعر كل شيء إلى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك فبلغ الرطل الصابون إلى ثمانين نصقًا واللوزة الواحدة بنصفين وقس على ذلك وأما الأشياء البلدية فإنها كثيرة موجودة وغالبها يباع رخيصًا مثل السمن والعسل النحل والأرز والغلل وخصوصًا الأرز فإنه بيع في أيامهم بخمسمائة نصف فضة الأردب وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به في بلايص محملة على الحمير ينادون عليه في الأزقة بأرخص الأثمان.

ومنها وقوع الطاعون بمصر والشام وكان معظم عمله ببلاد الصعيد أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالطاهر المصري نزيل أسيوط مكاتبته ونصه ونعرفكم يا سيدي أنه قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ولم تسمع بمثله وخصوصًا ما وقع منه بأسيوط وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقًا وغربًا وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد وكان أكثره في الرجال سيما الشبان والعظماء وكل ذي منقبة وفضيلة وأغلقت الأسواق وعزت الأكفان وصار معظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد حتى أن الإنسان لا يدري بموت صاحبه أو قربه إلا بعد أيام ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار تكثرى وماتت العلماء والقراء والملتزمون والرؤساء وأرباب الحرف ولقد مكثت شهرًا بدون حلق رأسي لعدم الحلاق وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة حتى بلغ النهاية القصوى فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضًا أو مشتعلاً بتجهيز ميت ولا يسمع إلا نائحة أو باكية وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة لموت أرباب الوظائف واشتغال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز والصبح والسهر وتعطيل الزرع من الحصاد ونشف على وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده وعلى التخمين أنه مات الثلاثون من الناس هذا مع سعي العرب في البلاد

بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس والحكام الى أن قال ولو شئت أن أشرح لك يا سيدي ما حصل من أمر الطاعون لمأت الصحف مع عدم الإيفاء وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه.

من مات في هذه السنة من الأعيان مات الإمام الألمعي والذكي اللوذعي من عجت طينته بماء المعارف وتأخت طبيعته مع العوارف العمدة العلامة والنحرير الفهامة فريد عصره ووحيد دهره الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي الشهير بابن الجوهري وهو أحد الإخوة الثلاثة وأصغرهم ويعرف هو بالصغير ولد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ونشأ في حجر والده في عفة وصون وعفاف وقرأ عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ أحمد ابن أحمد وعلى الشيخ خليل المغربي والشيخ محمد الفرماوي وغيرهم من فضلاء الوقت وأجازه الشيخ محمد الملوي بما في فهرسته وحضر دروس الشيخ عطية الأجهوري في الأصول والفقه وغير ذلك فلازمه وبه تخرج في الإلقاء وحضر الشيخ علي الصعيدي والبراوي وتلقى عن الشيخ الوالد حسن الجبرتي كثيرًا من العلوم ولازم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفردًا وكان يحبه وبميل إليه وبقبل بكليته عليه وحج مع والده في سنة ثمان وستين وجاور معه فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله الميرغني صاحب الطائف واقتبس من أنواره واجتني من ثماره وكان آية في الفهم والذكاء والغوص والاقتدار على حل المشكلات وأقرأ الكتب وألقى الدروس بالأشرفية وأظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس والذهاب والترداد الى بيوت الأعيان والتزهّد عما بأيديهم فأحبه الناس وصار له أتباع ومحبون وساعده على ذلك الغنى والثروة وشهرة والده وإقبال الناس عليه ومدحتهم له وترغيبهم في زيادته وتزوج ببنت الخواجا الكريمي وسكن بدارها المجاورة لبيت والده بالأزبكية واتخذ له مكانًا خاصًا بمنزل والده يجلس فيه في أوقات وكل من حضر عند أبيه في حال انقطاعه من الأكابر أو من غيرهم للزيارة أو للتلقي يأمره بزيارة ابنه المترجم والتلقي عنه وطلبهم الدعاء منه وبحكي لهم عنه مزايًا وكرامات ومكاشفات ومجاهدات وزهديات فازداد اعتقاد الناس فيه وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ومشايخه وقرنائه وتردد عليهم وترددوا عليه وبيتون عنده ويطعمهم ويكرمهم ويتنزه معهم في أيام النيل مع الحشمة والكمال ومجانبة الأمور المخلة بالمروءة ولما مات أخوه الكبير الشيخ أحمد وقد كان تصدر بعد والده في إلقاء الدروس أجمع الخاص والعام على تقدم المترجم في إلقاء الدروس في الأزهر والمشهد الحسيني في رمضان فامتنع من ذلك وواظب على حالة انجماعه وطريقته وإملائه الدروس بالأشرفية وحج في سنة سبع وثمانين ومائة وألف وجاور سنة وعقد دروسًا بالحرم وانتفع به الطلبة ثم عاد الى وطنه وزاد في الانجماع والتجرب عن الناس في أكثر الأوقات فعظمت رغبة الناس فيه ورد هداياهم مرة بعد أخرى وأظهر الغنى عنهم فازداد ميل الناس إليه وجبلت قلوبهم على حبه واعتقاده وتردد الأمراء وسعوا لزيارته أفواجًا وربما احتجب عن ملاقاتهم وقلد بعضهم بعضًا في السعي ولم يعهد عليه أنه دخل بيت أمير قط أو أكل من طعام أحد قط إلا بعض أشياخه المتقدمين وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة في وجوهم إذا أتوا إليه وازدادت شهرته وطار صيته ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند والشام والروم وقصدوا زيارته والتبرك به وحج أيضًا في سنة تسع وتسعين لما حصلت الفتنة بين أمراء مصر فسافر بأهله وعياله وقصد المجاورة فجاور سنة وأقرأ هناك دروسًا واشترى كتبًا نفيسة ثم عاد الى مصر واستمر على حاله في انجماعه وتحجبه عن الناس بل بالغ في ذلك ويقرئ ويملي الدروس بالأشرفية وأحيانًا براويتهم بدرب شمس الدولة وأحيانًا بمنزله بالأزبكية ولما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي باتفاق الأمراء والمتصدرين من الفقهاء وهاجت حفاظ الشافعية ذهبوا إليه وطلبوه للمشيخة فأبى ذلك ووعدهم بالقيام لنصرتهم وتولية من يريدونه فاجتمعوا ببيت الشيخ البكري واختاروا الشيخ أحمد العروسي لذلك وأرسلوا الى الأمراء فلم يوافقوا على ذلك فركب المترجم بصحبة الجمع الى ضريح الإمام الشافعي ولم يزل حتى

نقض ما أبرمه العلماء والأمراء ورد المشيخة الى الشافعية وتولى الشيخ أحمد العروسي وتم له الأمر كما تقدم ذلك في ترجمة العريشي ولما توفي الشيخ أحمد العروسي كان المترجم غائبًا عن مصر في زيارة سيدي أحمد البدوي فأهمل الأمر حتى حضر وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوي بإشارته ولم يزل وافر الحرمة معتقدًا عند الخاص والعام حتى حضر الفرنسية واختلت الأمور وشارك الناس في تلقي البلاء وذهب ما كان له بأيدي التجار ونهب بيته وكتبه التي جمعها وتراكمت عليه الهموم والأمراض وحصل له اختلاط ولم يزل حتى توفي يوم الأحد حادي عشرين شهر القعدة سنة تاريخه بحارة برجوان وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن عند والده وأخيه بزواوية القادرية بدرب شمس الدولة وبالجملة فكان من محاسن مصر والفريد في العصر ذهنه وقاد ونظمه مستجاد وكان رقيق الطبع لطيف الذات مترفها في مأكله وملبسه.

ومات الأجل الأمثل العمدة الوجيه السيد عبد الفتاح بن أحمد ابن الحسن الجوهري أخو المترجم المذكور وهو أسن منه وأصغر من أخيه الشيخ أحمد ولد سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ونشأ في حجر أبيه وحضر الشيخ الملوي وبعض دروس أبيه وغيره ولم يكن معتنيًا بالعلم ولم يلبس زي الفقهاء وكان يعاني التجارة ويشارك ويضارب ويحاسب ويكتب فلما توفي أخوه الأكبر الشيخ أحمد وامتنع أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للإقراء في محله اتفق الحال على تقدم المترجم حفظًا للناموس وبقاء لصورة العلم الموروث فعند ذلك تزيا بزى الفقهاء وليس التاج والفراجة الواسعة وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله وصار يطالع ويذكر وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسيني في رمضان مع قلة بضاعته وذلك بمعونة الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد الفرماوي فكان يطالع الدرس الذي يمليه من الغد ويتلقى عنه مناقشات الطلبة وثبت على ذلك حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية كل ذلك مع معاناته التجارة وتردد الى الحرمين وأثرى واقتنى كتبًا نفيسة وعروضًا وحشماً واشترى الممالك والعبيد والجواري والأملأك والالتزام ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنسية وصادروه وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسة ودخله من ذلك كرب وانفعال زائد فسافر الى بلدة جارية في التزامه يقال لها كوم النجار فأقام بها أشهرًا ثم ذهب الى شيبين الكوم بلدة أقاربه وأقام بها الى أن مات في هذه السنة وذلك بعد وفاة ومات الإمام العلامة الثقة الهمام النحرير الذي ليس له في فضله نظير أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعي المعروف بأبي سلامة اشتغل بالعلم وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية وتفقه على كثير من علماء الطبقة الأولى كالشيخ علي قايتباي والحفني والبراوي والملوي وغيرهم وتبحر في الأصول والفروع وكان مستحضرًا للفروع الفقهية والمسائل الغامضة في المذاهب الأربعة ويغوص ذهنه وقياسه في الأصول الغربية ومطالعة كتب الأصول القديمة التي أهملها المتأخرون وكان الفضلاء يرجعون في ذلك إليه ويعتمدون قوله ويعولون في الدقائق عليه إلا أن الدهر لم يضافه على عادته وعاش في خمول وضيق عيش وخشونة ملبس وفقد رفاهية بحيث أن من يراه لا يعرفه لثلاثة ثيابه وكان مهذبًا حسن المعاشرة جميل الخلق والنادرة مطبوعًا فيه صلاح وتواضع ونزل مؤقتًا في مسجد عبد الرحمن كتحدا الذي أنشأه تجاه باب الفتوح بمعلوم قدره ثمانية أنصاف يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقهاء والعامه الذين يحتاجون إليه في مراجعة المسائل والفتاوى فلما خرب المسجد المذكور في حادثة الفرنسيين وجهات أوقافه انقطع عنه ذلك المعلوم وكان ذا عائلة ومع ذلك لا يسأل شيئًا ولا يظهر فاقة توفي يوم الأحد حادي عشرين جمادى الآخرة من السنة عن خمسة وسبعين سنة تقريبًا رحمه الله.

ومات الأمير مراد بك محمد مات بسهاج قادمًا الى مصر باستدعاء الفرنسيين ودفن بها عند الشيخ العارف وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم وهو من ممالك محمد بك أبي الذهب ومحمد بك مملوك علي بك وعلي بك مملوك ابراهيم كتحدا القازدغلي اشترى محمد بك مراد بك المذكور في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك في اليوم الذي قتل

فيه صالح بك الكبير فأقام في الرق أيامًا قليلة أعتقه وأمره وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بك وسكن بابه العظيمة بخط الكباش.

ولما مات علي بك تزوج بسرته أيضًا وهي الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير ولما انفرد محمد بك بإمارة مصر كان هو وابراهيم بك أكبر أمراءه المشار إليهما دون غيرهما فلما سافر محمد بك إلى الديار الشامية محاربًا للظاهر عم أقام عوضه في إمارة مصر ابراهيم بك وأخذ صحبتته مراد بك وباقي أمرائه فلما مات محمد بك بعكا اجتمع أمراؤه على رأي مماليكه في رئاسة مراد بك فتقدم وقدمه عليهم وحملوا جثة سيدهم وحضروا بآجمعهم إلى مصر فاتفق رأي الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره وهو ابراهيم بك ورضي الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله وسكون جاشه فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها وعكف مراد بك على لذاته وشهوته وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذي أنشاه بالروضة وأخرى بجزيرة الذهب وأخرى بقصر قايمار جهة العادلية كل ذلك مع مشاركته لبراهيم بك في الأحكام والنقض والإبرام والإيراد والإصدار ومقاسمة الأموال والدواوين وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب وأخذ في بذل الأموال وإنفاقها على أمرائه وأتباعه فانضم إليه بعض أمراء علي بك وغيره ممن مات أسيادهم كعلي بك المعروف بالملط وسليمان بك الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان فأكرمهم وواساهم ورخص لمماليكه في هفواتهم وسامحهم في زلاتهم وحظي عنده كل جريء غشوم عسوف ذميم ظلوم فانقلبت أوضاعهم وتبدلت طباعهم وشبهت نفوسهم وعلت رؤوسهم فتناظروا وتفاخروا وطمعوا في أستاذهم وشمخت أنافهم عليه وأغاروا حتى على ما في يده واشتهر بالكرم والعطاء فقصده الراغبون وامتدحه الشعراء والغاؤون وأخذوا الشيء من غير حقه وأعطاه لغير مستحقه.

ثم لما ضاف عليه المسلك ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك أخذ يتحجب عن الناس فعظم فيه الهاجس والوسواس وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط في الإقدام مع عدم الشجاعة ولم يعهد عليه أنه انتصر في حرب بأشرها أبدًا على ما فيه من الادعاء والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور.

ولما قدم حسن باشا إلى مصر وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هارين إلى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا واسماعيل بك ومن كان معه ورجعوا ثانيًا بعد أربع سنين وشيء من الشهور من غير عقد ولا حرب تعاظم في نفسه جدًا واختص بمساكن اسمعيل بك وجعل إقامته بقصر الجزيرة وزاد في بنائه وتنميته وبنى تحته رصيفًا محكمًا وأنشأ بداخله بستانًا عظيمًا نقل إليه أصناف النخيل والأشجار والكروم واستخلص غالب بلاد إقليم الجزيرة لنفسه شراء ومعاوضة وعصبًا وعمر أيضًا قصر جزيرة الذهب وجعل بها بستانًا عظيمًا وكذلك قصر ترسا وبستان المجنون وصار يتنقل في تلك القصور والبساتين ويركب للصيد في غالب أوقاته واقتنى المواشي من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس فكان عنده بالجزيرة من ذلك شيء كثير جدًا وعمل له ترسخانة عظيمة وطلب صناعات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضًا معامل البارود خلاف المعامل التي في البلد وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة لحرق قمام الجير والجبس للعمارة وأوقف الأعوان في كل جهة يحجزون المراكب التي تأتي من البلاد بالأخطاب يأخذونها ويجمعونها للطلب ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا يأخذون الجعالات على ما يسمحون به أو يطلقونه لأربابه بالوسائط والشفاعات وأحضر أناسًا من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب فأنشأوا له عدة حربية وغلايين وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم صرف عليها أموالًا عظيمة ورتب بها عساكر وبحرية وأدر

عليهم الجماكي والأرزاق الكثيرة وجعل عليهم رئيسًا كبيرًا رجلًا نصرانيًا وهو الذي يقال له نقولا بنى له دارًا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر وله عزوة وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكرًا وكان نقولا المذكور يركب الخيل ويلبس الملابس الفاخرة ويمشي في شوارع مصر راكبًا وأمامه وخلفه قواصة يوسعون له الطريق في مروره على هيئة ركوب الأمراء كل ذلك خطرات من وساوسه لا يدري أحد لأي شيء هذا الاهتمام ولأي حاجة إنفاق هذا المال في الخشب والحديد وإعطاؤه لنصارى الأروام واختلفت آراء الناس في ذلك من قائل إن ذلك خوفًا من خشداشينه وقائل من مخافة العثمانية كما تقدم في قضية حسن باشا والبعض يظن خلاف ذلك وليس غير الوهم والتخيل الفاسد والخوف شيء وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله والجلل والبنيات حتى أخذ جميعه الفرنسيين فيقال إنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة كذا نقل عن معلم الترسخانة أخذ جميع ذلك الفرنسيين يوم استيلائهم على الجيزة والقصر.

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة في بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم وقتلوا منهم نيفًا وعشرين رجلًا وانتهت الشكوى الى الأمير فطلب كبيرهم فعصى عليه وامتنع من مقابلته وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره فلم يسعه إلا التغافل وراحت على من راح واستوزر رجلًا بربريًا وهو المسمى بابراهيم كتخدا السناري وجعله كتخداه ومشيره وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة بإقليم مصر ما لم يبلغه أعظم أمير بها وبنى له دارًا بالناصرية واقتنى المماليك الحسان والسراري البيض والحبوش والخدم وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية واختص ذلك السناري أيضًا ببعض رعاغ الناس وجعله متخدا يأتمر بأمره ويتوصل به أعاضم الناس في قضاء أشغالهم ولما حسن لمراد بك الإقامة بالجيزة واختار السكن بها وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه وأقرانه وترك لابراهيم بك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية مع كونه لا ينفذ أمرًا دون رأيه ومشورته واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية.

حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه كان السفير بينه وبينهم ابراهيم كتخدا المذكور فكان هو عبارة عنه وربما نقض القضايا التي انبرم أمرها عند ابراهيم بك أو غيره بنفسه أو عن لسان مخدمه وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربي نحو الست سنوات متوالية لا يعدى الى البر الشرقي أبدًا ولا يحضر الديوان ولا يتردد الى أقران وإذا حضر الباشا المولى على مصر ووصل الى بر انبابة ركب وسلم عليه مع الأمراء ورجع الى قصره فلا يراه بعد ذلك أبدًا.

وتعاضم في نفسه وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه فتزاحمت على سدته الطلاب وتكالبت على جيفته الكلاب فانزوى من نبشهم وتواری من نهشهم فإذا بلغه قدوم من يختشيه أو وصول من يرتجيه وكان يستحي من رده أو يخشى عاقبة صده ركب في الحال وصعد الى الجبال وربما وصله الغريم على غفلة فيجده قد شمع الفتلة فإن صادفه واجتمع عليه أعطاه ما في يديه أو وعده بالخير أو وهبه ملك الغير فما يشعر الميسور إلا ولقمته قد اختطفها النسور.

ثم أخذ يعيث بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار فيحول عليهم الحوالات ويتابع لمماليكه ختم الوصولات فتجاذب هو وابراهيم بك ذلك الإبراد وتعارضت أوراقهما وخافا في المعتاد ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية وما انضاف الى قلم البهار وحسب في دفاتر التجار فانفرد كل منهما بوظيفته وفعل بها من الإجحاف ما سطر في صحيفته فأحدث المترجم ديوانًا خاصًا بنفر رشيد على الغلال التي تحمل الى بلاد الافرنج وسموه ديوان البدعة وأذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الإفرنج أو غيرها وجعل على كل أردب دينارًا خلاف البراني والتزم بذلك

رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة فجمع من ذلك أموالاً وإيراداً عظيماً وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيين وطمعهم في الإقليم المصري مع ما أضيف إلى ذلك من أخذ أموالهم ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن واقتدى به أمراؤه وتناظروا في ذلك وفعل كل منهم ما وصلت إليه همته واستخرجته فطنته واختص بالسيد محمد كريم الاسكندري ورفع شأنه بين أقرانه فمهد له الأمور بالثغر به وأجرى أحكامه به وفتح له باب المصادرات والغرامات ودله على مخبات الأمور وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الإفرنج حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيين وكان هو من أعظم الأسباب في تملك الفرنسيين للثغر كما ذكر ذلك في قتلته وذلك أنه لما خرجت مراكب فرنساوية وعمارتهم لا يدري أحد لأي جهة يقصدون تبعهم طائفة الانكليز إلى الاسكندرية فلم يجدوهم وكانوا ذهبوا أولاً إلى جهة مالطة فوقف الانكليزية قبالة الاسكندرية وأرسلوا قاصدهم إلى الثغر يسألون عن خبر فرنساوية فردهم الكذور ردّاً عنيفاً فأخبروه الخبر على جليته وأنهم أخصامهم وعلموا بخروجهم فاقتفوا أثرهم ونريد منكم أن تعطونا الماء والزاد بثمنه ونقف لهم على ظهر البحر فلا يمكنهم من العبور إلى ثغركم فلم يقبل منهم ولم يأذن في تزويدهم فذهبوا ليتزودوا من بعض الثغور فما هو إلا أن غابوا في البحر نحو الأربعة أيام إلا والفرنسيين قد حضروا وكان ما كان.

ومما سولت به نفس المترجم بإرشاد بعض الفقهاء عمارة جامع عمرو ابن العاص وهو الجامع العتيق وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة الفسطاط وبقيت تلالاً وكيماً وخصوصاً ما قرب من ذلك الجامع ولم يبق بها بعض العمار إلا ما كان من الأماكن التي على ساحل النيل وخربت في دولة القزدغلية وأيام حسن باشا لما سكنتها عساكره ولم يبق بساحل النيل إلا بعض أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع الأمراء ونصاري المكوس وبها بعض مساجد صغار يصلي بها السواحلية والنواتية وسكان تلك الخطة من القهوجية والباعة والجامع العتيق لا يصل إليه أحد لبعده وحصوله بين الأتربة والكيما وكان فيما أدركنا الناس يصلون به آخر جمعة في رمضان فتجتمع به الناس على سبيل التسلي من القاهرة ومصر وبولاق وبعض الأمراء أيضاً والأعيان ويجتمع بصحنه أرباب الملاهي من الجواة والقراداتية وأهل الملاعب والنساء الراقصات المعروفات بالغوازي فبطل ذلك أيضاً من نحو ثلاثين سنة لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك فحسن ببال المترجم هذه وتجديده بإرشاد بعض الفقهاء ليرقع به دينه الخلق فاهتم لذلك وقيد به نديمه الحاج قاسم المعروف بالمصلي فجعله مباشراً على عمارته وصرف عليه أموالاً عظيمة أخذها من غير حلها ووضعها في غير محلها وأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وكمل زخرفته وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقي وبيضه جميعه فتم على أحسن ما يكون وفرشه بالحصر الفيومي وعلق به القناديل وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف فحضر الأمراء والأعيان والمشايخ وأكابر الناس وعامتهم وبعد انقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبد الله الشرقاوي مجلساً وأملى حديث من بنى لله مسجداً وآية إنما يعمر مساجد الله وعند فراغه ألبس فروة من السمور وكذلك الخطيب فلما حضرت فرنساوية في العام القابل جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب وأخذ أخشابه حتى أصبح بلقاً أشوه مما كان فيا ليتها لم تتصدق وبالجمله فمناقب المترجم لا تحصى وأوصافه لا تستقصى وهو كان من أعظم الأسباب في خراب الإقليم المصري بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ومسامحته لهم فلعل لهم يزول بزواله ومات

الأمير حسن بك الجداوي مملوك علي بك

وهو من خشداشين محمد بك أبي الذهب مات بغزة بالطاعون وكان من الشجعان الموصوفين والأبطال المعروفين ولما انفرد علي بك بمملكة مصر ولاه إمارة جدة فلذلك لقب بالجداي وذلك سنة أربع وثمانين ومائة وألف وابتلي فيها بأمور ظهرت بها شجاعته وعرفت فروسيته ولذلك خير يطول شرحه ولما حصلت الوحشة بين اسمعيل بك والمحمديين كان المترجم ممن نافقي معه وعضده هو وخشداشينه رضوان بك وعبد الرحمن بك وكانت لهم الغلبة ونما أمره عند ذلك وظهر شأنه بعد أن كان خمل ذكره وهو الذي تجاسر على قتل يوسف بك في بيته بين مماليكه وعزوته ثم خامر على اسمعيل بك وانقلب مع المحمديين عندما خرج لمحاربتهم بالصعيد فخادعوه وراسلوه وانضم إليهم بمن معه ورجعوا إلى مصر وفر اسمعيل بك بمن معه إلى الشام واستقر هو وخذاشينه في مملكة مصر مشاركين لهم مظهرين عليهم الشمم طامعين في خلوص الأمر لهم متوقعين بهم الفرصة مع التهور الموجب لتحذر الآخرين منهم إلى أن استعجلوا إشعال نار الحرب فجرى ما جرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم وظهور المحمديين عليهم وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليهم وربما عوقب من لا جناية له كما سطر ذلك في محله وفر المترجم مع بعض من بقي من عشيرته إلى القليوبية فقبض عليه وأتى به إلى مصر ففر إلى بولاق بمفرده والتجأ إلى بيت الشيخ الدمنهوري فأحاط به العساكر فنط من سطح الدار وخلص إلى الزقاق وسيفه مشهور في يده فصادف جنديًا فقتله وأخذ فرسه فركبه وفر والعساكر خلفه تريد أخذه وتتلاحق به من كل جهة وهو يراوغهم ويقاتلهم حتى خلس إلى بيت إبراهيم بك فأمنه واتفقوا على إرساله إلى جدة فلما أقبل به في القلزم أمر رئيس المركب أن يذهب به إلى القصير وخوفه القتل إن لم يفعل فذهب به إلى القصير فتوجه منها إلى أسنا وعلمت به عشيرته وخذاشينه ومماليكه فتلاقوا به واستقر أمرهم بها بعد وقائع يطول شرحها فأقام نيقًا وعشر سنين حتى رجع إليهم اسمعيل بك بعد غيبته الطويلة وانضم إليهم واصطلح معهم إلى أن كان ما كان من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية وإخراج المحمديين وإدخاله للمذكور مع اسمعيل بك ورضوان بك وأتباعهم وتأميرهم بمصر واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ووقوع الطاعون الذي مات به اسمعيل بك ورضوان بك وغيرهم من الأمراء فاستقل بمن بقي من الأمراء وفعل معهم من التهور والحمق والشر ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه وخامر عليه من كان يأمن إليه فلم يسعه ومن معه إلا الفرار ورضي ذاك لنفسه بالذل والعار ودخلت المحمديون إلى مصر المحمية واستقر هو كما كان بالجهة القبلية فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر إلى أن وقعت حادثة الفرنسيين واستولوا على الإقليم المصري وحضرت العساكر بصحبة الوزير يوسف باشا ووقع ما وقع من الصلح ونقضه وانحصر المترجم مع من انحصر بالمدينة المصرية والعثمانية فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسيًا شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرية فلما انفصل الأمر وخرجوا إلى الجهة الشامية لم يزل محرضًا ومرابطًا ومجتهدًا حتى مات بالطاعون في هذه السنة وفاز بالشهادتين وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعًا أنه هو الغفور الرحيم وأمرأؤه الموجودون الآن عثمان بك المعروف بالحسيني وأحمد بك أمره الوزير عوضًا عن أستاذه.

ومات الأمير عثمان بك المعروف بطبل وهو من مماليك اسمعيل بك أمره في سنة اثنتين وتسعين ثم خرج مع سيده وتغرب معه في غيبته الطويلة فلما رجع إلى مصر في أيام حسن باشا تولى إمارج الحج في سنة خمس ومائتين وألف وكان سيده يقدمه على أقرانه ويظن به النجاح ولما طعن وعلم أنه مفارق الدنيا أحضره وأوصاه وحذره من أعدائه وقال له إني حصنت لك مصر وسورتها وصيرتها بحيث تملكها بنت عمياء فلما مات سيده تشوق للإمارة حسن بك الجداوي وعلي بك الدفتردار فلم يرض كل منهما بالآخر وتخوفا من بعضهما فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بك المذكور كبيرًا عوضًا عن سيده

وسكن داره وعقدوا الدواوين عنده فنزل عن إمارة الحج لحسن بك تابع حسن بك قصبة رضوان واشتغل هو بأمور الدولة ومشیخة مصر فلم يفلح وخامر مع أخصامه وأخصام سيده والتف عليهم سرًا وصدق تمويهاهم وخذل نفسه ودولته وذلك غيظًا من حسن بك كما سبقت إليه الإشارة وكل من حسن بك وعثمان بك الجداوي وعلي بك الدفتردار يتخوف نفاق صاحبه لتكرر ذلك منهما في الوقائع السابقة وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر الباطنية ولم يخطر ببالهما بل ولا ببال أحد من المجانين فضلًا عن العقلاء ركون المشار إليه إلى أعدائه وأعداء سيده العداوة الموروثة فكانا كلما شرعا في تدبير شيء من مكاييد الحرب ثبطهما وأقعدهما وهما يظنان نصحه وقعتقدان خلوصه ومعرفته ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده لكثرة تجاربه وسياحته ولم يعلما أنه يمهد لنفسه طريقًا مع الأعداء إلى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية وخص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته فلم يسع الباقيين إلا الهرب وأسلم هو نفسه لأعدائه فأظهروا له المحبة وولوه إمارة الحج حكم عهدهم بذلك وأن تكون له إمارة الحج مادام حيًا فخرج في تلك السنة أميرًا على الحج أعني سنة ست ومائتين وألف وكذلك سنة سبع ونهب الحج في تلك السنة وفر المترجم إلى غزة فصودرت زوجاته واقتسمت أقطاعه ورجع بعد حين إلى مصر وأهمل أمره وأقام بطالًا واستمر كأحد الطائفة من الأجناد وبغدو ويروح إليهم ويرجو رفقهم إلى أن حدثت حادثة الفرنسيين فخرج مع من خرج إلى الشام ولم يزل هناك حتى مات بالطاعون في السنة المذكورة وكان دائمًا يقول عند تذكره الدولة والنعيم ذلك تقدير العزيز العليم.

ومات الأمير عثمان بك المعروف بالشرقاوي وهو من مماليك محمد بك أبي الذهب أيضًا الكبار وتأمّر في أيامه وعرف بالشرقاوي لكونه تولى الشرقية ووقع منه ظلم وجبروت بعد موت أستاذه وصادر كثيرًا من الناس في أموالهم ثم انكف عن ذلك وزعم أن ذلك كان بإغراء مقدمه فشهره وقتله ولم يزل في إمارته حتى مات في الشام بالطاعون.

ومات أيوب بك الكبير وهو أيضًا من مماليك محمد بك وكان من خيارهم يغلب عليه حب الخير والسكون ويدفع الحق لأربابه وتأمّر على الحج وشكرت سيرته واقتنى كتبًا نيسة واستكتب الكثير من المصاحف والكتب بالخطوط المنسوبة وكان لين الجانب مهذب النفس يحب أهل الفضائل ذا ثروة وعزوة وعفة لا يعرف إلا الجد ويجتنب الهزل ويلوم ويعترض على خشداشيينه في أفعالهم ولا يعجبه سلوكهم ولا يهمل حقًا توجه عليه وإذا ساوم شيئًا وقال له البائع هذا بعشرة يقول له بل هو بخمسة مثلاً وهذا ثمنها حالًا وقد يكون ذلك رأس مالها أو بزيادة قليلة ويرضي البائع بذلك ويقبض الثمن في المجلس وهكذا كان شأنه وطريقته.

ومات الأمير مصطفى بك وهو أيضًا من مماليك محمد بك تولى الصعيد وإمارة الحج عدة مرار وكان فظًا غليظًا متمولًا بخيلًا شحيحًا في إمارته على الحج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب وشحه بعوائدهم وقلة اعتنائه بشعائر الدين وانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها وكان ذلك من أعظم ما اجترحه من القبائح.

ومات الأمير سليمان بك المعروف بالآغا توفي بأسىوط بالطاعون وهو أيضًا من مماليك محمد بك الكبير وهو أخو إبراهيم بك المعروف بالوالي صهر إبراهيم بك الكبير وهو الذي مات غريقًا في وقعة الفرنسيين الأولى بإنابة مدبرًا فأرًا فسقط في البحر وغرق وكان هو وأخوه المترجم قبل تقلدهما الصنجدية أحدهما والي الشرطة والآخر أغات مستحفظان فلم يزالا يلقيان بذلك حتى ماتا وكان المترجم محبًا لجمع المال وله أقطاع واسعة خصوصًا بجهة قبلي وفي آخر أمره استوطن أسىوط لأنها كانت في أقطاعه وبنى بها قصرًا عظيمًا وأنشأ بعض بساتين وسواقي واقتنى أبقارًا وأغنامًا كثيرة ومما اتفق له أنه جز صوف الأغنام وكانت أكثر من عشرة آلاف ثم وزعه على الفلاحين وسخرهم في

غزله بعد أن وزنه عليهم ثم وزعه على القزازين فنسجوه أكسية ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر فبلغ ذلك مبلغًا عظيمًا.

ومات الأمير قائد آغا وهو من ممالك محمد بك أيضًا وكان يلعب أيام كشوفيته بقائد نار لظلمه وتجبره وولي أغات مستحفظان في سنة ثمان وتسعين ومائة وألف فأخاف العامة وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ويتجسس على الناس وذلك أيام خروج إبراهيم بك إلى قبلي ووحشته من مراد بك وانفراد مراد بك بإمارة مصر فلما تصالحا ورجع إبراهيم بك رد الأغاوية لعلي بك فحنق المترجم لذلك وقلق قلقًا عظيمًا وترامى على الأمراء وصار يقول إن لم يردوا لي منصبي قتلت علي آغا أو قتلت نفسي فلما حصل منه ذلك عزلوا علي آغا وقلدوا سليم آغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان ولم يبلغ غرضه ولم ترض نفسه بالخمول وأكثر عنده من الأعوان والأتباع فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ويضرب الناس ويحبسهم ويصادرهم في أموالهم ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسم والخدم يحملون بين يديه الحراب والقرايين والبنادق وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك واتخذ له جلساء وندماء يباسطونه ويضاحكونه ولم يزل كذلك حتى خرج مع عشيرته إلى الصعيد عند حضور حسن باشا فاستولى على كثير من حصص الأقطاع فلما رجعوا في أواخر سنة خمس بعد المائتين سكن دار جوهر آغا دار السعادة سابقًا بالخرنقش وقد كان مات في الطاعون وتزوج سريته قهراً واستكثر من المماليك والجند وتاقت نفسه للإمارة وتشوف إلى الصنجدية وسخط على زملائه والأمراء الذين لم يلبوا دعوته ولم يبلغوه أمنيته وصارت جلساؤه وندماؤه لا يخاطبونه إلا بالإمارة ويقولون له يا بك ويكره من يخاطبه بدون ذلك وكان له من الأولاد الذكور اثنا عشر ولدًا لصلبه يركبون الخيول ماتوا في حياته وكان له أخ من أقبح خلق الله في الظلم اتخذ له أعوانًا وأتباعًا وليس عنده ما يكفيهم فكان يخطف كل ما مر بخطته بباب الشعرية من قمح وتين وشعير وغير ذلك ولا يدفع له ثمنًا هلك قبله بنحو ست سنين بناحية قبلي وأتوا بجيفته إلى مصر مقرفصًا ودفن بمدفن أخيه بترية المجاورين ومن جملة أفاعيله القبيحة أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير ويزعم أنه يقطعها في ضربة واحدة ولم يزل المترجم أخوه على حالته حتى خرج من مصر عند مجيء الفرنسيين وعاد بصحبة عرضي العثماني ومات قاسم بك مع من مات من الأمراء والصناجق بالشام فقلده الوزير الصنجدية فيمن تقلد وأدرك أمنيته فأقام قليلًا وهلك فيمن هلك بالطاعون فكان كما قال القائل فكان كالتمني أن يرى فلانًا من الصباح فلما أن رآه عمي.

ومات أيضًا حسن كاشف المعروف بجركس وهو أيضًا من ممالك محمد بك وإشراق عثمان بك الشرقاوي وكان من الفراغنة وهو الذي عمر الدار العظيمة بالناصرية وصرف عليها أموالًا عظيمة فما هو إلا أن تمم بناءها ولم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيين فسكنها الفلكيون والمديرون وأهل الحكمة والمهندسون فلذلك صينت من الخراب كما وقع غيرها من الدور لكون عسكرهم لم يسكنوا بها وتقلد المذكور الصنجدية بالشام أيضًا ثم هلك بالطاعون.

ومات الأمير حسن كتحدا المعروف بالجربان بالشام أيضًا وأصله من ممالك حسن بك الأريكاوي وكان ممتهنًا في الممالك فسموه بالجربان لذلك فلما قتل أستاذه بقي هو لا يملك شيئًا فجلس بحانوت جهة الأريكية يبيع فيها تنباكًا وصابونًا ثم سافر إلى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر محمود جرجي ثم رجع إلى مصر في أيام دولة علي بك وتنقلت به الأحوال فأنعم عليه علي بك بأميرية بناحية قبلي فلما حصلت الوحشة بين علي بك ومحمد بك وخرج محمد بك من مصر إلى قبلي خرج إليه المترجم ولاقاه وقدم بين يديه ما كان عنده من الخيام والبرق والخيول وانضم إليه ولم يزل حتى تملك محمد بك واستوزر اسمعيل آغا الجلفي وكان يبغيض المترجم لأمر بينهما فلم يزل حتى أوجر عليه صدر مخدومه وأدى به الحال إلى الإقصاء والبعد إلى أن انضم إلى مراد بك وتقرّب منه

وكان مفوهًا ليئًا مشاركًا قد حنكته الأيام والتجارب فجعله كتخداه ووزيره واشتهر ذكره وعمر دارًا بناحية باب اللوق بالقرب من غيط الطواشي وصار من الأعيان المعدودين وقصدته أرباب الحاجات واحتجب في غالب الأوقات واتحد به محمد آغا البارودي فقربه من مراد بك وبلغ إلى ما بلغ معه وكان يعتري المترجم مرض شبيه بالصرع فينقطع به أيا ما عن السعي والركوب ولم يزل حتى مات مع من مات بالشام.

ومات الأمير قاسم بك المعروف بالموسقو وكان من ممالك إبراهيم بك وكان لين الجانب قليل الأذى إلا أنه كان شيعيًا لا يدفع حقًا توجه عليه ولما مات خشداشه حسن بك الطحطاوي تزوج بزوجه وشرع في بناء السبيل المجاور لبيته بحارة قوصون بالقرب من الداودية فما قرب إتمامه إلا وقد قدمت الفرنسيين لمصر فخرّبوه وشعثوا بنيانه وخرقوا حيطاته وأخذوا عواميده وبقي على حاله مثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها وومات أيضًا المترجم بالشام.

ومات علي آغا كتخدا الجاويشية وهو من ممالك الدمياطي ونسب إلى محمد بك وأخيه إبراهيم بك ورقاه واختص به ووالاه أغات مستحفظان في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف فلم يزل إلى سنة ثمان وتسعين فخرج مع إبراهيم بك إلى المنية عندما تغاضب مع مراد بك فلما تصالحها قلد الأغاوية كما كان فحنق قائد آغا وكان ما كان من عزله وولاية سليم آغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قائد آغا ثم تقلد كتخدا الجاويشيه في سنة ست ومائتين وألف ولم يزل متقلدًا ذلك حتى خرج مع من خرج في حادثة الفرنسيين وكان ذا مال وثروة مع مزيد شح وبخل واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازدغلي العظيمة التي بحارة عابدين وسكنها وليس له من المأثر إلا السبيل والكتاب الذي أنشاه بجوار داره الأخرى بدرب الحجر وهو من أحسن المباني وقد حماه الله من تخريب الفرنسيين وهو باق إلى يومنا هذا بهجته ورونقه.

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير وهو من ممالك إبراهيم بك الأقدمين وكان لطيف الطباع حسن الأوضاع وعنده ذوق وتودد عطارديًا يحسب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات والكتب المشتملة على ذلك مثل كيلة ودمنة والنوادر والأمثال واهتم في بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين فرسم شكله قبل الشروع فيه في قرطاس بمعونة الأسطاح حسن الخياط ثم سافر إلى الإسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة وأنواع الأخشاب وحفر أساسه وأحكم وضعه واستدعى الصناع والمرحمين فتأنقوا في صناعته ونقش رخامه على الرسم الذي رسمه لهم كل ذلك بالحفر بالآلات في الرخام وموهوه بالذهب فما هو إلا أن ارتفع بنيانه وتشيدت أركانه وظهر للعيان حسن قلبه وكاد يتم ما قصده من حسن مأربه حتى وقعت حادثة الفرنسيين فخرج مع من خرج قبل إتمامه وبقي على حاله إلى الآن ولما خرج سكن داره برطلمين واستخرج مخابة بين داره والسبيل فيها ذخائره ومتاعه فأوصلها للفرنسيين.

ومات الأمير رشوان كاشف وهو من ممالك مراد بك وكان له أقطاع بالفيوم فكان معظم إقامته بها فاحتكر الورد وما يخرج من مائه والخل المتخذ من العنب والخيش واتجر في هذه البضائع بمراده واختياره وتحكم في الإقليم تحكم الملاك في أملاكهم وعبيدهم وذلك قوة واقتدار.

ومات الأمير سليم كاشف بأسبوط مطعوتًا وهو من ممالك عثمان بك المعروف بالجرجاوي من البيوت القديمة وخشداش عبد الرحمن بك عثمان المتوفى في سنة خمس ومائتين وألف بالطاعون الذي مات به اسمعيل بك وخلافه وتزوج ابنته بعد موته وكان ملتزمًا بحصة من أسبوط وشرق الناصري واستوطن بأسبوط وبنى بها دارًا عظيمة

وعدة دور صغار وأنشأ بها عدة بساتين وغرس بها وبشرق الناصري أشجارًا كثيرة وعمر عدة قناطر وحفر ترعًا وصنع جسورًا وأسبله في مفاوز الطرق وأنشأ دارًا بمصر بالمناخية بسوق الأنماطيين واشترى دارًا جليلة كانت لسليمان بك المعروف بأبي نبوت بحارة عابدين وعمرها وزخرفها وأنشأ بأسيوط جامعًا عظيمًا ومكتبًا فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيين فاتخذوه سجنًا يسجنون به ثم لما قابل المذكور الفرنسيين وأمنوه أخذ في إصلاح ما تشعث من البناء وتقيم العمارة ولم يساعده الوقت إذ ذاك لقلّة الأخشاب وآلات البناء فاشتغل بذلك على قدر طاقته فلما فرغ البناء وقارب التمام ولم يبق إلا اليسير وقع الطاعون بأسيوط فمات والمسجد باق على ما هو عليه الآن وهو من المباني العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور مشابه لحسن بك الجداوي في هذه الفعال وموائده مبسوطة وطعامه مبدول وداره بأسيوط مقصدًا للوارد والقاصد والصادر من الأمراء وغيرهم وله إغداقات وصدقات وأنواع من البر ومحبة في العمارة وغراس الأشجار واقتناء الأنعام وكان متزوجًا بثلاث زوجات إحداهن ابنة سيده عثمان بك توفيت بعصمته والثانية ابنة خشداشه عبد الرحمن المذكور آنفًا والثالثة زوجة علي كاشف المعروف بجمال الدين وكان ذا بأس وله صولة وظلم وتجاوزو على سفك الدماء فيذلك خافته عرب الناحية وأهل القرى وقاتل العرب مرارًا وقتل منهم الكثير وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها وأمنت طرقها برًا وبحرًا واستوطنها الكثير من الناس لحمايتها وعدم صولة أحد على أهلها وله مهادة مع الأمراء المصرية وأرباب الحل والعقد بها والمتكلمين عندهم فيرسل إليهم الغلال والعبيد والجواري السود والطواشية وغير ذلك وله عدة ممالك بيض وسود أعتق كثيرًا من جملتهم عزيرتا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوي رقيق حواشي الطبع مهذب الأخلاق ذو فروسية في ركوب الخيل ومحبة في العلماء واللفاء وهو من جملة محاسن سيده.

ومات كل من الأمير باكير بك والأمير محمد بك تابع حسين بك كشكش كلاهما بالشام ومات غير هؤلاء ممن لم تحضرني أسماؤهم.

وباستهلالها خف أمر الطاعون وفي ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الآغا وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلاً الى منزله فبيته عنده ولما أصبح النهار طلع به الى القلعة وحبسه عند المشايخ بجامع سارية والسبب في ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيين في الواقعة السابقة بمصر فلما انقضت هرب الى جهة بحري ثم حضر بعد مدة الى مصر فأقام أيامًا ثم رجع الى قوة بإذن من الفرنسيين فلما حصلت هذه الحركة وتحذروا شدة التحذر وأخذوا الناس بأدنى شبهة وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغراء ذكر بعضهم ذلك لقائمقام وأدخل في مسامحه أن ابن الشيخ المذكور ذهب الى عرضي الوزير والتف عليهم فأرسل قائمقام الى الشيخ قبل تاريخه فلما حضر سأل عن ولده المذكور فأخبره أنه مقيم بقوة فقال له: لم يكن هناك وإنما هو عند القادمين قال له: لم يكن ذلك وإن شئت إرسلت إليه بالحضور فقال له: أرسل إليه وأحضره فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجيء ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضًا فوعده بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين واعتذر بعدم أمن الطريق فلما انقضى اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده الى القلعة ففعل.

وفيه حضر جملة من عساكر فرنساوية من جهة بحري وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة.

وفيه حضرت زوجة ساري عسكر كبير الفرنسيين بصحبة أخيها السيد علي الرشيد أحد أعضاء الديوان وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ونزل بها في مركب وأرسل بها قبالة الرحمانية فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها حضر بها إلى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك فأقامت هي وأخوها بيت الألفي بالأزبية نحو ثلاثة أيام ثم صعدا إلى القلعة.

وفيه قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية وحضرت طوالعهم إلى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف فتأهب قائمقام بليار للقائهم وأمر العساكر بالخروج من أول الليل ثم خرج هو في آخر الليل فلما كان يوم الأحد رابعه رجع قائمقام ومن معه ووقع بينه وبينهم مناوشة فلم يثبت الفرنسيين لقتلهم ورجعوا مهزومين وكنتموا أمرهم ولم يذكروا شيئاً.

وفي خامسه رفعوا الطلب عن الناس بياقي نصف المليون وأظهروا الفرق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب وخلوا البلدة منهم وكان يظنون منهم غير ذلك.

وفيه أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت إلى القلعة وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها وكذلك البارود والكبريت والجلل والقنابر والبنب ونقلوا ما في الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة وحملوه إليها ولم يبقوا بالقلاع الصغار إلا مهمات الحرب.

وفيه طلبوا الزبائين وألزموهم بمائتي قنطار شيرج وسمروا جملة من حوانيتهم وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة فقبض عليهم عساكر العثمانية القادمة ومنعوهم من العود بالغنم والبقر وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة.

فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليوبية وعزت الأقوات وشح اللحم والسمن جدًا وأغلقت حوانيت الجزارين واجتهد الفرنسيات في وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل وكذلك فعلوا بجهة القرافة وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة لتمنع المراكب من العبور وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة إلى قنطرة الليمون إلى قصر إفرنج أحمد إلى السبتية إلى مجرى البحر.

وفي ثامنه بعث قائمقام بليار فأحضر التجار وعظماء الناس وسألهم عن سبب غلق الحوانيت فقالوا له من وقف الحال والكساد والجلاء والموت فقال لهم: من كان موجودًا حاضراً فالزموه بفتح حانوته وإلا فأخبروني عنه ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء.

وفي عاشره شرعوا في هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية وقربت عساكر الانكليز القادمة من البر الغربي إلى البلد المسماة بنادر عند رأس ترعة الفرعونية.

وفيه تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوائلها إلى بنها وطحلا بساحل النيل وأن طائفة من الانكليز رجعوا إلى جهة اسكندرية وأن الحرب قائم بها وأن الفرنسيات محصورون بداخل الاسكندرية والانكليز ومن معهم من العساكر يحاربون من خارج وهي في غاية المنعة والتحصين وأن الانكليز بعد قدومهم وطلوعهم إلى البر ومحاربتهم لهم المرات السابقة أطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه إلى الجسر المقطوع حتى سالت المياه وعمت الأراضي المحيطة بالاسكندرية وأغرقت أطيافًا كثيرة

وبلاّداً ومزارع وأنهم قعدوا في الأماكن التي يمكن الفرنسيين النفوذ منها بحيث أنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية.وفي

ثاني عشرة نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر

فأحضر الفرنسيين حكام الشرطة وألزموهم بإحضارها وهذه المرأة اسمها هوى كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف.

ثم أنها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا وأقامت معه مدة فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة وهي على حمار ومتاعها محمول على حمار آخر فنزلت عند بعض العطف وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت فلما وقع عليها التفتيش وأحضروا المكارية قالوا: لا نعلم غير المكان الذي أنزلناها به وأعطتنا الأجرة عنده.

فشددوا على المكارية ومنعوهم من السروح وقيضوا على أهل الحارة وحبسوهم ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة في حارة من الحارات ولم يخبروا عنها نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها وتفتيش أصحاب الشرطة وخصوصاً عبد العال فإنه كان يتنكر ويلبس زي النساء ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها فيزعج أرباب البيوت والنساء ويأخذ منهم مصالح ومصاعاً ويفعل ما لا خير فيه ولا يخشى خالقاً ولا مخلوقاً.

وفي خامس عشره قبضوا على أبطون أبي طاقية النصراني القبطي وحبسوه بالقلعة وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد.

وفي سادس عشره أفرجوا عن محمد أفندي يوسف ونزل الى بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوي لمرضه.

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكري ومحصلها أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك الى بليار قائم مقام وأخبره أنه وصل الى أستاذه الشيخ خليل البكري المذكور فرمان من عرضي الوزير بالأمان وكان هذا بإغراء عبد العال ليوقعه في الوبال ويحرك عليه الفرنسيين لحزارة بينه وبينه فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائم مقام سأله عن ذلك.

فجده فأحضروا الخادم الذي بلغ ذلك فصدق على ذلك وأسند الى المملوك سيده فأحضروا المملوك وسأله فقال نعم فقالوا له وأين فرمان فقال قرأه وقطعه فقال الفرنسيات وكيف يقطعه هذا دليل الكذب لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه فقبل له ومن أتى به قال فلان فألزموا الشيخ بإحضار ذلك الرجل وحبس المملوك عند عبد العال يومين وحضر الرجل فسأله فجحد ولم يشب عليه وظهر كذب الغلام والخادم فعند ذلك طلب الشيخ غلامه فقال قائم مقام إن قصاصه في شريعتنا أن يقطع لسانه فتشفع فيه سيده وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام في حق سيده.

وفيه حضر حسين كاشف اليهودي الى قائم مقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنسيات وردوا مكاتبتهم التي أرسلوها لهم بعد موت مراد بك وأنهم مروا وتوجهوا الى بحري من البر الغربي وعثمان بك الأشقر ذهب من خلف الجبل الى جهة الشرق فلما حصل ذلك ركب قائم مقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها

وأخبرها أنها في أمان هي وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ولا مؤاخذه عليهن بما فعله رجالهن.

وفي عشرينه توكل رجل قبطني يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجمع طائفة من الناس لعمل متاريس فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه فتشكى الناس من ذلك القبطني وأنهوا شكواهم الى بليار قائمقام فأمر بالقبض على ذلك القبطني وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتي بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة.

وفيه وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة.

وفي يوم الاثنين سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة.

وفي ذلك اليوم قبل العصر طلبوا مشايخ الديوان فاجتمعوا بالديوان وحضر الوكيل والترجمان وطلبهم للحضور الى قائمقام فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان نخبركم أن الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنسية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكوتهم وهدوهم ولا يتدخلوا في الشر والشغب فإن الرعية بمنزلة الولد وأنتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التي يكون فيها الخير والصالح فإنهم إن داموا على الهدوء حصل لهم الخير ونجوا من كل شر وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم ومتاعهم ويتمت أولادهم وسبيت نساؤهم وألزموا بالأموال والفرد التي لا طاقة لهم بها فقد رأيت ما حصل في الوقائع السابقة فاحذروا من ذلك فإنهم لا يدرون العاقبة ولا نكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا وإنما نطلب منكم السكون والهدوء لا غير فأجابوه بالسمع والطاعة وقولهم كذلك وقرئ عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجزيرة فلا ينزعجوا من ذلك فإنه شنك وعيد لبعض أكابرهم وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك فلما كان ضحوة يوم الثلاثاء اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير وانتهى المجلس وذهبوا الى محلاتهم.

وفي ذلك اليوم أشيع حضور الوزير الى شلقان وكذلك عساكر الانكليز بالناحية الغربية وصلوا الى أول الوراق.

وفي يوم الجمعة غايته اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العدة وحضر استوف الخازندار وترجم عنه رفايل بقوله إنه يشي على كل من القاضي والشيخ اسمعيل الزرقاني باعتنائهما فيما يتعلق بأمر الموارد بيت المال والمصالح على التركات المختومة لأن الفرنسية لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك والقصد الاعتناء أيضاً بأمر البلاد والحصص التي انحلت بموت أربابها فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان والمهلة في ذلك ثمانية أيام فمن لم يصالح على الالتزام الذي له فيه شبهة في تلك المدة ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك وأركزوه في أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم فإنه لا يخرج من أيديهم شيء أبداً وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم إلقاء العداوة والفتن والعثملي مغتر بهم فإن الفرنسية كانت من الأحباب الخالص للعثملي فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينهم وبين الفرنسية طريق مسلوكة من البر لا تمحي أثرهم ونسي ذكرهم من زمان مديد وتأملوا في شأنهم وأي شيء خرج من أيديهم فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا

إلينا والفرنسيين عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يومًا فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا وكلام كثير من هذا النمط في معنى ذلك من بحر الغفلة ثم ذكر البكري والسيد أحمد الزر وأنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوي لآخر من منية كنانة يذكر فيه أنه حضر إلى اسكندرية مراكب وعمارة من فرانسوا وأن الانكليز رجعت إليهم وأن الحرب قائمة على ظهر البحر فقال الخازن دار يمكن ذلك وليس ببعيد ثم نقلوا ذلك إلى بليار قائم مقام فطلب الرجل الراوي لذلك فأحضر الزر ورجلاً شرفاً وحلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل إلى منية كنانة من شهر صفر الخير سنة 1216 استهل يوم السبت وفي ذلك اليوم قبل المغرب مشى عبد العال الآغا وشق في شوارع المدينة وبين يديه منادي يقول: الأمن والأمان على جميع الرعايا وفي غد تضرب مدافع وشنك من الفلا في الساعة الرابعة فلا تخافوا ولا تنزعجوا فإنه حضرت بشارة بوصول بونايارته بعمارة عظيمة إلى الاسكندرية وأن الانكليز رجعوا القهقري فلما أصبح يوم الأحد في الساعة الرابعة من الشروق ضربت عدة مدافع وتابعوا ضربها من جميع القلاع وصعد أناس إلى المنارات ونظروا بالنظارات فشاهدوا عساكر الانكليز بالجهة الغربية وصلوا إلى آخر الوراق وأول انبابة ونصبوا خيامهم أسفل انبابة وعند وصولهم إلى مضاربهم ضربوا عدة مدافع فلما سمعها الفرنسيون ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروا أنها شنك وأما العساكر الشرقية فوصلت أوائلهم إلى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج والمراكب فيما بينها من البرين بكثرة فعند ذلك عزت الأقوات وشبحت زيادة على قتلها وخصوصاً السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الريف ولم يبق طرق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة باب القرافة وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن فيأتي ذلك إلى عرصة الغلة بالرميلة ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة وشح اللحم أيضاً وغلا سعره لقلة المواشي والأغنام فوصل سعر الرطل تسعة أنصاف والسمن خمسة وثلاثين نصفًا والبصل بأربعمئة فضة القنطار والرطل الصابون بشمانين فضة والسيرج عشرين نصفًا وأما الزيت فلا يوجد البتة وغلت الأبراز جدًا واتفق إلى قصة غريبة وهو أنني احتجت إلى بعض أنيسون فأرسلت خادمي إلى الأبرار على العادة يشتري لي منه بدرهم فلم يجده وقل له إنه لا يوجد إلا عند فلان هو يبيع الأوقية بثلاثة عشر نصفًا ثم أتاني منه بأوقيتين بعد جهد في تحصيله فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريبًا من ذلك فكان ذلك من النوادر الغريبة.

وفي يوم الاثنين ثالثه حصلت الجمعية بالديوان وحضر التجار ومشايخ الحارات والآغا وحضر مكتوب من بليار قائم مقام خطابًا بالأرباب الديوان والحاضرين يذكر فيه أن حضر إليه مكتوب من كبيرهم منوبًا بالإسكندرية صعبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البرية.

مضمونه أنه طيب بخير والأقوات كثيرة عندهم يأتي بها العربان إليهم وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنسية إلى بحر الخزر وأنها من قريب تصل الإسكندرية وأن العمارة حاربت بلاد الانكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا ودوموا على هدوئكم وسكونكم إلى آخر ما فيه من التموهيات وكل ذلك لسكون الناس وخوفًا من قيامهم في هذه الحالة وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يومًا من انقطاع أخبار من في اسكندرية ولا أصل لذلك.

وفي ذلك اليوم قتل عبد العال رجلًا ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل إلى بعض أزواجهن بالعرضي قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودي عليه: هذا جزاء من ينقل الأخبار إلى العثملي والانكليز.

وفيه وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية وامتد العرضي منها إلى قبلي منية السيرج وكذلك الغربية إلى انبابة ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم في النيل وضربوا عدة

مدافع وخرج عدة من الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا بنادق ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ورجع كل الى مأمنه واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم في كل يوم.

وفي سادسه زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر وسكن ابراهيم بك زاوية الشيخ دمرداش وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حائط المذبح وطلبوا شيخ الجزارين ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيين فضربوا عليهم بنادق فأصيب أحدهم في رجله فأخذه وهرب الإثنان وأصيب جزار يهودي ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى ولم يزل الضرب بينهم الى قريب العصر والفرنسيين يرمون من وفي سابعه وقعت مضاربة بين الفريقين بنادق ومدافع من الصباح الى العصر أيضًا.

وفيه أشيع موت السيد أحمد لمحروقي بدجوة وكان مريضًا بها وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية.

وفيه قبضوا على رجل يشبه خدام ظنوه جاسوسًا فأحضروه عند قائمقام فسأله فلم يقر بشيء فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكراييج على كفوفه ووجهه ورأسه حتى قيل إنهم ضربوه نحو ستة آلاف كراياج وهو على حاله ثم أودعوه الحبس.

وفيه أطلقوا محبوسًا يقال الشيخ سليمان حمزة الكاتب وكان محبوسًا بالقلعة من مدة أشهر فطلق على مصلحة ألفي ريال.

وفي ثامنه وقعت مضاربة أيضًا بطول النهار ودخل نحو خمسة وعشرين نفرًا من عسكر العثمانية الى الحسينية وجلسوا على مساطب القهوة وأكلوا كعكًا وخبزًا وفولًا مصلوقًا وشربوا قهوة ثم انصرفوا الى مضربهم وأخذ الفرنسيات عسكرًا من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس المعروف بأبي مرق فحبسوه ببيت قائمقام وأغلقوا في ذلك اليوم باب النصر وباب العدوي.

وفيه زحفت عساكر البر الغربي الى تحت الجيزة فحضر في صباحها بني وأخبر قائمقام فركب من ساعته وعدى الى بر الجيزة فسمع الضرب أيضًا من ناحية الجيزة وسمعت طبول الأمراء ونقاقيهم واستمر الأمر الى يوم الثلاثاء حادي عشره فبطل الضرب في وقت الزوال ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا الي قبلي منها ومنعوا المعادي من تعدية البر الشرقي فانقطع الجالب من الناحية القبلية أيضًا فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضراوات والخيار والسمن والجبن والمواشي فعزت الأقوات وغلت الأسعار في الأشياء الموجودة منها جدًا واجتمع الناس بعرضة الغلة بالرميلة يريدون شراء الغلة فلم يجدوها فكثرت ضجيجهم وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم الى جهة البساتين ورجع الباقون من غير شيء فأحضر عبد العال القباينة وألزمهم بإحضار السمن وضرب البعض منهم فأحضروا له في يومين أربعة عشر رطلًا بعد الجهد في تحصيلها وبيعت الدجاجة بأربعين نصقًا وامتنع وجود اللحم من الأسواق واستمر الأمر على ذلك الأربعاء والخميس والمضاربة بين الفريقين ساكنة وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما والمتوسط في ذلك الانكليز وحسين قبطان باشا فانسر الناس وسكن جاشهم لسكون الحرب.

وفي ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب المجرة ولم يعلم سبب ذلك ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة ورفعوا عشور الغلة.

وفي يوم الاثنين سابع عشره أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشًا وأرسلوهم الى عرضي الوزير وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق الحبس والجوع ومات الكثير منهم وكذلك أفرجوا عن جملة من العربات والفلاحين.

وفي ليلة الاثنين المذكور سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ثم سمع منها أذان العشاء والفجر فلما أضاء النهار نظر الناس فإذا البيرق العثماني بأعلاها والمسلمون على أسوارها فعلموا بتسليمها وكان ذلك المدفع إشارة الى ذلك ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة وأشيع الإفراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم وباقي المحبوسين في الصباح وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع في أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريتهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم.

وفي ذلك اليوم أنزلوا عدة مدافع من القلعة وكذلك من قلعة باب البرقية وأمتعة وفرش وبارود وفي يوم الثلاثاء عمل الديوان وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسالمة ووعده أن في الجلسة الآتية يأتي إليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ويسمعونه جهارًا.

وفي ذلك اليوم أكثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقي القلاع بقوة السعي.

وفيه أفرجوا عن محمد جليبي أبي دفية واسماعيل القلق ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسي وفيه سافر عثمان بك البرديسي الى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان وسوق المراكب بالغالل والأقوات الى مصر ويلاقي ستة آلاف من عسكر الانكليز حضروا من القلزم الى القصير.

وفيه شنت الفرنساوية شخصًا منهم على شجرة ببركة الأزبكية قيل إنه سرق.

وفيه أرسل الفرنساوية الي الوزير وطلبوا منه جملاً ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بإرسال مائتي جمل وقيل أربعمائة مساعدة لهم وفيها من جمال طاهر باشا وابراهيم بك.

وفي يوم الخميس عشرينه أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم الشيخ السادات والشيخ الشرفاوي والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدي وحسن أغا المحتسب ورضوان كاشف الشعراوي وغيرهم فنزلوا الى بيت قائمقام وقابلوه وشكروه فقال للمشايخ إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فإني كلمته ووصيته عليكم.

وفيه حضر الوزير ومن معه من العساكر الى ناحية شبرا وكذلك الانكليز وصحبهم قبطان باشا الى الجهة الغربية والعساكر تجاههم ونصبوا الجسر فيما بينهم أعلى البحر وهو من مراكب مرصوفة مثل جسر الجيزة بل يزيد عنه في الإتقان بكونه من ألواح في غاية الثخن وله درابزين من الجهتين أيضًا وهو عمل الانكليز.

وفيه ألصقوا أوراقًا بالطرق مكتوبة بالعربي والفرنساوي وفيها شرطان من شروط الصلح التي تتعلق بالعامه ونصها: ثم أنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية ولكن مع هذا الصلح أنفسكم وأديانكم ومتاعكم ما أحد يقارشكم ورؤوس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه الشرط الثاني عشر: كل واحد من أهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت الذي يريد أن يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الإرادة وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما أحد

يعارضهم الشرط الثالث عشر: لا أحد من أهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت يكون قلقًا من قبل نفسه ولا من قبل متاعه.

جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنسي بصفة إقامة الجمهور بمصر ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة ثم يا أهالي مصر وأقاليمها جميع الملل أنتم ناظرون لحد آخر درجة الجمهور الفرنسي ناظر لكم ولراحتكم فيلزم أنتم أيضًا تسلكون في الطريق المستقيمة وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذي يفعل كل شيء وعليه إمضاء بليار قائمقامز وفي يوم الجمعة عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر فقالوا لا فأبرز ورقة من كفه بالقلم الفرنسي فشرع يقرؤها والترجمان يفسرها وهي تتضمن الأحد عشر شرطًا الباقية فقال إن الجيش الفرنسي يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ويتوجهوا على البر بمتاعهم إلى رشيد وينزلوا في مراكب ويتوجهوا إلى بلادهم وهذا الرحيل ينبغي أن يسرع به وأقل ما يكون في خمسين يومًا وأن يساق الجيش من طريق مختصر وسر عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يقوموا لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب والمحل الذي يبدأ منه السعي يكون بالتراضي بين الجمهور والانكليز والمساعد وكامل الأمتعة والأثقال تتوجه من البحر ومعهم جيش من الفرنسي لأجل الحراسة ولا بد من كون المؤونة التي تترتب لهم كالمؤونة التي كانوا يعطونها هم لجيش الانكليز ورؤسائهم وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثملي القيام بنفقة الجميع.

والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم إلى فرنسا من جهة البحر المحيط.

ولن يقدم كل من حضرة العثملي والانكليز أربعة مراكب للعليق والعلف للخيال التي يأخذونها في المراكب وأن يسبروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرنسا وأن الفرنسي لا يدخلون مينة إلا مينة فرنسا والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون إليه نظرًا لكفاية عساكرهم والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنسي يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ولو التي شروها من مصر وكل من أهل الإقليم المصري إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله وكذلك من داخل الفرنسي من أي ملة كانت فلا معارضة له إلا أن يجري على أحواله السابقة.

وبجرى الفرنسي يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملي وإذا عوفوا توجهوا إلى فرنسا بالشروط المتقدم ذكرها وحكام العثملي يتعهدون من بمصر منهم ولا بد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين إلى طولون فيرسلون خبرًا إلى فرنسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنسي فلا بد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلمتا في الصلح ولا يقع في ذلك نقض عهد الصلح وعلى كل طائفة معين من العثملي والفرنسي أن تسلم ما عندها من الأسرى ولا بد من رهائن من كل طائفة واحد يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا إلى فرنسا ثم قال الوكيل: وقد علمنا بالشروط وما ندري ماذا يكون فقليل له هذه شروط عليها علامة القبول وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام قال الوكيل إنني أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصي مبدأ للصلح العمومي.

وفيه كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب فصار الحرسجية من الفرنسي يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم.

فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم فلما أصبحوا منعوهم فدخلوا وخرجوا من باب القرافة فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيين بل كانوا يفتشون البعض ويمنعون البعض وكل ذلك حذرًا من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم وتولد الشر بسببهم وقد دخل بعضهم أكابر الانكليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية فزاروا قبر الإمام الشافعي والمشهد الحسيني والشيخ عبد الوهاب الشعراوي والفرنساوية ينتظرونهم بالباب.

وفي ليلة الاثنين رابع عشرينه نادوا في الأسواق برمي مدافع في صبحه وذلك لنقل رمة كلهر فلا يرتاع الناس من ذلك فلما كان في صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العيني وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذه معهم الى بلادهم.

وفيه أرسلوا أوراقًا ورسلاً للاجتماع بالديوان وهو آخر الدواوين فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجافلية واستوف الخازن دار والوكيل والترجمان فلما استقر بم الجلوس أخرج الوكيل كتابًا مختومًا وأخبر أن ذلك الكتاب من ساري عسكر منو بعث به الى مشايخ الديوان ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون وصورته: بعد البسملة والجلالة والصدر نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والإنصاف في الموضوع الذي أنتم مستمرين فيه وإن لم تقدروا لتنظيم أهالي البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة فرنساوي فالحه تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم ينعم عليكم في الدارين عض خيراتكم وأخبرنا المقدم الجسور بونابارته المشهور عن كل ما فعلتم حاكمًا ونافعًا بوصايا لأجلكم سارة رضي واستراح لتلك الفعال الجيدة وعرفني أيضًا أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم إليه فدمتم الآن بخير الهدى وقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا لكن يسركم أن الجمهور المنصور غلب في أقاليم الروم جميع أعدائه وبعون الله هادي كل شيء سيغلب كذلك العدا في مصر.

واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيران هذا الذي وضعناه قريبكم لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة ونوجه إلى هممكم النصيحة الى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة وولدنا العزيز سليمان مراد أن كليهما حالا كائنان في حصننا في مصر الخ وذكر كثيرًا من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ثم أخرج ورقة بالفرنساوي وقرأها بنفسه حتى فرغ منها ثم قرأ ترجمتها بالعربي الترجمان رفايل ومضمونها: حصول الصلح وتمويهات وهلسيات ليس في ذكرها فائدة ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضًا استوف الخازن دار ورقة وقرأها بالفرنساوي.

ثم قرأ ترجمتها بالعربي الترجمان وهي في معنى الأولى.

وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا الذي يقال له الصدر الأعظم.

والسلام على القادمين معه أيضًا من أعيان دولتهم والأمراء المصرية وكانوا عزموا على الذهاب في الصباح فعوقوا لبعث الديوان وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من أول النهار.

وكتب لهم قائمقام أوراقًا للحرسجية لأنهم مستمرين في منع الناس من الدخول والخروج وأبواب البلد مغلقة وكان خروجهم من طريق بولاق فلما وصلوا الى العرضي سلموا على ابراهيم بك وتوجه معهم الى الوزير فلما وصلوا الى اصبوان أمرهم برفع الطياسانات التي على أكتافهم وتقدموا للسلام عليه فلم يقم لقدومهم فجلسوا ساعة لطيفة وخرجوا من عنده.

وسلموا أيضًا على محمد باشا المعروف بأبي مرق وعلي المحروقي والسيد عمر مكرم وباتوا تلك الليلة بالعرضي ثم عادوا الى بيوتهم.

وفي ثاني يوم عدوا الى البر الغربي وسلموا على قبطان باشا ورجعوا الى منازلهم.

وفيه أرسل ابراهيم بك أمانًا لأكابر القبط فخرجوا أيضًا وسلموا ورجعوا الى دورهم.

وأما يعقوب فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى الى الروضة وكذلك جمع إليه عسكر القبط وهرب الكثير منهم واختفى واجتمعت نساؤهم وأهلهم وذهبوا الى قائمقام وبكوا وولولوا وترجوه في إبقائهم عند عيالهم وأولادهم فإنهم فقراء وأصحاب صنائع ما بين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك فوعدهم أنه يرسل الى يعقوب أنه لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه.

وفيه ذهب بليار قائمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظماء الفرنسيين الى العرضي وقابلوا وفي يوم الأربعاء تاسع عشره خرج المسافرون مع الفرنسية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والمترجمين وبعض مسلمين ممن تداخل معهم وخاف على نفسه بالتخلف وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل يني وبرطلمين ويوسف الحموي وعبد العال الآغا أيضًا طلق زوجته وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حملة من طقم وسلاح وغيره فكان إذا باع شيئًا يرسل خلفه المشتري ويلزمه بإحضار ثمن في الحال قهراً ولم يصحب معه إلا ما خف حملة وغلا ثمنه.

وفيه حضر وكيل الديوان الى الديوان وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمن قدره ستة وثلاثون ألف فضة على ذمة السيد أحمد الزرو.

وفي ذلك اليوم أيضًا فتحوا باب الجامع الأزهر وشرعوا في كنسه وتنظيفه.

وفي ذلك اليوم وما بعده دخل بعض الانكليز ومروا بأسواق المدينة يتفرجون وصحبتهما إثنان أو واحد من الفرنسيين يعرفونهم الطرق.

وأشيع في ذلك اليوم ارتحال الفرنسية ونزولهم من القلاع وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال.

فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال لم يحصل ذلك فاختلقت الروايات فمن الناس من يقول ينزلون يوم الجمعة ومنهم من يقول إنهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين وبات الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالاتهم فنظروا فإذا الفرنسية خرجوا بأجمعهم ليلاً وأخلوا القلعة الكبيرة وباقي القلاع والحصون والمتاريس وذهبوا الى الجيزة والروضة وقصر العيني ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية ففرح الناس كعادتهم بالقادمين ووطنوا فيهم الخير وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدمهم والنساء يلقلعن بالسنتهن من الطيقان وفي الأسواق وقام للناس جلبة وصياح وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر الله السلطان ونحو ذلك وهؤلاء الداخلون ودخلوا من نقب الغرب المثقوب في السور وتسلقوا أيضًا من ناحية العطوف والقرافة وأما باب النصر والعدوي فهما على حالهما مغلوقان لم يأذنوا بفتحهما خوفًا من تزامم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس وباب الفتوح مسدود بالبناء فلما تضحى النهار حضر قبي قول وفتح باب النصر والعدوي وأجلس بهما جماعة من الإنكجارية ودخل الكثير من

العساكر مشاة وركبًا أجناسًا مختلفة ودخلت بلوكات الينكجرية وطاقوا بالأسواق ووضعوا نشاناتهم وزنكهم على القهاوي والحوانيت والحمامات فامتعض أهل الأسواق من ذلك وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالأسواق وتواجدت البضائع وانحلت الأسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤد فكانوا يتلقون من جلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاقي بأعلى الأثمان ووصلت مراكب من جهة بحري وفيها البضائع الرومية واليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومي.

فلما كان قبل صلاة الجمعة وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من وسط المدينة وتوجه إلى المسجد الحسيني فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسيني ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد فأجابه فدخل معه وجلس هنيهة ثم ذهب إلى الجامع الأزهر فتفرج عليه وطاق بمقصورته وأروقتة وجلس ساعة لطيفة وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم وكذلك خدمة المسجد الحسيني ثم ركب راجعًا إلى وطاقه بناحية الحلبي بشاطئ النيل وعملوا في ذلك الوقت شنكًا وضربوا مدافع كثيرة من العرضي والقلعة ودخل قلقات الينكجرية وجلسوا برؤوس العطف والحارات وكل طائفة عندها يبرق ونادوا بالأمان البيع والشراء وطلب أولئك القلقات من أهل الأخطاط المأكول والمشارب والقهاوت والزموهم بذلك وانحاز الفرنسية إلى جهة قصر العيني والروضة والجيزة إلى حد قلعة الناصرية وفم الخليج وعليها بنديراتهم ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من أي إلى جهتهم من العثمانية فلا يمر العثماني إلا إلى الجهة الموصلة إلى بولاقي وأما إذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد وفي مدة إقامة المشار إليه بساحل الحلبي ببولاقي خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقي والمتريز الذي صنعه الفرنسية من حد باب الحديد إلى البحر وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحت وف بالخذق فخربوا ذلك جميعه في هذه المدة القليلة وذلك لأجل وجود النار والمطابخ.

وفي يوم السبت دخل قبي قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية وشق المدينة وأمر بمحو نشانات الانكشارية من الحوانيت ولم يترك إلا القهاوي. واستهل

شهر ربيع الأول يوم الأحد سنة 1216

فيه ركب أغات الينكجرية الكبير العثملي وشق المدينة وخلفه سليم آغا المصري ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم وطلبوا البيوت وسكنوها ودخل محمد باشا المعروف بأبي مرق الغزي وهو المرشح لولاية مصر وسكن بيت الهياثم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفي وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط.

وفي يوم الثلاثاء ثالثه حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ودخل المدينة وتوجه إلى المشهد الحسيني فزاره وذبح به خمس جواميس وسبعة كباش واقتمتها خدمة الضريح وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشميري وأخذ قياس المقام ليصنع له سترا جديدًا وفرق عليهم وعلى الفقراء نحو ألفي محبوب ذهب اسلامبولي.

وفي ذلك اليوم وقعت حادثة وهو أن شخصًا من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسي شربة عرقسوس ولم يدفع له ثمنها فكلم العرقسوسي القلق الانكشاري فأحضره وأمره بدفع ثمنها ونهره وأراد ضربه فاستل ذلك العسكري الطبنجة وضرب ذلك الحاكم فقتله وهرب إلى حارة الجوانية ودخل إلى دار وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار ومر شخصان من الأرنؤد بتلك الخطة فقتلها

الانكشارية لكون الغريم أرنؤديًا من جنسهما فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار فخرج
خارجًا من النار فقبضوا عليه وقتلوه ومات تسعة أشخاص في شربة عرقسوس.

ووقع في ذلك اليوم أيضًا أن شخصين من القليونجية دخلا الى دار رجل نصراني فأخذا
من بيته بقعتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخرهما في
حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا الى القلق فأمر بالقبض على الشخصين
العسكريين فتخلصا وهربا بعد أن انجرح أحدهما وأخذوا الشخصين المسخرين فقطعوا
رؤسهما ظلماً وعدوانًا وذلك من مبدئ قبايحهم.

وفي يوم الأربعاء رابعه ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العيني والروضة والجيزة وانحدروا
الى بحر الوراق وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ونحو الخمسة آلاف من
عسكر الأرنؤد ومن الأمراء المصرية عثمان بك الأشقر ومراد بك الصغير وأحمد بك
الكلارجي وأحمد بك حسن فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث
سنوات واحدًا وعشرين يومًا فإنهم ملكوا بر انبابة والجيزة وكسروا الأمراء المصرية يوم
السبت تاسع شهر صف سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع
وخلو المدينة منهم وانخلاهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادي والعشرين من
شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه.

وفي ذلك اليوم حضر السيد عمر أفندي نقيب الأشراف وصحبه السيد أحمد المحروقي
شاه بندر التجار بمصر وعليهما خلعتا سمور وتوجها الى دورهما.

وفيه نبهوا على موكب حضرة الوزير يوسف باشا من الغد فلما أصبح يوم الخميس
خامسه اجتمع الناس من جميع الطوائف وسائر الأجناس وهرع الناس للفرجة وخرجت
البنات من خدرها واكثرن الدور المطللة على الشارع بأعلى الأثمان وجلس الناس على
السفائف والحوانيت صفوفًا وانجر الموكب من أول النهار الى قريب الظهر ودخل من
باب النصر وشق من وسط المدينة وأمامه العساكر المختلفة من الأرنؤد وأرط البينكرية
والعساكر الشامية والأمراء المصرية والمغاربة والقليونجية وطاهر باشا باشة الأرنؤد
وابراهيم باشا والي حلب ومحمد باشا والي مصر والكتبة ورئيس الكتاب وكتخدا الدولة
والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات وقاضي العسكر ونواب القضاء والعلماء المصرية
ومشايع التكايا وال دراويش وأقبل المشار إليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية
والسعاة والجوخدارية وعليه كرك صوف سنجاني مطرز مخبش وعلى رأسه شلنج
بفصوص الماس وخلفه إثنان عن يمينه وشماله ينثرون دراهم الفضة البيضاء ضربخانة
اسلامبول على المتفرجين من النساء والرجال وخلفه أيضًا العدة الوافرة من أكابر أتباعه
وبعدهم الكثير من عسكر الأرنؤد وموكب الخازندار وخلفه النوبة التركية المختصة به ثم
المدافع وعربات الجبخانات وعملوا وقت الموكب شنكًا ضربوا فيه مدافع كثيرة فكان
ذلك اليوم يومًا مشهودًا وموسمًا وبهجة وعيدًا عمت المسلمين فيه المسرات ونزلت في
قلوب الكافرين الحسرات ودقت البشائر وقرت النواظر وأمروا بوقود المنارات سبع ليال
متواليات فله الحمد والمنة على هذه النعمة ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب
وبوفق أولي الأمر للخير والعدل المطلوب ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ويهديهم
الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
أمين وممن قدم بصحبة ركاب المشار إليه من أكابر دولتهم ابراهيم باشا والي حلب
وابراهيم باشا المعروف بأبي مرق وخليل أفندي الرجائي الدفتردار ومحمود أفندي رئيس
الكتاب وشريف آغا نزله أمين ومحمد آغا جيحي باشا الشهير بطوسون ووقع الاختيار بأن
يكون سكن المشار إليه بيت رشوان بك بحارة عابدين تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا
القرذغلي.

وفي يوم الجمعة نودي بإبطال كلف القلفات وإبطال شرك العسكر لأرباب الحرف إلا من شارك برضاه وسماحة نفسه فلم يمثلوا لذلك واستمر أكثرهم على الطلب من الناس.

وفي يوم الأحد نودي بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصراني ولا يهودي سواء كان قبطيًا أو روميًا أو شاميًا فإنهم من رعايا السلطان والماضي لا يعاد والعجيب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيين تزيوا بزي العثمانية وتسلكوا بالأسلحة واليطقانات ودخلوا في ضمنهم وشمخوا بأنافهم وتعرضوا بالأذية للمسلمين في الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية ويقولون في ضمن سبهم للمسلم فرنسيس كافر ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق أو يكون له بهم معرفة سابقة.

وفيه أرسلوا هجاءًا إلى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر وارتحال الفرنسيات من أرض وفيه أرسلوا فرمانات أيضًا إلى أقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال إلى الملتزمين ولا يدفعون شيئًا إلا بفرمان من الوزير.

وفي يوم الاثنين قتلوا شخصًا بالرميلة يسمى حجاجًا كان متولي الأحكام ببولاق أيام لفرنسيس وجار وعسف وقتل معه آخر يقال إنه أخوه.

وفيه أيضًا قتلوا أشخاصًا بالأزبكية وجهات مصر.

وفيه ركب الوزير بشتاب التخفيف وشق المدينة وتأمل في الأسواق وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوائت الباعة وأرباب الصنائع ومشاركتهم في أرزاقهم ثم توجه إلى المشهد الحسيني فزاره ثم عبر إلى دار السيد أحمد المحروقي وشرفه بدخوله إليه فجلس ساعة ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين دينارًا وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفه وتشريف أقرانه وتكون له منقبة وذلك على ممر الأزمان وأما العسكر فلم يمثلوا ذلك الأمر إلا أيامًا قليلة ووقع بسبب ذلك شكاوي ومشاكلات ومرافعات عند العظماء.

وفي يوم الثلاثاء وصل قاصد من دار السلطنة على يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان خطابًا لحضرة الوزير ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس وهو جواب عن رسالته بدخول بليس.

وفيه نودي بتزيين الأسواق من الغد تعظيمًا ليوم المولد النبوي الشريف فلما أصبح يوم الأربعاء كررت المنادة والأمر بالكنس والرش فحصل الاعتناء وبذل الناس جهدهم وزينوا حوائتهم بالشقق الحرير والزررخان والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر وركب المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنازل المساجد وحصل الجمع بتكية الكلشني على العادة وتردد الناس ليلاً للفرجة وعملوا مغاني ومزامير في عدة جهات وقراءة قرآن وضجت الصغار في الأسواق وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ومصر وبولاق وكان من المعتاد القديم أن لا يعتني بذلك إلا بجهة الأزبكية حيث سكن الشيخ البكري لأن عمل المولد من وظائفه وبولاق فقط.

وفي يوم الخميس ثاني عشره سافر سليمان آغا وكيل دار السعادة وصحبته عدة هجانة إلى ناحية الشام لإحضار المحمل الشريف وحريمات الأمراء إلى مصر.

وفيه افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس وذلك ببيت الدفتردار ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيه حضر اليسرجي الذي جلب مملوك الشيخ البكري الذي تقدم ذكره الى بيت القاضي وأحضروا الشيخ خليل البكري وادعى عليه أنه قهره في أخذ المملوك بالفرنسيس وأخذه منه بدون القيمة وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك وطال بينهما النزاع وآل الأمر بينهما الى انتزاع المملوك من المذكور وقد كان أعتقه وعقد له على ابنته فأبطلوا العتق وفسخوا النكاح وأخذ المملوك عثمان بك الطنبرجي المرادي ودفع للشيخ دراهمه ولجلابه باقي الثمن وتجرع فراقه.

وفي يوم الجمعة ركب الوزير وحضر الى الجامع الأزهر وصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فرجية صوف وفي ذلك اليوم احترق جامع قايتباي الكائن بالروضة المعروف بجامع السيوطي والسبب في ذلك أن الفرنسيين كانوا يصنعون البارود بالجينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنًا لما يصنعونه فبقي ذلك بالمسجد وذهب الفرنسيين وتركوه كما هو وجانب كبريت في أنخاخ أيضًا فدخل رجل فلاح ومعه غلام ويده قصبة يشرب بها الدخان وكأنه فتح ماعوًا من ظروف البارود لأخذ منه شيئًا ونسي المسكين القصبة بيده فأصاب البارود فاشتغل جميعه وخرج له صوت هائل ودخان عظيم واحترق المسجد واستمرت النار في سقفه بطول النهار واحترق الرجل والغلام.

وفي يوم الأحد خامس عشره أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى أنهم لا يلبسون الملونات ويقتصرون على لبس الأزرق والأسود فقط فبمجرد الإشاعة وسماع ذلك ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ومن لم يجدوه بشباب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر ويتركوا له الطاقية والشد الأزرق وليس القصد من أولئك القلقات الانتصار للدين بل استغناء السلب وأخذ الثياب ثم أن النصارى صرخوا الى عظمائهم فأنهوا شكواهم فنودي بعدم التعرض لهم وأن كل فريق يمشي على طريقته المعتادة.

وفي يوم الاثنين طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار وألزمهم بإحضارها من الغد فاجتمع المستعدون لجمع الفردة في أيام الفرنساوية كالسيد أحمد الزور وكاتب البهار وأرادوا توزيعها على المحترفين كعادتهم فاجتمع أرباب الحرف الدينية وذهبوا الى بيت الوزير والدفتردار واستغاثوا وبكوا فرفعوا عنهم الطلب وألزموا بها المياسر.

وفيه قلدوا محمد آغا تابع قاسم بك موسقو الابراهيمى وجعلوه واليًا عوضًا عن علي آغا الشعراوي.

وفي ثامن عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك وركب محمد باشا المعروف بأبي مرق المرشح لولاية مصر في صباحها الى قنطرة السد وكسروا جسر الخليج بحضرته وفرق العوائد وخلع الخلع ونشر الذهب والفضة.

وفيه عزل الوزير القاضي وهو قاضي العرضي الذي كان ولاه الوزير قاضي العسكر بمصر نائبًا عن مؤول إليه القضاء باسلامبول فلما تولى ذلك حصل منه تعنت في الأحكام وطمع فاحش وضيق على نواب القضاء بالمحاكم ومنعهم من سماع الدعاوي ولم يجزهم على عوائدهم وأراد أن يفتح بابًا في الأملاك والعقار ويقول إنها صارت كلها ملكًا للسلطان لأن مصر قد ملكها الحريون وبفتحها صارت ملكًا للسلطان فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميري ثانيًا ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات ومناقشات وفتاوى وظهروا عليه ثم تحامل عليه بعض أهل الدولة وشكوه الى الوزير فعزله وقلد مكانه قدسي أفندي نقيب الأشراف بحلب سابقًا ونقل المعزول متاعه من المحكمة مدة ولايته خمسة عشر يومًا.

وفي ذلك اليوم أيضًا خلع الوزير على الأمير محمد بك الألفي فروة سمور وقلده إمارة الصعيد وليرسل المال والغلال وبضبط مواريث من مات بالصعيد بالطاعون فبرز خيامه من يومه الى ناحية الآثار وأسكن داره بالأزبكية رئيس أفندي.

وفي يوم الجمعة حضر الوزير الى جامع المؤيد وصلى به الجمعة.

وفيه قبضوا على عرفة بن المسرى وحبس بيت الوزير بسبب أخيه ابراهيم كان شيخ مرجوش وتقيد بقبض فردة الفرنسييس ثم ذهب الى المحلة وتوفي بها فغمزوا على أخيه عرفة المذكور وقبضوا عليه وحبسوه وأرسلوا فرماتًا الى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند شركائهما ثم نهبا بيت المذكور.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه طلبت ابنة الشيخ البكري وكانت ممن تبرج مع الفرنسييس بمعينين من طرف الوزير فحضروا الى دار أمها بالجودرية بعد المغرب وأحضرها ووالدها فسألوها عما كانت تفعله فقالت إني تبت من ذلك فقالوا لوالدها ما تقول أنت فقال أقول إني بريء منها فكسروا رقبتها وكذلك المرأة التي تسمى هوى التي كانت تزوجت نقولا القبطان.

ثم أقامت بالقلعة وهربت بمتاعها وطلبها الفرنساوية وفتش عليها عبد العال وهجم بسببها عدة أماكن كما تقدم ذكر ذلك فلما دخلت المسلمون وحضر زوجها مع من حضر وهو اسمعيل كاشف المعروف بالشامي أمنها وطمنها وأقامت معه أيامًا فاستأذن الوزير في قتلها فأذنه فخنقها في ذلك اليوم أيضًا ومعها جاريتها البيضاء أم ولده وقتلوا أيضًا امرأتين من أشباههن.

وفي يوم الأربعاء أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا أبي مرق الى أخي الشواربي شيخ قليوب فأحضره على غير صورة ماشيًا مكتوفًا مسحوبًا مضروبًا من قليوب الى مصر فحبسوه ببيت الوزير ثم حضر أخوه وصالح عليه بعشرة أكياس قام بدفعها وأطلق قيل إن السبب في ذلك أن جماعة من أتباع محمد باشا ذهبوا الى قليوب وطلبوا تبتًا فطردهم الساكن وأعطاهم دارهم ذهبوا عنه وتركوه وإن عاند سيوه وضربوه وشتمهم وردهم من غير شيء وقيل إن ذلك بإغراء ابن المحروقي لضغن بينه وبينهم قديم.

وفي آخره تحرر ديوان العشور فكان المتحصل ستة عشر ألف كيس.

وفيه تشاجر طائفة من الينكجerie مع طائفة من الانكليز بالجيزة وقتل بينهما أشخاص فنودي على الينكجerie ومنعوا من التعدي الى بر الجيزة.

وفيه كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء في أصناف المأكولات وتسلبوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السوقه وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم يأخذون من الخبز الخبز من غير ثمن وكذلك يشربون والقهوة من القهاوي ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ويبيعونها بأعلى الأثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلبوا على الناس بالأذية بأدنى سبب وتعرضوا للسكان في منازلهم فتأتي منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكونها فإن لطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنهم وتركوه وإن عاند سيوه وضربوه ولو عظيمًا وإن شكا الي كبيرهم قوبل بالتبكييت ويقال له ألا تفسحوا لإخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب يأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم وينهبون بيوتكم وهم ضيوفكم أيامًا قليلة فما يسع المسكين إلا يكلفهم بما قدر عليه وإن أسعفته العناية فانصرفوا عنه بأي وجه فيأتي إليه خلافهم وإن سكنوا

دارًا أخرجوها وأما القلقات والينكجربة الذين تقيدوا بحارات النصارى فإنهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين وبطلبون منهم بعد كلف المأكّل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك وتسلمت عليهم المسلمون بالدعاوي والشكاوي على أيدي أولئك القلقات فيخلصون منهم ما لزمهم بأدنى شبهة ولا يعطون المدعي إلا القليل من ذلك والمدعي يكتفي بما حصل له من التشفي والظفر بعدوه وإذا تداعي شخص على شخص أو امرأة مع زوجها ذهب معهم أتباع القلق إلى المحكمة إن كانت الدعوى شرعية فإذا تمت الدعوى أخذ القاضي محصوله ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الثلاثاء سنة 1216 فيه أفرج عن عرفة بن المسيري ووصلح عليه بخمسة عشر كيسًا وكتب له فرمان برد منهوباته وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة.

وفي يوم الأربعاء ثانيه أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم القديمة فأخبروا إبراهيم بك فقال الأمر عام لنا ولكم أو لكم فقط فقالوا لا ندري فسأل إبراهيم بك الوزير المشار إليه فقال له بل ذلك عام فلما كان يوم الجمعة حادي عشره لبس الوجاقلية والأمراء المصرية زيه من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة حسب الأمر بذلك وكذلك الأمراء الصناجق وحضروا في يوم الجمعة يديوان الوزير ونظر إليهم وأعجب بهياتهم واستحسن زيه ودعا لهم وأثنى عليهم وأمرهم أن يستمروا على هيتهم وذلك على ما هم فيه من التفليس وغالبهم لا يملك عشاء ليلته فضلًا عن كونه يقتني حصانًا وشنشارًا وخدمًا ولوازم لا بد منها ولا غنى للمظهر عنها.

وفيه حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية فتخلفوا عنهم ورجعوا إلى مصر.

وفيه أرسلوا تنابيه للملتزمين بطلب بواقي مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف فمن أين يدفعون البواقي.

وفي يوم الخميس نبهوا على العساكر المتداخلة في الينكجربة وغيرهم بالسفر.

وفيه كتبت فرمانات باللغة العربية بترصيف صاحبنا العلامة السيد اسمعيل الوهي المعروف بالخشاب وأرسلت إلى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة وعدم التعرض لهم وفي ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم.

وفي يوم الجمعة أحضروا رمة زوجة إبراهيم بك وعملوا لها قبرًا بجانب أخيها محمد بك أبي الذهب بمدرسته المقابلة للجامع الأزهر ودفنوها به.

وفي يوم السبت خامسه ورد الخبر بوفاة أحمد بك حسن أحد الأمراء الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان والفرنساوية وكان القبطان وجهه إلى عرب الهنادي الذين يحملون الميرة إلى الفرنسيين المحصورين باسكندرية وضم إليه عدة من العسكر فحاربهم وقتلهم عدة مرار فأصابته رصاصة دخلت في جوفه فرجع إلى مخيمه ومات من ليلته وكان يضاها سيده في الشجاعة والفروسية.

وفيه اطلعوا للملتزمين التصرف في سنة خمس عشرة ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقي ومال الميري والمضاف ويدفعوا جميع ذلك إلى الخزينة بأوراق مختومة من إبراهيم بك وعثمان بك والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية والرجاء بالتصرف في

المستقبل ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحلوان مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ونظروا في الأموال الميرية والخراج فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجة ونظروا في الدفاتر القديمة واطلعوا على العوائد السالفة ورأوا ذلك كان يقبض أثلاثًا مع المراعاة في ري الأراضي وعدمه فاختاروا الأصلح في أسباب العمار وقالوا ليس من الإنصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ولا الفلاحين بالخراج فتنفست الفلاحون وراج حالهم وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه وصلت قافلة شامية وبها بضائع وصابون ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسي والحاج سعودي الحناوي وآخرون وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلي والدخان.

وفيه ورد الخبر بسفر الفرنساوية ونزولهم المراكب من ساحل أبي قير.

وفي يوم الأحد حبس حسن آغا محرم المنفصل عن الحسبة وطولب بمائتي كيس وذلك معتاد الحسبة في الثلاث سنوات التي تولاها أيام الفرنساوية فإنه لما تقلد أمر الحسبة في أيامهم منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوق وجعلوا له مرتبًا في كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته وكذلك أتباعه وطالبوه أيضًا بأربعة آلاف قرش كان أعطاها له نزله أمين عند حضورهم في العام الماضي لمشتريات الذخيرة ثم نقص الصلح عقيب ذلك وخرجوا من مصر وبقيت بذمته فأخبر أن الفرنساوية علموا بها وأخذوها منه وأعطوه ورقة بوصول ذلك إليهم فلم يقبلوا منه ذلك وبقي معتقلًا وادعوا عليه أيضًا بتركة الآغا الذي كان نزله ومات عنده واحتوى على موجوده فأخبر أيضًا أن الفرنسيين أخذوا منه ذلك أيضًا وأعطوه سندًا فلم يقبلوا منه ذلك واستمر محبوسًا.

وفي يوم الاثنين رابع عشره نودي على أن أهل البلدة لا يصاهرون العساكر العثمانية ولا يزوجونهم النساء وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد وأكثرهم النساء اللاتي دون مع الفرنساوية ولما حضر العثمانية تحجب وتنفق وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ورغبوا فيهن الخطاب فأمهروهن المهور الغالية وأنزلوهن الناصب العالية وفي ذلك اليوم أيضًا نودي على أهل الذمة بالأمن والأمان وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات.

وفي قبض على جرجي موسى الجيزاوي وعمل عليه عشرون كيسًا.

وفيه قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتي وضربه علقه وحبسه وألزمه بمبلغ دراهم.

وفيه سافر الانكليزية الذين بالجيزة والروضة الى جهة الاسكندرية وأشيع أن الحرب قائمة بين العساكر والفرنسيين الاسكندرانية من يوم الاثنين سابعه فطلبوا المراكب حتى شح وجودها وضاق الحال بالمسافرين واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الإسلامية بالسفر.

وفي يوم الخميس نقضت الأوامر بتصرف الملتزمين في البلاد وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول الى البلاد لقبض الأموال في غير أوانها لطرف الدولة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم.

وفيه قبض من مصطفى الطاراتي المعتقل المتقدم ذكره خمسة عشر ألف ريال ولم يزل معتقلا وقيل إنه غمز عليه فوجد له في مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عین ومصطفى هذا كان كلارجيًا عند قائد آغا حين كان بمصر فلما خرج الأمراء مقدّمًا عند بونابارته ثم عند كلهر.

فلما وقعت الفتنة السابقة وظهر يعقوب القبطي وتولى أمر الفردة وجمع المال تقيد بخدمته وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم فكان يجلس على الكرسي وقت القائلة ويأمر أعوانه بإحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس فيمثل بين يديه ويطالبه بإحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ولا قدرة له على تحصيله فيعتذر بخلو يده ويترجى إمهاله فيزجره ويسبه ويأمر بضربه فيبطحونه ويضرب بين يديه ويرده الى السجن بعد أن يأمر أعوانه أن يذهب الى داره وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيين ويهجمون على حريمه وأمثال ذلك. وفي

يوم الأحد وردت أخبار من اسكندرية بتملك العساكر الإسلامية

والانجليزية متاريس فرنساوية وأخذهم المتاريس الى جهة العجمي وباب رشيد وجانبًا من اسكندرية القديمة وتخطت المراكب وعبرت الى المينة وأن فرنساوية انحصروا داخل الأبراج وأخذ منهم نحو المائة وسبعين أسيرًا وقتل منهم عدة وافرة ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا وكذلك من الانجليز ثم انجلت الحرب عما ذكر فلما ورد الخبر بذلك وفيه ورد الخبر بوصول سليمان صالح الى بلبس وصحبته المحمل والحريمات وأحضر معه رمة سيده صالح بك ليدفنها بمصر بالقرافة فخرج أناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لكرأوي النساء وهديه.

وفي يوم الاثنين وصل سليمان آغا الى بركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ومعه أيضًا رمة صالح بك ليدفنها بقرافة مصر فخرج الناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النساء وهديات ونودي في عصرته بعمل موكب من الغد وطاف آلاي جاويش بزبه المعتاد وخلفه القليجية وهم ينادون يارن آلاي فلما أصبح يوم الثلاثاء ثاني عشرينه عمل الموكب وانجر الآلاي ودخل المحمل من باب النصر وشقوا به من الشارع الأعظم وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسيني والأسواق مزينة وعلى الحوانيت الشقق الحرير والزردهات والتفاصيل وتعاليق القناديل ومشى في الموكب رسوم لوجاقلية والأوده باشية وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ونقيب الأشراف ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور في صبح ذلك اليوم للمشي في ذلك الموكب فمشى كل من كان له عمامة خضراء يكبرون ويهللون فكانوا عددًا كثيرًا وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبوه وسحبوه قهراً وأمرؤه بالمشي وإن أبى ضربه وسبوه وبكتوه بقولهم ألسنت من المسلمين وكذلك تجمع أرباب الأشاير ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم وخورهم وصياحهم فلم يزالوا حتى وصلوا الى قراميدان وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان آغا الذي وصل به ولكونه عوضًا عن سيده أمير الحاج صالح بك ثم صعدوا به الى القلعة وأودعوه هناك وعملت وقدة وشنك تلك الليلة.

وفي ذلك اليوم شرعوا في فتح باب الفتوح وكان القصد إدخال المحمل منه لضيق باب الاستثناء الثاني الذي جدده فرنساوية عند باب النصر فلم يتأت ذلك لمتانة البناء واستمروا ثلاثة أيام يهدمون في البناء الذي على الباب من داخل فلم يمكن ودفنوا صالح بك بتربة أعدت له بقرافة المجاورين والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء والصديقين وهؤلاء الثلاثة بالعكس فما هو إلا لتطهيرها منهم.

وفيه ورد خبر باسكندرية بانقضاء الحرب وطلب الفرنسيين الصلح بعد وقوع الغلبة ليهم وهزيمتهم وأخذ منهم عدة أسرى وانحصروا في الأبراج فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرينه.

وفيه ألزموا حسن آغا المحتسب بالنقلة من داره وهو في الحبس فأرسل الى حريمه وأتباعه فانتقلوا الى مكان آخر.

وفيه ورد الخبر أيضًا بورود عثمان كتخدا الدولة الذي كان بمصر في العام السابق وياشر الحروب بمصر وصحبته آخر يقال له شريف أفندي.

وفي سادس عشرينه قدم محمد أفندي المعروف بشريف أفندي الدفتردار وقدم بصحبته عثمان كتخدا الدولة وسكن شريف أفندي بدرب الجماميز وسكن الكتخدا بمنزل حسن آغا المحتسب سابقًا بسويقة اللالا.

وفي غايته عمل شنك ومدافع كثيرة وذلك لوصول خبر بتسليم الاسكندرية وسبب تأخرهم الى هذه المدة بعد وقوع الصلح انتظار الأمر بالانتقال من بونابارته وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم أرسل ساري عسكر منو تطريدة الى فرانسبا بالخبر الى بونابارته وانتظر الجواب فورد عليه الأمر بالانتقال والحضور فعند ذلك نزلوا متاعهم الى المراكب وسافروا الى بلادهم.

شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس سنة 1216 فيه قرئت فرمانات صحة عثمان كتخدا وفيها التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم مثل جرجس الجوهري واصف وملطي ومقدمهم في تحرير الأموال الميرية.

وفيه انفصل مولانا السيد محمد المعروف بقديسي أفندي عن القضاء وسافر ذلك اليوم وذلك بمراده واستعفائه وطلبه وتقلد القضاء عوضه عبد الله أفندي قاضي الميري وكاتب الجمرک وحضر في ذلك اليوم الى المحكمة.

وفي يوم السبت ثالته أفرج عن حسن آغا المحتسب بشفاعه عثمان كتخدا وحسن آغا وكيل قبطان باشا من غير شيء وتوجه الى دار بجوار داره.

وفيه تجمع النساء والفلاحون والملتزمون والوجاقلية بيت الوزير بسبب الالتزام والمنع من التصرف وحضور الفلاحين للضيق عليهم بطلب المال الى ملتزميهم ومطالبتهم إياهم بما قبضوه منهم فلما اجتمعوا وصرخوا سال الوزير عن ذلك فأخبروه فأمر بكتابة فرمان بالإطلاق والإذن للملتزمين بالتصرف ووجهوا الأمر الى الدفتردار فكتب عليه ثم الى الروزنامجي كذلك ثم توجهوا الى دفتردار الدولة فتوقف وبقي الأمر زجاجًا أيامًا وذلك أن القوم يريدون أمورًا مبطونة في نفوسهم وأطماعًا مركوزة في طباعهم.

وفي يوم الاثنين نودي بالزينة ثلاثة أيام أولها الأربعاء وآخرها الجمعة تاسعه سرورًا بتسليم الاسكندرية فزينت المدينة وعملت الودقات بالأسواق والمغاني للفرجة ليلاً ونهارًا وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريح وبارود ببركة الغرايين المطل عليها بيت الوزير.

وفيه حضر نحو ستة أنفار من أعيان الانكليز وصحبته جماعه من العثمانية يفرجونهم على وفيه تحاسب السيد أحمد المحروقي مع السيد أحمد الزرو على شركة بينهما فتأخر علي الزرو أحد وعشرون كيسًا فألزمه بإحضارها وحبسه بسجن قواس باشا وأمره بالتضييق عليه ولما أصبح يومالسبت لغط الناس باستمرار الزينة سبعة أيام وانتظروا الإذن في رفع التعاليق فلم يؤذن لهم بشيء فاستمروا طول النهار في اختلاف وحل

وربط ثم أذن لهم قبيل الغروب برفعها بعدما عمروا القناديل وكان الناس يبيتون سهارى بالحوانيت والقلقات يطوفون بالأسواق فمن وجدوه نائمًا نبهوه بإزعاج.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره وقع من طوائف العسكر عريدة بالأسواق وتخطفوا أمتعة الناس ومن باعة المأكّل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح فانزعجت الناس ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأخلوا منها وأغلقوها فحضر إليهم بعض أكابرهم وراطنهم فانكفوا ورق الحال وتبين أن السبب في ذلك تأخير علائقهم وذلك أن من عادتهم القبيحة أنه إذا تأخرت عنهم علائقهم فعلوا مثل ذلك بالرعية وأثاروا الشرور فعند ذلك يطلبون خواطرهم وبعدونهم أو يدفعون لهم.

وفيه ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على مصر وهو كتحدا حسين باشا القبودان فألبس الوزير وكيله خلعة عوضًا عنه وأشيع عزل محمد باشا أبي مرق وسفره الى بلاده وحضر السفار أيضًا من جهة رشيد واسكندرية وأخبروا بأن الفرنسية لم يزالوا باسكندرية وبنديراتهم على الأبراج وأن القبطان ومن معه لم يدخلوها وإنما يدخلها معهم الانكليزية وأنهم ينتظرون الى الآن الجواب والإذن من شيختهم وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له وأما الطائفة الأخرى التي سافرت من مصرفاتهم نزلوا وسافروا على وفق الشرط من أبي قير كما تقدم.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بك المرادي وعثمان بك البرديسي وابراهيم كتحدا السناري والحاج سلامة تابعه وآخرين فسافروا في يوم السبت رابع عشرينه.

وفي ليلة السبت المذكور قتلوا شخصًا يسمى مصطفى الصيرفي من خط الصاغة قطعوا رأسه تحت داره عند حانوته وسبب ذلك أنه كان يتداخل في نصارى القبط والذين يتعاطون الفرد ويزعونها وتولى فردة أهل الصاغة وسوق السلاح وتجاهر بأمور نقت عليه وأضر أشخاصًا وأغري به فحبس أيامًا ثم قتل بأمر الوزير وترك مرميًا ثلاث ليال ثم دفن وفي صبيحة قتله طاف المشاعلي بالخطة ودوائرها مثل الجمالية والضبية والنحاسين وباب الزهومة وخان الخليلي فجبي من أرباب الحوانيت دارهم ما بين خمسة أنصاف فضة وعشرة وعند شيله جى القلقات أيضًا ما يزيد على المائة قرش وذلك من جملة عوائدهم القبيحة.

وفيه هرب السيد أحمد الزرو فلم يعلم له خبر وذلك بعدما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن محرم فكتب الوزير عدة فرمانات وأرسلها صحبة هجانة الى جهة الشام وختموا على دوره ولم يعلم هروبه إلا بعد أربعة أيام لما داخله من الخوف بقتل الصيرفي المذكور.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه عقد ابراهيم بك الكبير عقد ابنته عديلة هانم التي كانت تحت ابراهيم بك الصغير المعروف بالوالي الذي غرق بواقعة الفرنسيين بانبابة على الأمير سليمان كاشف مملوك زوجها الأول على صداق ألفين ريال وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر النقيب والفيومي وبعض الأعيان.

وفي يوم الجمعة غايته قتل شخص أيضًا بسوق السلاح وهو من ناحية المنصورة وجى المشاعلية والقلقات دراهم من أرباب الحوانيت مثل ذلك المذكور فيما تقدم وانقضى هذا الشهر وحوادثه التي منها الارتباك في أمر حصص الالتزام والمزاد في المحلول وعدم الراحة والاستقرار على شيء يرتاح الناس عليه ومثل ذلك الرزق الأحباسية والأوقاف وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها ويده دفاتر ذلك فجمع المباشرين واستملاهم وكذلك كاتب المحاسبة وبث المعينين

لإحضار النظار بين يديه وحسابهم على الإيراد والمصرف وأظهر أنه يريد بذلك تعمير المساجد وإجراء شروطات الأوقاف وآخر مثله لتحرير الأوقاف والمساجد الكائنة بالقرى المصرية وانضمت إليه الأغوات وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك واستمروا على ذلك بطول السنة ثم انكشف الأمر وظهر أن المراد من ذلك ليس إلا تحصيل الدراهم فقط وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الإمكان بعد التعتن في التحرير والتعلل بإثبات المدعي في الإيراد والمصرف خصوصًا إذا كان الشخص ضعيفًا وليس من أرباب الوجاهة والمتجوهين أو بينه وبين الكتبة حزازة باطنية.

ثم يحررون دفترًا ويحررون الفائض ثم يطلبون منه إيراد ثلاث سنوات أو أربع ولم يزل حتى يصلح على نفسه بما أمكنه ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين إن شاء عمر.

وإن شاء آخر فإن انتهت إليهم بعد ذلك شكوى في ناظر وقف سبقت له مصلحة لا تسمع شكوى الشاكي ولا يلتفت إليها ويفعلون هذا الفعل في كل سنة.

ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضي أيضًا حتى غطى الذراع زاده الفرنساوية على عامود المقياس فإن الفرنسية لما غيروا معالم المقياس رفعوا الخشبة المركبة على العامود وزادوا فوق العامود قطعة رخام مربعة مهندمة وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطًا وركبوا عليها الخشبة فسترها الماء أيضًا ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة وغرقت الروضة ولم يقع في هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم في البرك والخلجان والمراكب وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية وخصوصًا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم وعدم المراكب وتخريب الفرنسيين أماكن النزهة وقطع الأشجار وتلف المقاصف التي كانت تجلس بها أولاد البلد مثل دهليز الملك والجسر والرصيف وغير ذلك مثل الكازروني والمغربي وناحية قنطرة السد وقصر العيني والقصور.

ومنها أن محمد بك المعروف بالمنفوخ المرادي حصل عنده وحشة من قبطان باشا فحضر إلى ناحية الأهرام بالجيزة وطلب الحضور عند الوزير يستجير به فذهب إليه خشداشه عثمان بك البرديسي وحادثه وأشار عليه بالرجوع إلى جهة القبطان فأقام أيامًا ثم رجع إلى ناحية اسكندرية والسبب في ذلك ما حصل في الواقعة التي قتل بها أحمد بك الحسيني قيل إن ذلك بنفاقه عليه واتضح ذلك للقبطان وأحضرت العرب مراسلته إليهم بذلك فأنحرف عليه القبطان فلما علم ذلك داخله الخوف ثم أرسل إليه الأمراء والقبطان أمانًا فرجع بعد أيام.

ومنها حضور الجمع الكثير من أهالي الصعيد هروبًا من الألفي وما أوقعه بهم من الجور والمظالم والتقارير والضرائب والغرائب وحضر أيضًا الشيخ عبد المنعم الجرجاوي والشيخ العارف وخلافهم يتشكون مما أنزلهم على بلادهم وطلب متروكات الأموات وأحضر ورثتهم وأولادهم وأطفالهم ومن توسط أو ضبط أو تعاظم شيئًا من القضاة والفقهاء وحبسهم وعاقبهم وطالبهم وطلب استئصال ما بأيديهم ونحو ذلك كل ذلك بأمر من الدولة وغير ذلك معين.

فحضرُوا فصالحوا على تركة سليم كاشف باثنين وعشرين ألف ريال بعد أن ختموا على دوره بعد أن أزعجوا حريمه وعياله ونطوا من الحيطان ثم حضروا إلى مصر وأمثال ذلك.

ومنها كثرة تعدي العسكر بالأذية للعامة وأرباب الحرف فيأتي الشخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت ثم يقوم فيدعي ضياع كيسه أو سقوط شيء منه وإن أمكنه اختلاس شيء فعل أو يبدلون الدنانير الزبوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهراً أو

يلاقشون النساء في مجامع الأسواق من غير احتشام ولا حياء وإذا صرفوا دراهم أو أبدلوها اختلسوا منها وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح فتذهب الجماعة منهم الى القرية ويدهم ورقة مكتوب باللغة التركية يوهمونهم أنهم حضروا إليهم بأوامر ما برفع الظلم عنهم أو ما يتدعونه من الكلام المزور ويطلبون حق طريقهم مبلغًا عظيمًا ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ويخطفون الأغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط به العلم فطفشت الفلاحون وحضر أكثرهم الى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم أو يركب العسكري حمار المكارى قهراً ويخرج به الى جهة الخلاء فيقتل المكارى ويذهب بالحمار فيبيعه بساحة الحمير وإذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدينة أخذوا دراهمهم أو شلحوهم ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك وتسلبوا على الناس بالسب والشتم ويجعلونهم كفرة وفرنسيين وغير ذلك وتمنى أكثر ومنها أن أكثرهم تسبب في المبيعات وسائر أصناف المأكولات والخضارات ويبيعونها بما أحبوا من الأسعار ولا يسري عليهم حكم المحتسب ولا غيره وكذلك من تولى منهم رئاسة حرفة من الحرف كالعمارجية أو غيرهم قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات وتركهم.

وما يدينون فيسعون كل صنف بمرادهم وليس له هو التفات لشيء سوى ما يأخذه من دراهم الشكاوي فغلا بسبب ذلك الجبس والجير وأجر الفعلة والبنائين خصوصاً وقد احتاج الناس لبناء ما هدمه الفرنسيين وما تخرب في الحروب بمصر وبولاى وجهات خارج البلد حتى وصل الأردب الجبس الى مائة وعشرين نصف فضة والجير بخمسين نصف فضة وأجرة البناء أربعين فضة والفاعل عشرين وأما الغلة فرخيصة وكذلك باقي الحبوب بكثرتها مع أن الرغيف ثلاثة أواق بنصف لما ذكر من عدم الاتفات الى الأحكام والتسعيرات.

واستهلت جمادى الثانية بيوم السبت سنة 1216 فيه تفكك الجسر الكبير المنصوب من الروضة الى الجزيرة وذلك من شدة الماء وقوته فتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه تفرقت سفنه وانحدرت الى بحري.

وفي ليلة الأحد ثانيه حصلت زلزلة في ثالث ساعة من الليل.

وفي يوم الاثنين ثالثه قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتي بين المفارق بباب الشعرية وذلك بعد حبسه أياماً عديدة وضربه وعقابه حتى تورمت أقدامه وطاف مع المعينين عدة أيام يتداين بواقى ما قرر عليه ودخل داراً نافذة وأجلس الملازمين له بابها وهم لا يعلمون بنفوذها وأوهم أنه يريد التداين من صاحب الدار ونفذ من الجهة الأخرى واختفى في بعض الزوايا فاستعوقه الجماعة ودخلوا الى الدار فلم يجدوه وعلموا بنفوذها فقبضوا على خدمة الدار وضربوهم فلم يجدوا عندهم علماً منه فأطلقوهم وأوقعوا عليه الفحص والتفتيش فرآه شخص ممن صادره في أيام الفردة فصادفه في صباحها خارج باب القرافة فقبض عليه.

وأحضره بين يدي جماعة القلق فدل عليه فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام وتركوه مرمياً تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة الازدحام ثلاث ليال وفعلوا عادتهم في جبي الدراهم من تلك الخطة.

وفيه ورد فرمان من محمد باشا والي مصر بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم فكتبوا تنابيه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب.

وفي يوم الثلاثاء وصل شمس الدين بك أمير اخور كبير ومرجان آغا دار السعادة فأرسلوا تنابيه الى الوجاقلية والأمراء والمشايخ ومحمد باشا وإبراهيم باشا فاجتمعوا بيت الوزير.

وحضر المذكوران بعد الظهر فخرج الوزير ولاقاهما من المجلس الخارج فسلماه كيسيًا بداخله خط شريف فأخذه وقبله وأحضرا له بقجة بداخلها خلعة سمور عظيمة فلبسها وسيقًا تقلد به وشلنج جوهر وضعه على رأسه ودخل صحبتهما الى القاعة حيث الجمع ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان ففتحته وأخرج منه ورقة صغيرة فسلمها لرئيس أفندي فقرأها باللغة التركية والقوم قيام على أقدامهم مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا وحسين باشا القبطان والباشات والأمراء والعساكر المجاهدين والثناء عليهم والشكر لصنيعهم وما فتحه الله على يديهم وإخراجهم الفرنسيين ونحو ذلك ثم وعظ بعض الأفندية بكلمات معتادة ودعوا السلطان والوزير والعساكر الإسلامية وتقدم ابراهيم باشا ومحمد باشا وطاهر باشا وباقي الأمراء فقبلوا ذيل الخلعة وأنصرفوا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة في ذلك الوقت وفي ذلك اليوم ألبس الوزير الأمراء والبلات فراوي وخلعًا وشلنجات ذهب على رؤوسهم.

وفيه حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا توسون أغات الجبجية وهو إنسان لا بأس به.

وفيه حضر القاضي الجديد من الروم ووصل الى بولاك وهو صاحب المنصب فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه فلما كان يوم السبت ثامن حضر بموكبه الى المحكمة وذهب إليه الأعيان في صباحها وسلموا عليه وله مسيس بالعلم.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره عمل الوزير الديوان وحضر عنده الأمراء فقبض على ابراهيم بك الكبير وباقي الأمراء الصناجق وحبسهم وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الأرنؤد الى محمد بك الألفي بالصعيد وكان أشيع هروبه الى جهة الواحات وذهبت طائفة الى سليم بك أبي دياب وكان مقيمًا بالمنيل فلما أخذ الخبر طلب الهرب وترك حملته فلما حضرت العسكر إليه فلم يجدوه فنهبوا القرية وأخذوا جماله وهي نحو السبعين وهجنه وهي نيف وثلاثون هجينًا وذهبت إليه طائفة بناحية طرا فقاتلهم ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح.

ثم هرب الى جهة قبلي من على الحاجز ووقفت طائفة العسكر والأرنؤد بالأخطاط والجهاث.

وخارج البلد يقبضون على من يصادفونه من المماليك والأجناد ونودي في ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية وأطلق الوزير مرزوق بك ورضوان كتخدا ابراهيم بك وسليمان آغا كتخداه المسمى بالحنفي وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين واختفى باقيهم.

ونودي عليهم وبالتواعد لمن أخفاهم أو آواهم وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيين وخاب أملهم وضاع تعبهم وطمعهم وكان في ظنهم أن العثملي يرجع الى بلاده ويترك لهم مصر ويعودون الى حالتهم الأولى يتصرفون في الأقاليم كيفما شاؤوا فاستمروا في الحبس ثم تبين أن سليم بك آبا دياب ذهب الى عند الانكليز والتجأ إليهم بالجيزة وألبس لوزير سليمان آغا تابع صالح آغا زي وفي يوم الاثنين سابع عشره سافر اسمعيل أفندي شقبيون كاتب حوالة الى رشيد باستدعاء من الباشا والي مصر.

وورد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة السلطان فلما كان يوم الأربعاء حضر واحد أفندي وآخرون وصحبته الكسوة فنادوا بمرورها في صباحها يوم الخميس فلما أصبح يوم الخميس المذكور ركب الأعيان والمشايخ والأشايخ وعثمان كتخدا المنوه بذكره لإمارة الحج وجمع من الجاويشية والعساكر والقاضي ونقيب الأشراف وأعيان الفقهاء وذهبوا الى بولاك.

وأحضروها وهم أمامها وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع والخمسة مطوية وكذلك البرقع ومقام الخليل كل ذلك مصنوع بالمخيش العال والكتابة غليظة مجوفة متقنة وباقي الكسوة في ساحير على الجمال وعليها أغطية جوخ أخضر وفرح الناس بذلك.

وكان يومًا مشهودًا وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت في ثلاثين يومًا وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلاً وكان الريح مخالفاً فعندما حلوا المراسي اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى وحضروا الى اسكندرية في أحد عشر يومًا.

وفيه وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان لم يزل يتحيل وينصب الفخاخ للأمراء الذين عنده وهم محترزون منه وخائفون من الوقوع في حباله فكانوا لا يأتون إليه إلا وهم متسلحون ومحترزون وهو يلاطفهم ويبش في وجوههم الى أن كان اليوم الموعود به عزم عليهم في الغليون الكبير الذي يقال له أرج عنبرلي فلما طلعا الى الغليون وجلسوا فلم يجدوا القبودان فأحسوا بالشر وقيل إنه كان بصحبتهم فحضر إليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة بمكاتبة فقام ليرى تلك المراسلة فما هو إلا أن حضر إليهم بعض الأمراء وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعائهم الى حضرة مولانا السلطان وأمرهم بنزع السلاح فأبوا ونهض محمد بك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله فما وسع البقية إلا أنهم فعلوا كفعله وقتلوا من بالغليون من العساكر وقصدوا الفرار فقتل عثمان بك المرادي الكبير وعثمان بك الأشقر ومراد بك الصغير وعلي بك أيوب ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الحسيني الذي قامر عوضًا عن أحمد بك الحسيني وابراهيم كتخدا السناري وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب وفر البقية مجروحين الى عند الانكليز وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر فاغتاظ الانكليز وانحازوا الى اسكندرية وطردها من بها من العثمانيين وأغلقوا أبواب الأبراج وحضر منهم عدة وافرة وهم طواير بالسلاح والمدافع واحتاطوا بقطان باشا من البر والبحر فتهيأ عساكره لحربهم فمنعهم فطلب الانجليز بروزه بعساكره لحربهم فقال لم يكن بيننا وبينكم حرب واستمر جالسًا في صيوانه فحضر إليه كبير الانجليز وتكلم معه كثيرًا وصمم علي أخذ بقية الأمراء المسجونين فأطلقهم له فتسلمهم وأخذ أيضًا المقتولين ونقل عرضي الأمراء من محطتهم الى جهة الاسكندرية وعملوا مشهدًا للقتلى مشى به عساكر الانجليز على طريقهم في موت عظمائهم ووصل الخبر الى من بالجيزة من الانكليز وذلك ثاني يوم من قبض الوزير علي الأمراء ففعلوا كفعلهم وأخذوا حذرهم وضربوا بعض المدافع ليلاً وشرعوا في ترتيب آلة الحرب.

وفي ذلك اليوم طلع محمد باشا توسون والي جدة الساكن بيت طرا الى القلعة وصعد معه جملة من العسكر وشرعوا في نقل قمح ودقيق وقومانية وملؤوا الصهاريج وشاع ذلك بين الناس فارتاعوا وداخلهم الوسواس من ذلك واستمروا ينقلون الى القلعة مدافع وبارود أو آلات حرب.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه حضر كبير الانجليز الذي بالجيزة فألبسه الوزير فروة وشلنجًا.

وفي ذلك اليوم خلع الوزير علي عثمان آغا المعروف بقبي كتخدا وقلده على إمارة الحج.

وفي ذلك اليوم وقع بين عسكر المغاربة والانكشارية فتنة ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين ولم يزالوا على ذلك حتى حضر أغات الانكشارية وسكنت الفتنة بين الفريقين.

وفي الخميس سابع عشرينه مروا بزفة عروس بسوق النحاسين وبها بعض انكشارية فحصلت فيهم ضجة ووقع فيهم فشل فخطفوا ما على العروس وبعض النساء من المصاغ المزينات به وفي أثناء ذلك مر شخص مغربي فضربه عسكري رومي ببارودة فسقط ميتاً عند الأشرفية فبلغ ذلك عسكر المغاربة فأخذوا سلاحهم وسلوا سيوفهم وهاجت حماقتهم وطلعوا يرمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون فأغلقت الناس الحوانيت وهرب قلق الأشرفية بجماعته وكذلك قلق الصنادقية وفزعت الناس ولم يزالوا على ذلك من وقت الظهر الى الغروب ثم حال بينهم الليل وقتل المغاربة أربعة أشخاص وأصبحوا محترسين من بعضهم فحضر أغات الانكشارية على تخوف وجلس بسبيل الغورية وحضر الكثير من عقلاء الانكشارية وأقاموا بالغورية وحوالي جهة الكعكيين والشوائين حيث سكن المغاربة واستمر السوق مغلقاً ذلك اليوم ورجعت القلقات الى مراكزها وبردت القضية وكانهم اصطلحوا وراحت على من راح.

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التي منها استمرار نقل الأدوات الى القلعة وكذلك مراكز باقي القلاع مع أنهم حاربوا أكثرها.

ومنها زيادة تعدي العسكر على السوقة والمحترفين والنساء وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس في أيام قليلة.

ومنها استمرار مكث النيل على الأرض وعدم هبوطه حتى دخل شهر هاتور وفات أوان الزراعة وعدم تصرف الملتزمين وهجاج الفلاحين من الأرياف لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم في البلاد حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ونودي عليهم عدة مرار بذهابهم الى بلادهم.

ومنها أن الوزير أمر المصرية بتغيير زيهم وأن يلبسوا زي العثمانية فلبس أرباب الأقاليم والأفندية والقلقات القواويق الخضر والعنتريات وضيّقوا أكمامهم ولبس مصطفى آغا وكيل دار السعادة سابقاً وسليمان آغا تابع صالح آغا وخلافهما.

واستهل شهر رجب الفرد سنة 1216 سافر سليمان آغا تابع صالح آغا الى اسلامبول.

وفيه أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا كتاباً الى الانكليز بأنهم أتباع السلطان وتحت طاعته وأمره إن شاء أبقاهم في إمارتهم وإن شاء قلدهم مناصب في ولايات أخرى وإن شاء طلبهم يذهبون إليه فلا دخل لكم بيننا وبينه وكلام في معنى ذلك فأرسلوا يقولون إن هذا الكلام لا عبرة به فإنهم مسجونون وتحت أمركم ومكتوب المقهور المكره لا يعمل به فإن كان ولايد فأرسلوهم إلينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم وحقيقة حالهم فلما كان ليلة الاثنين تاسعه أحضر الوزير ابراهيم بك والأمراء وأعلمهم أن قصده إرسالهم الى بر الجيزة عند الانجليز ليتفصحوا ذلك اليوم ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان وتحت أوامره وأن المراسلة التي أرسلوها عن طيب قلب أمنهم وليسوا مكرهين في ذلك فأظهر ابراهيم بك القنع عن الذهاب وأنه لا غرض له في الذهاب الى مخالفين الدين فجزن عليه ووعدته خيراً وعاهدهم وحلفهم فنزلوا وركبوا من عنده في الصباح وما صدقوا بالخلاص وعدوا الى الجيزة وذهبوا الى عند الانجليز فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون إليهم ويلحقون بهم فأقاموا هناك ولم يرجعوا فانتظر الوزير رجوعهم خمسة أيام وأرسل إليهم يدعوهم الى الرجوع حكم عهدهم فامتنع ابراهيم بك وتكلم بما في ضميره من قهره من الوزير وخيانتة له. وفي

يوم السبت عملوا جمعية بيت الشيخ السادات

واجتمع المشايخ والوجاقية وذلك بأمر من الوزير وأرسل إليهم مكاتبة وفي ضمنها النصيحة والرجوع الى الطاعة فأرسلوا في جواب الرسالة يقولون إنهم ليسوا مخافين ولا عاصين وأنهم مطيعون لأمر الدولة وإنما تأخرهم بسبب خوفهم وخصوصًا ما وقع لإخوانهم باسكندرية وأنهم لم يذهبوا الى عند الانجليز إلا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ومن المساعدين له على أعدائه ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه رجعوا الى الطاعة ونحو ذلك من الكلام.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه حضر عابدي بك نسيب مولانا الوزير فخرج إليه غالب أعيان العثمانية والجاويفية وطاهر باشا وعسكر الأرنؤد وتلقوه ودخل بحموله في موكب جليل وكان حضرة الوزير حاصلًا عنده توعك وغالب أوقاته محتجب عن ملاقة الناس.

وفيه ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبي قير الى اديار الرومية في منتصف الشهر وأما محمد باشا الوالي على مصر فإنه لم يزل مقيمًا بأبي قير وحضر خازنداره وسكن بيت البكري بالأزبكية.

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة 1216 فيه حضر يوسف أفندي وبيده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف فبات ببولاق وأرسل ناسًا يعلمون بحضوره فلم يخرج لملاقاته أحد ثم أن بعض الناس أحضر إليه فرسًا فركبه في ثاني يوم وحضر الى مصر وأشاع أنه متولي نقابة الأشراف ومشیخة المدرسة الحبانية وخبر ذلك الإنسان أنه كان يبيع الخدرة واليميش بحانوت بخان الخليلي وهو من متصوفة الأتراك الذين يتعاطون الوعظ والإقراء باللغة التركية فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور فتولاها بمعونة بعض سفهائهم فنقم عليه الطائفة أمورًا واختلاسات من الوقف فتعصبوا عليه وعزلوه وولوا مكانه السيد حسين أفندي المولى الآن فحنق من ذلك وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندي المذكور وأضمر له في نفسه المكروه فدعاه يومًا الى داره ودس له سمًا في شربه فنجاه الله من ذلك وشربت ابنة يوسف أفندي الداعي تلك الكاسة المسمومة غلطًا وماتت وشاع ذلك وتواترت حكايته بين الناس ورجع كيده عليه وذاق وبال أمره.

ثم أنه سافر الى اسلامبول وأقام هناك مدة إقامة الفرنسيين بمصر ولم يزل يتحيل ويتداخل في بعض حواشي الدولة وعرض بطلب النقابة ومشیخة الحبانية فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه وطنهم أنه أهل لذلك بقوله لهم إنه كان شيخًا على الأزهر ومعرفته بالعلم فلما حصل بمصر وظهر أمره تجمعت أعيان الأشراف وقالوا لا يكون هذا حاكمًا ولا نقيبًا علينا أبدًا وتنوّل خبره وظهر حاله لأكابر الدولة وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا إليه ولم يسعفوه وأهمل أمره وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم إذا تبين لهم الصواب في قضية لا يعدلون الى خلافه.

من الحوادث أنه تفيد بأبواق القاهرة بعض من نصارى القبط ومعهم بعض من العسكر فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئًا سواء كان داخلًا أو خارجًا بحسب اجتهادهم وكذلك ما يجلب من الأرباب وزاد تعديهم فعم الضرر وعظم الخطب وغلت الأسعار وكل من ورد بشيء يبيعه يشتت في ثمنه ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس فلا يسع المشتري إلا التسليم لقوله والتصديق له وقبول عذره والسبب في ذلك أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط بأن كثيرًا من المتاجر التي يؤخذ عليها العشور يذهب بها أربابها من طريق البر ويدخلون بها في أوقات الغفلة تحاشيًا عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر

بالديوان فيلزم أن يتقيد بكل باب من يتقرب لذلك ويرصده وبأخذ ما يخص الديوان من ذلك فأذن كبراء الديوان بذلك فانفتح لهم بذلك الباب فولجوه ولم يحسبوا للعاقبة من حساب وزادوا في الجور والفضائح وأظهروا ما في نفوسهم من القبائح فساءت الظنون واستغاثت المستغيثون وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام إلى أن زاد التشكي وأنهى الأمر إلى الوزير فأمر بإبطال ذلك وانجلت تلك الغمة.

وفيه أيضًا عرض طائفة القبانية وتشكوا مما رتب عليهم من الجمر ك السنوي فأطلق لهم الأمر برفعه عنهم.

وفيه قبضوا على رجل من المفسدين بإقليم المنوفية يقال له راضي النجار وأحضروه إلى مصر وقطعت رأسه بالرميلة.

وفي خامسه نزل محمد باشا توسون والي جدة من القلعة في موكب وتوجه إلى العادلية قاصدًا وفي يوم الأربعاء تاسعه قبضوا على ثلاثة من النصاري الأروام المتزيين بزي العساكر الانكشارية ويعملون القبائح بالرعية فرموا رقابهم أحدهم بالدرب الأحمر والثاني بسوق السلاح عند الرفاعي والثالث بالرميلة.

وفي يوم الخميس عاشره أيضًا قطعوا رأس علي جلبي تابع حسين أغاشن بباب الخرق بين المفارق بأمر من الوزير والسبب في ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور الكبير المتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كان أودع عند حسين أغاشن وديعة فلما ملك الفرنسيين مصر وجرى ما جرى من ورود العرضي والصلح ونقضه فاعتقد قصار العقول أن الأمر انتهى للفرنسيين فتجاوزوا الحد وأغروا ببعضهم وتتبعوا العورات وكشفوا عن المستورات ودلوا الفرنسيين على المخبات وتقربوا إليهم بكل ما وصلت إليه همتهم وراجت به سلعتهم والمسكين المقتول مد يده إلى بعض ودائع سيده فاختلس منها وتوسع في نفسه وركب الخيول واتخذ له خدمًا وتداخل مع الفرنسيين وحواشيهم فاستخفوا عقله فاستفسروا منه فأخبرهم بالوقائع والخبايا فاستخرجوها ونقلوها وكانت شيئًا كثيرًا جدًا وأظهر أن ذلك لم يكن بواسطته ليواري ما اختلسه لنفسه ويكون له عذر في ذلك فلما حضر له سيده صحبة العرضي ذهب إليه وتملق له وربط في رقبته منديلًا فأهمل أمره إلى هذا الوقت حتى اطمأن خاطره ثم أنه أخبر بقصته الوزير لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف باشا فأمره بأن يرفع قصته إلى القاضي وبثت تلك الدعوى لتبرأ سياحته عند الدولة ففعل ثم أمر الوزير بقتل علي جلبي المذكور فقتل وترك من ميا ثلاثة أيام بلياليها.

شهر رمضان المعظم سنة 1216 استهل بيوم الأربعاء ولم يعمل فيه شيئك الرؤيا على العادة خوفًا من عريدة العساكر والمحتسب كان غائبًا فركب كتحداه بدلًا عنه بموكبه فقط ولم يركب معه مشايخ الحرف فذهب إلى المحكمة وثبت الهلال تلك الليلة ونودي بالصوم من الغد.

وفيه أمر الوزير محمد باشا العربي بالسفر إلى البلاد الشامية فبرز خيامه إلى خارج باب النصر وخرج هو في ثالته وسافر وأشيع سفر الوزير أيضًا وذلك بعد أن حضرت أجوبة من الباب الأعلى.

وفي ثالته ارتحل محمد باشا المذكور.

وفي خامسه انتقل رئيس أفندي من بيت الألفي وسكن في بيت اسمعيل بك وشرعوا في تعميره وإصلاحه لسكن والي مصر.

وفي ثاني عشره وصل محمد باشا والي مصر الى شلقان.

وفي ثالث عشره ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحًا ومساءً فقبل إنه حضر ستة قناصل الى وفي خامس عشره حضر القناصل المذكورون الى بيت الوزير وقابلوه فخلع عليهم خلعةً ورجعوا الى أماكنهم في الجيزة.

وفي ذلك اليوم وصل محمد باشا والي مصر الى جهة بولاق ونصب وطاقه بالقرب من المكان المعروف بالحلي ثم انتقل الى جهة قبة النصر فلما كان يوم الجمعة سابع عشره وصل الى المدينة من باب النصر في موكبه وطوائفه على غير الهيئة المعتادة ولم يلبس الطلخان تأدياً مع الوزير لحصوله بمصر فتوجه الى بيت الوزير وأفطر معه.

وفي تلك الليلة عزل خليل أفندي الرجائي من دفتردارية الدولة وقلد عوضه حسن أفندي باش محاسب وسببه أن الوزير طلب خلعةً ليخلعها على والي مصر وقناصل الانكليز فتأخر حضورها فحنق وسأل عن سبب تأخير المطلوب فقال الرسول إن الخازندار قال حتى استأذن الدفتردار فحنق الوزير وأمر بحبس الخازندار وعزل الدفتردار وهرب السفير الذي كان بينهما.

وفيه انتقل الأمراء المصرية المرادية من الجيزة الى جزيرة الذهب ونصبوا وطاقهم بها وأرسلوا ما كان عندهم من الحريم الى دورهم بمصر واستمر ابراهيم بك وعثمان بك الحسيني ومحمد بك المبدول وقاسم بك أبو سيف بالجيزة ولم يعلم حقيقة حالهم ثم في ثاني يوم لحق ابراهيم بك وباقي الجماعة بالآخرين وخرج إليهم طلبهم ومتاعهم وأغراضهم فلما كان ليلة الاثنين تاسع عشره ركبوا ليلاً بأجمعهم الى الصعيد من الجهة الغربية وتخلف عنهم قاسم بك أبو سيف لمرضه وكذلك تخلف عنهم محمد آغا أغات المتفرقة وآخرون.

وفي عشرينه نودي بالأمان على المماليك وأتباعهم ومن تخلف عنهم أو انقطع منهم وكذلك في ثاني يوم.

وفيه قلد محمد باشا والي مصر حسن آغا وألبسه على جرجا.

وفي ثامن عشرينه عزل الباشا محمد آغا المعروف بالزربة من الكتخدائية وهو من المصرية وولاه كشوفية الغربية وتقلد عوضه في الكتخدائية يوسف آغا أمين الضربخانة سابقاً وتقلد كشوفية المنوفية وتقلد كشوفية القليوبية.

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشرينه ذهب يوسف أفندي الى عند والي مصر فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة بعد أن كان أهمل أمره.

وفيه عزل أغات الانكشارية وتولى آخر عوضه من العثمانية ونزل المعزول الى بولاق ليسافر الى جهة الصعيد.

شهر شوال سنة 1216 استهل بيوم الخميس في ثالثه يوم السبت خرج جاليش الوزير الى قبة النصر ونودي بخروج العساكر ويكون آخر خروجهم يوم الاثنين فشرعوا في الخروج بأحمالهم ودوابهم فلما كان يوم الاثنين خامسه خرج الوزير على حين غفلة الى قبة النصر وتتابع خروج الأتقال والأحمال والعساكر وحصل منهم في الناس عريضة وأذية وأخذ بعضهم من عطارين القصر ابن ثلاثة أرتال بن ثمنها مائة وعشرون نصفاً فرمى له عشرين نصفاً فصرخ الرجل وقال أعطني حقي فضربه وقتله فأغلق الناس الحوانيت وانكفوا في دورهم فاستمرت جميع حانيت البلدة مغلقة حتى سافرت العساكر وانتقلت

من قبة النصر ولازم حضرة محمد باشا والي مصر وطاهر باشا على المرور والطواف بالشوارع بالتبديل وثياب التخفيف ليلاً ونهاراً ولولا ذلك لحصل من العسكر ما لا خير فيه.

وفيه كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها بأن لا أحد يتعرض بأذية غيره وكل من كان له دعوى أو شكية فليرفع قصته الى الباشا وكل إنسان يمشي في زيه وقانونه القديم ويلازموا على الصلوات بالجماعة في المساجد ويوقدوا قناديل ليلاً على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التي بالشوارع ولا يمر أحد من العسكر من بعد الغروب والذي يمشي بعد الغروب من أهل البلد يكون معه فانوس أو سراج ويبيعون ويشترون بالخط والمصلحة ولا أحد يخفي عنده أحدًا من عسكر العرضي والذي يبقى منهم بيده يعاقب وأن القهاوي المحدثه جميعها تغلق ولا يفتح لا القهاوي القديمة الكبار ولا يبيت أحد من العسكر في قهوة ولا يبيعون المسكرات ولا يشترونها إلا الكفرة سرًا وأمثال ذلك فانسرت القلوب بتلك فرمانات واستبشروا بالعدل.

وفيه خرجت عساكر وسافرت الى جهة قبلي وعدتهم ستة آلاف وذلك بسبب الأمراء المصرلية الهربانيين وقرر لهم بأن من أتى برأس صنجق فله ألف دينار أو كاشف فله ثلثمائة أو جندي أو مملوك فله مائة.

وفي يوم السبت ركب الوزير من قبة النصر وارتحل العرضي الى الخانكة وعند ركوبه حضر إليه السيد عمر أفندي النقيب وبعض المتعممين لوداعه فأعطاهم صرًا وقرؤوا له الفاتحة وركب وخرج أيضًا في ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا الى الخانكة أيضًا ودعوه ورجعوا.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره أحضر الباشا محمد آغا والي وسليم آغا المحتسب وأمر برمي رقابهما فقطعوا رأس الوالي تحت بيت الباشا على الجسر والمحتسب عند باب الهواء وختم على دورهما في تلك الساعة وشاع خبر ذلك في البلد فارتاع الناس لذلك واستعظموه وداخل الخوف أهل الحرف مثل الجزارين والخبازين وغيرهم وعلقوا اللحم الكثير بحوانيتهم وباعوه بتسعة أنصاف بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر مع قلته واحتكاره وكانوا نهوا عليهم قبل ذلك فلم وفي صباحها يوم الثلاثاء قلد علي آغا الشعراوي الزعامة عوضًا عن محمد آغا المقتول وزين الفقار كتخدا أمين احتساب عوضًا عن سليم آغا أرنؤد المقتول أيضًا واجتمعوا ببيت القاضي وحضر أرباب الحرف وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات وغيرها فعملوا اللحم الضاني بثمانية أنصاف والماعز بسبعة والجاموسي بستة وأن لا يباع فيه شيء من السقط مثل الكبد والقلب وغير ذلك والسمن المسلي بمائة وثمانين نصفاً العشرة أرطال بعد أن كانت بثلثمائة وأربعين والزبد العشرة بمائتين وستين بعد أن كانت بمائتين وأربعين.

وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون والجبل الذي بخيره بثلاثة أنصاف بعد عشرة والخبز رطل بنصف فضة وكذلك جميع الأشياء العطرية والأقمشة العشرة أحد عشر والراوية الماء بعشرة أنصاف بعد عشرين وغير ذلك ورسموا بأن الرطل في الأوزان مطلقًا يكون قباني إثني عشر وقية وأبطلوا الرطل الزياتي الذي يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات وهو أربعة عشر وقية فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال ولما برزت هذه الرسوم هرع الناس لشراء اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران وشق المحتسب فقبض على جماعة من الخبازين وخزم أنافهم وعلق فيها الخبز وكذلك الجزارون خزمهم وعلق في أنافهم اللحم وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس والمرور والمشي ولزموا الأدب ومشى كل أحد في طريقته ودربه ومشيت النساء كعادتهن في الأسواق لقضاء أشغالهن فلم يتعرض لهن أحد من العسكر كما كانوا يفعلون.

وفي يوم الخميس خامس عشره ارتحل الوزير من بليس.

وفي يوم السبت سابع عشره سافر خليل أفندي الرجائي الدفتردار المعزول في البحر من طريق دمياط وانتقل شريف أفندي الدفتردار الى الدار التي كان بها الأول وهي دار البارودي بباب الخرق.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره كان موكب أمير الحاج عثمان بك وصحبته المحمل على العادة وخرج في أهبة ورونق وانسرت القلوب في ذلك اليوم الى لقائه ونجز له جميع اللوازم مثل الصرة وعوائد العربان وغير ذلك وكان المتقيد بتشهيل ذلك وجميع اللوازم حضرة شريف أفندي الدفتردار.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه شنقوا ثلاثة أنفار في جهات مختلفة تزيوا بزي العسكر يقال إنهم من الفرنسيين افتقدوهم من العسكر المتوجه الى الحج.

وفي ذلك اليوم عمل حضرة الباشا ديوانًا وأرسل الجايشية الى جميع المشايخ والعلماء وخلص عليهم خلعة سنية زيادة على العادة أكثر من سبعين خلعة وكذلك على الوراقلية والأفندية وجبر خاطر الجميع وكانت العادة في هذا التلبيس أن يكون عند قدومه والسبب في تأخيره لهذا وفي يوم الخميس تاسع عشرينه انتقل أمير الحاج بالركب من الحصوة الى البركة.

وفيه ركب حضرة محمد باشا الى الإمام الشافعي فزاره وأنعم على الخدمة بستين ألف فضة وألبسهم خلعة وفرق دنانير ودراهم كثيرة في غير محلها وكذلك يوم الجمعة ركب وتوجه الى المشهد الحسيني فصى الجمعة وخلص على الإمام الراتب والخطيب وكبير الخدمة فراوي وفرق دراهم كثيرة في طريقه ورجع من ناحية الجمالية وكان في موكب جليل على الغاية.

وفيه أمر المشار إليه بنصف عدة مشانق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسبين والخبازين وغيرهم وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوائيتهم وخزموهم من أنافهم فرخص السعر وكثرت البضائع والمأكولات وحصل الأمن في الطرق وانكفت العربان وقطاع الطريق فحضرت الفلاحون من البلاد وكثر السمن والجبن والأغنام وكبر العيش وكثر وجوده وانحط سعر السمن عن التسعيرة عشرين نصفًا لكثرت ولله الحمد وهاب الناس هذا الباشا وخافوه وصاروا يترنمون به في البلاد والأرياف ويغنون بذكره حتى الصبيان في الأسواق ويقولون سيدي يا محمد باشا يا صاحب الذهب الأصفر وغير ذلك وكان في مبدأ أمره يظنه الظمان ماء.

استهل بيوم السبت فيه نهبت العربان قافلة التجار الواصلة من السويس.

وفي ثانيه حضر السيد أحمد الزرو الخليلي التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال فأمر الباشا بسجنهم.

وفي رابعه يوم الثلاثاء حضر السيد أحمد المذكور الى بيت الباشا فأمر بقتله فقبض عليه جماعة من العسكر وقطعوا رأسه عند المشنقة حيث قنطرة المغربي على قارعة الطريق وختموا على موجوده وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين والسبب في ذلك أوشى الى الباشا أنه كان يحب الفرنسيين ويميل إليهم ويسالهمهم وعند خروجهم هرب الى الطور خوفًا من العثمانية ثم حضر بأمان من الوزير.

وفي يوم الجمعة حضر المشار إليه الى الجامع الأزهر بالموكب فصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فروة سمور وفرق ونثر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وإيابه وتقيد قبي كتحداه واسمعل أفندي شقبقون بتوزلع دراهم على الطلبة والمجاورلق بالأروقة والعملق والفقرء ففرقوا فلقم نحو خمسة أكلقس.

وفلق عمل الشلخ عبد الله الشرقاوى وللمة لزواج ابنه ودعا حضرة المشار إلقه فحضر فلق يوم الأحد ثلقه وحضر ألقصا شرف أفندي وعثمان كتحدا الدولة فتعدوا عنده وأنعم على ولد الشلخ بخمسة أكلقس رومية وألبسه فروة سمور وفرق على الخدم والفراشلق والقراء دنلقر ودراهم بكثرة وكذلك دفع عثمان كتحدا وشرف أفندي كل واحد منهم كلسا وانصرفوا.

وفلق يوم الأربعاء خامسه حضر الباشا محمد أغات المعروف بالوسلع أغات المغاربة وأمر بقتله فقطعوا رأسه على الجسر ببركة الأزبكية قبالة بقت الباشا لأمر نعلمها علىه وكقتب فلق ورقة وضعت عند رأسه.

وفلق يوم الخملس سادسه توفي قاسم بك أبو سف على فراشه.

وفلق منتصفه وردت الأخبار من الجهة البحرية بضلق نحو الخمسلن مركبا حلت مراسلقها من ثغر اسكندرية مشحونة بمتاجر وبضائع وكانت معوقة بكرتلقنة الانكللز فلما أذنوا لهم بالسراح فما صدقوا بذلك فصادفتهم فرتونة خرجت علىهم فضاخوا بأجمعهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظم.

وفلق طلب الباشا المشلخ وتكلم معهم فلق شأن الشلخ خللق البكرى وعزله عن وظيفته وسأل رلقهم فلق ذلك فقالوا له الرأى لحضرتكم فقال إن الشلخ خلللا لا يصلح لسجادة الصديق وأرلق عزله عنها من غير ضرر علىه بل أعطلقه إقطاعا لنفقتة والقصد أن تروا رلقكم بعد اختلاف كبير على تقللق ذلك لمحمد سعد من أولاد جلال الدين فلما حضروا فلق اليوم الثلقى أخبروه بذلك وأنه يستحقها إلا أنه فققر فقال إن الفقر لقس بعلق فأحضروه وألبسه فروة سمور وأركبه فرسا بعباة مزركشة وأنعم علىه بثمانلق ألف درهم وكان من الفقراء المحتاجلق للدرهم الفرد ولما ذهب للسلام على الشلخ السادات خلع ألقصا فروة سمور علىه.

وفلق يوم الاثللق رلق عشرلقنه توفي الى رحمة الله الشلخ مصطفى الصاوى الشافعى وكان عالما نجىا وشاعرا لبقا وقد ناهز السلقن.

وفلق جهزت عدة من العسكر الى قبلى.

وفلق نودى بأن خراج الفدان مائة وعشرون نصفا وكذلك نودى برفع عوائد القاضى والأفندى اللتى كانت تؤخذ على إثبات الجامكية والجرالى والرفق بعوائد تقاسلط الالتزام والإقطاع.

وكتبوا بذلك أوراقا وألصقت بالأسواق وفلق آخرها لا ظلم اليوم أى مما تقرر قبل اليوم فإن الفدان بلغ فلق بعض القرى بمصارلفه ومغارمه أربعة آلاف نصف فضة وأما بدعة القاضى وعوائد التقاسلط فزادت عن أيام الوزىر وزاد على ذلك إهمال الأوراق ببقت الباشا لأجل العلامة شهلرلق وأربعة حتى يسام صاحبقا وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجىء ومقاساة الذل من الخذل والأتباع ورفع التفتلش والرشوة على التعجل أو بتركها وربما ضاعت بعد طول المدة فىحتاج الى استئناف العمل.

استهل يوم الأحد في رابعه حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالي من أتباع إبراهيم بك الوالي الى مصر بأمان فقابلوا حضرة والي مصر وأنعم عليهم وألبسهم خلعة.

وفيه أنعم على خدامهم وفيه عمل الانكليز كرتينة بالجيزة ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها وذلك لتوهم وقوع الطاعون وورود الأخبار بكثرتة في جهة قبلي وبعض البلاد البحرية وأما المدينة ففيها بعض تنقير.

وفي يوم الاثنين تاسعه كان يوم الوقوف بعرفة وعملوا في ذلك اليوم شنگًا ومدافع وحضرت أغنام وعجول كثيرة للأضحية حتى امتلأت منها الطرقات وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء وغيمت السماء في ذلك اليوم وأمطرت مطرًا كثيرًا حتى توحلت الأزقة ونودي بفتح الحوانيت والقهاوي والمزينين ليلاً وإظهار الفرح ولاسرور وإظهار بهجة العيد واستمر ضرب المدافع في الأوقات الخمسة ونودي أيضًا بالمواظبة على الاجتماع للصلوات في المساجد وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة وأن يسقوا العطاش من الأسبله ولا يبيعون ماءها وأشيع سفر الانكليز وسفر عثمان كتحدا الدولة وتشهيل الخزينة.

وفي خامس عشره حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر وعزل يوسف أفندي فلما كان في صباحها يوم الأحد ركب السيد عمر المذكور وتوجه الى عند الباشا فألبسه خلعة سمور ثم حضر الى عند الدفتردار كذلك وكانت مدة ولاية يوسف أفندي المعزول شهرين ونصفًا.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره خرج أحمد آغا خورشيد أمير الاسكندرية الى بولاق قاصدًا السفر الى منصبه وركب الباشا لوداعه في عصرته وضربوا عدة مدافع من بولاق وبر انبابة ونودي في ذلك اليوم بأن لا أحد يوارى أحدًا من الانكليز أو يخبئه وكل من فعل ذلك عوقب.

وفي خامس عشرينه قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام وشنقوها عند باب زويلة وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التي جملتها أن شريف أفندي الدفتردار أحدث على الرزق الأحباسية المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها مال حماية على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر في جميع الأراضي المصرية القبلية والبحرية وحرروا بذلك دفاتر فكل من كان تحت يده شيء من ذلك قل أو كثر يكتب له عرضحال ويذهب به الى ديوان الدفتردار فيعلم عليه علامته وهي قوله قيد بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التي تثبت دعواه ثم يذهب بذلك العرضحال الى كاتب الرزق فيكشف عليها في الدفاتر المختصة بالإقليم الذي فيه الارصاد بموجب الإذن بتلك العلامة فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ويطيب خاطره بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب ويكتب تحته علامته فيرجع به الى الدفتردار فيكتب تحته علامة غير الأولى فيذهب به الى كاتب الميري فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ومن أين وصل إليه ذلك فإن سهلت عليه الدنيا ودفع له ما أرضاه كتب له تحت ذلك عبارة بالتركيب لثبوت ذلك وإلا نعت على الطالب بضروب من العلل وكلفه بثبوت كل دقيقة يراها في سنداته وعطل شغله فما يسع ذلك الشخص إلا بذل همته في تميم غرضه بأي وجه كان إما أن يستدين أو يبيع ثيابه ويدفع ما لزمه فإن ترك ذلك وأهمله بعد اطلاعهم عليه حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر وكتبوا له سندًا جديدًا يكون هو المعول عليه بعد ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من الوقفيات والحجج والإفراجات القديمة ولو كانت عن أسلافه ثم يرجع كذلك الى الدفتردار فيكتب له علامة لكتابة الاعلام فيذهب به الى الإعلامجي فيكتب له عبارة أيضًا في معنى ما تقدم ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار وبأخذ على ذلك دراهم أيضًا وبعد ذلك يرجع الى الدفتردار فيقرر ما يقرره عليها

من المال يقال له مال الحماية ثم يذهب بها الى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته ويطول عند ذلك انتظاره لذلك ويتفق إهمالها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجي.

وصاحبها يغدو ويروح في كل يوم حتى تحفى قدماه ولا يسهل به تركها بعدما قاساه من التعب وصرفه من الدراهم فإذا تمت علامتها دفع أيضًا المعتاد الذي على ذلك ورجع بها الى بيت الدفتردار فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها فيدفعه عن تلك السنة ثم يكتبون له سندًا جديدًا ويطالب بمصروفه أيضًا وهو شيء له صورة أيضًا فلا يجد بدًا من دفعه ولا يزال كذلك يغدو ويروح مدة أيام حتى يتم له المراد.

ومنها المعروف بالجامكية ومرتبات الغلال بالأنبار وذلك أن من جملة الأسباب في رواج حال أهل مصر المتوسطين وغناهم ومدار حال معاشهم وإيرادهم في السابق هذان الشيئان وهما الجامكية والغلال التي يقال لها الجرايات التي رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعساكر المنتسبة للوجاقات والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالي الإقليم ومنها ماهو للإيتام والمشايخ والمتقاعدين ونحوهم وكانت من أرواج الإيراد لأهل مصر وخصوصًا أهل الطبقة الذين ليس لهم إقطاع ولا زراعات ولا تجارات كأهل العلم ومساير أولاد البلد والأرامل ونحوهم وثبت وتقرر إيرادها وصرفها في كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر الى أواخر الثاني عشر بحيث تقرر في الأذهان عدم اختلالها أصلًا ولما صارت بهذه المثابة تناقلوها بالبيع والشراء والفراغ وتغالوا في أثمانها ورغبوا فيها وخصوصًا لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما في العقار وأوقفوها وأرصدوها ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح المساجد ونفقات أهل الحرمين وبيت أهل المقدس وأفتى العلماء بصحة وقفها لعدة عدم تطرق الخلل فلما اختلت الأحوال وحدثت الفتن وطمع الحكام والولاة في الأموال الميرية ضعف شأنها ورخص سعرها وانحط قدرها وافتقر أربابها ولم تزل في الانحطاط والتسفل حتى بيع الأصل والإيراد بالغين الفاحش جدًا وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها.

ولم يزل حالها في اضطراب الى أن وصل هؤلاء القادمون وجلس شريف أفندي الدفتردار المذكور ورأى الناس فيه مخايل الخير لما شاهدوه فيه من البشاشة وإظهار الرفق والمكارم غرض الناس عليه شأن العلوفة المذكورة والغلال فلم يمانع في ذلك وكتب الإذن على الأوراق كعادته وذهب بها أربابها الى ديوان الكتبة وكبيرهم يسمى حسن أفندي باش محاسب وهو من العثمانيين عارض في حسابها وقال: إن العثماني اسم لواحد الأقعة وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أقجات بنصف فضة وما في دفاتركم يزيد في الحساب الثلث فعورض وقيل له إن الأقعة المصري كل اثنين بنصف بخلاف اصطلاح الروم وهذا أمر تداولنا عليه من قديم الزمان ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا على فقد الثلاث ورضي الناس بذلك لظنهم رواج الباقي وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس في الثبوت وقد كان الناس اصطلاحوا في أكثرها عند فراغها على عدم تغيير الأسماء التي رقت بها وخصوصًا بعد ضعفها فيبيعها البائع وبأخذها المشتري بتمسك البيع فقط ويترك سند الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده أو تكون باسم الشخص ويموت وتبقى عند أولاده فجعلوا معظمها بهذه الصورة وأخذوه لأنفسهم وأعطوا منه لأغراضهم بعد رفع الثلث الأصل وثلث الإيراد وضاعت على أربابها مع كونهم فقراء وكذلك فعلوا في أوراق الغلال وجعلوها بدارهم عن كل أردب خمسون نصقًا غلا أو رخص وزاد في القيود التي تكتب على العرضحالات المصطلحين عليها بأن يكتب عليها أيضًا قاضي العسكر بعد حسابهم مقدار العلوفة والغلال وبأخذ على كل عثماني نصفين أو أقل أو أكثر وعلى كل أردب قرشًا روميًا وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطاني وحرروا ما حرروه ودفعوا للناس ما دفعوه مقسطًا على الجمع والشهور.

رضوا بذلك وفرحوا به لظنهم دوامه واستعوضوا الله فيما ذهب لهم وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم وما ظهر بعد ذلك لا يعمل به ويذهب في المحلول ولما انقضت هذه السنة الأخرى وافتتح الناس الطلب قيل لهم إن الذي أخذتموه هو عن السنة القابلة وقد قبضتموها معجلة وعزل شريف أفندي الدفتردار في إثرها ووصف خليل أفندي الرجائي واضطربت الأحوال ولم ينفع القيل والقال كما يأتي.

من مات في هذه السنة

مات الشيخ العمدة الإمام خاتمة العلماء والأعلام ومسك ختام الجهابذة ذوي الإفهام ومن افتخر به عصره على الأعصار وصاح بلبل فصاحته في الأمصار يتيمة الدهر وشامة وجه أهل العصر العالم المحقق والنحرير المدقق بدیع الزمان والتاج المرصع على رؤوس الأقران الناظم النائر الفصيح الباهر الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي والده كان من أعيان التجار بمصر وأصل مرباهم بالسويس بساحل القلزم وصاوي نسبة إلى بلدة بشرقية بلبس تسمى الصوة وهي على غير القياس وهي بلدة والده ثم انتقل منها إلى السويس وكان يبيع بها الماء وولد له بها المترجم فارتحل به إلى مصر وسكن بحارة الحسينية مدة وأتى بولده المترجم إلى الجامع الأزهر واشتغل بالقراءة فحفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم وحضر دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوي وتخرج به ومهر وأنجز وأقرأ الدروس وختم الختوم وشهد له الفضاء وكان لطيف الذات مليح الصفات رقيق حواشي الطبع مشارًا إليه في الأفراد والجمع مهذب الأخلاق جميل الأعراق وحاله وفضله كثير ولم يزل يقرر ويفيد ويملي ويعيد حتى قطفت يد الأجل نواره وأطفأت رياح المنية أنواره.

ومات الأمير عثمان بك الأشقر الإبراهيمي وهو من مماليك إبراهيم بك الكبير الموجود الآن اشتراه ورباه وأعتقه وجعله خازن داره مدة ثم قلده الإمارة والصنجدية في سنة 1129 وعرف بالأشقر لشقرفته ولما انتقل أستاذه إلى بيت سيده محمد بك بعطفة قوصون سكن مكانه بدرب الجماميز وصار له مماليك وأتباع وانتظم في عداد الأمراء وخرج مع سيده في الجواث وتغرب معه في البلاد القبلية وطلع أميرًا بالحج في سنة 1210 وعاد في أمن وأمان ولما حصلت حادثة الفرنسيين كان هو مع من كان بالبر الغربي وذهب إلى الصعيد ثم مر من خلف الجبل ولحق بأستاذه ببر الشام ولم يزل حتى رجع مع أستاذه والأمراء بصحبة عرضي الوزير في المرة الثانية ثم سافر مع حسين باشا القبودان فقتل مع من قتل بأبي قير ودفن بالاسكندرية وكان ذا حشمة وسكون وحسن عشرة مع ما فيه من الشج.

ومات الأمير عثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجي المرادي وهو من مماليك مراد بك.

اشتراه ورباه ورقاه وقلده الإمارة والصنجدية في سنة 1197 ولما وصل حسن باشا الجزائر إلى مصر وخرج مع سيده وباقي الأمراء من مصر على الصورة المتقدمة ووقع بينهم ما وقع من الحروب والمهادنة حضر هو وحسين بك المعروف بشفت وعبد الرحمن بك الإبراهيمي إلى مصر رهائن ولما سافر حسن باشا إلى الروم أخذهم صحبته بإغراء اسمعيل بك فأقاموا هناك ثم نفوهم إلى ليميا فاستمروا بها ومات بها حسين بك خشداشه المذكور ثم رجع المترجم وعبد الرحمن بك بعد وقوع الطاعون وموت اسمعيل بك وأتباعهما إلى مصر.

فلم يزلوا حتى حصل ما حصل من ورود الفرنسيين وموت مراد بك في أخريات أيامهم.

فوقع اختيار المرادية على تأميره عوضًا عن سيده بإشارة خشداشه محمد بك الألفي وانتقل بعشيرته الى الجهة البحرية وانضموا الى عرضي الوزير ووصلوا الى مصر فكان هو وابراهيم بك الألفي ثاني اثنين يركبان معًا وينزلان معًا ولم يزل حتى سافر القبودان بعدما مكر مكره مع الوزير سرًا على خيانة المصريين فأرسل يستدعيه هو وعثمان بك البرديسي فسافرًا امثالًا للأمر فأوقع بهما ما تقدم وقتل المترجم ونجا البرديسي ودفن بالاسكندرية.

وكان أميرًا لا بأس به وجيه الشكل عظيم اللحية ساكن الجأش فيه تؤدة وعقل وسبب تلقبه بالطنجري أنه كان في عنفوان أمره مولعًا بسماع الآلات وضرب الطنبور.

ومات الأمير مراد بك المعروف بالصغير وهو من ممالك محمد بك أبي الذهب وانتمى الى سليمان بك الآغا واستمر ملازمًا له ومنسوبًا إليه مدة أعوام وكان يعرف بمراد كاشف وله إيراد واسع وممالك ثم تقلد الإمارة والصنحية في 1206 فزادت وجاهته ولم يزل كذلك حتى سافر مع عثمان بك الأشقر وأحمد بك الحسني مع القبودان وقتل كذلك بأبي قير ودفن بالاسكندرية.

ومات الأمير قاسم بك أبو سيف وهو مملوك عثمان بك أبي سيف الذي سافر بالخزينة ومات بالروم وذلك سنة 1180 وهي آخر خزينة رأيها سافرت الى اسلابول على الوضع القديم وعثمان بك هذا مملوك عثمان بك أبي سيف الذي كان من جملة القاتلين لعلي بك الدمياطي و خليل بك قطامش ومحمد بك قطامش في ولاية راغب باشا كما تقدم وخدم المترجم مراد بك وكان يعرف بقاسم كاشف أبي سيف وكان له إقطاع والتزام وإيراد واشتهر ذكره في أيام مراد بك وبنى داره التي بالناصرية وأنفق عليها أموالا جمة وكان له ملكة وفكرة في هندسة البناء واستأجر قطعة عظيمة من أراضي البركة الناصرية اتجاه داره من وقف المولوية وسورها بالبناء وبنى في داخلها قصرًا مزخرقًا برحبة متسعة وقسم تلك الأرض بتقاسيم للمزارع وحولها طرق ممهدة مستطيلة ومجار للمياه التي تصل إليها أيام النيل ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن والخاقي من داخلها تجري فيها المياه من السواقي ويحيط بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدانية القطاف وبداخل تلك البركة المنقسمة النخيل والأشجار ومزارع المقائى والبرسيم والغلة وغيرها يسرح فيها النظر من سائر جهاتها وتنشرح النفوس في أرجائها ومساحاتها وجعل السواقي في ناحية تجتمع مياهها في حوض وبأسفله أنابيب تتدفق منها المياه الى حوض أسفل منه وعنده مجلس ومساطب للجلوس وتجري منه المياه الى المجاري المخففة المرتفعة ومنها تنصب من مصبات من حجر الى أحواض أسفل منها صغار وتجري الى مساقى المزارع وعند كل مصب منها محل للجلوس وعليه أشجار تظله وبوسطه أيضًا ساقية بفوهتين تجري منها المياه أيضًا والقصر يشرف على ذلك كله وحول رحبة القصر وطرق الممشاة كروم العنف والتكايب وأباح للناس الدخول إليها والتنزه في رياضها والتفسيح في غياضها والسروح في خلالتها والتفيؤ في ظلالها وسمها حديقة الصفصاف والآس لمن يريد لحظو والالتنايس ونقش ذلك في لوح من الرخام وسمره في أصل شجرة يقرؤها الداخلون إليها فأقبل الناس على الذهاب إليها للنزاهة ووردوا عليها من كل جهة وعملوا فيها قهاوي ومساقى ومفارش واتخاذًا يفرشها القهوجية للعامة وقللا وأباريق واجتمع بها الخاص والعام وصار بها مغان وآلات وغواني ومطربات والكل يرى بعضهم بعضًا وجعل بها كراسي للجلوس وكنيفات لقضاء الحاجة وجعل للقصر فرشًا ومساند ولوازم ومخادع لنفسه ولمن يأتي إليه بقصد النزاهة من أعيان الأمراء والأكابر فيبيتون به الليالي ولا يحتاجون لسوى الطعام فيأتي إليهم من دورهم وزاد بها الحال حتى امتنع من الدخول إليها أهل الحياء والحشمة وأنشأ تجاهها أيضًا على يسار السالك الى طريق الخلاء بستانًا آخر على خلاف وضعها وأخبرني المترجم أيضًا من لفظه أنه أنشأ بستانًا بناحية قبلي أعجب وأغرب من ذلك ولما حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر

وخرج منها أمراؤها تخلف المترجم عن مخدومه واستقر بمصر فقلدوه الإمارة والصنجدية في سنة 1201 فعظمت أمرته وزادت شهرته وتقلد إمارة الحج مرتين ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرية ما أوقعوه وانفصلوا من حبس الوزير وانضموا الى الانكليز بالجيزة ثم انتقلوا الى جزيرة الذهب وارتحلوا منها الى قبلي تخلف عنهم المترجم لمرض اعتراه وحضر الى مصر ولازم الفراش ولم يزل حتى مات في يوم الخميس سادس القعدة من السنة وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين رحمه الله.

ومات ابراهيم كتحدا السناري الأسود وأصله من برابرة نقلة وكان بوابًا في مدينة المنصور وفيه نباهة فتدخل في الغز القاطنين هناك مثل الشايبوري وغيره بكتابة الرقى وضرب الرمل ونحو ذلك ولبس ثيابًا بيضاء ثم تعاشر مع بعضهم وركب فرسًا وانتقل الى الصعيد مع من اختلط بهم وتدخل في أتباع مصطفى بك الكبير ولم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور وتعلم اللغة التركية فاستعمله في مراسلاته وقضاياه فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء فأراد مراد بك قتله فالتجأ الى حسين بك وخدمه مدة ثم تحيل والتجأ الى مراد بك وعاشره وألبه ولازمه في الغربة والأسفار واشتهر ذكره وكثر ماله وصار له التزام وإيراد وبنى داره التي بالناصرة وصرف عليها أموالًا واشترى المماليك الحسان والسراي البيض وتدخل في القضايا والمهمات العظيمة والأمور الجسيمة وصار من أعظم الأعيان المشار إليهم بمصر ونمى ذكره وعظم شأنه وياشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمراء فكان يحل ما يعقده الأمراء الكبار ولما تحجب مخدومه بقصر الجيزة كان المترجم لسان حاله في الأمر والنهي ويده مقاليد الأشياء الكلية والجزئية ولا يحجب عن ملاقة مخدومه في أي وقت شاء فينهى إليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه واتخذ له أتباعًا وخدمًا يقضون القضايا ويسعون في المهمات ويتوسطون لأرباب الحاجات ويصانعهم الناس حتى الأكابر ويسعون الى دورهم وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات ولم يزل ظاهر الأمر نامي الذكر حتى وقعت الحوادث وسافر الفرنسية ودخل العثمانية ورجع قبودان باشا الى أبي قير فأرسل يطلبه في جملة من استدعاهم إليه وقتل مع من قتل ودفن بالاسكندرية.

محرم الحرام ابتداء سنة ألف ومائتين وسبع عشرة هجرية استهل بيوم الاثنين فيه تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومي بين القرانات جميعًا ورفع الحروب فيما بينهم.

وفيه ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ودخل في عقيدته قبائل من العرب كثيرة وبث دعائه في أقاليم الأرض ويزعم أنه يدعو الى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ويأمر بترك البدع التي ارتكبتها الناس ومشوا عليها الى غير ذلك.

وفيه سافر عثمان كتحدا الدولة الى الديار الرومية ونزل الى بولاق وضربوا له عدة مدافع وفي هذه الأيام حصلت أمطار متتابعة وغيام ورعود وبروق عدة أيام وذلك في أواسط نيسان الرومي.

وفي ذلك اليوم نهوا على الوجاقات والعساكر بالحضور من الغد الى الديوان لقبض الجامكية فلما كان في صباحها يوم الثلاثاء نصبوا صيوانًا كبيرًا ببركة الأربكية وحضر العساكر والجاقلية بترتيبهم ونزل الباشا بموكبه الى ذلك الصيوان وهو لايس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس وهو شعار الوزارة ووضعوا الأكياس وخطفوها على العادة القديمة فكان وقتًا مشهودًا.

وفي يوم الثلاثاء تأسعوه حضر كبير الانكليز من الاسكندرية ونصبوا وطاقهم ببر انبابة فلما كان يوم الأربعاء يوم عاشوراء عدى كبير الانكليز ومعه عدة من أكابره فتهيا لملاقاته الباشا واصطفت العساكر عند بيت الباشا ووصل الانكليز الى الأربكية وطلعوا الى عند

الباشا وقابلوه فخلع عليهم وقدم لهم خيلاً وهديّة ثم نزلوا وركبوا ورجعوا الى وطاقهم وعند ركوبهم ضربوا لهم عدة مدافع فلم يعجب الباشا ضربها فأمر الطبقية لكونهم لم يضربوها على نسق واحد.

وفيه وردت الأخبار بأن الانكليز أخلوا القلاع بالاسكندرية وسلموها لأحمد بك خورشيد وذلك يوم الاثنين ثامنه وأبطلوا الكرنتيه أيضاً وحصل الفرج للناس وانطلق سبيل المسافرين برّاً وبحراً وأخذ الباشا في الاهتمام بتشهيل الانكليز المسافرين الى السويس والقصير وما يحتاجون إليه من الجمال والأدوات وجميع ما يلزم ولما حضر الانكليز الى عند الباشا فدعوه الى الحضور الى عندهم فوعدهم على يوم الجمعة فلما كان يوم الجمعة ثالث عشره ركب الباشا وصحبته طاهر باشا في نحو الخمسين وعدى الى الجيزة بعد الظهر ووقفت عساكر الانكليز صفوفًا رجالاً وركبًا وبأيديهم البنادق والسيوف وأظهروا زينتهم وأبهتهم وذلك عندهم من التعظيم للقادم فنزل الباشا ودخل القصر فوجدهم كذلك صفوفًا بدھليز القصر ومحل الجلوس فجلس عندهم ساعة زمانية وأهدوا له هدايا وتقادم وعند قيامه ورجوعه ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب لهم هو عند حضورهم إليه فلقد أخبرني بعض خواصهم أن الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعًا ولقد عدت ما ضربه الانكليز للباشا فكان كذلك وأخبرني حسين بك وكيل قبطان باشا وكان يصحبه الباشا عند ذهابه الى الانكليز قال كنا في نحو الخمسين والانكليز في نحو الخمسة آلاف فلو قبضوا علينا في ذلك الوقت لملكوا الإقليم من غير ممانع فسبحان المنجي من المهالك وإذا تأمل العاقل في هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبار والكرامة لدين الإسلام حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فسبحان القادر الفعال واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من الانكليز حتى يريد الله.

وفي ذلك اليوم سافرت الملاقاة للحجاج بالوش.

وفيه وصلت مكاتبات من أهل القدس وبافا والخليل يشكون ظلم محمد باشا أبي مرق وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ويستغيثون برجال الدولة وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزار وحضر الكثير من أهل غزة وبافا والخليل والرملة هروبًا من المذكور وفي ضمن المكاتبات أنه حفر قبور المسلمين والأشراف والشهداء ببافا ونبشهم ورمى عظامهم وشرع يبقى في تلك الجبابة سورًا يتحصن به وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم ومكنهم أيضًا من مغارة السيدة مريم بالقدس وأخذ منهم مالا عظيماً على ذلك وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة.

وفيه حضر جماعة من العسكر القبالي وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرية وفيهم رأس علي كاشف أبي دياب وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرية وكانت الغلبة على العثمانية وقتل منهم الكثير وذلك عند أرمنت ورأس عصبة المصرية الألفي وصحبته طائفة من الفرنسيين وتجمع عليهم عدة من عسكر الفرنسية والعثمانية طمعًا في بذلهم وأن عثمان بك حسن انفراد عنهم وأرسل يطلب أمّاًا ليحضر فأرسلوا له أمّاًا فحضر الى باشة الصعيد وخلع وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا توسون والي جدة وكذلك خازنده.

وفي يوم السبت رابع عشره شرع الانكليز المتوجهون الى جهة السويس في تعديّة البر الشرقي ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران وبعضهم جهة العادلية وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربي متوجهين الى القصير واستمروا يعدون عدة أيام ويحضر أكابرهم عند الباشا ويركبون فيرمون لهم مدافع حال ركوبهم الى أماكنهم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه عدى حسين بك وكيل القبطان الى الجيزة وتسلمها من الانكليز وأقام بها وسكن بالقصر.

وفي خامس عشرينه وصل الى ساحل بولاق آغا وعلى يده مثالات وأوامر وحضر أيضًا عساكر رومية فأرسلوا عدة منهم الى الجيزة فركب ذلك الآغا في موكب من بولاق الى بيت الباشا فخلع عليه وقدم له مقدمة وضربوا له عدة مدافع.

وفيه حضر ططري من ناحية قبلي بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرية وطلب جبخانه ولوازمها.

وفيه وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكر الى أبي مرق من البر والبحر فأحاطوا بيافا وقطعوا عنها الجالب واستمروا على حصاره.

وفيه اتخذ الباشا عسكرًا من طائفة التكرور الذين يأتون الى مصر بقصد الحج فعرضهم واختار منهم جملة وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قناتيش قصارًا من جوخ أحمر وألبسة من جوخ أزرق وصدریات وجميعها ضيقة مقطمة مثل ملابس الفرنسيين وعلى رؤوسهم طراطير حمر وأعطوهم سلاحًا وبنادق وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهري خارج الحسينية وجعلوا عليهم كبيرًا يركب فرسًا ويلبس فروة سمور وجمع الباشا أيضًا العبيد السود وأخذهم من أسيادهم بالقهر وجعلهم طائفة مستقلة وألبسهم شبه ما تقدم وأركبهم خيلًا وجعلهم فرقتين صغارًا وكبارًا واختارهم للركوب إذا خرج الى الخلاء وعليهم كبير يعلمهم هيئة اصطفاة الفرنسيين وكيفية أوضاعهم والإشارات بمرش وأردبوش وكذلك طلب المماليك وغصب ما وجده منهم من أسيادهم واختص بهم وألبسهم شبه لبس المماليك المصرية وعمائم شبه البحرية الأروام وبلكات وشراويل وأدخل فيهم ما وجده من الفرنسيين وجعل لهم كبيرًا أيضًا من الفرنسيين يعلمهم الكر والفر والرمي بالبنادق وفي بعض الأحيان يلبسون زرديات وخودًا وبأيديهم السيوف المسلولة وسموا ذلك كله النظام الجديد.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة 1217 في ثانيه وصل سعيد آغا وكيل دار السعادة وهو فحل أسمر فحضر عند الباشا فقابله وخلع عليه وقدم له مقدمة وضربوا له عدة مدافع أيضًا.

وفي يوم الخميس تاسعه عمل الباشا ديوانًا وحضر القاضي والعلماء والأعيان وقرأوا خطًا شريفًا حضر بصحبة وكيل دار السعادة بأنه ناظر أوقاف الحرمين.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم الطون أبو طاقية وابراهيم زيدان وبركات معلم الديوان سابقًا وفي الحال أرسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم وشرعوا في نقل ذلك الى بيت الدفتردار على الجمال ليباع في المزاد فبدأوا بإحضار تركة الطون أبي طاقية فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها وجوار سود وحبوش وساعات واستمر سوق المزاد في ذلك عدة أيام.

وفيه تواترت الأخبار بأن بونا بارتة خرج بعمارة كبيرة ليحارب الجزائر وأنه انضم الى طائفة الفرنسيين الاسبانيول والنامرطان وتفرقوا في البحر وكثر اللغط بسبب ذلك وامتنع سفر المراكب ورجع الانكليز الى قلاع الاسكندرية واستمرت هذه الإشاعة مدة أيام ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار وأن ذلك من اختلافات الانكليز.

وفي يوم الخميس سابع عشره حضر جاويش الحاج وصحبته مكاتبات الحجاج من العقبة وضربوا لحضوره مدافع وأخبروا بالأمن والرخاء والراحة ذهابًا وإيابًا ومشوا من الطريق السلطاني وتلقتهم العربان وفرحوا بهم فلما كان يوم الاثنين وصل الحجاج ودخلوا الى مصر.

وفي صباحها دخل أمير الحاج وصحبته المحمل.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه سافر حسين آغا شنن وزين الفقار كتحدا وصحبتهما علي كاشف لملاقاة عثمان بك حسن وأخلوا له دار عبد الرحمن كتحدا بحارة عابدين.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه حضر عثمان بك حسن فأرسل إليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب فحضر بصحبته وقابل حضرة الباشا وخلع عليه خلعة وقدم له مقدمة وذهب الى الدار التي أعدت له حضر صحبتته صالح بك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ومعهم نحو المائتين من الغز والمماليك سكن كل من الأمراء والكشاف في مساكن أزواجهم فكانوا يركبون في كل يوم الى بيت عثمان بك ويذهبون صحبتته الى ديوان الباشا.

ورتب له خمسة وعشرين كيسًا في كل شهر.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1217 فيه شرعوا في عمل المولد النبوي وعملوا صواري ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكري ونصبوا خيامًا في وسط البركة ونودي في يوم الخميس ثامن بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت والسهر بالليل ثلاث ليال أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف فكان كذلك.

وفي ليلة المولد حضر الباشا الى بيت الدفتردار باستدعاء وتعشى هناك واحتفل لذلك الدفتردار وعمل له حراقة نفوط وسواريح حصة من الليل.

وفيه وصلت الأخبار بكثرة عربدة الأمراء القبالي وتجمع عليهم الكثير من غوغاء الخوف والهوارة والعربان ووصلوا الى غربي أسيوط وخافتهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب منهم وتحصن كل فريق في الجهة التي هو فيها وانكمشوا عن الإقدام عليهم وهابوا لقاءهم مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق وذلك هو السبب الداعي لنفور أهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرية ومن جملة أفاعيلهم التي ضيقت المنافس وأخرجت الصدور حتى أعظم الدولة حجزهم المراكب ومنعهم السفار حتى تعطلت الأسباب وامتنع حضور الغلال من الجهة القبلية وخلت عرصات الغلة والسواحل من الغلال مع كثرتها في بلاد الصعيد ولولا تشديد الباشا في عدم زيادة سعر الغلة لغلت أسعارها وأمر بأن لا يدخلوا الى الشئون والحواصل شيئًا من الغلة بل يباع ما يرد على الفقراء حتى يكتفوا وفي كل وقت يرسلون أوراقًا وفرمانات الى العساكر بإطلاق المراكب فلا يمثلون وبحجز الواحد منهم أو الإثنان المركب التي تحمل الألف أردب.

ويربطونها بساحل الجهة التي هم بها وتستمر كذلك من غير منفعة وربما مرت بهم شرعوا في تسفير عساكر أيضًا وساري عسكرهم طاهر باشا وأخذ في المراكب الحشونة بالغلة فيأخذون منها النواتية والريس يستخدمونهم في مركبهم ويأخذ غيرهم المركب فيرمي ما بها من الغلال على بعض السواحل إن لم يجدوا من يشتريه ويأخذون المراكب فيربطونها عندهم وأمثال ذلك مما تقصر عنه العبارة ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالي التشهيل والسفر فلما كان يوم الخميس خامس عشره عدى الى البر الغربي وتبعته العساكر.

وفي ذلك اليوم حضرت مكاتبة من الأمراء القبالي ملخصها أن الأرض ضاقت عليهم واضطربهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم وأنهم في طاعة الله والسلطان ولم يقع منهم ما يوجب إبعادهم وطردهم وقتلهم فإنهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وأبلوا مع الفرنسية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والإقبال على الموت فإما أن تعطونا جهة نتعيش فيها أو ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا وتشهلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز أو تعينوا لنا جهة نقيم بها نحن خمسة أشهر مسافة ما نخاطب الدولة في أمرنا ويرجع لنا الجواب ونعمل في رقابكم لأرقابنا وورد الخبر عنهم أنهم رجعوا القهقري الى قبلي فلما حضرت تلك المكاتبة فاشتوروا في ذلك وكتبوا لهم جوابًا بامضاء الباشا والدفتردار والمشايخ حاصله الأمان لما عدا ابراهيم بك والألفي والبرديسي وأبا دياب.

فلا يمكن أن يؤذن لهم بشيء حتى يرسلوا الى الدولة ويأتي الإذن بما تقتضيه الآراء وأما بقيتهم فلهم الأمان والإذن بالحضور الى مصر ولهم الإعزاز والإكرام ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والالتزام وغير ذلك مثل ما وقع لعثمان بك حسن فإنهم رتبوا له خمسة وعشرين كيسًا في كل شهر ومكنوه مما طلبه من خصوص الالتزام.

ورفعوها عن كان أخذها بالحلوان وهذه أول قضية شنيعة ظهرت بقدمهم واستمر طاهر باشا مقيمًا بالبر الغربي.

وفي هذا الشهر كمل تميم عمارة المقاييس على ما كان عمره الفرنسي على طرف الميري وأنشأ به الباشا طيارة في علوه عوضًا عن الطيارة القديمة التي هدمها الفرنسي وأنشأ أيضًا مصطبة في مرمى النشاب بالناصرية وجعل فيها كشكًا لطيفًا مزينًا بالأصباغ ودرابزين حول المصطبة المذكورة.

ومن الحوادث بسكندرية حضر قليلون وفيه تجار وبزرجانية يقال له قليلون مهر دار الدولة فأرسلوا بالمينة الغربية.

وطلع منه قبطان وبعض التجار الى البلدة وأقام نحو يومين أو ثلاثة فطلع رجل نصراني وأخبر الانكليز أنه مات به رجل بالطاعون ومات قبله ثلاثة أيضًا فطلبوا القبطان فهرب.

فأرسلوا الى المركب وأحضروا اليازجي وتحققوا القضية وأحرقوا المراكب بما فيها وأشهروا اليازجي وعروه من ثيابه وسحبوه بينهم في الأسواق وكلما مروا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مصاطب القهاوي بطحوه بين أيديهم وضربوه ضربًا شديدًا ولم يزالوا يفعلون به ذلك حتى قتلوه.

ووقع أيضًا أن خورشيد حاكم الاسكندرية أحدث مظالم ومكوسًا على الباعة والمحترفين.

فذهب بعض الانكليز يشتري سمكًا فطلب السماك منه زيادة في الثمن عن المعتاد فقال له الانكليز لأي شيء تطلب زيادة عن العادة فعرفه بما أحدث عليهم من المكس فرجع الانكليزي وأخبر كبراءه فتحققوا القضية وأحضروا المنادي وأمره بالمناداة بإبطال ما أحدثه العثمانية من المكوس والمظالم فخرج المنادي وقال حسبما رسم الوزير محمد باشا وخورشيد أغا بأن جميع الحوادث المحدثه بطالة فسمعوه يقول ذلك فأحضره وضربوه ضربًا شديدًا وعزروه على ذلك القول وقالوا له قل في مناداتك حسبما رسم ساري عسكر الانكليز.

ووقع أيضًا أن جماعة من العسكر أرادوا القبض على امرأة من النساء اللاتي يصاحبن الإنكليز فمنعها منهم عسكر الإنكليز فتضاربوا معهم فقتل من الإنكليز إثنان فاجتمع الإنكليز وأرسلوا إلى خورشيد بأن يخرج إلى خارج البلدة ويحاربهم فامتنع من ذلك فأمره بالنزول من القلعة وأسكنوه في دار بالبلد ومنعوا عسكره من حمل السلاح مطلقًا مثل الإنكليزية.

واستمروا على ذلك.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1217 فيه حضر أحمد آغا شويكار من عند القبالي ومحمد كاشف صحته من جماعة الألفي ومعهم مكاتبات وأشيع طلبهم الصلح فأقاموا عدة أيام محجوبين عن الاجتماع بالناس ثم سافروا في أواسطه ولم يظهر كيفية ما حصل وبطل سفر طاهر باشا إلى الجهة القبلية ورجع إلى داره بعد أيام من رجوعه.

وفيه عمل مولد المشهد الحسيني ودعا شيخ السادات الباشا في خامسه وتعشى هناك ورجع إلى داره.

وفيه تقلد السيد أحمد المحروقي أمين الضربخانة وفرق ذهبًا كثيرًا في ذلك اليوم بيت الباشا وعمل له ليلة بالمشهد الحسيني ودعا الباشا والدفتردار وأعيان الدولة والعلماء وأولم لهم وليمة عظيمة وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة وقدم للباشا مقدمة وفي صباحها أرسل مع ولده هدية وتعبية أقمشة نفيسة فخلع عليه الباشا فروة سمور.

وفي غرة هذا الشهر شرع الباشا في هدم الأماكن المجاورة لمنزله التي تهدمت واحترقت في واقعة الفرنسيين ليبنيها مساكن للعساكر المختصة به وتسمى عندهم بالقشلة وذلك قبالة منزله من المكان المعروف بالساكت إلى جامع عثمان كتخدا حيث رصيف الخشاب واهتم لذلك اهتمامًا عظيمًا ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد مع ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر والمباشرين وحق الطرد وفرد الإنكليز.

وفي منتصفه كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع وكان من خبره أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره عبد الرحمن كتخدا القازدغلي في جملة عمائره وذلك في سنة 1174 فلم يزل على ذلك إلى أن ظهر به خلل ومال شقه فانئذ لعمارته عثمان بك المعروف بالطنجري المرادي في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف فهدمه وكشف أنقاضه وشرع في بنائه وأقام جدرانه ونصبوا أعمدته وأرادوا عقد قناطره فحصلت حادثة الفرنسيين وجرى ما جرى فبقي على حاله إلى أن خرج الفرنسيين من أرض مصر وحضرت الدولة العثمانية فعرض خدمة الضريح إلى الوزير يوسف باشا فأمر بإتمامه وإماله على طرف الميري ثم وقع التراخي في ذلك إلى أن استقر قدم محمد باشا في ولاية مصر فاهتم لذلك فشرعوا في إكماله وتتميمه وتسقيفه وتقيد لمباشرة ذلك ذو الفقار كتخدا فتم على أحسن ما كان وأحدثوا به حنفية وفسحة وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ ولما كان يوم الجمعة رابع عشره حصلت به الجمعية وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ محمد الأمير المالكي درس وظيفته وأملى إنما يعمر مساجد الله الآية والأحاديث المتعلقة بذلك وثم المجلس وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة وكذا الإمام.

وفيه نصب الباشا خيمة عند بيته بقرب الهدم يجلس بها حصة كل يوم لمباشرة العمل وربما باشر بنفسه ونقل بعض الأنقاض فلما غابته الأغوات والجوخدارية بادروا إلى الشيل ونقل التراب بالغلقان فلما أشيع ذلك حضر طاهر باشا وأعيان العساكر فنقلوا أيضًا وطلبوا المساعدة وحضر طائفة من ناحية الرميطة وعرب اليسار ومعهم طبول وزمور

فسأل عن ذلك فقال له المحتسب ذو الفقار: هؤلاء طائفة من طوائفي حضروا لأجل المساعدة فشكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب فبقي منهم طائفة وأخذوا في شيل التراب بالأغلاق ساعة والطبول تضرب لهم فانسر الباشا من ذلك وحسن القراء للباشا المساعدة وأن الناس تحب ذلك فرتبوا ذلك وأحضروا قوائم أرباب الحرف التي كتبت أيام فرد الفرنسيين ونبهوا عليهم بالحضور.

فأول ما بدأوا بالنصارى الأقباط فحضروا ويقدمهم رؤساؤهم جرجس لجوهري وواصف وفلتيوس ومعهم طبول وزمور وأحضر لهم أيضًا مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين حتى البرامكة بالرباب فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفي ثاني يوم حضر منهم أيضًا كذلك طائفة.

ولما انقضت طوائف الأقباط حضر النصارى الشوام والأروام ثم طلبوا أرباب الحرف من المسلمين فكان يجتمع الطائفتان والثلاثة ويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ويحضرون الى العمل ويقدمهم الطبول والزمور والمجرية وذلك خلاف ما رتبته مهتار باشا.

فيصير بذلك ضجة عظيمة مختلطة من نوبات تركية وطبول شامية ونقاير كشوفية ودبابد حربية وآلات موسيقية وطبالات بلدية وربابات برامكية كل ذلك في الشمس والغبار والعفار.

وزادوا في الطنبور نغمة وهي أنهم بعد أن يفرغوا من الشغل ويأذنوا لهم بالذهاب يلزمونهم بدارهم يقبضها مهتار باشا يرسم البقشيش على أولئك الطبالين والزمارين فيعطيهن النزر اليسير ويأخذ لنفسه الباقي وذلك بحسب رسمه واختياره فيأتي على الطائفة المائة قرش والخمسون قرشًا ونحو ذلك فيركب في ثاني يوم وبذهب الى خطتهم ويلزمهم بإحضار الذي قرره عليهم فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه وإذا حضرت طائفة ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة طولوا عليهم المدة وأتعبوهم ونهروهم واستحثوهم في الشغل ولو كانوا من ذوي الحرف المعتبرة كما وقع لتجار الغورية والحريرة وإذا قدموا بين أيديهم شيئًا خففوا عليهم وأكرمواهم ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا وأحضر لهم الآلات والمغاني فضربت بين أيديهم كما وقع ذلك لليهود واستمر هذا العمل بقية الشهر الماضي الى وقتنا هذا فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة وهي السخرة والمعونة وأجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الأعداء من النصارى وتعطيل معاشهم وعاشرها أجرة الحمام.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره الموافق لسادس مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك وكسر السد في صباحها يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضي والشنك المعتاد وجرى الماء في الخليج ولم يطف مثل العادة ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة للنزهة وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية.

وفي منتصفه حضر قصاص

من الططر وعلى يدهم مكاتبات من الدولة بوقوع الصلح العام من الدولة والقرانات وعثمان باشا ومن معه من المخالفين على الدولة من جهة الروملي فعملوا شنكًا ومدافع ثلاثة أيام تضرب في كل وقت من الأوقات الخمسة وكتبوا أوراقًا وألصقوها في مفارق الطرق والأسواق وقد تقدم مثل ذلك وأظنه من المختلقات.

وفي أواخره حضر حريم الباشا من الجهة الرومية وهما اثنتان إحداهما معتوقة أم السلطان والأخرى معتوقة أخته زوجة قبطان باشا وصحبتهما عدة سراري فأسكنهن بيت الشيخ خليل البكري وقد كان عمره قبل حضورهن وزخرفته ودهنوه بأنواع الصباغات والنقوش وفرشوه بالفرش الفاخرة وفرش المحروقي مكائًا وكذلك جرجس الجوهري فرش مكائًا وأحمد بن محمد واعتنوا بذلك اعتناءً زائدًا حتى أن جرجس فرش بساطًا من الكشمير وغير ذلك وعمل وليمة العقد وعقد على الثنتين في أن واحد بحضرة القاضي والمشايخ وأهدوا لكل من الحاضرين بقجة من طرائف الأقمشة الهندية والرومية وعملوا شنگًا وحرقة بالأزبكية عدة ليال.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الاثنين سنة 1217 في يوم الاثنين ثامن شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام أحدهم بباب زويلة والثاني بباب الخرق والثالث بالأزبكية بالقرب من جامع عثمان كتخدا وقتلوا أيضًا شخصًا بالنحاسين.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه عمل الباشا ديوانًا وفرق الجامكية على الوجاقلية. وفيه

وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالي والعثمانية

وذلك أن شخصًا من العثمانية يقال له أجدر موصوفًا بالشجاعة والإقدام أراد أن يكبس عليهم على حين غفلة ليكون له ذكر ومنقبة في أقرانه فركب في نحو الألف من العسكر المعدودين وكانوا في طرف الجبل بالقرب من الهو فسبق العين إلى الأمراء وأخبرهم بذلك فلما توسطوا سطح الجبل وإذا بالمصرية أقبلت عليهم في ثلاثة طوابير فأحاطوا بهم فضرب العثمانية بنادقهم طلقًا واحدًا لا غير ونظروا وإذا بهم في وسطهم وتحت سيوفهم ففتكوا فيهم وحصدوهم ولم ينج منهم إلا القليل وأخذ كبيرهم أجدر المذكور أسيرًا وانجلت الحرب بينهم وأحضروا أجدر بين يدي الألفي فقال له لأي شيء سموك أجدر فقال الأجدر معناه الأفعى العظيم وقد صرت من أتباعك فقال لكن يحتاج إلى تطريمك وإخراج سمك أولًا وأمر به فأخذوه وقلعوا أسنانه ثم قتلوه وأخذوا جميع ما كان معهم ومن جملة ذلك أربعة مدافع كبار.

وفيه قلدوا أحمد كاشف سليم إمارة أسيوط وعزل أميرها مقدار بك العثماني بسبب شكوى أهل النواحي من ظلمه.

وفي منتصفه تواترت الأخبار برجوع الأمراء القبالي إلى بحري وأنهم وصلوا إلى بني عدي فنهبوا غلالها ومواشيها وقبضوا أموالها وأعطوهم وصولات بختمهم وكذلك الحواوشة وما جاور ذلك من البلاد فشرع العثمانية بمصر في تشهيل جريدة وعساكر.

وفيه حضرت أيضًا عساكر كثيرة من هبود الأتراك والأرنؤد فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم بإخلاء البيوت لسكنائهم فازعجوا الكثير من الناس وأخرجوهم من دورهم بالقهر.

فحصل للناس غاية الضرر وضاق الحال بالناس وكلما سكنت منهم طائفة بدار أخرجوها وأحرقوا أخشابها وطيقانها وأبوابها وانتقلوا إلى غيرها فيفعلون بها كذلك ومن تكلم أو دافع عن دار ويخ بالكلام وقيل له عجب كنتم تسكنون الفرنسيين وتخلون لهم الدور وأمثال ذلك من الكلام القبيح الذي لا أصل له ولما شرعوا في تشهيل التجريدة حصلت منهم أمور وأذية في الناس كثيرة فمنها أنهم طلبوا الحمارية المكارية وأمروهم بإحضار ستمائة حمار وشدوا عليهم في ذلك فقبل إنهم لما جمعوها أعطوهم أثمانها في كل حمار خمسة ريبالات بعدته ولجامه مع أن فيها ما قيمته خمسون ريبالًا خلاف عدته ثم ما كفاهم ذلك بل صاروا يخطفون حمير الناس من أولاد البلد بالقهر وكذلك حمير السقائين التي تنقل الماء من الخليج حتى امتنعت السقاؤون بالكلية وبلغ ثمن القرية الكثافي من

الخليج عشرة أنصاف فضة وتعدى بالخطف أيضًا من ليس بمسافر فكانوا ينزلون الناس من على حميرهم ويذهبون بها الى الساحة ويبيعونها والبعض تبعهم واشترى حماره بالثمن فخيى جميع الناس حميرهم في داخل الدور فكان يأتي الجماعة من العسكر وينصتون بأذانهم على باب الدار ويتبعون نهيق الحمير وبعض شياطينهم يقف على الدور ويقول رز ويكررها فينهق الحمار فيعلمون به ويطلبونه من البيت فيما أخذوه أو اقتداه وفيه حضر قاضي سكندرية الى مصر وذلك أنه لما حضر من اسلامبول طلع الى داره وحضرت إليه الدعاوى فأخذ منهم المحصول على الرسم المعتاد فأرسل إليه الانجليز ولاموه على عدم حضوره إليهم وقت قدومه وقالوا له إن أقمت هنا بتقليدنا إياك فلا تأخذ من أحد شيئاً ونرتب لك ثلاثة قروش في كل يوم وإلا فاذهب حيث شئت فحضر الى مصر بذلك السبب.

شهر جمادى الثانية سنة 1217 في خامسه سافرت العساكر الى الأمراء القبالي وسافر أيضًا عثمان بك الحسني وباقي العساكر المعزولين وأمير العساكر العثمانية محمد علي سرششمه وكان الباشا أرسل ابراهيم كاشف الشرقية بجواب إليهم فرجع في ثامنه بجواب الرسالة وأعطاه الألفي ألفي ريال وقدم له حصانين وحاصل تلك الرسالة كما تقدم الأمان لجميع الأمراء المصرية وأنهم يحضرون الى مصر ويقيمون بها ولهم ما يرضيهم من الفائض وغيره ما عدا الأربعة الأمراء وهم ابراهيم بك والألفي والبرديسي وأبا دياب فإنهم مطلوبون الى حضرة السلطان يتوجهون إليه مع الأمن عليهم ويعطيهم مناصب وولايات كما يحبون فإن لم يرضوا بذلك فيأخذوا إقطاع أسنا ويقيمون بها فلما وصل ابراهيم أغا المذكور الى أسيوط وأرسل إليهم أرسلوا إليه أحمد أغا شوبكار ومحمد كاشف الألفي فانتظروه خارج الجبانة فخرج إليهم ولاقوه وأخذوه وصحبتهم الى عرضهم وأنزلوه بوطاق بات به فلما أصبح الصباح طلبوه الى ديوانهم فحضر ووقف عساكرهم صفوفًا ببنادقهم وفيهم كثير على هيئة اصطفاك الفرنسيين وعملوا له شنگًا ومدافع.

ثم أعطاهم المكاتب بحضرة الجميع فقرؤوها ثم تكلم الألفي وقال: أما قولكم نذهب الى اسلامبول ونقابل السلطان ينعم علينا فهذا مما لا يمكن وإن كان مراده أن ينعم علينا فإننا في بلاده وأنعامه لا يتقيد بحضورنا بين يديه وأما بقية إخواننا فهم بالخيار إن شاؤوا أقاموا معنا وإلا ذهبوا وكل إنسان أمير نفسه وأما كون حضرة الباشا يعطينا إقطاع أسنا فلا يكفينا هذا وإنما يكفينا من أسيوط الى آخر الصعيد ونقوم بدفع خراجهم فإن لم يرضوا بذلك فإن الأرض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله ما يكفينا ومن أتى إلينا حاربناه حتى يكون من أمرنا ما يكون ثم استقروا بنقطة اللاهون وكسروا القنطرة وشرعوا في قبض الأموال من بلاد الفيوم فلما رجع ابراهيم كاشف بذلك الجواب ركب الباشا في صبحها الى الآثار واستعجل العسكر بالذهاب فعدوا الى البر الغربي وتأخر عنهم عثمان بك الحسني والغز المصرية وباتوا بطرا.

وفيه شفق الباشا رجلا طبعيًا في المشنقة التي عند قنطرة الغربي ثم أن عثمان بك أرسل الى الباشا يطلب حسين أغا شنن ومصطفى أغا الوكيل ليتفاوض معهما في كلام فأرسل له ابراهيم أغا كاشف الشرقية فأعطاه الخلعة التي خلعها الفرنسيين وبلوت معهم ثم أتى حضرت بأمان طائعًا فلم أجاز ولم يحصل ما كنت أؤمله ولم يوفوا معي وعدًا وأنا لا أقاتل إخواني المسلمين وأختم عملي بذلك ولا أقيم بمصر أكل الصدقة وإنما أذهب سائحًا في بلاد الله وكان في ظن عثمان بك أنه إذا أتى الى مصر على هذه الصورة يجعله الباشا أمير البلد أو أمير الحاج.

وفيه أمر الباشا محمد كتحدا المعروف بالزربة بالسفر الى جهة قبلي فاستغفى من ذلك فأمر بقتله فشفع فيه يوسف كتحدا الباشا وقال إن له حرمة وقد كان في السابق كتحدا لأفندينا ولا يناسب قتله على هذه الصورة فأمر بسفره الى جهة البحيرة محافظًا فسافر

من يومه وأما عثمان بك فإنه ركب وذهب الى جهة قبلي مشرقًا على غير الرسم وأشيع ذلك في الناس ولغطوا به فلما تحقق العثمانية ذلك رسموا الطوائف العسكر أن يقيموا منهم طوائف بالقلع التي على التلول ونصبوا عليها بيارق وأوقفوا حرسًا على أبواب المدينة يمنعون من يخرج من المدينة من الغز الخيالة المصرية فمن خرج الى بولاق أو غيرها فلا يخرج إلا بورقة من كتخدا الباشا.

وفي ليلة الجمعة عاشره أمر الباشا بكبس بيوت الأمراء الحسنية ونهب ما بها من الخيول والجمال والسلاح.

وفيه حضر أغات التبديل الى بيت الخربطلي بعطفة خشقدم وبه جماعة من عسكر المغاربة فكبس عليهم وقبض على جماعة منهم وكتفهم وكشف رؤوسهم وأحاطت بهم عساكره وسحبوهم وأخذوا ما وجدوه في جيوبهم على هيئة شنيعة ومروا بهم على الغورية ثم على النحاسين وباب الشعيرة حتى انتهوا بهم الى الأزيكية على حارة النصارى ودخلوا بهم بيت الباشا وهم لا يعملون لهم ذنبًا فلما مثلوا بين يدي كتخدا الباشا ذكر لهم أن بجوارهم دير للنصارى وأنهم فتحوا طاقًا صغيرًا يطل على الدير فقالوا لا علم لنا بذلك وأخبروا أن جماعة من الأرنؤد ساكنون معهم بأعلى الدار فيحتمل أن ذلك من فعلهم فأرسلوا من كشف على ذلك فوجدوه كما قال المغاربة فأطلقوهم بعد هذه الجرسة الشنيعة ومرورهم بهم الى حارة النصارى وأخذ دراهمهم ومتاعهم والأمر لله وحده.

وفيه أشيع مرور جماعة من الغز القبالي على جهة الجيزة الى جهة سكندرية وكذلك جماعة من الانجليز من سكندرية الى قبلي.

وفيه تداعى مصطفى خادم مقام سيدي أحمد البدوي مع نسيبه سعد بسبب ميراث أخته فقال مصطفى أنا أحاسبه على خمسين ألف ريال فقال سعد أنا أستخرج منه مائتي ألف ريال بشرط أن تعوقه هنا وتعطوني خادمه وجماعة من العسكر ففعلوا ذلك وعوقوه ببيت السيد عمر النقيب وتسلم سعد خادمه والعسكر ذهب بهم الى طندتا فعاقبوا الخادم فأقر على مكان أخرجوا منه ستة وثلاثين ألف ريال فرانسه ثم فتحوا بئرًا مردومة بالأثرية وأخرجوا منها ريبالات فرانسه وأنصافًا وأرباعًا وفضة عديدة كلها مخلوطة بالأثرية وقد ركبها الصدا والسواد فأحضروها وجلوها في قاعة اليهود ولم يزالوا يستخرجون حتى غلقوا مائة وسبعة وثمانين ألف وسبعمائة وكسورًا وآخر الأمر أخرجوا خبيثة لا يعلم قدرها ثم حصل العفو ورجع العسكر وأخذوا كراء طريقهم وأخذوا من أولاد عمه عشرة أكياس.

وفي يوم السبت حادي عشره كان آخر التسخير في نقل التراب من العمارة وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرادنية وأرباب الملاعب ويطل الزمر والطبل واستمر الفعلة في حفر الأساس ورشح عليهم الماء بآدنى حفر لكون أن ذلك في وقت النيل والبركة ملآنة بالماء حول ذلك.

وفي خامس عشره خرجت عساكر ودلاة أيضًا وسافروا الى قبلي.

وفي ثالث عشرينه سافر عساكر في نحو الأربعين مركبًا الى جهة البحيرة بسبب عرب بني علي فإنهم عانوا بالبحيرة ودمهور.

ومن الحوادث السماوية أن في تلك الليلة وهي ليلة الأربعاء ثاني عشرينه احمرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت وظهر في أثرها برق من ناحية الجنوب في سحاب قليل متقطع وازداد وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل شعلة النفط المتوقدة المتوجة بالهواء واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ثم تحول الى جهة المغرب وتتابع لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد واستمر الى خامس ساعة ثم أخذ

في الاضمحلال وبقي أثره غالب الليل وكان ذلك ليلة سادس عشر من درجة من برج الميزان وحادي عشر بابه القبطي وثامن تشرين أول الرومي ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث.

وفيه ورد الخبر بورود مركب من فرانسوا وبها الجي وقنصل وصحبتهم عدة فرنسيس فعمل لهم الانكليز شنگاً ومدافع بالاسكندرية فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن عشر من وصل ذلك الألجي لملاقاتهم خازن داره وصحبه عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة فقابلوهم وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية وركبوا إلى دار أعدت لهم بحارة البنادق وحضروا في صباحها إلى عند الباشا وقابلوه وقدم لهم خيلاً معدة وأهدى لهم هدايا وصاروا يركبون في هيئة وأبهة معتبرة وكان فيهم جبير ترجمان بونابارته.

وفيه وردت الأخبار بأن الغز القبالي نهبوا بلاد الفيوم وقبضوا أموالها ونهبوا غلالها ومواشيها وحرقوا البلاد التي عصت عليهم وقتلوا ناسها حتى قتلوا من بلدة واحدة مائة وخمسين نفرًا وأما العثمانية الكائنون بالفيوم فإنهم تحصنوا بالبلدة وعملوا لهم متاريس بالمدينة وأقاموا داخلها.

شهر رجب الفرد سنة 1217 استهل بيوم الجمعة فيه رموا أساس عمارة الباشا وكان طلب من الفلكيين أن يختاروا له وقتاً لوضع الأساس ففعلوا ذلك وكان بعد اثني عشر يوماً من يوم تاريخه فاستبعده وأمر برمي الأساس في اليوم المذكور.

ورب النجم يفعل ما يشاء.

وفيه أحضروا أربعة رؤوس فوضعت عند باب الباشا زعموا أنهم من قتلى الغز المصرية.

وفي خامسه يوم الثلاثاء سافر الألجي الفرنسي وأصحابه فنزلوا إلى بولاق وأمامهم مماليك الباشا بزيتهم وهم لابسون الزرور والخود وبأيديهم السيوف المسلولة وخلفهم العبيد المختصة بالباشا وعلى رؤوسهم طراير حمر وبأيديهم البنادق على كواهلهم فلم يزالوا صحبتهم حتى نزلوا بيت راشو ببولاق ثم رجعوا ثم نزلوا المراكب إلى دمياط وضربوا لهم مدافع عند تعويمهم السفن.

وفيه أشيع انتشار الأمراء القبالي إلى جهة بحري وحضروا إلى إقليم الجيزة وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا إلى وردان.

وفيه حضر محمد كتخدا المعروف بالزربة الذي كان كتخدا الباشا وتقدم أنه كان أمره بالسفر إلى قبلي فامتنع وأذن له بالسفر إلى البحيرة محافظاً فلما تقدم طوائف الأمراء إلى بحري فمر منهم جماعة قليلة على محمد كتخدا الزربة المذكور فلم يتعرض لهم مع قدرته على تعويقهم فبلغ الباشا ذلك فحقدها عليه وأرسل إليه وطلبه إلى الحضور فحضر فلما كان يوم السبت تاسعه طلبه الباشا في بكرة النهار فلما حضر بقتله فنزل به العسكر ورموا رقبته عند باب الباشا ثم نقلوه إلى بين المفارق قبالة حمام عثمان كتخدا فاستمر مرمياً عرباً إلى قبيل الظهر ثم شالوه إلى بيته وغسلوه في حوش البيت سكنه ودفنوه وعند موته أرسل الدفتردار فختم على داره وأخرج حريمه وفي ثاني يوم أحضروا تركته ومناعه وباعوا ذلك بيت الدفتردار.

وفيه وردت مكاتبات من الديار الرومية وفيها الخبر بعزل شريف أفندي الدفتردار وولاية خليل أفندي الرجائي المنفصل عن الدفتردارية عام أول فحزن الناس لذلك حزناً عظيماً فإن أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية إلى مصر بل من نحو أربعين سنة سوى هذه السنة التي باشرها هو فإنه أرضى خواطر الصغير قبل الكبير والفقير قبل

الغني وصرف الجامكية وغلل الأنبار عيًّا وكيلًا وكان كثير الصدقات ويحب فعل الخير والمعروف وكان مهذبًا في نفسه بشوشًا متواضعًا وهو الذي أرسل يطلب الاستعفاء من الدفتردارية لما رأى من اختلال أحكام الباشا.

وفي يوم الاثنين حادي عشره عدى يوسف كتحدا الباشا الى بر انبابة وعدى معه الكثير من العسكر ونصب العرضي ببر انبابة على ساحة البحر وأشيع وصول الأمراء الى ناحية الجسر الأسود وقطعوا الجسر لأجل تصفية المياه وانحدرها من الملق لأجل مشي الحافر ثم رجعوا الى ناحية المنصورية وبشتيل واستمر خروج العساكر العثمانية التي كانت جهة قبلي الى بر انبابة وهم كالجراد المنتشر ونصبوا وطاقهم ظاهر انبابة واستمر خروج العساكر والطلب ونقل البقسماط والجبخانة على الجمال والحمير ليلاً ونهارًا وأخذوا المراكب ووسقوها معهم في البحر وغصبوا ما وجدوه من السفن قهراً وانتشرت عساكرهم وخيامهم ببر انبابة حتي ملأوا الفضاء بحيث يظن الرائي لهم أنهم متى تلاقوا مع الغز المصرية أخذوهم تحت أقدامهم لكثرتهم واستعدادهم بحيث كان أوائل العرضي عند الوراق وأخبرهم بالقرب من بولاق التكر ورطولا ثم أن الأمراء رجعوا الى ناحية وردان والطرانة.

وفي يوم الجمعة خامس عشره انتقل العرضي من بر انبابة وحلوا الخيام وفي ثاني يوم خرجت عساكر خلافهم ونصبت مكانهم وسافروا وخرج خلافهم وهكذا دأبهم في كل يوم تخرج طائفة بعد أخرى.

وفيه رسم الباشا بألف أردب فتح أنعام تفرق على طلبية العلم المجاورين والأروقة بالجامع الأزهر ففرقت بحسب الأغراض وأنعم أيضًا بعد أيام بألف أردب أخرى فعل بها كذلك.

وإنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً وفي يوم الأحد سابع عشره وصلت جماعة ططر وأخبروا بتقليد شريف محمد أفندي الدفتردار ولاية جدة.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره خرج طاهر باشا ونصب وطاقه جهة انبابة للمحافظة وخرجت عساكره ونصبت وطاقاتهم ببر انبابة أيضًا متباعدين عن بعضهم البعض واستمروا على ذلك.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه حضر رجل من طرف الدولة يقال له حجان وهو رجل عظيم من أرباب الأقلام وعلى يده فرمان فأرسل الباشا الى شريف أفندي الدفتردار والقاضي والمشايخ وجمعهم بعد صلاة الجمعة وقرئ عليهم ذلك فرمان وهو خطاب الى حضرة الباشا وملخصه أننا اخترناك لولاية مصر لكونك ربيت بالسراية ولما نعلمه منك من العقل والسياسة والشجاعة وأرسلنا إليك عساكر كثيرة وأمرناك بتقال الخائنين وإخراج الأربعة أنفار من المناصب في غير إقليم مصر وإكرامهم غاية الإكرام إن امتثلوا الأوامر السلطانية وأطلقنا لك التصرف في الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم وما عرفناه موجب تأخير أمرهم لهذا الوقت فإن كان لقله العساكر أرسلنا إليك كذلك إن لم يمتثلوا وكل من انضم إليهم كان مثلهم ومن شذ عنهم وطلب الأمان فهو مقبول وعليه الأمان الى آخر ما ذكر من ذلك المعنى.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه كتبت أوراق بمعنى ذلك وألصقت بالطرقات.

وفي خامس عشرينه تواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانيين والأمراء المصرية بأراضي دمنهور وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة وكانت الغلبة للمصريين وانتصروا على العثمانيين وصورة ذلك أنه لما تراءى الجمعان واصطفت عساكر

العثمانيين الرجاله ببنادقهم واصطفت الخيالة بخيولهم وكان الألفي بطائفة من الأجناد نحو الثلاثمائة قريبًا منهم وصحبتهم جماعة من الانكليز فلما رأوهم مجتمعين لحربهم قال لهم الانكليز ماذا تصنعون قالوا نصددهم ونحاربهم قال الانكليز انظر واما تقولون إن عساركهم الموجهين إليكم أربعة عشر ألفًا وأنتم قليلون قالوا النصر بيد الله فقالوا دونكم فساقوا إليهم خيولهم واقتحموا الى الخيالة فقتل منهم من قتل فانهزم الباقون وتركوا الرجاله خلفهم ثم كروا على الرجاله فلم يتحركوا بشيء وطلبوا الأمان فساقوا منهم نحو السبعمائة مثل الأغنام وأخذوا الجبخانه والمدافع وغالب الحملة والانكليز وقوف على علوة ينظرون الى الفريقين بالنظارات فلما تحقق الباشا ذلك اهتم في تشهيل عساكر ومدافع وعدوا الى بر انبابة ونصبوا وطاقهم هناك.

وانتقل طاهر باشا الى ناحية الجيزة.

استهل شهر شعبان يوم السبت سنة 1217 فيه شرعوا في عمل متاريس جهة الجيزة وقبضوا على أناس كثيرة من ساحل مصر القديمة ليسخروهم في العمل.

وفيه حضر الكثير من العساكر المجارح وجمع الباشا النجارين والحدادين وشرع في عمل شركفلك فاشتغلوا فيه ليلاً ونهارًا حتى تمموه في خمسة أيام وحملوه على الجمال وأنزلوه المراكب وسفروه الى دمنهور.

في سادسه وفي عاشره كتبوا عدة أوراق وختم عليها المشايخ ليرسلوها الى البلاد خطا بالمشايخ البلاد والعربان مضمونها معنى ما تقدم وكتبوا كذلك نسجًا وألصقت بالأسواق وذلك بإشارة بعض قرناء الباشا المصرية وهي بمعنى التحذير والتخويف لمن يسالم الأمراء المصرية وخصوصًا المغضوب عليهم مطرودين السلطنة العصاة الى آخر معنى ما تقدم.

وفي هذه الأيام كثرت الغلال حتى غصت بها السواحل والحواصل ورخص سعرها حتى بيع القمع بمائة وعشرين نصقًا الأردب واستمرت الغلال معرمة في السواحل ولا يوجد من يشتريها وكان شريف أفندي الدفتردار أنشأ أربعة مراكب كبار لغلال الميري ولما حصلت النصره للمصرية على العثمانية خصوصًا هذه المرة مع كثرتهم وقوتهم واستعدادهم ضبغوا فيها واحتكروها ووقفوا على سواحل النيل يمنعون الصادر والوارد منهم ومن غيرهم وأما الباشا فإنه سخط على العساكر وصار يلعنهم ويشتمهم في غيابهم وحضورهم.

وفيه حضرت جماعة من أشرف مكة وعلمائها هروبا من الوهابيين وقصدتهم السفر الى اسلامبول يخبرون الدولة بقيام الوهابيين ويستنجدون بهم لينقذوهم منهم ويبادروا لنصرهم عليهم فذهبوا الى بيت الباشا والدفتردار وأكابر البلد وصاروا يحكون ويشكون وتنقل الناس أخبارهم وحكاياتهم.

استهل شهر رمضان المعظم سنة 1217 عملت الرؤية ليلة الأحد وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة ولم ير الهلال وكان غيمًا مطبقًا فلزم إتمام عدة شعبان ثلاثين يومًا فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا أنهم رأوا هلال شعبان ليلة الجمعة فقبله القاضي وحكم به تلك الليلة على أن ليلة الجمعة التي شهدوا برؤيته فيها لم يكن للهلال وجود البتة وكان الاجتماع في سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكور بإجماع الحساب والدساتير المصرية والرومية على أنه لم ير الهلال ليلة السبت الأحد يد البصر في غاية العسر والعجب وشهر رجب كان أوله الجمعة وكان عسر الرؤية أيضًا وأن الشاهد بذلك لم يتفوه به إلا تلك الليلة فلو كانت شهادته صحيحة لأشاعها في أول الشهر ليقع ليلة

النصف التي هي من المواسم الإسلامية في محلها حيث كان حريصًا على إقامة شعائر الإسلام.

وفيه حضرت جماعة من أشراف مكة وغيرها.

وفي خامس عشرينه حضر خليل أفندي الرجائي الدفتردار في قلة من أتباعه وترك أثقاله بالمراكب وركب من مدينة فوة وحضر على البر وذلك بسبب وقوف جماعة من الأمراء المصرية ناحية النجيلة يقطعون الطريق على المارين في المراكب ولما حضر نزل بيت اسمعيل بك بالأزبكية.

وفي غايته وقع ما هو أشنع مما وقع في غرته وذلك أن ليلة الاثنين غايته كان بالسما غيم مطبق ومطر ورعد وبرق متواتر وأوقدت قناديل المنارات والمساجد وصلى الناس التراويح واستمر الحال الى سابع ساعة من الليل وإذا بمدافع كثيرة وشنك من القلعة والأزبكية ولغط الناس بالعيد وذكروا أن جماعة حضروا من دمنهور البحيرة وشهدوا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة السبت فذهبوا الى بيت الباشا فأرسلهم القاضي فتوقف القاضي في قبول شهادتهم فذهبوا الى الشيخ الشرقاوي فقبلهم وأيدهم وردهم الى القاضي وألزمه بقبول شهادتهم فكتبوا بذلك إعلانًا الى الباشا وقضوا بتمام عدة رمضان بيوم الأحد ويكون غرة شوال صبحها يوم الاثنين وأصبح الناس في أمر مريح منهم الصائم ومنهم الفاطر فلزم من ذلك أنهم جعلوا رجب ثمانية وعشرين يومًا وشعبان تسعة وعشرين وكذلك رمضان والأمر لله وحده.

شهر شوال سنة 1217 كان أوله الحقيقي يوم الثلاثاء وجزم غالب الناس المفطرين بقضاء يوم الاثنين.

وفي خامسه وصلت أثقال خليل أفندي الرجائي الدفتردار.

وفيه طلبوا ألف كيس سلعة من التجار وأرباب الحرف فوزعت وقبضت على يد السيد أحمد المحروقي وهي أول حادثة وقعت بقدوم الدفتردار.

وفي يوم الخميس عاشره نصب جالپش شريف باشا المعبر عنه بالطوخ عند بيته بالأزبكية وضربت له النوبة التركية وأهدى له الباشا خيامًا كثيرة وطقمًا ولوازم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه كان خروج أمير الحاج بالموكب والمحمل المعتاد الى الحصوة وكان ركب الحجاج في هذه السنة عالمًا عظيمًا وحضر الكثير من حجاج المغاربة من البحر وكذلك عالم كثير من الصعيد وقرى مصر البحرية والأروام وغير ذلك.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه خرج شريف باشا في موكب جليل ونصب وطاقه عند بركة الشيخ قمر فأقام به الى أن يسافر الى جدة من القلزم وانتقل خليل أفندي الرجائي الدفتردار الى دار شريف باشا بالأزبكية.

وفي غايته حضر أولاد الشريف سرور شريف مكة هروبًا من الوهابيين ليستنجدوا بالدولة فنزلوا بيت المحروقي بعدما قابلوا محمد باشا والي مصر وشريف باشا والي جدة.

شهر ذي القعدة الحرام سنة 1217 استهل بيوم الأربعاء فيه تقدم الناس بطلب الجامكية فأمرهم الدفتردار بكتابة عرض حالات فثقل عليهم ذلك فقالوا إننا كتبنا عرضحالات في السنة الماضي وأخذنا سنداتنا من الدفتردار المنفصل ودفع لنا سنة ستة عشر فقيل لهم

إنه دفع لكم سنة معجلة والحساب لا يكون إلا من يوم التوجيه فضجوا من ذلك وكثر لغط الناس بسبب ذلك وأكثروا من التشكي من الدفتردار.

وفي سادسه اجتمع الكثير من النساء بالجامع الأزهر وصاحوا بالمشايخ وأبطلوا دروسهم فاجتمعوا بقبلته ثم ركبوا الى الباشا فوعدهم بخير حتى ينظر في ذلك وبقي الأمر وهم في كل يوم يحضرون وكثر اجتماعهم بالأزهر وباب الباشا فلم يحصل لهم فائدة من ذلك سوى أن رسم لهم بموجب آخر سنة تاريخه معجلة ولم يقبضوا منها إلا ما قل بسبب تتابع الشهور والحوادث.

وفي حادي عشره يوم السبت ارتحل شريف باشا الى بركة الحج متوجهًا الى السويس.

وفيه ارتحل حجاج المغاربة وكانوا كثيرين فسافر أغنياؤهم والكثير من فقرائهم من طريق البر وآخرون من السويس على القلزم.

وفي رابع عشره حضر ططريات الى الباشا وعلى يدهم شالات شريفة وبشارة بتقريره على السنة الجديدة وزيد له تشريف تترخانية ومعناه مرتبة عالية في الوزارة فضربوا شنگًا ومدافع متوالية يومين.

وفيه أشيع انتقال الأمراء المصرية من جهة البحيرة وقبلوا الى ناحية الجسر الأسود وأشيع أيضًا أن جماعة منهم نزلوا بصحبة جماعة من الانكليز الى البحر قاصدين التوجه الى اسلامبول وانتقل كتحدا بك خلفهم بعساكره ولكن لم يتجاسروا على الإقدام عليهم.

وفيه وصلت الأخبار من الجهات الشامية بهروب محمد باشا أبي مرق من يافا واستيلاء وفي رابع عشره حضر كتحدا الباشا وتقدم الأمراء المصرية الى جهة قبلي حتى عدوا الجيزة وحصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير في مرورهم على البلاد من التفاريد والكلف ورعي الزروع وقطع الطرق برًا وبحرًا وكان أغات الجو الى القبلية وهو نجيب أفندي كتحدا الدفتردار وصحبه أرباب مناصب عدوا الى الجيزة متوجهين الى الصعيد ونصبوا خيامهم ببر الجيزة فصادفهم وهجموا عليهم وقتلوا منهم من وجدوه وهرب الباقيون.

فاستولوا على خيامهم ووطاقهم وكذلك كتحدا الدفتردار خرج الى مصر القديمة متوجهًا الصعيد لقبض الغلال والأموال فاستمر مكانه وتأخر لعدم المراكب وخوفًا من المذكورين.

وفيه ورد الخبر بنزول شريف باشا الى المراكب بالقلزم يوم الخميس سادس عشره.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه طلبوا أيضًا خمسة آلاف كيس سلفة من التجار ثلاثة آلاف كيس ومن الملتزمين ألفا كيس وشرعوا في توزيعها فانزعج الناس وأغلق أهل الغورية حوانيتهم وكذا خلافهم وهرب أهل وكالة الصابون الى الشام على الهجن واختفى أكثر الناس مثل السكرية وأهل مرجوش وخلافهم فطلبهم المعينون ولزموا بيوتهم وسمروا مطابخ السكر وكذلك عملوا فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى الأعلى خمسمائة ريال والأوسط ثلثمائة والأدنى مائة وخمسون.

وفيه تحقق الخبر بنزول طائفة الانكليز وسفرهم من ثغر الاسكندرية في

يوم السبت حادي عشرة وفي خامس عشرينه حضر أحمد باشا والي دمياط

وكانوا أرسلوا له طوْحًا ثالثًا وأنه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة وكذلك قلدوا آخر باشاوية المدينة يسمى أحمد باشا وضعوا لهما عسكرًا يسافرون صحبتهم للمحافظة من الوهابيين وأخذوا في التشهيل.

وفي هذه الأيام كثر تشكي العسكر من عدم الجامكية والنفقة فإنه اجتمع لهم جامكية نحو سبعة أشهر وقد قطع عليهم الباشا رواتبهم وخرجهم لقلة الإيراد وكثرة المطلوبات وكراهته لهم فصار كبراؤهم يرتددون ويكثرون من مطالبة الدفتردار حتى كان يهرب من بيته غالب الأيام وأشيع بالمدينة قيام العسكر وأنهم قاصدون نهب أمتعة الناس فنقل أهل الغورية وخلافهم بضائعهم من الحوانيت وامتنع الكثير منهم من فتح الحوانيت وخافهم الناس حتى في المرور.

وخصوصًا أوقات المساء فكانوا إذا انفردوا بأحد شلحوه من ثيابه وربما قتلوه وكذلك أكثروا من خطف النساء والمردان.

وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه كان انتقال الشمس لبرج الحمل وأول فصل الربيع وفي تلك الليلة هبت رياح شمالية شرقية هبويًا شديدًا مزعجًا واستمرت بطول الليل قبل افجر اشتد هبوبها ثم سكنت عند الشروق وسقط تلك الليلة دار بالحيلة بالرميلة ومات بها نحو ثلاثة أشخاص وداران أيضًا بطولون وغير ذلك حيطان وأطارف أماكن قديمة ثم تحولت الريح غربية قوية وفيه وصل الأمراء المصرية الى الفيوم فأخذوا كلفًا ودراهم كثيرة فردوها على البلاد ثم سافروا الى الجهة القبلية.

وفيه ورد الخبر بأن المراكب التي بها ذخيرة أمير الحاج بالقلزم المتوجهة الى الينبع والمويلح غرقت بما فيها ومركب الجميعي من جملتها.

وفيه حضر مصطفى بينباشا الذي كان أيام الوزير بمصر الى بليس وهو موجه بطلب مبلغ دراهم فأقام ببليس حتى أرسلوها له ثم ذهب الى دمياط وصحبته نحو الأربعمئة من الأرئود يسافر من البحر.

وفيه توجه المحروقي والكثير من الناس لزيارة سيدي أحمد البدوي لمولد الشرنبلالية وأخذ معه عدة كثيرة من العسكر خوفًا من العربان ووصل إليه فرمان بطلب دراهم من أولاد الخادم ومن أولاد البلد فدلوا على مكان لمصطفى الخادم فاستخرجوا منه ستة آلاف ريال وطلبوا من كل واحد من أولاد عمه مثلها.

شهر ذي الحجة الحرام سنة 1217 استهل بيوم الجمعة في يوم الاثنين رابعه قتلوا شخصًا عسكريًا نصرانيًا عند باب الخرق قتله أغات التبديل بسبب أنه كان يقف عند باب داره بحارة عابدين هو ورفيقان له ويخطفون من يمر بهم من النساء في النهار الى أن قبض عليه وهرب رفيقاه.

وفيه أيضًا أخرجوا من دار بحارة خشقدم قتلى كثيرة نساء ورجالًا من فعل العسكر.

وفيه عدى ابراهيم باشا الى بر الجيزة.

وفي يوم الأحد عاشره كان عيد الأضحى في ذلك اليوم حضر من الأمراء القبالي مكاتبة على يد الشيخ سليمان الفيومي خطابًا للمشايخ فأخذها بختمها وذهب بها الى الباشا ففتحها واطلع على ما فيها ثم طلب المشايخ فحضرُوا إليه وقت العصر.

وفي يوم الجمعة خامس عشره حضرت مكاتبات من الديار الحجازية يخبرون فيها عن الوهابيين أنهم حضروا الى جهة الطائف فخرج إليهم شريف مكة الشريف غالب فحاربهم فهزموه فرجع الى الطائف وأحرق داره التي بها وخرج هاربًا الى مكة فحضر الوهابيون الى البلدة وكبيرهم المضايقي نسيب الشريف وكان قد حصل بينه وبين الشريف وحشة فذهب مع الوهابيين وطلب من مسعود الوهابي أن يؤمره على العسكر الموجه لمحاربة الشريف ففعل فحاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة وقتلوا الرجال وأسروا النساء ولأطفال وهذا دأبهم مع من يحاربهم.

وفي ذلك اليوم مر أربعة أنفار من العسكر وأخذوا غلامًا لرجل حلاق بخط بين السوريين عند القنطرة الجديدة فعارضهم الأوسط الحلاق في أخذ الغلام فضربوا الحلاق وقتلوه ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطبة فقامت في الناس ضجة وكرشة وحضر أغات التبديل فطلبهم فكرنكو بالدار وضربوا عليه البنادق من الطيقان فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ولم يزلوا على ذلك الى ثاني يوم فركب الباشا في التبديل ومر من هناك وأمر بالقبض عليهم فثقبوا عليهم من خلف الدار وقبضوا عليهم بعدما قتلوا وجرحوا آخرين فشنقوهم ووجدوا بالدار مكاتبة خربًا أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة وفيهن من وجودها وطفلها مذبح معها في حضانها.

وفيه حضر علي آغا الوالي الى بيت أحمد آغا شويكار بضرب سعادة وأخرج منه قتلى كثيرة وأمثال ذلك شيء كثير.

وفي خامس عشره أيضًا أمر الباشا الوجاقلية أن يخرجوا جهة العادلية لأجل الخفر من العربان فإنهم فحش أمرهم وتجاسروا في التعرية والخطف حتى على نواحي المدينة بل وطريق بولاق وغير ذلك فلما كان في ثاني يوم ركب الوجاقلية بأبتهتهم وبيارقهم وحضروا الى بيت الباشا وخرجوا من هناك الى وطاقهم الذي أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة وشرعوا أيضًا في تعمير قصر من القصور الخارجة التي خربت أيام الفرنسيين.

وفي تاسع عشره سافر جماعة الوجاقلية المذكورين وصحبتهم عدة من العسكر الى جهة عرب الجزيرة بسبب إغارة موسى خالد ومن معه على البلاد وقطع الطرق فلاقاهم المذكور وحاربهم وهزمهم الى وردان وذهب هو الى جهة البحيرة.

وفي رابع عشرينه يوم الأحد كان عيد النصر الكبير في ليلتها وهي ليلة الاثنين وقع الحريق في الكنيسة التي بحارة الروم وفي صباحها أشاع ذلك فركب إليها أغات الانكشارية والوالي وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون في عمارة الباشا حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالأنماطين وحضر الباشا أيضًا في التبديل واجتهدوا في إطفائها بالماء والهدم حتى طفت في ثاني يوم واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ونهبت أشياء.

وفيه وردت أخبار بأن الأمراء المصرية وصلوا الى منية بن خصيب فأرسلوا الى حاكمها بأن ينتقل منها ويعدي هو ومن معه من العسكر الى البر الشرقي حتى أنهم يقيمون بها أيامًا ويقضون أشغالهم ثم يرحلون فأبوا عليهم وحصنوا البلدة وزادوا في عمل المتاريس وحاكمها المذكور سليم كاشف تابع عثمان بك الطنبرجي المرادي المقتول فإنه سالم العثمانيين وانضم إليهم فألبسوه حاكمًا على المنية وأضافوا إليه عساكر فذهب إليها ولم يزل مجتهدًا في عمل متاريس ومدافع حتى ظن أنه صار في منعة عظيمة فلما أجابهم

بالامتناع حضروا الى البلدة وحاربهم أشد المحاربة مدة أربعة أيام بلياليها حتى غلبوا عليهم ودخلوا البلدة وأطلقوا فيها النار وقتلوا أهلها وما بها من العسكر ولم ينج منهم إلا من ألقى نفسه في البحر وعام إلى البر الآخر أو كان قد هرب قبل ذلك وأما سليم كاشف فإنهم قبضوا عليه حيًّا وأخذوه أسيرًا إلى ابراهيم بك فوبخه وأمر بضربه فضر به علة بالنبايت.

وفيه وصلت هجانة من شريف باشا بمكاتبة للباشا والدفتردار يخبر فيها أنه وصل إلى الينع وهو عازم على الركوب من هناك على البر ليدرك الحج ويترك أثقاله تتوجه في المركب إلى جدة.

وفي غايته وصل سلحدار باشا وصحبته أغات المقرر الذي تقدمت بشارته فلما وصلوا إلى بولاق أرسل الباشا في صباحها إليهم فركبوا في موكب إلى بيت الباشا وضربوا لهم مدافع وحضر المشايخ والقاضي والأعيان والوجاقات فقرئ عليهم ذلك وفيه الأمر بتشهيل غلال للحرمين والحث والأمر بمحاربة المخالفين.

وفيه بعثوا نحو ألف من العسكر إلى جهة أسيوط للمحافظة فساروا على الهجن من البر الشرقي.

وفيه أرسلوا أوراقًا إلى التجار وأرباب الحرف بطلب باقي الفردة وهو القدر الذي كان تشفع فيه المحروقي وأخذوا في تحصيله.

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الكلية التي ذكر بعضها وأما الجزئية فلا يمكن الإحاطة ببعضها فضلًا عن كلها لكثرتها واختلاف جهاتها واشتغال البال عن تتبع حقائقها ونسيان الغائب بالأشنع القبيح بالأقبح فمن الكلية التي عم الضرر بها زيادة المكوس أضعاف المعتاد في كل ثغر ذهابًا وإيابًا ومنها توالي الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف وحق طرق المعينين وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول بأدنى شكوى ولو بالباطل فيمجرد ما يأتي الشاكي بعرض حال شكواه يكتب له ورقة ويعين بها عسكري أو اثنان أو أكثر بحسب اختيار الشاكي وطلبه للتشفي من خصمه فبمجرد وصوله إلى المشكي بصورة منكرة وسلاح كثير متقلد به فلا يكون له شغل إلا طلب خدمته ولا يسأل عن الدعوى ولا عن صورتها ويطلب طلبًا خارجًا عن المعقول كآلف قرش في دعوى عشرة قروش وخصوصًا إذا كانت الشكوى على فلاح في قرية فيحصل أشنع من ذلك من إقامتهم عندهم وطلبهم وتكليفهم الذبائح والفطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم وربما يذهب الشخص الذي يكون بينه وبين آخر عداوة قديمة أو مشاحنة أو دعوى قضى عليه فيها بحرق من زمان طويل فيقدم له عرض حال ويعين له مباشرًا بفرمان ويذهب هو فلا يظهر ويذهب المعين في شغله والمشكي لا يرى الشامي ولا يدري من أين جاءت هذه المصيبة ويمكن أنه من بعد خلاصه من أمر المباشر يحضر إلى بيت الباشا ويفحص عن خصمه ويعرفه فينهى دعواه ويظهر حجتة بأنه على الحق وأن خصمه على الباطل فيقال له عين على خصمك أيضًا فإن أجاب إلى ذلك رسم له بفرمان ومعين آخر كذلك وإلا ترك أجره على الله ورجع فضايق ذرع الناس من هذه الحال وكرهوا هذه الأوضاع وربما قتل الفلاحون المعينين وهربوا من بلادهم وجلوا عن أوطانهم خوف الغائلة ولم يزل هذا دأبهم حتى نفرت منهم القلوب وكرهتهم النفوس وتمنوا لهم الغوائل وعصت أهل النواحي وعربدت العربان وقطعوا الطرق وعلموا خيانتهم فخانهم ومكالبتهم فكالبوهم وانتمى عربان الجهة القبلية إلى الأمراء المصرية وساعدوهم عليهم ولما انحدر الأمراء إلى جهة بحري انضمت إليهم جميع قبائل الجهة العربية والهنادي وعرب البحيرة وخلافهم فلما وقعت الحروب بين الأمراء والعثمانيين وكانت الغلبة للأمراء والعربان زادت جسارتهم عليهم ورصدوا لهم الغوائل وقطعوا عليهم وعلى المسافرين

الطرق بحرًا وبرًا فمن ظفروا به ومانعهم نهبوا متاعه وقتلوه وإلا سلبوه وتركوه فحش الأمر جدًّا قبلي وبحري حتى وقف حال الناس ورضوا عن أحكام الفرنسيين ومنها أن الباشا لم قتل الوالي والمحتسب وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات وأن يكون الرطل اثنتي عشرة أوقية في جميع الأوزان وأبطلوا الرطل الزيتي الذي يوزن به السمن والجبن والعسل واللحم وغير ذلك وهو أربع عشرة أوقية لم ينفذ من تلك الأوامر شيء سوى نقص الأرطال ولم يزل ذو الفقار محتسبًا حتى رتب المقررات على المتسببين زيادة عن القانون الأصلي وجعل منها قسط الخزينة للباشا وللكتخدا وخلافهما ورجعت الأمور في الأسعار أقبح وأعلى مما كانت عليه في كل شيء واستمر الرطل اثنتي عشرة أوقية لا غير وكثر ورود الغلال أيام النيل ورخص سعرها والرغيف على مقدار رغيف الغلاء ومنها أن الفضة الأنصاف العديدة صاروا يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها إلى الروم والشام زيادة الصرف ولا ينزل إلى الصيارف منها إلا القليل حتى شحت بأيدي الناس جدًّا ووقف حالهم في شراء لوازم البيوت ومحقرات الأمور ويدور الأسانن بالريال أو المجبوب أو المجر وهو في يده طول النهار فلا يجد مصارفته وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك وبسبب أذية العسكر فإنهم يأتون إليهم ويلزمونهم بالمصارفة فيقول له الصيرفي ليس عندي فضة فلا يقبل عذره ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته وإن وجد عنده المصارفة وكان المحبوب أو البندقي ناقصًا في الوزن لا يستقيم في نقصه ولا يأخذ إلا صرفه كاملاً وإذا اشترى شيئًا من سوقي أعطاه بندقيًا وطلب باقيه ولم يكن عند البائع باقيه أخذ الذي اشتراه والبندقي وذهب ولا يقدر المسبب على استخلاص حقه منه وإن وجد معه باقي المصارفة وأخذ ذلك البندقي ونقد عند الصراف وكان ناقصًا وهو الغالب لا يقدر الصيرفي أن يذكر نقصه فإن قال إنه ينقص كذا فزع عليه وسبه وبعضهم أدخل إصبعه في ومنها شحة المراكب حتى أن المسافرين يمكث الأيام الكثيرة ينتظر مركبًا فلا يجد وربما أخذوها بعد تمام وسقها فنكتوه وأخذوها وإن مرت على الأمراء المصرية ومن انضم إليهم تعرضوا لها ونهبوا ما بها من الشحنة وأخذوا المركب واستمر هذا الحال على الدوام فكان ذلك من أعظم أسباب التعطيل أيضًا.

ومنها تسلط العسكر على خطف الناس وسلبهم وقتلهم وخصوصًا في أواخر هذه السنة حتى امتنعت الناس من المرور في جهات سكنهم إلا أن يكونوا في عزوة ومنعة وقوة ولا تكاد ترى شخصًا يمر في الأسواق السلطانية من بعد المغرب وقييل العشاء وإذا اضطر الإنسان إلى المرور تلك الأوقات فلا يمر إلا كالمجازف على نفسه وكأنما على رسه الطير فيقال إن فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة إذا تأخرت نفقاتهم فعلوا ذلك مع العامة على حد قول القائل خلص تارك من جارك وذلك كله بسبب تأخير جمالكهم وقطع خرجهم نحو خمسة أشهر والباشا يسوقهم ويقول هؤلاء لا يستحقون فلسًا وأي شيء خرج من يدهم وطول المدى نكلهم ونعطيتهم وما ستروا أنفسهم مع الغر المصرية ولا مرة فلا حاجة لنا بهم بل يخرجون عني ويذهبون حيث شاؤوا فليس منهم إلا الزرية والفنطزية وهم يقولون لا نخرج ولا نذهب حتى نستوفي حقنا على دور النصف الفضة الواحد وإن شئنا أقمنا وإن شئنا ذهبنا.

ومنها استمرار الباشا على الهمة والاجتهاد في العمارة والبناء وطلب الأخشاب والمؤمن حتى عز جميع أدوات العمارة وضاق حال الناس بسبب احتياجهم لعمارة أماكنهم التي تخربت في الحوادث السابقة وبلغ سعر الأردب الجبس مائة وعشرين نصقًا والجير المخلوط أربعين نصقًا وأجرة المعلم في اليوم خمسة وأربعين نصقًا ويتبعه آخر مثل ذلك والفاعل اثنين وعشرين نصقًا وأحدثوا أخذ إجازة من المعمارجي وهو أن الذي يريد بناء ولو كانوا لا يقدر أن يأتيه البناء حتى يأخذ ورقة من المعمارجي ويدفع عليها خمسين نصقًا ولم يزل الاجتهاد في العمارة المذكورة حتى أقاموا جانبًا من القشلة وهي عبارة عن وكالة يعلوها طابق وأسفلها اصطبلات وحولها من داخل حواصل ومن خارج حوانيت وقهوة فعندما تمت الحوانيت ركبوا عليها درفها وأسكنوا بها قهوجيًا ومزييًا من أتباع الباشا

وخياطين وعقادين وسروجية الباشا وغير ذلك ولم يكمل تسقيف الطابق وعملوا لها بوابة عظيمة بمصاطب وهدموا حائط الرحبة المقابلة لبيت الباشا الخارجة وعمرت وأنشئت بالحجر النحت المحكم الصنعة وعملوا لها بابًا عظيمًا ببدنات وأبراج عظيمة وبها طاقات عليا وسفلى وصفوا بها المدافع العظيمة وبركة الرحبة مثل ذلك وعملوا لها بابًا آخر قبالة باب القشلة بحيث صار بينها وبين القشلة رحبة متسعة يسلك منه المارون الى جهة بولاق على الجسر الذي عمله الفرنسيين ويخرجون أيضًا في سلوكهم من بوابة عظيمة الى طريق بولاق من الجهة الغربية بحائط حجر متصل من الرحلة حيث البوابة المواجهة للقشلة الى آخر القشلة وعلى هذه البوابة من الجهتين مدافع مركبة على بدنات وأبراج وطيقان مهندمة وبأسفلها من داخل مصطبة كبيرة من حجر وبها باب يصعد منه الى تلك الأبراج والجبخانة والعساكر جلوس على تلك المصاطب الخارجة والداخلة لابسين الأسلحة وينادقهم مرصوفة بدائر الحيطان وبداخل الرحبة الوسطانية مدافع عظيمة مرصوفة بطول الرحبة يمينًا وشمالًا وكذلك بداخل الحوش الجواني الأصلي وبأسفل البركة نحو المائتي مدفع مرصوفة أيضًا وعربيات وصناديق جبخانة وآلات حرب وغير ذلك والجبخانة الكبيرة لها محل مخصوص بالحوش الداخل الأصلي ولها خزنة وطبجية وعرجية.

ومنها أنه عدم البصل الأحمر حتى بيع الرطل بسعر القنطار في الزمن السابق وعدم الملح أيضًا بسبب احتكاره وعدم المراكب التي تجلبه من بحري لما ترتب عليهم من زيادة الجمر.

وعدم مكاسبهم فيه لأن الذي تولى على جمر الملاحه صار يأخذه من أصحابه على ذمته بسعر قليل معلوم وبيعه على ذمته بسعر كثير لمن يسافر به الى جهة قبلي وذلك خلاف ما يأخذه من المراكب التي تحمله فامتنع المتسبون فيه من تجارته فعز وجوده في آخر السنة حتى بيع الربع بثمانين نصقًا من ثلاثة أنصاف وضجت الناس من ذلك فأرسل ذلك الملتزم ثلاثة مراكب على ذمته ووسقها ملجًا وصار يبيع الربع بعشرين نصقًا وبيعه المسبب بثلاثين.

وهذا لم يعهد فيما تقدم من السنين وعدم أيضًا الصابون بسبب تأخر القافلة حتى بيع بأغلي ثمن ثم حضرت القافلة فأنحل سعره وتواجد وغير ذلك مما لا يمكن الإحاطة به ونسأل الله تعالى حسن العاقبة.

سنة ثمان عشرة ومائتين وألف شهر محرم الحرام سنة 1218 استهل بيوم السبت في ذلك اليوم وقعت زعجة عظيمة في الناس وحصلت كرشات في مصر وبولاق حوانيتهم ورفعوا منها ما خف من متاعهم من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته وهرب والبعض سقط متاعه من يده ولم يشعر من شدة ما لحقهم من الخوف والإرجاف ولم يعلم سبب ذلك فيقال إن السبب في ذلك أن جماعة من كبار العسكر ذهبوا الى الباشا وطلبوا جماكيتهم المنكسرة وخرجهم فقال لهم اذهبوا الى الدفتردار فذهبوا الى الدفتردار فقال لهم حمكيتكم عند محمد علي فذهبوا الى محمد علي وكانوا وعدوهم بقبض جامكيتهم في ذلك اليوم فلما ذهبوا الى محمد علي قال لهم لم أقبض شيئًا فعملوا معه شراسة وضرب بيتهم بعض بنادق وهاجت العسكر عند بيت محمد علي سرششمه فحصلت هذه الزعجة في مصر وفيه وردت عدة تقارير وبها جبخانة وجملة من العسكر وصحبتهم ابراهيم آغا الذي كان كاشف الشرقية عام أول وكان توجه الى اسلامبول فحضر وصحبته ذلك فحملوا الجبخانة وطلعوها الى القلعة فيقال إنها متوجهة الى جدة بسبب فتنة الحجاز وقيل غير ذلك.

وفي يوم الجمعة سابعه ثارت العسكر وحضروا الى بيت الدفتردار فاجتمعوا بالحوش وقفلوا باب القيطون وطرردوا القواسة وطلع جمع منهم فوقفوا بفسحة المكان الجالس به الدفتردار ودخل أربعة منهم عند الدفتردار فكلموه في إنجاز الوعد فقال لهم إنه اجتمع عندي نحو الستين ألف قرش فيما أن تأخذوها أو تصبروا كم يوم حتى يكمل لكم المطلوب فقالوا لابد من التشهيل فإن العسكر تعلقوا من طول المواعيد فكتب ورقة وأرسلها الى الباشا بأن يرسل إليه جانب دراهم تكملة للقدر الحاصل عنده في الخزينة فرجع الرسول وهو يقول لا أدفع ولا أذن بدفع شيء فيما أن يخرجوا ويسافروا من بلدي أو لابد من قتلهم عن آخرهم فعندما رجع بذلك الجواب قال له ارجع إليه وأخبره أن البيت قد امتلأ بالعساكر فوق وتحت وإني محصور بينهم فعند وصول المرسال وقبل رجوعه أمر الباشا بأن يديروا المدافع ويضربوها على بيت الدفتردار وعلى العسكر فما يشعر الدفتردار إلا وجلة وقعت بين يديه فقام من مجلسه الى مجلس آخر وتتابع الرمي واشتعلت النيران في البيت وفي الكشك الذي أنشأه بيت جده المجاور لبيته وهو من الخشب والحجنة من غير بياض فلم يكمل فالتهب بالنار فنزل الى أسفل والأرنؤد محيطة به وبات تحت السلالم الى الصباح ونهب العسكر الخزينة والبيت.

ولم يسلم إلا الدفتردار والأوراق وضعوها في صناديق وشالوها وكان ابتداء رمي المدافع وقت صلاة الجمعة وأما أهل البلد فإنهم كانوا متخوفين ومتطيرين من قومة أو فزعة تحصل من العسكر قبل ذلك فلما عاين الناس تجمعهم ببيت الدفتردار شاع ذلك في المدينة ومروا اليه يقول للناس ارفعوا متاعكم واحفظوا أنفسكم وخذوا حذرکم وأسلحتكم فأغلق الناس الدكاكين والدروب وهاجوا وماجوا فلما سمعوا ضرب المدافع زاد تطيرهم وتخلوا هجوم العسكر ونهب البلد بل ودخل البيوت ولا راد يردهم ولا حاكم يمنعهم ونادى المنادي معاشر الناس وأولاد البلد كل من كان عنده سلاح فليلبسه واجتمعوا عند شيخ مشايخ الحارات يذهب بكم الى بيت الباشا وحضرت أوراق من الباشا لأهل الغورية ومغاربة الفحامين وتجار خان الخليلي وأهل طولون يطلبهم بأسلحتهم والحضور عنده والتحذير من التخلف فذهب بعض الناس فأقاموهم عند بيت حريم الباشا وبيت بن المحروقي المجاور له وهو بيت البكري القديم فباتوا ليلتهم هناك وحضر حسن آغا والي العمارة عشاء تلك الليلة وطاف على الناس يحرضهم على القيام ومعاونة الباشا وتجمع بعض الأوباش بالعصي والمساوق وتحزبوا أحزابًا وعملوا متاريس عند رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسيني فلما دخل الليل بطل الرمي الي الصباح فشرعوا في الرمي بالمدافع والقنابر من الجهتين وترست العساكر بجامع أربك وبيت الدفتردار وبيت محمد علي وكوم الشيخ سلامة وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة وأما القلعة الكبيرة فإن الباشا مطمئن من جهتها لأنه مقيد بها الخازندار ومعه عدة من الأرنؤد وغيرهم وقافل أبوابها ولما كان يوم الجمعة أمس تاريخه قبل حصول الواقعة وحضر أغات الانكشارية والوجاقية لأجل السلام على عاداتهم ودخلوا عند كتحدا بك فقال لهم نبهوا على أهل البلد بغلق الدكاكين والأسواق والاستعداد فإن العكر حاصل عندهم قلة أدب فلما طلوعوا عند الباشا أعلموه بمقالة كتحدا بك فقال لهم نعم فقال له أغات الانكشارية يا سلطانم ينبغي الاحتفاظ بالقلعة الكبيرة قبل كل شيء فقال إن بها الخازندار وأوصيته بالاحتفاظ وغلق الأبواب فقال له الآغا لكن ينبغي أن نترك عند كل باب من خارج قدر خمسين انكشاريًا فقال وايش فائدتهم ما عليكم من هذا الكلام تريدون تفريق عساكري اذهبوا لما أمرتكم به وذلك لأجل إنقاذ القضاء وحضر طاهر باشا أيضًا في ذلك الوقت وهو كالمحب ومكمن العداوة فلم يقابله الباشا وأمره بأن يذهب الى داره ولا يقارش فلما كان في صباحها يوم السبت رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيين وهو المسمى بالنظام الجديد فخرجوا بأسلحتهم وبنادقهم وخيولهم وهم طوابير ومروا حوالي البركة وانقسموا فرقتين فرقة أتت على رصيف الخشاب وفرقة على جهة باب الهواء ليأخذوا الأرنؤدية بينهم ويحصرهم من الجهتين فلما حضرت الفرقة التي من ناحية رصيف الخشاب قاتلوا الأرنؤدية فعند ذلك أركبوا الدفتردار وأخذوه الى

بيت طاهر باشا ومعه أتباعه وانهزم الأرندية من تلك الجهة وانحصروا جهة جامع أزيك واشتغلوا بمحاربة الفرقة الأخرى وتحققوا الهزيمة والخذلان وعندما وصلت عساكر الباشا الى بيت الدفتردار والمحروقي وبيت حريم الباشا اشتغلوا بالنهب وإخراج الحريم وتركوا القتال وتفرقوا بالمنهوبات وفترت همة الفرقة الأخرى وجرى أكثرهم ليخطف شيئاً ويغنم مثلهم وقالوا نحن نقاتل ونموت لا على شيء وأصحابنا يذهبون ويغنمون فهزموا أنفسهم لذلك وتراجع الأرندية واشتدت عزيمتهم ورجع البعض منهم الى عساكر الباشا فهزموا من بقي منهم وملكوا الجهة التي كانوا أجلوهم عنها فعند ذلك ظهر طاهر باشا وركب الى الرميعة وتقدم الى باب العزب فوجده مغلقاً فعالج الطاقات الصغار التي في حائط باب العزب القريبة من الأرض المعدة لرمي المدافع من أسفل ففتح بعضها ودخل منها بعض عسكر فتلاقوا مع الأرند المحافظين داخل الباب فالتف بعضهم على بعض.

ثم طلعوا عند الخازندار وكان عنده ابن أخت طاهر باشا ممرصاً قبل ذلك بأيام وصحبته طائفة أيضاً فالتفوا على بعضهم وصاروا عصبة وطلبوا مفاتيح القلعة من الخازندار فمانعهم ولما رأى منهم العين الحمراء سلمهم المفاتيح فنزلوا وفتحوا الأبواب لظاهر باشا وحبسوا الخازندار وأنزلوا من القلعة مدافع وبنات وجيخانة الى الأزيكية لجماعتهم وكذلك قيدوا بالقلعة طبعية وعساكر كل ذلك ومحمد باشا لا يدري بشيء من ذلك فلم يشعر إلا والضرب نازل عليه من القلعة فسأل ما هذا ف قيل له إنهم ملكوا القلعة فسقط في يده وعند ذلك نزل طاهر باشا من القلعة وشق من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادي أمان واطمئنان افتحوا دكاكينكم وبيعوا واشتروا ما عليكم بأس وطاف يزور الأضرحة والمشايخ والمجاذيب ويطلب منهم الدعاء ورفع الناس المتاريس من الطرق وانكفوا عن مقارشة العسكر وكذلك لم يحصل أذية من العسكر لأحد من الرعية وأمروا بفتح مخازن العيش والمأكول وأخذوا واشتروا عن غير إحفاف ولا بخس فلما علم الباعة منهم ذلك ذهبوا إليهم بالعيش والكعك والجبن والفطير والسميط وغير ذلك ودخلوا فيهم يبيعون عليهم وهم يشترون منهم بالمصلحة وصار بعض أولاد البلد يذهب الى الفرجة ويدخل بينهم ويمر من وسطهم فلا يتعرضون لهم ويقولون نحن مع بعضنا وأنتم رعية فلا علاقة لكم بنا ووجدوا مع البعض سلاحاً ذهب به عندما أرسل الباشا ونادى بالناس فردوهم بلطف وكل ذلك على غير القياس وطاهر باشا لم يكن له شغل إلا الطواف بالمدينة والأسواق وخارج البلد ويقول للفلاحين الذين يجلبون الحطب والجلّة والسمن والجبن من الأرياف كونوا على ما أنتم عليه وهاتوا أسبابكم وبيعوا واشتروا وليس عليكم بأس وحضر إليه الوالي فأمره بالمرور والمناداة بالأمن للناس واستمر الحرب بين الفريقين نهار السبت واشتد ليلة الأحد طول الليل فما أصبح النهار حتى زحف عساكر الأرند الى جامع عثمان كتخدا والي حارة النصارى من الجهة الأخرى وطلعوا الى التلّول التي بناحية بولاك وملكوا بولاك وهجموا على مناخ الجمال الذي بالقبر من الشيخ فرج فقتلوا من به من عسكر التكرور وهرب من بقي منهم عرياً وقبضوا على منش القبطان وعدوا بالغليون الى بر انبابة ونهبوا ما فيه وكان به مال القبطان وذخائره التي جمعها من مظالم المراكب والمسافرين والقادمين شيئاً كثيراً وكذلك ذهبت طائفة منهم الى قصر العيني وقبضوا على من به من عبيد الباشا وعروهم وأخذوهم أسرى ونهبوا بيت السيد أحمد المحروقي بالأزيكية وهو بيت البكري القديم وقد كان أخلاه لنفسه وعمره وسكنه بحريمه فنهبوا منه شيئاً كثيراً يفوق الحصر وأخرجوا منه النساء بعدما فتشوهن أو افتدين أنفسهن وكذلك بيت حريم الباشا الملاصق له بعدما أرسل الباشا عساكره قبل يوم فنقل منه الحريم عنده بطولهن لا غير ونهبوا بيت جرجس الجوهري وأخذوا منه أشياء نفيسة كثيرة وفراوي مثمّنة وحريم بيت الباشا لم يتمكنوا منه إلا بعد انفضاض القضية بيومين بسبب أن المحافظين عليه كانوا ثمانية عشر فرنساوياً فحاصروا فيه هذه المدة حتى خرجوا منه بأمان وأما سكان تلك الخطة فإنهم كانوا يذهبون الى طاهر باشا أو محمد علي فيرسل معهم عسكراً لخفارتهم حتى ينقلوا أمتعتهم أو أمكنهم الى جهات بعيدة عن ذلك المحل ليأمنوا على أنفسهم من الحرب وهرب المحروقي وابنه عند الباشا ولاحت

لوائح الخذلان على الباشا واستعد للفرار فإنه لما بات تلك الليلة لم يجد عليًا ولا خيرًا فعلقوا على الخيل أرزًا وتعشى الباشا بالبقسمات وأرسل الى حارة النصارى فطلب منهم خيرًا فأرسلوا له خيرًا فخطفه الأرنؤد في الطريق ولم يصل إليه ثم أن عسكر الأرنؤد أحضروا آلة بنية ووضعوها بالبركة وضربوا بها على بيت الباشا فوقعت واحدة الى الباذهنج فالتهب فيه النار فأرادوا إطفاءها فلم يجدوا سقائين تنقل الماء ويقال إن الخازندار الذي كان بالقلعة لما قبضوا عليه التزم لهم بحرق بيت الباشا ويطلقوه فأرسل بعض أتباعه الى مكانه الذي ببيت الباشا فأوقدوا فيه النار في ذلك الوقت واشتعلت في الأخشاب والسقوف وسرت الى مساكن الباشا فعند ذلك نزل الباشا الى أسفل وأنزل الحريم وعددهن سبع عشرة امرأة فأركبهن بغلاً وأمر الدلاة والهواره أن يتقدموهن وركب صحبتهم المحروقي وابنه وترجمانه وصيرفيه وعبيده وفراشوه وتآخر الباشا حتى أركب الحريم ثم ركب في مماليكه ومن بقي من عسكره وأتباعه وركب معه حسين أغاشن وبعض أغوات وصحبته ثلاث هجن وخرج الى جزيرة بدران فعندما أشيع ركوبه هجمت عساكر الأرنؤد على البيت واشتغلوا بالنهب هذا والنار تشتعل فيه وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الأرنؤد فرجع عليهم وهزمهم مرتين وقيل ثلاثًا وأما المحروقي ومن معه فإنهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة ولم يلحقوهم وانقطع حزام بغلته فنزل عنها فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا فعروه وشلحوه هو وأتباعه وابنه وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولي نقدية وقيل جواهر بنحو ذلك فأدركهم عمر آغا بيناشي المقيم ببولاك فوقعوا عليهم فأمנם وأخذهم معه الى بولاك وباتوا عنده الى ثاني يوم وأخذ لهم أمانيًا وحضر الى طاهر باشا وقابله وكذلك جرجس الجوهري ونهب العسكر بيت الباشا وأخذوا منه شيئًا كثيرًا وباتت النار تلتهب فيه والدخان صاعد الى عنان السماء حتى لم يبق فيه إلا الجدران التحتانية الملاصقة للأرض واحترقت وانهدمت تلك الأبنية العظيمة المشيدة العالية وما به من قصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبابيك والقمريات والمناظر والتنهات والخزائن والمخادع وكان هذا البيت من أضخم المباني المكلفة فإنه إذا حلف الحالف أنه صرف على عمارته من أول الزمان الى أن احترق عشر خزائن من المال أو أكثر لا يحنث فإن الألفي لما أنشأه صرف عليه مبالغ كثيرة وكان أصل هذا المكان قصرًا عمره وأنشأه السيد ابراهيم ابن السيد سعودي اسكندر من فقهاء الحنفية وجعل في أسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة وجعلها برسم النزهة لعامة الناس فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شيء كثير وبها قهاوي وبياعون وفكهانية ومغاني وغير ذلك ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار الى آخر الليل من الخط والنزاهة ما لا يوصف ثم تداول ذلك القصر أيدي الملاك وظهر علي بك وقساوة حكمه فسدوا تلك البوائك ومنعوا الناس عنها لما كان يقع بها في الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين ثم اشترى ذلك القصر الأمير أحمد آغا شويكار وباعه بعد مدة فاشتراه الأمير محمد بك الألفي في سنة إحدى عشرة ومائتين وألف وشرع في هدمه وتعميره وإنشائه على الصورة التي كان عليها وكان غائبًا جهة الشرقية فرسم لكتخده صورته في كاغد بكيفية وضعه فحضر ذو الفقار كتخدا وهدم ذلك القصر وحضر الجضران ووضع الأساس وأقام الدعائم ووضع سقوف الدور السفلى فحضر عند ذلك مخدومه فلم يجده على الرسم الذي حدده له فهدمه ثانيًا وأقام دعائمه على مراده واجتهد في عمارته وطلب له الصناع والمؤمن من الأحجار والأخشاب المتنوعة حتى شجت المؤمن في ذلك الوقت وأوقفت أربعة من أمرائه على أربع جهاته وعمل على دمة العمارة طواحين للجبس وقمن الجير وأحضر البلاط من الجبل قطعًا كبيرًا ونشرها على قياس مطلوبه وكذلك الرخام وذلك خلاف أنقاض رخام المكان وأنقاض الأماكن التي اشتراها وهدمها وأخذ أخشابها وأنقاضها ونقلها على الجمال.

وفي المراكب لأجل ذلك فمنها البيت الكبير الذي أنشأه حسن كتخدا الشعراوي على بركة الرطلي وكان به شيء كثير من الأخشاب والأنقاض والشبابيك والرواشن نقلت

جميعها الى العمارة فصار كل من الأمراء المشيدين يبنى وينقل ويبيع ويفرق على من أحب حتى بنوا دورًا من جانب تلك العمارة والطلب مستمر حتى أتموه في مدة يسيرة وركب على جميع الشبايك شرائح الزجاج أعلى وأسفل وهو شيء كثير جدًا وفي المخادع المختصة به ألواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم وهو كثير أيضًا ثم فرش جميعه بالبسط الرومي والفرش الفاخر وعلقوا به الستائر والوسائل المزركشة وطوال المراتب كلها مقصبات وبنى به حمامين علويًا وسفليًا الى غير ذلك فما هو إلا أن تم ذلك فأقام به نحو عشرين يومًا ثم خرج الى الشرقية فأقام هناك وحضر الفرنسيين فسكنه ساري عسكر بونابارته فعمر فيه أيضًا عمارة ولما سافر وأقام مكانه كلهب عمر فيه أيضًا فلما قتل كلهب وتولى عوضه عبد الله منو لم يزل مجتهدًا في عمارته وغير معاليمه وأدخل فيه المسجد وبنى الباب على الوضع الذي كان عليه وعقد فوقه القبة المحكمة وأقام في أركانها الأعمدة بوضع محكم متقن وعمل السلالم العراض التي يصعد منها الى الدور العلوي والسفلي من على يمين الداخل وجعل مساكنه كلها تنفذ الى بعضها البعض على طريقة وضع مساكنهم واستمر يبنى فيه ويعمر مدة إقامته الى أن خرج من مصر فلما حضر العثمانية وتولى على مصر محمد باشا المذكور رغب في سكنى هذا المكان وشرع في تعميره هذه العمارة العظيمة حتى أنه رتب لحرق الجير فقط إثني عشر قميًا تشتغل على الدوام والجمال التي تنقل الحجر من الجبل ثلاث قطارات كل قطار سبعون جملاً وقس على ذلك بقية اللوازم ورموا جميع الأتربة في البركة حتى ردموا منها جانبًا كبيرًا ردمًا غير معتدل حتى شوها البركة وصارت كلها كيماءً وأتربة والعجب أن منتهى الرغبة في سكن هذه البركة وأمثالها إنما هو تسريح النظر وانبساط النفس باتساعها وإطلاقها وخصوصًا أيام النيل حين تمتلئ بالماء فتصير لجة ماء بركارية مملوءة بالزوارق والقنج والشطيات المعدة للنزهة تسرح فيها ليلاً ونهارًا وعند دخول المساء يوقدون القناديل بدائرهما في جميع قواطين البيوت فيصير لذلك منظر بهيج لاسيما في الليالي المقمرة فيختلط ضحك الماء في وجه البدر والقناديل وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضًا وصدى أصوات القيان والأغاني في ليال لا تعد من الأعمار إذ الناس ناس والزمان زمان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الى أن كان ما كان ووقعت هذه الحوادث فتضاعف المسخ والتشويه والعجب أنه لما وقعت الحراية بين الفرنسية والعثمانية وأهل مصر وأقام الحرب 36 يومًا وهم يضربون على ذلك البيت بالمدافع والقناير لم يصبه شيء ولم ينهدم منه حجرًا واحدًا ولما وقعت هذه الحراية بين الباشا وعسكره احترق وانهدم في ليلة واحدة وكذلك احترق بيت الدفتردار وهو بيت ثلاثة ودية الذي كان أنشأه رضوان كتحدا الجلفي وكان بيتًا عظيمًا ليس له نظير في عمارته وزخرفته وكلفته وسقوفه من أغرف ما صنعته أيدي بني آدم في الدقة والصناعة وكله منقوش بالذهب واللازورد والأصباغ وعلى مجالسه العليا قباب مصنعة وأرضه كلها بالرخام الملون فاحترق جميعه ولم يبق به شيء إلا بعض الجدران اللاطئة بالأرض وسكنت الفتنة وشق الوالي علي آغا الشعراوي وذو الفقار المحتسب وأغات الانكشارية ونادوا بالأمان والبيع والشراء فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر سنة وثلاثة أشهر وواحدًا وعشرين يومًا وكان سيئ التدبير ولا يحسن التصرف ويحب سفك الدماء ولا يتروى في ذلك ولا يضع شيئًا في محله ويتكرم على من لا يستحق ويخل على من يستحق وفي آخر مدته داخله الغرور وطاوع قرناء السوق المحدثين به والتفت الى المظالم والفرد على الناس وأهل القرى حتى أنهم كانوا حرروا دفاتر فردة عامة على الدور الأماكن بأجرة ثلاث سنوات وقيل أشنع من ذلك فأنقذ الله منه عباده وسلط عليه جنده وعساكره وخرج مرغومًا مقهورًا على هذه الصورة ولم يزل في سيره الى أن نزل بقلوب بعد الغروب فعشاه الشواربي شيخ قلوب ثم سار ليلاً الى دجوة فأنزل الحريم والأثقال في ثلاثة مراكب وسار هو الى جهة بنها وغالب جماعته تخلفوا عنه بمصر وكذلك الكتحدا وديوان أفندي والخازندار الذي كان بالقلعة

وفي يوم الاثنين عاشره

نودي بالأمان أيضًا وأن العساكر لا يتعرضون لأحد بأذية وكل من تعرض له عسكري بأذية ولو قليلة فليشتكه الى القلق الكائن بخطته وبحضره الى طاهر باشا فينتقم له منه. وفي

يوم الخميس وقت العصر حضر الآغا والوجاقلية إلى بيت القاضي

وأعلموه باجتماعهم في غد عند طاهر باشا ويتفقون على تليسة قائمقام ويكتبون عرض محضر بحاصل ما وقع.

وفي ذلك اليوم حضر جعفر كاشف تابع ابراهيم بك ويده مراسلة خطابًا للعلماء والمشايخ وقيل إنه كان بمصر من مدة أيام وكان يجتمع بطاهر باشا كل وقت بالشيخونية فلما أصبح يوم الجمعة رابع عشره اجتمع المشايخ عند القاضي وركبوا صحبته وذهبوا عند طاهر باشا وعملوا ديوانًا وأحضر القاضي فروة سمور ألبسها لطاهر باشا ليكون قائمقام حتى تحضر له الولاية أو يأتي وال وكلموه على رفع الحوادث والمظالم ووطنوا فيه الخيرية واتفقوا على كتابة عرضحال بصورة ما وقع وقرأوا المكتوب الذي حضر من عند الأمراء القبالي وهو مشتمل على آيات وأحاديث وكلام طويل ومحصله أنهم طائعون وسمتمثلون ولم يحصل منهم تعد ولا محاربة وإنما إذا حضروا الى جهة أو بلدة وطلبوا المرور عليها أو قضاء حاجة من بندر منعهم الحاكم والعساكر التي بها ونايذ بالمحاربة والطرده ومع ذلك إذا وقعت بيننا محاربة لا يثبتون لنا وينهزمون ويفرون وقد تكرر ذلك المرة بعد المرة ولا يخفى ما يترتب على ذلك من النهب والسلب وهتك الحرائر وقد وقع لنا لما حضرنا بالمنية فحصل ما حصل وبدؤونا بالطرده والإبعاد حصل ما حصل مما ذكر وعوقب من لا جنى وذنب الرعية والعباد في رقابكم وقد التمسنا من ساداتنا المشايخ أن يتشفعوا لنا عند حضرة الوزير ويعطينا ما يقوم بمؤنتنا ومعاشنا فأبى حضرة الوزير إلا إخراجنا من القطر المصري كليًا وبعثتم تحذرونا مخالفة الدولة العلية مستدلين علينا بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أولي الأمر منكم.

ولم تذكروا لنا آية تدل على أننا نخرج من تحت السماء ولا آية تدل على أننا نلقى بأيدينا الى التهلكة وذكرتم لنا أن حريمنا وأولادنا بمصر وربما ترتب على المخالفة وقوع الضرر بهم وقد تعجبنا من ذلك فإننا إنما تركنا حريمنا ثقة بأنهم في كفالتكم وعرضكم على أن المروءة تأبى صرف الهمة الى امتداد الأيدي للحريم والرجال للرجال على أن أملك دورًا والله يقلب الليل والنهار والملك بيد الله يؤتيه من يشاء قل الله مالك الملك الآية فلما قرئ ذلك بتفاصيله تعجب السامعون له فكأنما كانوا ينظرون من خلف حجاب الغيب وأخذ ذلك المكتوب طاهر باشا وأودعه في جيبه ثم قال الحاضرون فما يكون الجواب قال حتى نتروى في ذلك ثم كتب لهم جوابًا يخبرهم فيه بما وقع ويأمرهم بأنهم يحضرون بالقرب من مصر لربما اقتضى الحال الى المعاونة.

وفي يوم الاثنين سابع عشره كتبوا العرض المحضر بصورة ما وقع وختم عليه المشايخ والوجاقلية وأرسلوه الى اسلامبول وأما محمد باشا المهزوم فإنه لم يزل في سيره حتى وصل الى المنصورة وفرد على أهلها تسعين ألف ريال وكذلك فرد على علي ما أمكنه من بلاد الدقهلية والغربية فردًا ومظالم وكلفًا وصادف في طريقه بعض المعينين حاضرين بمبالغ الفردة السابقة فأخذها منهم.

وفي ليلة الثلاثاء بعد المغرب ثامن عشره أرسل طاهر باشا عدة من العسكر فقبضوا على جماعة من بيوتهم وهم أغات الانكشارية ومصطفى كتحدا الرزاز ومصطفى آغا الوكيل وأيوب كتحدا الفلاح وأحمد كتحدا علي والسيد أحمد المحروقي فأنزلوه الى بيته

في ثاني يوم وعملوا عليه ستمائة ولزم العسكر بيته وكذلك بقية الجماعة منهم من عمل عليه مائتا كيس وأقل وأكثر وأقاموا في الترسيم.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه ركب طاهر باشا بالموكب والملازمين وصلى الجمعة بجامع الحسين.

وفيه وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية رجعوا الى قبلي ووصلوا الى قرب بني سويف.

وفيه تشفع شيخ السادات في مصطفى آغا الوكيل وأخذه الى بيته وعملوا عليه مائتين وعشرين كيسًا فلما كان يوم الأحد أرسل طاهر باشا يطلب مصطفى آغا الوكيل من عند شيخ السادات فركب معه شيخ السادات وسعيد آغا وكيل دار السعادة وذهبا صحبته الى بيت طاهر باشا.

فلما طلّعوا الى أعلى الدرج خرج عليهم جماعة من العسكر وجذبوا مصطفى آغا من بينهم وقبضوا عليه وأنزلوه الى أسفل وأخذوه الى القلعة ماشيًا على أقدامه فحنق الشيخ السادات ودخل على طاهر باشا وتشاجر معه فأطلعه على مكتوب مرسل من محمد باشا إليه فقال هذا لا يؤاخذ به وإنما يؤاخذ إذا كان المكتوب منه الى محمد باشا ثم انحط الأمر على أنه لا يقتله ولا يطلقه ثم أن طاهر باشا ركب ليلاً وذهب الى شيخ السادات وأخذ خاطره بعد ما فزع من حضوره إليه في ذلك الوقت.

وفي ثالث عشرينه أطلعوا يوسف كتحدا الباشا الى القلعة وألزموه بمال وكذلك خزنة كاتب.

وفيه خرج أمير الأرام لملافة الحجاج فنصب وطاقه بقبة النصر وأقام هناك.

وفيه حضر هجان على يده مكاتيب كرمؤرخة في عشرين شهر الحجة مضمونها أن الوهابيين أحاطوا بالديار الحجازية وأن الشريف مكة غالب تداخل مع الشريف باشا وأمير الحاج المصري والشامي وأرشاهم على أن يتعوقوا معه أيامًا حتى ينقل ماله ومتاعه الى جدة وذلك بعد اختلاف كبير وحل وربط وكونهم يجتمعون على حربه ثم يرجعون على ذلك الى أن اتفق رأيهم على الرحيل فأقاموا مع الشريف اثني عشر يومًا ثم رحلوا ورحل الشريف بعد أن أحرق داره وفيه قبضوا على أنفار من الوجاقلية أيضًا المستورين وطلبوا منهم دراهم وعملوا على طائفة القبط الكتبة خمسمائة كيس بالتوزيع.

وفي خامس عشرينه قبضوا على جماعة منهم وحبسوهم وكذلك عملوا على طائفة اليهود مائة كيس.

وفيه حضر أحمد آغا شويكار الى مصر بمراسلة من الأمراء القبالي.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه سافرت التجريدة المعينة لمحمد باشا وكبيرها حسن بك أخو طاهر باشا فنزلوا في مراكب وفي البر أيضًا.

وفي يوم الخميس قبضوا على المعلم ملطي القبطي من أعيان كتبة القبط وهو الذي كان قاضيًا أيام الفرنسيين فرموا رقبته عند باب زويلة وكذلك قطعوا رأس المعلم حنا الصباحاني أخي يوسف الصباحاني من تجار الشوام عند باب الخرق في ذلك اليوم وأقاما مرميين الى ثاني يوم.

وفي يوم السبت غايته رجع أحمد آغا شويكار بجواب من الباشا الى رفقائه وأشيع وصول ابراهيم بك ومن معه الى زاوية المصلوب ووصلت مقدماتهم الى بر الجيزة يقبضون الكلف من البلاد.

وفيه أفرجوا عن يوسف كتخدا الباشا بعد أن دفع ثمانين كيسًا ونزل من القلعة الى داره.

وفيه أرسل طاهر باشا الى مصطفى أفندي رامز الكاتب و ابراهيم أفندي الروزنامجي وسليمان أفندي فأخذوهم عند عبد الله أفندي رامز الروزنامجي الرومي.

شهر صفر 1218 استهل بيوم الأحد في ثانيه حضر الأمراء القبالي الى الشيخ الشيمي.

وفي ليلة الأربعاء رابعه خنقوا أحمد كتخدا علي باش اختيار الانكشارية ومصطفى كتخدا الرزاز العزب وكانا محبوسين بالقلعة وضربوا وقت خنقهما مدفعين في الساعة الثالثة من الليل ورموهما الى الخارج.

وفي صباحها يوم الأربعاء حضر جواب من العسكر الذين ذهبوا لمحاربة محمد باشا مضمونه أنه انتقل من مكانه وذهب الى جهة دمياط وأنه تخلف عنه من العسكر الذين معه وأرسلوا يطلبون منهم الأمان فلم يجابوهم حتى يستأذنوا في ذلك فأجابهم طاهر باشا بأن يعطوهم أمانًا وبضموهم إليهم.

وفي ذلك اليوم أشيع أن طاهر باشا قاصد التعدية الى البر الغربي ليسلم على الأمراء المصرية في ذلك الوقت أمر بإحضار حسن آغا محرم فارتاع من ذلك وأيقن بالموت فلما حضر بين يديه خلع عليه فروة وجعله معمارجي باشا وأعطاه ألفي فرانسه وأمره أن يتقيد بتعمير القلعة وما صدق أن خرج من بين يديه وسكن روعه في ذلك الوقت حضر إليه طائفة من الانكشارية وهم الذين كانوا حضروا في أول المحرم في النقاير مع الجبخانه ليتوجهوا الى الديار الحجازية وأنزلوهم بجامع الظاهر خارج الحسينية وحصلت كائنة محمد باشا وهم مقيمون على ما هم عليه ولما خرج محمد باشا وظهر عليه طائفة الأرنؤد شمشخوا على الانكشارية وصاروا ينظرون إليهم بعين الاحتقار مع تكبر الانكشارية ونظرهم في أنفسهم أنهم فخذ السلطنة وأن الأرنؤد خدمهم وعسكرهم وأتباعهم ولما فرد الفرد طاهر باشا وصادر الناس صار يدفع الى طائفة الأرنؤد جماكيهم المنكسرة أو يحولهم بأوراق على المصادرين وكلما طلب الانكشارية شيئًا من جماكيهم قال لهم ليس لكم عندي شيء ولا أعطيكم إلا من وقت ولايتي فإن كان لكم شيء فاذهبوا وخذوه من محمد باشا فضاك خناقهم وأوعز صدورهم وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والي المدينة فلما كان في هذا اليوم ركب الجماعة المذكورون من جامع الظاهر وهم نحو المائتين وخمسين نفرًا بعددهم وأسلحتهم كما هي عادتهم وخلفهم كبراؤهم وهم اسمعيل آغا ومعه آخر يقال له موسى آغا وآخر فذهبوا على طاهر باشا وسألوه في جماكيهم فقال لهم ليس لكم عندي إلا من وقت ولايتي وإن كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد باشا فالحوا عليه فنتر فيهم فعاجلوه بالحسام وضربه أحدهم فطير رأسه ورماها من الشباك الى الحوش وسحبت طوائفهم الأسلحة وهاجوا في أتباعه فقتل منهم جماعة واشتعلت النار في الأسلحة والبارود الذي في أماكن أتباعه فوقع الحريق والنهب في الدار ووقع في الناس كرشات وخرجت العساكر الانكشارية وبايديهم السيوف المسلحة ومعهم ما خطفوه من النهب فانزعجت الناس وأغلقوا الأسواق والدكاكين وهربوا الى الدور وأغلقوا الأبواب وهم لا يعلمون ما الخبر وبعد ساعة شاع الخبر وشق الوالي والآغا ينادون بالأمن والأمان حسب ما رسم أحمد باشا وكرروا المناداة بذلك ثم نادوا باجتماع الانكشارية البلدية وخلافهم عند أحمد باشا على طائفة الأرنؤد وقتلهم وأخرجهم من المدينة فتحزبوا أحزابًا ومشوا طوائف طوائف وتجمع الأرنؤد جهة الأريكية وفي بيوتهم الساكنين فيها وصار الانكشارية إذا ظفروا بأحد من الأرنؤد أخذوا سلاحه

وربما قتلوه وكذلك الأرئود يفعلون معهم مثل ذلك هذا والنهب والحريق عمال في بيت طاهر باشا وفرج الله عن المعتقلين والمحبوسين على المغارم والمصادرات وبقيت جثة طاهر باشا مرمية لم يلتفت إليها أحد ولم يجسر أحد من أتباعه على الدخول الى البيت وإخراجها ودفنها وزالت دولته انقضت سلطنته في لحظة فكانت مدة غلبته ستة وعشرين يومًا ولو طال عمره زيادة على ذلك لأهلك الحرث والنسل وكان صفته أسمر اللون نحيف البدن أسود اللحية قليل الكلام بالتركي فضلًا عن العربي ويغلب عليه لغة الأرئودية وفيه هوس وانسلا ب وميل للمسلوبين والمجاذيب والدرابيش وعمل له خلوة بالشيخونية وكان يبيت فيها كثيرًا ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح في الليل ويذكر معه ثم سكن هناك بحريمه وقد كان تزوج بامرأة من نساء الأمراء وكان يجتمع عنده أشكال مختلفة الصور فيذكر معهم ولما رأوا منه ذلك خرج الكثير من الأوباش وتربا بما سولت له نفسه وشيطانه ولبس له طرطورًا طويلًا ومرقعة ودلقًا وعلق له جلاجل وبهرجان وعصا مصبوغة وفيها شخاشيخ وشراريب وطبلة يدق عليها ويصرخ ويزعق ويتكلم بكلمات مستهجنة وألفاظ موهمة بأنه من أرباب الأحوال ونحو ذلك ولما قتل أقام مرميًا الى ثاني يوم لم يدفن ثم دفنوه من غير رأس بقية عند بركة الفيل وأخذ بعض الينكجارية رأسه وذهبوا بها ليوصلوها الى محمد باشا يأخذوا منه البقشيش فلحقهم جماعة من الأرئود فقتلوهم وأخذوا الرأس منهم ورجعوا بها ودفنوها مع جثته وكتب أحمد باشا مكتوبًا الى محمد باشا يعلمه بصورة الواقعة ويستعجله للحضور وكذلك المحروقي وسعيد آغا أرسل كل واحد مكتوبًا بمعنى ذلك وظنوا تمام المنصف ولما نهبوا بيته نهبوا ما جاوره من دور الناس من الحبانية الى ضلع السمكة الى درب الجماميز ثم ان أحمد باشا أحضر المشايخ وأعلمهم بما وقع وأمرهم بالذهاب الى محمد علي ويخاطبوه بأن يدعن الى الطاعة فلما ذهبوا إليه وخاطبوه في ذلك أجاب بأن أحمد باشا لم يكن واليًا على مصر بل إنما هو والي المدينة المنورية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وليس له علاقة بمصر وأنا كنت الذي وليت طاهر باشا لكونه محافظ الديار المصرية من طرف الدولة وله شبهة في الجملة وأما أحمد باشا فليس له جرة ولا شبهة فهو يخرج خارج البلد وبأخذ معه الانكشارية ونجهزه ويسافر الى ولايته فقاموا من عنده على ذلك واستمر الانكشارية على ما هم عليه من النهب وتتبع الأرئود وتحزبوا وتسلاحوا وعملوا متاريس على جهاتهم ونواحيهم الى آخر النهار فنادوا على الناس بالسهر والتحفظ والدكاكين تفتح والقناديل تعلق وبات الناس على خوف ولما أصبح نهار الخميس مر الوالي والآغا ينادون بالأمان برسم حكم أحمد باشا ثم أن أحمد باشا أرسل أوراقًا الى المشايخ بالحضور فذهبوا إليه فقال لهم أريد منكم أن تجمعوا الناس والرعية وتأمروهم بالخروج على الأرئود وقتلهم فقالوا سمعًا وطاعة وأخذوا في القيام فقال لهم لا تذهبوا وكونوا عندي وأرسلوا للناس كما أمرتكم فقالوا له إن عادتنا أن يكون جلوسنا في المهمات بالجامع الأزهر ونجتمع به ونرسل الى الرعية فإنهم عند ذلك لا يخالفون وكان مصطفى آغا الوكيل حاضرًا فراددهم في ذلك وعرف منهم الانفكاك فلم يزالوا حتى تخلصوا وخرجوا وكان أحمد باشا أرسل أحضر الدفتردار ويوسف كتخدا الباشا وعبد الله أفندي رامز الروزنامجي وغالب أكابر العثمانية ومصطفى آغا الوكيل كان مرهونًا عند شيخ السادات كما تقدم فعندما سمع بقتل طاهر باشا ركب بجماعته وأبته وأخذ معه عدة من الانكشارية وذهب الى عند أحمد باشا ووقف بين يديه يعاضده ويقويه وأما محمد علي والأرئود فإنهم مالكون القلعة الكبيرة ويجمعون أمرهم ويراسلون الأمراء فلما أصبح ذلك اليوم عدى الكثير من المماليك والكشاف الى بر مصر ومروا في الأسواق وعدى أيضًا محمد علي وقابلهم في بر الجيزة ورجع وعدى الكثير منهم من ناحية انبابة ومعهم عربان كثيرة وساروا الى جهة خارج باب النصر وباب الفتوح وأقاموا هناك وأرسل ابراهيم بك ورقة الي أحمد باشا يقول فيها إنه بلغنا موت المرحوم طاهر باشا عليه الرحمة والرضوان فأنتم تكونون مع أتباعكم الأرئود حالًا واحدًا ولا تتدخلوا مع الانكشارية فلما كان ضحوة النهار ذهب جماعة من الانكشارية الى جهة الرميلة ف ضربوا عليهم من القلعة مدافع فولوا وذهبوا ثم بعد حصة ضربوا أيضًا عدة مدافع متراصلة على جهة بيت أحمد باشا وكان ساكنًا في بيت

علي بك الكبير بالداودية فعند ذلك أخذ أمره في الانحلال وتفرق عنه غالب الانكشارية البلدية ووافق أن المشايخ لما خرجوا من عنده وركبوا لم يزالوا سائرين الى أن وصلوا جامع الغورية فنزلوا به وجلسوا وهم في حيرة متفكرين فيما يصنعون فعندما سمعوا صوت المدافع قاموا وتفرقوا وذهبوا الى بيوتهم ثم أن ابراهيم بك أرسل ورقة الى أحمد باشا قبيل العصر يأمره فيها بتسليم الذين قتلوا طاهر باشا ويخرج الى خارج البلد ومعه مهلة الى حادي عشر ساعة من النهار ولا يقيم الى الليل وإن خالف فلا يلومن إلا نفسه فلما رأى حال نفسه مضمحلًا لم يجد بدًا من الامتثال إلا أنه يجد جملاً يحمل عليها أثقاله فقال للرسول سلم عليه وقل له يرسل لي جملاً وأنا أخرج وأما تسليم القاتلين فلا يمكن فقال له أما بحضور الجمال فغير متيسر في هذا الوقت لبعد المسافة فقال له وكيف يكون العمل فقال يركب حضرتكم ويخرج ووقت ما حضرت الجمال الليلة أو غدًا حملت الأثقال ولحقتكم خارج البلد فعند ذلك قام وركب وقت العصر وتفرق من كان معه من أعيان العثمانية مثل الدفتردار وكتخدا بك والروزنامجي وذهبوا الى محمد علي والتجؤوا إليه فأظهر لهم البشر والقبول وخرج أحمد باشا في حالة شنيعة وأتباعه مشاة بين يديه وهم يعدون في مشيهم وعلى أكتافهم وسائد وأمتعة خفيفة فعندما خرج من البيت دخل الأرنؤد ونهبوا جميع ما فيه ولم يزل سائرًا حتى خرج من المدينة من باب الفتوح فوجد العسكر والعربان وبعض كشاف وممالك مصرية محدقة بالطرق فدخل مع الانكشارية الى قلعة الظاهر وأغلقوها عليهم وخرج خلفهم عدة وافرة من الأرنؤد والكشاف المصرلية والعرف والغز وأحاطوا بهم وأقاموا على ذلك تلك الليلة وبعد العشاء مر الوالي وأمامه المناداة بالأمان حسب ما رسم ابراهيم بك حاكم الولاية وأفندينا محمد علي فكانت مدة الولاية لأحمد باشا يومًا وليلة لا غير وفي ذل اليوم نهبوا بيت يوسف كتخدا بك وأخرجوا منه أشياء كثيرة أخذ ذلك جميعه الأرنؤد وأصبح يوم الجمعة فركب المشايخ والأعيان وعدوا الى بر الجيزة وسلموا على ابراهيم بك والأمراء.

وفيه استأذن الدفتردار وكتخدا بك محمد علي في الإقامة عنده أو الذهاب فأذن لهما بالتوجه الى بيوتهما فركبا قبيل الظهر وسارا الى بيت الدفتردار وهو بيت البارودي فدخل كتخدا بك مع الدفتردار لعلمه بنهب بيته فنزلا وجلسا مقدار ساعة وإذا بجماعة من كبار الأرنؤد ومعهم عدة من العسكر وصلوا إليهما وعند دخولهم طلبوا المشاعلي من بيت علي أغا الشعراوي وهو تجاه بيت البارودي فلم يجدوه فذهب معهم رفيق له وليس معه سلاح فدخلوا الدار وأغلقوا الباب وعلم أهل الخطة مرادهم فاجتمع الكثير من الأوباش والجعيدية والعسكر خارج الدار يريدون النهب ولما دخلوا عليهما قبضوا أولاً على الدفتردار وشلحوه من ثيابه وهو يقول عيتر وأصابه بعضهم بضربة على يده اليمنى وأخرجوه الى فسحة المكان وقطعوا رأسه بعد ضربات وهو يصيح مع كل ضربة لكون المشاعلي لا يحسن الضرب ولم يكن معه سلاح بل ضربه بسلاح بعض العسكر الحاضرين ثم فعلوا ذلك بيوسف كتخدا بك وهو ساكت لم يتكلم وأخذوا الرأسين وتركوهما مرميين وخرجوا بعدما نهبوا ما وجدوه من الثياب والأمتعة بالمكان وكذلك ثياب أتباعهم وخرج أتباعهم في أسوأ حال يطلبون النجاح بأرواحهم ومنهم من هرب وطلع الى حريم البارودي الساكنات في البيت وصرخ النساء وانزعجن وكانت الست نفيسة المرادية في ذلك المنزل أيضًا في تلك الأيام فعندما رأت وصول الجماعة أرسلت الى سليم كاشف المحرمجي فحضر في ذلك الوقت فكلّمته في أن يتلافى الأمر فوجده قد تم فخرج بعد خروجهم بالرأسين فظن الناس أنها فعلته ثم حضر محمد علي في إثر ذلك وطرّد الناس المجتمعين للنهب وختم على المكان وركب الى داره ثم أن علي أغا الشعراوي استأذن محمد علي في دفنهما فأذن له فأعطى شخصًا ستمائة نصف فضة لتجهيزهما وتكفينهما فأخذها وأعطى منها الآخر مائتين نصف لا غير فأخذها وذهب فوضعهما في تابوت واحد من غير رؤوس وكانوا ذهبوا برؤوسهما الى الأمراء بالجيزة ولم يردوهما ولم يدفنا معهما ثم رفعهما بالتابوت الى ميضاة جامع السلطان شاه المجاور للمكان وهو مكان قدر فغسلهما وكفنهما في كفن حقيق ودفنهما في حفرة تحت حائط

بترية الأريكية من غير رؤوس فهذا ما كان من أمرهما وأما الذين في قلعة الظاهر فإنهم انحصروا وأحاط بهم الأرئود والغز والعربان وليس عندهم ما يأكلون ولا ما يشربون فصاروا يرمون عليهم من السور القرايين والبارود وهم كذلك يرمون عليهم من أسفل وجمعوا أتربة وعملوها كيماً عالية وصاروا يرمون عليهم منها كذلك بقية نهار الجمعة وليلة السبت اشتد الحرب بينهم بطول الليل وفي الصباح أنزلوا من القلعة مدافع كباراً وبنية وجبخانه وأصعدوها على التلؤل وضربوا عليهم من قبيل العصر فعند ذلك طلبوا الأمان وفتحوا باب القلعة وخرج أحمد باشا وصحبته شخصان وهما اللذان قتلوا طاهر باشا فأخذوهم وعدوا بهم إلى الجيزة وبطل الحرب والرمي وبقي طائفة الانكشارية دال القلعة وحولهم العساكر فلما ذهبوا بهم إلى الجيزة أرسلوا أحمد باشا إلى قصر العيني وأبقوا الاثنين وهم اسمعيل آغا وموسى آغا بالقصر الذي بالجيزة ونودي بالأمان للرعية حسب ما رسم ابراهيم بك وعثمان بك البرديسي ومحمد علي.

وفي يوم السبت حضر أحمد بك أخو محمد علي إلى جهة خان الخليلي لإجراء التفيتش على منهوبات الأرئود التي نهبها الانكشارية وأودعوها عند أصحابهم الأتراك ففتحوا عدة حوانيت وقهاوي وأماكن وأخذوا ما فيها وأجلسوا طوائف من عسكر الأرئود على الخانات والوكائل والأماكن وشلحوا ناساً كثيرة من ثيابهم وربما قتلوا من عصي عليهم فتخوف أهل خان الخليلي ومن جاورهم واستمر الأرئود كلما مرت منهم طائفة ووجدوا شخصاً في أي جهة قبة شبه ما بالأتراك قبضوا عليه وأخذوا ثيابه وخصوصاً إن وجدوا شيئاً معه من السلاح أو سكيناً فتوقى أكثر الناس وانكفوا عن المرور في أسواق المدينة فضلاً عن الجهات البرانية.

وفيه كثر مرور الغز والكشاف المصرية وترددوا إلى المدينة وعلى أكتافهم البنادق والقرايين وخلفهم المماليك والعربان فيذهبون إلى بيوتهم ويبستون بها ويدخلون الحمامات ويغيرون ثيابهم ويعودون إلى بر الجيزة وبعضهم أمامه المناداة بالأمان عند مروره بوسط المدينة.

وفيه كتبت أوراق بطلب دراهم فردة على البلاد الموفية والغربية كل بلد ألف ريال وذلك خلاف مضاف العرب وكلفهم.

وفي يوم الاثنين قتلوا شخصاً بباب الخرق يقال إنه كان من أكبر المتحزبين على الأرئود وجمع منهوبات كثيرة.

وفيه أيضاً قتلوا اسمعيل آغا وموسى آغا وهما اللذان كان قتلوا طاهر باشا وتقدم أنهم كانوا أخذوهم بالأمان صحبة أحمد باشا فأرسلوا أحمد باشا إلى قصر العيني وبقي الإثنين بقصر الجيزة فأخذوهم وعدوا بهما إلى البر الآخر وقطعوا رأسيهما عند الناصرية وأخذوا الرأسين وذهبوا بهما إلى زوجة طاهر باشا بالشيخونية ثم طلعوهم إلى أخي طاهر باشا بالقلعة.

وفيه تقلد سليم آغا أغات مستحفظان سابقاً الأغاوية كما كان وركب وشق المدينة بأعوانه وأمامه جماعة من العسكر الأرئود وليسوا أيضاً حسين آغا أمين خزانة مراد بك وقلدوه والي الشرطة وليسوا محمداً المعروف بالبرديسي كتحدا قائد آغا وجعلوه محتسباً وشق كل منهم بالمدينة وأمامهم المناداة بالأمان والبيع والشراء.

وفيه أخرجوا الانكشارية الذين بقلعة الظاهر وسفروهم إلى جهة الصالحية وصحبتهم كاشفان وطائفة من العرب بعدما أخذوا سلاحهم ومتاعهم بل وشلحوهم ثيابهم والذي بقي لهم بعد ذلك أخذته العرب وذهبوا في أسوأ حال وأنحس بال وهم نحو الخمسمائة إنسان ومنهم من التجأ إلى بعض المماليك والغز فستر عليه وغير هيئته وجعله من أتباعه

وكذلك الانكشارية الذين كانوا مخفيين التجأوا الى الممالك وانتموا إليهم وخدموهم فسبحان مقلب الأحوال وحضر سليم كاشف المحرمجي وسكن بقلعة الظاهر وكتب الى إقليم القليوبية أوراقاً وقرر على كل بلد ألف ريال ومن كل صنف من الأصناف سبعين مثل سبعين خروف وسبعين رطل سمن وسبعين رطل بن وسبعين فرخة وهكذا وحق طريق المعين لقبض ذلك خمسة وعشرون ألف فضة من كل بلد.

وفي يوم الأربعاء حادي عشره حضر محمد عليو عبد الله أفندي رامز الروزنامجي ورضوان كتحدا ابراهيم بك الى بيت الدفتردار المقتول وضبطوا تركته فوجد عنده نقود ثلثمائة كيس وقيمة عروض وجواهر وغيرها نحو ألف كيس.

وفيه أرسل ابراهيم بك فجمع الأعيان والوجاقلية وأبرز لهم فرمانات وجدوها عند الدفتردار المقتول مضمونها تقاريرات مظالم منها أن الممالك المصرية كانوا أحدثوا على الغلال التي تباع الى بحريرا علن كل أردب محبوب فيقرر ذلك بحيث يتحصل من ذلك للخرينة العامة عشرة آلاف كيس في السنة فإن نقصت عن ذلك القدر أضرب ذلك بالخرينة ومنها تقرير المليون الذي كان قرره الفرنسيين على أهالي مصر في آخر مدتهم وبوزع ذلك على الرؤوس والدور والعقار والأملك ومنها أن الحلوان عن المحلول ثلاث سنوات ومنها أنه يحسب المضاف والبراني الى ميري البلاد وغير ذلك.

وفي يوم الخميس ثاني عشره عمل عثمان بك البرديسي عزومة بقصر العيني وحضر ابراهيم بك والأمراء ومحمد علي ورفقاؤه وبعد انقضاء العزومة ألبسوا محمد علي ورفقاؤه خلعة وقدموا لهم تقادم.

وفي يوم الجمعة كذلك عملوا عزومة لابن أخي طاهر باشا المقيم بالقلعة وصحبته عابدي بك ورفقاؤهم بقصر العيني وخلعوا عليهم وقدموا لهم تقادم أيضاً.

وفي يوم الأحد خامس عشره نزل ابن أخي طاهر باشا من القلعة ومن معه من أكابر الأرئود وأعيانهم وعساكرهم بعزالهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات وهو شيء كثير جداً وسلموا القلعة الى الأمراء المصرية وطلع أحمد بك الكلارجي الى باب الانكشارية وأقام به وعبد الرحمن بك ابراهيم الى باب العزب وسليم آغا مستحفظان الى القصر فعند ذلك اطمأن الناس بنزولهم من القلعة فإنهم كانوا على تخوف من إقامتهم بها وكثر فيهم اللغط بسبب ذلك فلم يزل الأمراء وفيه ورد الخبر أن محمد باشا لما قربت منه العساكر التي كان أرسلها له طاهر باشا ارتحل الى دمياط كما تقدم.

وفي يوم الاثنين وردت مكاتبات من الديار الحجازية مؤرخة في منتصف محرم وفيها الإخبار باستيلاء الوهابيين على مكة في يوم عاشوراء وأن الشريف غالب أحرق داره وارتحل الى جدة وأن الحجاج أقاموا بمكة ثمانية أيام زيادة عن المعتاد بسبب الارتباك قبل حصول الوهابيين بمكة ومراعاة للشريف حتى نقل متاعه الى جدة ثم ارتحل الحجاج وخرجوا من مكة طالبين زيارة المدينة فدخل الوهابيون بعد ارتحال الحج بيومين.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره أخرجوا باقي الانكشارية والدلاة والسجمان وكانوا مجتمعين بمصر القديمة فتضرر منهم المارة وأهل تلك الجهة بسبب قبائحهم وخطفهم أمتعة الناس بل وقتلهم وكان تجمعهم على أن يذهبوا الى جهة الصعيد ويلتفون على حسن باشا بجرجا وينضمون إليه والى من بناحية الصعيد من أجناسهم فذهب منهم من أخبر الأمراء المصرية بذلك فضبطوا عليهم الطرق واتفق أن جماعة منهم وقفوا لبعض الفلاحين المارين بالبطيخ والخضار فحجزوهم وطلبوا منهم دارهم فمر بهم بعض ممالك من أتباع البرديسي فاستجار بهم الفلاحون فكلموهم فتشاحنوا معهم وسحبوا على بعضهم السلاح فقتل مملوك منهم فذهبوا الى سيدهم وأعلموه فأرسل الى ابراهيم بك

فركب الى العرضي ناحية بولاق التكرور وترك مكانه بقصر الجيزة محمد بك بشتك وكيل الألفي وشركوا عليهم الطرق وأمروهم بالركوب والخروج من مصر الى جهة الشام والقوق بجماعتهم فركبوا من هناك ومروا على ناحية الجبل من خلف القلعة الى جهة العادلية وأمامهم وخلفهم بعض الأمراء المصرية ومعهم مدفعان وهم نحو ألف وخمسمائة وأزيد فلما خرجوا وتوسطوا البرية عروا الكثير منهم ومن المتخلفين والمتأخرين عنهم وأخذوا أسلحتهم وقتلوا كثيرًا منهم ورجع المماليك ومعهم الكثير من بنادقهم وسلاحهم يحملونه معهم ومع خدامهم فلما رجع المماليك بهذه الصورة ووقف العسكر الأرئودية على أبواب المدينة انزعج الناس كعادتهم في كرشاتهم وأغلقوا الدكاكين وعين للسفر معهم حسين كاشف الألفي يذهب معهم الى القنطرة ونودي في عصرته بالأمان وخروج من تخلف من الانكشارية وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام قدمه وماله هدر.

وفي يوم الخميس مر الوالي والمناداة أمامه على الأتراك والانكشارية

والبشناق والسجمان بالخروج من مصر والتحذير لمن آواهم أو ثاواهم وكلما صادف في طريقه شخصًا من الأتراك قبض عليه وسأله عن تخلفه فيقول أنا من المتسبين والمتأهلين من زمان بمصر فيطلب منه بيعة على ذلك ويسلمه عسكر الأرئود فيودعونه في مكان مع أمثاله حتى يتحققوا أمره.

وفيه مر بعض المماليك بجهة الميدان ناحية باب الشعيرة فصادفوا جماعة من العسكر المذكورين يحملون متاعًا لهم فاشتكوا بهم وأرادوا أخذ سلاحهم ومتاعهم فمانعهم وتضاربوا معهم فقتل بينهم شخصان من الانكشارية وشخصان من المماليك أحدهما فرنساوي.

وفيه حضر أيضًا ثلاثة من المماليك الى وكالة الصاغة الى رجل رومي ططري وسأله عن جوارى سود عنده لمحمد باشا وأنهم يطلبونهن لعثمان بك البرديسي فأنكر ذلك وشهد جيرانه أنهن ملكه واشتراهن ليتجر فيهن فلم يزلوا حتى أخذوا منه ثلاثة على سوم الشراء وذهب معهن فلما بعدوا عن الجهة فزعوا عليه وطردوه وذهبوا بالجوارى فذهب ذلك الططري الى محمد علي فأرسل الى البرديسي ورقة بطلب الجوارى أو ثمنهن ففحص عنهن حتى ردهن الى صاحبهن.

وفيه حضر أيضًا جماعة من المماليك الى بيت عثمان أفندي بجوار ضريح الشيخ الشعرائي وهو من كتبة ديوان محمد باشا فأخذوا خيله وسلاحه ومتاعه التي بأسفل الدار.

وفي يوم الجمعة نهبوا دار أحمد أفندي الذي كان شهر حوالة وكاشف الشرقية في العام الماضي فأخذوا جميع ما عنده حتى ثيابه التي على بدنه وقتلوا خادمه على باب داره قتله الوالي زاعمًا أنه هو الذي دل عليه.

وفي يوم السبت مر سليم آغا وأمامه المناداة على الأغراب الشوام والحلبية والرومية يجتمعون بالجمالية يوم تاريخه فلم يجتمع منهم أحد وفي يوم الأحد حضر الشريف عبد الله ابن سرور وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحو ستين نفرًا وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج وأن عبد العزيز بن مسعود الوهابي دخل الى مكة من غير حرب وولى الشريف عبد المعين أميرًا على مكة والشيخ عقليًا قاضيًا وأنه هدم قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي أعلى من الكعبة وذلك بعد أن عقد مجلسًا بالحرم وباحثهم على ما الناس عليهم من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة

وأخبروا أن الشريف غالبًا وشريف باشا ذهبا الى جدة وتحصنا بها وأنهم فارقوا الحجاج في الجديدة.

وفيه كتبوا عرضالين أحدهما بصورة ما وقع لمحمد باشا مع العساكر ثم قيام الانكشارية وقتلهم لطاهر باشا ثم كرة الأرنؤد على الانكشارية لما أثاروا الفتنة مع أحمد باشا حتى اختلت أحوال المدينة وكاد يعمها الخراب لولا قرب الأمراء المصرية وحضورهم فسكنوا الفتنة وكفوا أيدي المتعدين والثاني يتضمن رفع الإحداثاات التي في ضمن الأوامر التي كانت مع الدفتردار التي تقدمت الإشارة إليها.

وفيه عزم الأمراء على التوجه الى جهة بحري فقصد البرديسي وصحبته محمد بك تابع محمد بك المنفوخ جهة دمياط ومعهم محمد علي وعلي بك أيوب وغيرهم وصحبتهم الجم الكثير من العساكر والعربان ولم يتخلف إلا ابراهيم بك وأتباعه والحكام وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحبته عساكر أيضًا.

وفي يوم الثلاثاء عدى الكثير الى البر الشرقي.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه قدم جاویش الحجاج بمكاتيب العقبة وأخبروا بموت الكثير من الناس بالحمى والإسهال وحصل لهم تعب شديد من الغلاء أيضًا ذهابًا وإيابًا ومات الشيخ أحمد العريشي الحنفي ودفن بنبط ومات أيضًا محمد أفندي باش جاجرت ودفن بالينع والشيخ علي الخياط الشافعي.

وفيه عدى ابراهيم بك الى قصر العيني وركب مع البرديسي الى جهة الحلبي وودعه ورجع الى قصر العيني فأقام به وجلس ابنه مرزوق بك في مضرب النشاب واستمر وكيل الألفي مقيمًا بقصر الجيزة.

وفيه وردت الأخبار بأن محمد باشا لما ارتحل من المنصورة الى دمياط أبقي بفارسكور ابراهيم باشا ومملوكه سليم كاشف المنوفية بعدة من العسكر فتحصنوا بها فلما حضر رليهم حسن بك أخو طاهر باشا بالعساكر تحاربوا معهم وملكوا منهم فارسكور فنهبوا وأحرقوها وفسقوا بنسائها وفعلوا ما لا خير فيه قتل سليم كاشف المنوفية المذكور أيضًا ثم أن بعض أكابر العسكر المنهزمين أرسل الى حسن بك يطلب منه أمانيًا وكان ذلك خديعة منهم فأرسل لهم أمانيًا فحضروا إليه وانضموا لعسكره وسهلوا له أمر محمد باشا وأنه في قلة وضعف وهم مع ذلك يرسلون أصحابهم ويشيرون عليهم بالعود والتثبت الى أن عادوا وتآهبوا للحرب ثانيًا وخرج إليهم حسن بك بعساكره وخلفه المنضافون إليه من أولئك فلما أن نشبت الحرب بينهم أخذوهم بواسطة فأخذوهم ووقعت فيهم مقتلة عظيمة وانهزموا الى فارسكور فتلقاهم أهل البلدة وكمّلوا قتلهم ونزلوا عليهم بالنبايت والمساوق والحجارة جزاء لما فعلوه معهم حتى اشتفوا منهم ولم ينج منهم إلا من كان في عزوة أو هرب الى جهة أخرى وحضر الكثير منهم الى مصر في أسوأ حال.

وفي يوم الجمعة والسبت حضر الكثير من حجاج المغاربة وصحبتهم مصاروة وفلاحون كثيرة.

وفي حضرت مكاتبة من الديار الرومية على يد شخص يسمى صالح أفندي الى سكندرية فأرسل خورشيد أفندي حاكم الاسكندرية يستأذن في حضوره بمكاتبة على يد راشته قنصل النيمسا فذهب راشته الى ابراهيم بك وأخبره وأطلعه على المكتوب الذي حضر له فبعد ساعة وصل الخبر بوصول صالح أفندي المذكور الى بولاق فأرسل ابراهيم بك رضوان كتحدا وأحمد بك الأرنؤدي وأمرهما بأن يأخذا ما معه من الأوراق ويأمرهما بالرجوع بغير مهلة ولا يدعاه يطلع الى البر ففعلوا ذلك ومضمون ما في تلك الأوراق خطاب لطاهر

باشا وأنه بلغنا ما حصل من محمد باشا من الجور والظلم وقطع علوفات العسكر وأنهم قاموا عليه وأخرجوه وهذه عادة العساكر إذا انقطعت علوفاتهم وأننا وجهنا له ولاية سنانيك وأن طاهر باشا يستمر على المحافظة وأحمد باشا قائمقام الى أن يأتي المتولي وخطاب لمحمد باشا بمعنى ذلك والسر في تقليد أحمد باشا قائمقام دون طاهر باشا أن طاهر باشا أرنؤد وليس له إلا طوخان ومن قواعدهم القديمة أنهم لا يقلدون الأرنؤد ثلاثة أطواخ أبدًا.

وفي يوم السبت المذكور دخل الكثير من الحجاج آخر النهار وفي الليل.

وفي يوم الأحد دخل الجم الغفير من الحجاج ومات الكثير من الداخلين في ذلك اليوم وكثير مرضى وحصل لهم مشقة عظيمة وشوب وغلاء وخصوصًا بعد مجاوزتهم العقبة وبلغت الشربة الماء دينارًا والبطيخة دينارين وكان حجاج كثير وأكثرهم أوباش الناس من الفلاحين والنساء وغير ذلك وخرج سليم أغا مستحفظان وصحبته جماعة من الانكشارية والكشاف والأجناد والعسكر فاستلموا المحمل من أمير الحاج وأمروه لا يدخل المدينة بل يقيم بالبركة حتى يحاسبوه ويسافر بمن معه من العسكر الى جهة الشام ثم رجعوا بالمحمل ودخلوا به المدينة وقت الظهر على خلاف العادة وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروبًا من الوهابي ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه فممنهم من يجعله خاربجًا وكافرًا وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه وأرسل الى شيخ الركب المغربي كتابًا ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وصورتها.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصي الله ورسوله فقد غوى ولا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فقد قال الله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف وقال تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون وقال تعالى وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمّت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات وكذلك التقرب إليهم بالندور وذبح القرбан والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وطلب الفوائد الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً كما قال تعالى فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا

الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصًا لوجهه وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقرّبوهم الى الله زلفى وبشفعوا لهم عنده وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقال تعالى فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم وقال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا وهو سبحانه وتعالى لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله كما قال تعالى وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وقال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر لله ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع.

ثم يحد له حدًا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها واتخاذها أعيادًا وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وهو صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك فنهى أن يخصص القبر وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيه أيضًا أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبرًا مشرقًا إلا سواه ولا تمثالًا إلا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر الى أن كفرونا وقتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفروا بهم وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف الصالح من الأمة ممثلين لقوله سبحانه وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وندعو الناس الى إقامة الصلوات في الجماعات الى الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر كما قال تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فهذا هو الذي نعتقده وندين الله به فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا ونعتقد أيضًا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وأنه لا تزال طائفة من أمة علي الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك أقول إن كاد كذلك فهذا ما ندين الله به ونحن أيضًا وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان والحافظ المقرئ في تجريد التوحيد والإمام اليوسي في شرح الكبرى وشرح الحكم لابن عباد وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصاديد الشيطان وغير ذلك انتهى.

وفي ذلك اليوم نودي على المتخلفين من الانكشارية بالسفر صحبة أمير الحاج وقبضوا على أنفار منهم وأخرجوهم ومنعوا أيضًا حجاج المغاربة من الدخول الى المدينة ومن دخل منهم لأجل حاجة فليدخل من غير سلاح فذهبوا الى بولاق وأقاموا هناك.

وفي يوم الاثنين مر الوالي بناحية الجمالية فوجد إنسانًا من أكابر غزة يسمى علي آغا شعبان حضر الى مصر من جملة من حضر مع العرضي وكان مهندسًا في عمارة الباشا ثم عين لسد ترعة الفرعونية لمعرفة بأمور الهندسة فوجده جالسًا على دكان يتنزّه حصة وفرسه وخدمه وقوف أمامه فطلبه وأمره بالركوب معه فركب وذهب صحبته فكان آخر العهد به وكان في جيبه ألف دينار ذهبًا بإخبار أخيه خلاف الورق فأخذ ثيابه وفرسه وما معه وخنقه وأخفى أمره وأنكره وكان رجلًا لا بأس به.

شهر ربيع الأول سنة 1218 استهل بيوم الثلاثاء وفي يوم السبت خامسه أحمد باشا والعساكر الانكشارية الذين جمعوهم من المدينة وسافر صحبتهم من العساكر الذين كانوا صحبة أمير الحاج والجميع كانوا نحو ألفين وخمسمائة وأما أمير الحاج فإنهم عفوا عنه من السفر ودخل المدينة بخاصته.

وفي هذا اليوم حضر علي كتخدا من جهة قبلي وهو كتخدا حسن باشا الى جرجا ومعه مكتابة الى الأمراء المصرية وأنه وصل الى أسيوط فكتبوا له أمانًا بالحضور الى مصر بمن معه من العسكر ورجع علي كتخدا بذلك في ثاني يومه فقط.

وفيه ورد الخبر بوصول أنجد بك الى ثغر دمياط بالريالة الى محمد باشا.

وفي يوم الأربعاء تأسعه سافر الشريف عبد الله ابن سرور الى سكندرية متوجهًا الى اسلامبول وأنعم عليه ابراهيم بك بخمسين ألف فضة.

وفي يوم الجمعة كان المولد النبوي ونادوا بفتح الدكاكين ووقود القناديل فأوقدت الأسواق تلك الليلة واللييلة التي قبلها ولكن دون ذلك وأما الأزيكية فلم يعمل بها وقدة إلا قبالة بيت البكري لاستيلاء الحراب عليها.

وفي ثاني عشره سفروا جبخانه وجللاً وبارودًا الى جهة بحري وأشيع بأن كثيرًا من العسكر المصحوبين بالتجريدة ذهبوا الى محمد باشا وكذلك طائفة من الانكشارية المطرودين الذين خلصوا الى طريق دمياط.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره وردت مكاتبات من عثمان بك البرديسي بالخبر بوقوع الحرب بينهم وبين محمد باشا وعساكره.

وفي يوم الاثنين رابع عشره وقع بين الفريقين مقتلة عظيمة وكانوا ملكوا منه متاريس القنطرة البيضاء قبل ذلك ثم هجم المصريون في ذلك اليوم عليهم هجمة عظيمة وكبسوا على دمياط بمخامرة بعض رؤساء عساكر الباشا وفتكوا في عسكر الباشا بالقتل وقتلت خواصه وأتباعه وقتل حسين كتخدا شنن ومصطفى أغات التبديل ونهبوا دمياط وأسروا النساء وافتضوا الأبقار وأخذوهم أسرى وصاروا يبيعونهم على بعضهم وفعلوا أفعالًا شنيعة من الفسق والفجور وأخذوا حتى ما على أجساد الناس من الثياب ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أسباب التجار التي بها من أصناف البضائع الشامية والرومية والمصرية وكان شيئًا كثيرًا يفوق الحصر وما بالمراكب حتى بيع الفرد الأرز الذي هو نصف أردب بثلاثة عشر نصفًا وقيمه ألف نصف والكيس الحرير الذي قيمته خمسمائة ريال بريالين الى غير ذلك والأمر لله وحده والتجأ الباشا الى القرية وتترس بها فأحاطوا به من كل جهة فطلب الأمان فأمنوه فنزل من القرية وحضر الى البرديسي وخطف عمامته بعض

العسكر ولما رآه البرديسي ترجل عن مركوبه إليه وتمنى بالسلام عليه وألبسه عمامة وأنزله في خيمة بجانب خيمته متحفظاً به ولما وصل الخبر بذلك الى مصر ضربوا مدافع كثيرة من قصر العيني والقلعة والجيزة ومصر العتيقة واستمر ذلك ثلاثة أيام بلياليها في كل وقت.

وفي عصريتها حضر جوخدار البرديسي وهو الذي قتل حسين آغا شنن وحكى بصورة الحال فألبسه ابراهيم بك فروة وأنعم عليه ببلاد المقتول وبيته وزوجته وأملاكه وجعله كاشف الغربية وذهب الى وكيل الألفي أيضاً فخلع عليه فروة سمور وصار يبدر الذهب في حال ركوبه.

وفي يوم الجمعة ذهب المذكور الى مقام الإمام الشافعي وأرخى لحيته على عادتهم التي سنّها السدنة ليعفيها بعد ذلك من الحلق.

وفي ذلك اليوم عمل ابراهيم بك ديواناً ببيت ابنته بدرب الجماميز وحضر القاضي والمشايخ ولبس خلعة وتولى قائمقام مصر وضربت في بيته النوبة التركية.

وفي عشرينه ورد الخبر بوصول علي باشا الطرابلسي الى اسكندرية والياً على مصر عوضاً عن محمد باشا وحضر منه فرمان خطاباً للأمراء يعلمهم بوصوله ويذكر لهم أنه متولي على الأقطار المصرية عوضاً عن محمد باشا من اسكندرية الى أسوان ولم يبلغ الدولة موت طاهر باشا ولا دخولكم الى مصر ومعنا أوامر لطاهر باشا وأحمد باشا أنهم يتوجهون بالعساكر الى الحجاز بسبب الوهابيين فلما وصلنا الى اسكندرية بلغنا موت طاهر باشا وحضوركم الى المدينة بمعاونة الأرئودية وقتل رجال الدولة والانكشارية وقتل من معهم وإخراج من بقي على غير صورة الى غير ذلك وهذا غير مناسب ولا نرضى لكم بهذا على هذا الوجه فإننا نحب لكم الخير ولنا معكم عشرة سابقة ومحبة أكيدة ونطلب راحتكم في أوطانكم ونسعى لكم فيها على وجه جميل وكان المناسب أن لا تدخلوا المدينة إلا بإذن الدولة فإن تظاهركم بالخلاف والعصيان مما يوجب لكم عدم الراحة فإن سيف السلطنة طويل وربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم ثم قال لهم في ضمن ذلك إن لنا معكم بعض كلام لا يحتمله الكتاب وعن قريب يأتيكم إثنان من طرفنا عاقلان يعملون معهما مشاورة فكتبوا له جواباً حاصله أن محمد باشا لما كان متولياً لم نزل نترجى مراحمه وهو لا يزداد معنا إلا قسوة ولا يسمح لنا بالإقامة بالقطر المصري جملة وجرّد علينا التجاريد والعساكر من كل جهة وينصرنا الله عليه في كل مرة الى أن حصل بينه وبين عساكره وحشة بسبب جماكيهم وعلوفاتهم فقاموا عليه وحاربوه وأخرجوه من مصر بمعاونة طاهر باشا ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلوه ظلماً وقامت العساكر على بعضهم البعض وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا فلما قتل طاهر باشا بقيت المدينة رعية من غير راع وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم فحضر إلينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا فأرسلنا من عندنا من ضبط العساكر وأمن المدينة والرعية وأما محمد باشا فإنه نزل الى دمياط وظلم البلاد والعباد وفرد عليها الفرد الشاقة وحرقها فتوجه عثمان بك البرديسي لتأمين أهالي القرى الى أن وصل الى ظاهر دمياط فأقام بمن معه خارج المدينة فما يشعر إلا ومحمد باشا صدمهم ليلاً وحاربهم فحاربوه فنصرهم الله عليه وانهزمت عساكره وقبض عليه وهو الآن عندنا في الإعزاز والإكرام ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو وأما قولكم إننا نخرج من مصر فهذا لا يمكن ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من أوطانهم بعد استقرارهم فيها وأما قولكم إن حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين فإننا لا نستعين إلا بالله وإننا أرسلنا عرضحال نطلب العفو ونترجى الرضا ومنتظرون الجواب.

وفي ثاني عشرينه حضر واحد آغا ومعه آخر فضربوا له مدافع وعملوا ديوانًا وتكلم معهم وتكلم المشايخ الحاضرون في ظلم العثمانيين وما أحدثوه من المظالم والمكوس واتفقوا على كتابة عرضحال الى الباشا فكتبوا ذلك وأمضوا عليه ونادوا في الأسواق برفع ما أحدثه الفرنسياتوة والعثمانية من المظالم وزيادة المكوس ودفعوا الى الآغا الواصل ألف ريال حق طريقه وسافر.

وفيه وصل الخبر بأن سليمان كاشف لما وصل الى رشيد وبها جماعة من العثمانية وحاكمها ابراهيم أفندي فلما بلغه وصول سليمان كاشف أخلى له البلد وتحصن في برج مغيزل فعبر سليمان كاشف الى البلد وخرج يحاصر ابراهيم أفندي فهم على ذلك وإذا بالسيد علي باشا القبطان وصل الى رشيد وأرسل الى سليمان كاشف يعلمه بحضوره وحضور علي باشا والي مصر ويقول ما هذا الحصار فقال له نحن نقاتل كل من كان من طرف حسين قبطان باشا وأما من كان من طرف الوزير يوسف باشا فلا نقاتله وارتحل من رشيد الى الرحمانية ودخل السيد علي القبطان الى رشيد.

وفي ثالث عشرينه سافر جوخدار البرديسي الى ولاية الغربية وكان شاهين كاشف المرادي هناك يجمع الفرقة وتوجه الى طندتا وعمل على أولاد الخادم ثمانين ألف ريال فحضروا الى مصر ومعهم مفاتيح مقام سيدي أحمد البدوي هاريين وتشكوا وتظلموا وقالوا لابراهيم بك لم يبق عندنا شيء فإن الفرنسياتوة نهبونا وأخذوا أموالنا ثم أن محمد باشا أرسل المحروقي فحفر دارنا وأخذ منا نحو ثلثمائة ألف ريال ولم يبق عندنا شيء جملة كافية.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه وصل محمد باشا الى ساحل بولاق وصحبته المحافظون عليه وهم جماعة من عسكر الأرناؤد الذين كانوا سابقًا في خدمته وجماعة من الأجناد المصرية ولم يكن معه من أتباعه إلا ست ممالك فقط فإن ممالكه المختصين به اختار منهم البرديسي من اختاره واقتسم باقيهم الأرناؤد ومنهم من يخدم الأرناؤد المحافظين عليه ووافق أن ذلك اليوم كان جمع سيدي أحمد البدوي ببولاق على العادة فنصبوا له خيمة لطيفة بساحل البحر وطلع إليها فرأى جمع الناس فظن أنهم اجتمعوا للفرجة عليه فقال ما هذا فأخبروه بصورة الحال.

وكان ابراهيم بك في ذلك اليوم حضر الى بولاق ودخل الى بيت السيد عمر النقيب الأشراف باستدعاء فجلس عنده ساعة ثم ركب الى ديوان بولاق فنزل هناك ساعة أيضًا ثم ركب الى بيته بحارة عابدين فلما وصل الباشا كما ذكر حضر إليه سليم كاشف المحرمجي وأركبه حصانًا وركب ممالكه حميرًا وذهبوا به الى بيت ابراهيم بك بحارة عابدين فوجدوا ابراهيم بك طلع الى الحريم فلم ينزل إليه ولم يقابله فرجع به سليم كاشف الى بيت حسن كاشف جركس وهو بيت البرديسي فبات به فلما كان في الصباح ركب ابراهيم بك الى قصر العيني فركب المحرمجي وأخذ معه الباشا وذهب به الى قصر العيني فقابل ابراهيم بك هناك وسلم عليه وحضر الألفي وباقي الأمراء بجمعهم وخیولهم فترامحوا تحت القصر وتسابقوا ولعبوا بالجريد ثم طلع أكابرهم الى أعلى القصر فصاروا يقبلون يد ابراهيم بك والباشا جالس حتى تحلقوا حوالتهما ثم أن ابراهيم بك قدم له حصانًا وقام وركب مع المحرمجي الى بيت حسن كاشف بالناصرية فسبحان المعز المذل القهار.

وفي ثاني يوم غايته ركب ابراهيم بك الألفي وذهب الى الباشا وسلموا عليه في بيت البرديسي وهادياه بثياب وأمتعة وبعد أن كانوا يترجون عفوه ويتمنون الرضا منه ويكونوا تحت حكمه صار هو يترجى عفوهم ويؤمل رفدهم وإحسانهم وبقي تحت حكمهم فالعياذ بالله م زوال النعم وقهر الرجال.

استهل يوم الأربعاء في ثانيه ضربت مدافع كثيرة بسبب إقامة بنديرة الانجليز بمصر.

وفيه عدى البرديسي من المنصورة الى البر الغربي متوجّها الى جهة رشيد.

وفي يوم السبت رابعه وردت هجانة من ناحية الينبع وأخبروا أن الوهابيين جلوا عن جدة ومكة بسبب أنهم جاءتهم أخبار بأن العجم زحفوا على بلادهم الدرعية وملكوا بعضها والأوراق فيها خطاب من شريف باشا وشريف مكة لطاهر باشا على ظن حياته.

وفي يوم الاثنين نادى الآغا والوالي بالأسواق على العثمانية والأترار والأغراب من الشوام والحلبية بالسفر والخروج من مصر فكل من وجد بعد ثلاثة أيام قدمه هدر وأمروا عثمان بك أمير الحاج بالسفر على جهة الشام من البر ويسافر المنادي عليهم صحبته وكذلك ابراهيم باشا.

وفي يوم الأربعاء خرج عثمان بك الى جهة العادلية وخرج الكثير من أعيان العثمانية معه وتتابع خروجهم في كل يوم وصاروا يبيعون متاعهم وثيابهم وهم خزاياء حيارى في أسوأ حال وأكثرهم متأهل ومتزوج ومنهم من نهب وسلب وصار لا يملك شيئاً فلما تكامل خروجهم وسافروا في عاشره وهم زيادة عن ألفين وبقي منهم أناس التجأوا الى بعض المصرية والانجليز وانتموا إليهم. وفيه

وصلت الأخبار بأن البرديسي وصل إلى رشيد

وأن السيد علي باشا ريس القبطانية تحصن ببرج مغيزل وغالب أهلها جلا عنها خوفاً من مثل حادثة دمياط ولما دخل عثمان بك وفي ثالث عشره حضر قنصل الفرنسيين فعملوا له شنكاً ومدافع وأركبوه من بولاق بموكب جليل وقدامه أغات الانكشارية والوالي وأكابر الكشاف وحسين كاشف المعروف بالإفرنجي وعساكره الذين مثل عسكر الفرنسيين وهيئته لم يتقدم مثلها بين المسلمين ونصب بنديرته في بركة الأزكية من ناحية قنطرة الدكة على صاري طويل مرتفع في الهواء واجتمع إليه كثير من النصارى الشوام والأقباط وعملوا جمعيات وولائم وازدحموا على بابه وحضر صحبة كثير من الذين هربوا عند دخول المسلمين مع الوزير وكان المحتفل بذلك حسين كاشف الإفرنجي.

وفي ثامن عشره وصلت مكاتبة من البرديسي الى ابراهيم بك يخبر فيها أنه لما وصل الى رشيد وتحصن السيد علي باشا بالبرج أرسل إليه فبعث له حسن بك قرابة علي باشا الطرابلسي الوالي فتكلم معه وقال له ما المراد إن كان حضرة الباشا والياً على مصر فليات على الشرط والقانون القديم ويقوم معنا على الرحب والسعة وإن كان خلاف ذلك فأخبرونا به الى أن انتهى الكلام بيننا وبينه على مهلة ثلاثة أيام ورجع وانتظرنا بعد مضي الميعاد بساعتين فلم يأتنا منهم جواب فضرينا عليهم في يوم واحد مائة وخمسين قنطاراً من البارود وأنكم ترسلون لنا أعظم ما يكون عندكم في البنب والمدافع والبارود فشهلوا المطلوب وأرسلوه في ثاني يوم صحبة حسين الإفرنجي وتراسل الطلب خلفه ولحقوا به عدة أيام.

وفي عشرينه وصل حسن باشا الذي كان والي جرجا الى مصر العتيقة فركب ابراهيم بك للسلام عليه وحضر الطبخية الى جبهانته فأخذوها وطلعوا بها الى القلعة وكذلك الجمال أخذها الجمالة والعسكر ذهبوا الى رفقاءهم الذين بمصر وطولب بالمال واستمر بمصر العتيقة مستحفظاً به من كل ناحية.

وفي يوم السبت خامس عشرينه وقعت نادرة وهي أن محمد باشا طلب من سليم كاشف المحرمجي أن يأذن له في أن يركب الى خارج الناصرية بقصد التفسح فأرسل

سليم كاشف يستأذن ابراهيم بك في ذلك فأذن له بأن يركب ويعمل رماحة ثم يأتي إليه بقصر العيني فيتغدى عنده ثم يعود وأوصى على ذبح أغنام ويعملون له كبابًا وشواء فأركبه سليم كاشف بمماليكه وعدة من مماليك المحرمجي وصحبته ابراهيم باشا فلما ركب وخرج الى خارج الناصرية أرسل جواده ورمحه وتبعه مماليكه من خلفه فظن المماليك المصرية أنهم يعملون رماحة ومسابقة فلما غابوا عن أعينهم ساقوا خلفهم ولم يزالوا سائقين الى الأزبكية وهو شاهر سيفه وكذلك بقية الطاردين والمطرودين فدخل الى أحمد بك الأرنؤدي وضرب بعض المماليك فرسه بارودة فسقط وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بك المذكور ووصل الخبر الى سليم كاشف فركب على مثل ذلك بياقي أتباعه وهم شاهرون السيوف ورامحون الخيول واتصل الخبر بابراهيم بك فأمر الكشف بالركوب وأرسل الي البواقي بالطلوع الى القلعة وحفظ أطراف البلد فركب الجميع وتفرقوا رامحين وبأيديهم السيوف والبنادق فانزعجت الناس وترامحوا وأغلقوا الحوانيت واختلفت رواياتهم وظنوا وقوع الشقاق بين الأرنؤد والمصرية وكذلك المماليك المصرية أيقنوا ذلك وطلع الكثير منهم الى القلعة ولما دخل محمد باشا عند أحمد بك ومن معه من أكابر الأرنؤد قاموا في وجهه ووبخوه بالكلام وقبضوا عليه وعلى مماليكه وأخذوا ما وجدوه معهم من الدراهم وكان في جيب الباشا خاصة ألف وخمسمائة دينار وحضر سليم كاشف المحرمجي عند ذلك فسلموه له فأركبه الباشا اكدبشًا لأن فرسه أصيب بارودة من بعض المماليك اللاحقين به وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بك وركب معه أحمد بك أيضًا وأخذوه الى عند ابراهيم بك بقصر العيني فخلع ابراهيم بك على أحمد بك فروة سمور وقدم له حصانًا بسرجه وسكنت الفتنة ونعوذ بالله من الخذلان ومعاداة الزمان.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه وردت الأخبار ومكاتبة من البرديسي بنصرتهم على العثمانية واستيلائهم على برج رشيد بعد أن حاربوا عليه نيقًا وعشرين يومًا وأسروا السيد علي القبطان وآخرين معه وعدة كثيرة من العسكر وأرسلوهم الى جهة الشرقية ليذهبوا على ناحية الشام بعد أن قتل منهم من قتل فعند ذلك عملوا شنكًا وضربوا مدافع كثيرة وكذلك في ثاني يوم وثالث وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه كسفت الشمس وقت الضحوة وكان المنكسف تسعة أصابع وهو نحو الثلثين وأظلم الجو وابتدأه الساعة واحدة وثمان دقائق ونصف وتمام الانجلاء في ثالث ساعة وست عشرة دقيقة وكان ذلك في أيام زيادة النيل نسأل الله عفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

▲ **شهر جمادى الأولى سنة 1218** استهل بيوم الجمعة في ثانيه الموافق لخامس عشر مسرى القبطي وفي النيل سبعة عشر ذراعًا وكسر سد الخليج صباحها بحضرة ابراهيم بك قائمقام والقاضي وجرى الماء في الخليج على العادة.

وفيه وردت الأخبار بأن علي باشا كسر السد الذي ناحية أبي قير الحاجز على البحر المالح وهذا السد من قديم الزمان من السدود العظام المتينة السلطانية وتتفقد الدول على ممر الأيام بالمرمة والعمارة إذا حصل به أدنى خلل فلما اختلت الأحوال وأهمل غالب الأمور وأسباب العمارات انشرم منه شرم فسالت المياه المالحة على الأراضي والقرى التي بين رشيد وسكندرية وذلك من نحو ستة عشر عامًا فلم يتدارك أمره واستمر حاله يزيد وخرقه يتسع حتى انقطعت الطرق واستمر ذلك الى واقعة الفرنسيين فلما حضرت الانكليز والعثمانية شرموه أيضًا من الناحية البحرية لأجل قطع الطرق على الفرنسيين فسالت المياه المالحة على الأراضي الى قريب دمنهور واختلطت بخليج الأشرفية وشرقت الأراضي وخربت القرى والبلاد وتلفت المزارع وانقطعت الطرق وحول الاسكندرية من البر وامتنع وصول ماء النيل الى أهل الاسكندرية فلم يصل إليهم إلا ما يصلهم من جهة البحر في النقاير أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة فلما استقر العثمانيون بمصر حضر شخص من طرف الدولة يسمى صالح أفندي معين لخصوص السد وأحضر معه عدة مراكب بها أخشاب وآلات وبذل المهمة

والاجتهاد في سد الجسر فأقام العمل في ذلك نحو سنة ونصف حتى قارب الإتمام وفرح الناس بذلك غاية الفرح واستبشر أهل القرى والنواحي فما هو إلا وقد حصلت هذه الحوادث وحضر علي باشا إلى الثغر وخرج الأجناد المصرية وحاربوا السيد علي باشا القبطان على برج وشيد فخاخ حضورهم إلى الاسكندرية ففتحه ثانيًا ورجع التلف كما كان وذهب ما صنعه صالح أفندي المذكور في الفارغ بعدما صرف عليه أموالاً عظيمة وأما أهل سكندرية فإنهم جلوا عنها ونزل البعض في المراكب وسافر إلى أزمير وبعضهم إلى قبرص ورودرس والأضات وبعضهم أكثرى بالأيام وأقاموا بها على الثغر ولم يبق بالبلدة إلا الفقراء والعواجز والذين لا يجدون ما ينفقونه على الرحلة وهم أيضًا مستوفزون وعم بها الغلاء لعدم الوارد وإنقطاع الطرق وقيل إن علي باشا المذكور فرد عليهم مالا وقبض على ستة أنفار من أغنياء المغاربة واتهمهم أنهم كتبوا كتابًا للبرديسي يعدونه أنه إذا حضر يدلونه على جهة يملك منها البلد بمعونة عسكر المغاربة فأخذ منهم مائة وخمسين كيسًا بشفاعة القبطان الذي في البيليك بالثغر واجتهد في حفر خندق حول البلد واستعملهم في ذلك الحفر وفي عزمه أن يطلق فيه ماء البحر المالح فإن فعل ذلك حصل به ضرر عظيم فقد أخبر من له معرفة ودراية بالأمور أنه ربما خرب إقليم البحيرة بسبب ذلك واجتهدوا أيضًا في تحصين المدينة زيادة عن فعل الفرنسيين والانكليز.

وفي يوم السبت تاسعه وصل السيد علي القبطان إلى مصر وطلع إلى قصر العيني وقابل إبراهيم بك فخلع عليه فروة سمور وقدم له حصانًا معدًا وأكرمه وعظمه وأنزلوه عند علي بك أيوب وأعطوه سرية بيضاء وجارية حبشية وجاريتين سوداوين للخدمة ورتبوا له ما يليق به وهو رجل جليل من عظماء الناس وعقلائهم وأخبر القادمون البرديسي والأجناد المصريين ارتحلوا من رشيد إلى دمنهور قاصدين الذهاب إلى سكندرية وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانه ومماليك وعساكر.

وفي أرادوا عمل فردة وأشيع بين الناس ذلك فانزعجوا منه واستمر الرجاء والخوف أيامًا ثم انحط الرأي على قبض مال الجهات ورفع المظالم والتحرير من البلاد والميري عن سنة تاريخه من الملتزمين ويؤخذ من القبط ألف وأربعمائة كيس هذا مع توالي وتتابع الفرد والكلف على البلاد حتى خرب الكثير من القرى والبلاد وجلا أهلها عنها خصوصًا إقليم البحيرة فإنه خرب عن آخره ثم أن البرديسي استقر بدمنهور وبعدما أبقي برشيد مملوكه يحيى بك ومعه جملة من العساكر وكذلك بناحية البغاز وهم كانوا من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الإمداد الذي أتاه من البحر وكان ما كان وشحن البرديسي برج مغيزل بالذخيرة والجبخانه وأنزلوا برشيد عدة فرد ومغارم وفتحوا بيوت الراحلين عنها ونهبوها وأخذوا أموالهم من الشوارد والحواصل والأخشاب والأحطاب والبن والأرز وقلت الأقوات فيهم والعليق فعلقوا الدواب بشعير الأرز بل والأرز المبيض وغير ذلك مما لا تضبطه الأقلام ولا تحيط به الأوهام.

وفي منتصف هذا الشهر في أيام النسئ نقص النيل نقصًا فاحشًا وانحدر من على الأراضي فانزعج الناس وازدحموا على مشتري الغلال وزاد سعرها ثم استمر يزيد قيراطًا وينقص قيراطين إلى أيام الصليب وانكبت الخلائق على شراء الغلال ومنع الغنى من شراء ما زاد على الأردب ونصف أردب والفقير لا يأخذ الأوبية فأقل ويمنعون الكيل بعد ساعتين فتذهب الناس إلى ساحل بولاق ومصر القديمة ويرجعون من غير شيء واستمر سليم أغا مستحفظان ينزل إلى بولاق في كل يوم صار الأمراء يأخذون الغلال القادمة بمراكبها قهراً عن أصحابها ويخزنونها لأنفسهم حتى قلت الغلة وعز وجودها في العرصات والسواحل وقل الخبز من الأسواق والطوايين وداخل الناس وهم عظيم وخصوصنا مع خراب البلاد بتوالي الفرد والمغارم وعز وجود الشعير والتبن وبيعت الدواب والبهائم بالسعر الرخيص بسبب قلة العلف واجتمع بعض المشايخ وتشاوروا في الخروج إلى الاستسقاء فلم يمكنهم ذلك لفقد شروطها وذهبوا إلى إبراهيم بك وتكلموا معه في ذلك

فقال لهم وأنا أحب ذلك فقالوا له وأين الشروط التي من جملتها رفع المظالم وردها والتوبة والإقلاع عن الذنوب وغير ذلك فقال لهم هذا أمر لا يمكن ولا يتصور ولا أقدر عليه ولا أحكم إلا على نفسي فقالوا إداً نهاجر من مصر فقال وأنا معكم ثم قاموا وذهبوا.

وفي أواخره وردت الأخبار برجوع البرديسي ومن معه من العساكر وقد كان أشيع أنهم متوجهون الى الاسكندرية ثم ثنى عزمه عن ذلك لأمر الأول وجود القحط فيهم وعدم الذخيرة والعلف والثاني إلحاح العسكر بطلب جماكيهم المنكسرة وما يأخذونه من المنهوبات لا يدخل في حساب جماكيهم والثالث العجز عن أخذ الاسكندرية لوعر الطريق وانقطاع الطرق بالمياه المالحة فلو وصلوها وطال عليهم الحصار لا يجدون ما يأكلون ولا ما يشربون.

في أوائله نقص ماء النيل ووقف ماء الخليج وازدحم السقاؤون على نقل الماء الى الصحاري والأسبلة ليلاً ونهاراً من الخليج وقد تغير ماؤه بما يصب فيه من الحرارة والمراحيض ولم ينزل بالأراضي التي بين بولاق والقاهرة قطرة ماء وزاد ضجيج الناس وارتفعت الغلات من السواحل والعرضات بالكلية فكانت الفقراء من الرجال والنساء يذهبون بغلقانهم الى السواحل ويرجعون بلا شيء وهم يبكون ويولولون.

وفي سادسه وصل البرديسي ومن معه من العساكر الى بر الجيزة وخرج الأمراء وغيرهم وعدوا لملاقاتهم فلما أصبح يوم السبت عدى محمد علي والعساكر الأرئودية الى بر مصر وكذلك البرديسي فخرجت إليهم الفقراء بمقاطفهم وغلقانهم وعيطوا في وجوهم فوعدهم بخير وأصبح البرديسي مجتهداً في ذلك وأرسل محمد علي وخازن داره ففتحوا الحواصل التي ببولاق ومصر العتيقة وأخرجوا منها الغلال الى السواحل واجتمع العالم الكثير من الرجال والنساء فأذنوا لكل شخص من الفقراء بوبه غله لا غير فكان الذي يريد الشراء يذهب الى خازن دار البرديسي ويأخذ منه ورقة بعد المشقة والمزاحمة ويذهب بها فيكيلون له ويدفع ثمنها لصاحب الغلة وما رتبوه عليها فحصل للناس اطمئنان واشترى الخبازون أيضاً وفتحوا الطوايين والخابز وخبزوا وباعوا فكثر الخبز والكعك والأسواق وجعلوا سعر القمح ستة ريالات الأردب والفول خمسة ريالات وكذلك الشعير إن وجد وكان السعر لا ضابط له منهم من كان يشتريه بثمانية وتسعة وسبعة خفية ممن توجد عنده الغلة في مصر أو الأرياف فعند ذلك سكن روع الناس واطمأنت نفوسهم وشبعت عيونهم ودعوا لعثمان بك البرديسي.

وفي هذا الشهر تحقق الخبر بجلاء الوهابي عن جدة ومكة ورجوعه الى بلاده وذلك بعد أن حاصر جدة وحاربها تسعة أيام وقطع عنها الماء ثم رحل عنها وعن مكة ورجع الشريف غالب الى مكة وصحبته شريف باشا ورجع كل شيء الى حاله الأول ورد المكوس والمظالم.

وفي يوم الأحد وصل البرديسي الى بيته بالناصرة وهو بيت حسن كاشف جركس وبيت قاسم بك وقد فرشوا له ونقلوا محمد باشا من بيت جركس الى دار صغيرة بجواره وعليه الحرس.

وفي يوم الاثنين عملوا ديواناً عند ابراهيم بك فاجتمع فيه هو والبرديسي والألفي وتشاوروا في أمر جامكية العسكر فوزعوا على أنفسهم قدرًا وكذلك على باقي الأمراء والكشاف والأجناد كل منهم على قدر حاله في الإيراد والمراعاة فمنهم من وزع عليه عشرون كيسًا ومنهم عشرة وخمسة وإثنان وواحد ونصف واحد وطلبوا من جمر ك البهار قدرًا كبيرًا فعملوا على كل فرقتين مائة ريال وفتحوا الحواصل وأخرجوا منها متاع الناس وباعوه بالبخس على ذلك الحساب وأصحابه ينظرون وأخذوا ابن الحضارمة والينعاوية

بحيث وقف الفرق البن بستة ربات على صاحبه وأخذوا من ذلك الأصل ألف فرق بن وأخرجت من الحواصل وحملت.

وفي يوم السبت رابع عشره أنزلوا فردة أيضًا على أهل البلد ووزعوها على التجار وأرباب الحرف كل طائفة قدرًا من الأكياس خمسين فما دونها الى عشرة وخمسة وشت الأعوان للمطالبة فضج الناس وأغلقوا حوانيتهم وطلبوا التخفيف بالشفاعات والرشوات للوسائط والنصارى فخفف عن البعض وبعد منتصف الشهر انقلب الوضع المشروع في الغلة وانعكس الحال الى أمر شنيع وهو أنهم سعروها كل أردب بستة ربات بظاهر الحال ولا يبيع صاحب الغلة غلته إلا بإذن من القيم بعدما يأخذ منه نصف الغلة أو الثلث أو الربع على حسب ضعفه وقوته من غير ثمن وإذا أراد ذو الجاه الشراء ذهب أولًا سرًا وقدم المصلحة والهدية الى بيت القيم فعند ذلك يؤذن له في مطلوبه فيكيلون له الغلة ليلاً وصار يتأخر في حضوره الى الساحل الى قريب الظهر فيذهب الناس والفقراء فينتظرونه وإذا حضر ازدحموا عليه وتقدم أرباب المصانع والوسائط فيؤذن لهم ويؤخذ منهم عن كل أردب ربال يأخذها القيم لنفسه زيادة عن الثمن وعن الكلفة وهي نحو الخمسين فضة خلاف الأجرة ويرجع الفقراء من غير شيء وأطلقوا للمحتسب أن يأخذ في كل يوم أربعمئة أردب منها مائتان للخبازين ومائتان توضع بالعرصات داخل البلد فكان يأخذ ذلك الى داره ولا يضعون بالعرصات شيئًا ويعطي للخبازين من المائتين خمسين أردبًا أو ستين وبيع الباقي بأغراضه بما أحب من الثمن ليلاً فضج الناس وشج الخبز من الأسواق وخاطب بعض الناس الأمراء الكبار في شأن ذلك واستمر الحال على ذلك الى آخر الشهر والأمر في شدة وتسلسل العسكر والمماليك على خطف ما يصادفونه من الغلة أو التبن أو السمن فلا يقدر من يشتري شيئًا من ذلك أن يمر به ولو قل حتى يكتري واحدًا عسكريًا أو مملوكًا يحرسه حتى يوصله الى داره وإن حضرت مركب بها غلال وسمن وغنم من قبلي أو بحري أخذوها ونهبوا ما فيها جملة فكان ذلك من أعظم أسباب القحط والبلاء.

وفي عشرينه مات محمد بك الشرقاوي وهو الذي كان عوض سيده عثمان بك الشرقاوي.

شهر رجب الفرد سنة 1218 استهل بيوم الثلاثاء فيه رفعوا خازندار البرديسي من الساحل وقلدوا محمد كاشف تابع سليمان بك الآغا أمين البحرين والساحل ورفق بالأمر واستقر سعر الغلة بألف ومائتين نصف فضة الأردب فتواجدت بالرقع والساحل وقل الخطف وأما السمن فقل وجوده جدًا حتى بيع الرطل بستة وثلاثين نصفًا فيكون القنطار بأربعين ربالًا وأما التبن فصار يباع بالقدح إن وجد وفيه حضر واحد انكليزي وصحبته مملوك الألفي وبعض من الفرنسيين فعملوا لهم شنكًا ومدافع وأشيع حضور الألفي الى سكندرية ثم تبين أن هذا الانكليزي أتى بمكاتبات فلما مر على مالطة وجد ذلك المملوك وكان قد تخلف عن سيده لمرض اعتراه فحضر صحبته الى مصر فأشيع في الناس أن الألفي حضر الى الاسكندرية وأن هذا خازنداره سبقه بالحضور الى غير ذلك.

وفيه حضر أيضًا بعض الفرنسيين بمكاتبة الى القنصل بمصر وفيها الطلب بياقي الفردة الى بذمة الوجاقلية فخاطب القنصل الأمراء في ذلك فعملوا جمعية وحضر المشايخ وتكلموا في شأن ذلك ثم قالوا إن الوجاقلية الذين كانت طرفهم تلك الفردة مات بعضهم وهو يوسف باشجاويش ومصطفى كتحذا الرزاز وهم عظماء وهم ومن بقي منهم لا يملك شيئًا فلم يقبلوا هذا القول ثم اتفق الأمر على تأخير هذه القضية الى حضور الباشا ويرى رأيه في ذلك.

وحضر أيضًا صحبة أولئك الفرنسيين الخبر بموت يعقوب القبطي فطلب أخوه الاستيلاء على مخلفاته فدافعت زوجته وأرادت أخذ ذلك على مقتضى شريعة الفرنسيين فقال أخوه إنها ليست زوجته حقيقة بل هي معشوقته ولم يتزوج بها على ملة القبط ولم يعمل لها الإكليل الذي هو عبارة عن عقد النكاح فانكرت ذلك فأرسل الفرنسيين يستخبرون من قبط مصر عن حقيقة ذلك فكتبوا لهم جوابًا بأنها لم تكن زوجته على مقتضى شرعهم وملتهم ولم يعمل بينهم الإكليل فيكون الحق في تركته لأخيه لا لها.

وفيه ورد الخبر بوقوع حادثة بالاسكندرية بين عساكر العثمانية وأجناس الإفرنج المقيمين بها واختلفت الرواة في ذلك وبعد أيام وصل من أخبر بحقيقة الواقعة وهي أن علي باشا رتب عنده طائفة من عسكره على طريقة الإفرنج فكان يخرج بهم في كل يوم الى جهة المنشية ويصطفون ويعملون مرش وأردبوش ثم يعودون ذلك مع انحراف طبيعتهم عن الوضع في كل شيء فخرجوا في بعض الأيام ثم عادوا فمروا بمساكن الإفرنج ووكالة القنصل فأخرج الإفرنج رؤوسهم من الطيقان نساء ورجالًا ينظرون ركبهم ويتفرجون عليهم كما جرت به العادة فضربوا عليهم من أسفل بالبنادق فضرب الإفرنج عليهم أيضًا فلم يكن إلا أن هجموا عليهم دخلوا يحاربونهم في أماكنهم والإفرنج في قلة فخرج القناصل الستة ومن تبعهم ونزلوا الى البحر وطلعوا غليون الربالة وكتبوا كتابًا بصورة الواقعة وأرسلوه الى اسلامبول والى بلادهم وأما العسكر أتباع الباشا فإنه لما خرج الإفرنج وتركوا أماكنهم دخلوا إليها ونهبوا متاعهم وما أمكنهم وأرسل الى القناصل خورشيد باشا فصالحهم وأخذ بخواطيرهم واعتذر إليهم وضمن لهم ما أخذ منهم فرجعوا بعد علاج كبير وجمع الباشا علماء البلدة وأعيانها.

وطلب منهم كتابة عرض محضر على ما يمليه على غير صورة الحال فامتنعوا عن الكتابة إلا بصورة الواقع وكان المتصدر للرد الشيخ محمد المسيري المالكي فمقته ووبخه ومن ذلك الوقت صار يتكلم في حقه ويزدرجه إذا حضر مجلسه وسكنت على ذلك.

وفي يوم الجمعة رابعه اجتمع المشايخ وذهبوا الى ابراهيم بك وكلموه بسبب ما أخذوه من حصة الالتزام بالحلوان أيام العثمانيين ثم استولى على ذلك جماعتهم وأمروهم فطمنهم بالكلام اللين على عادته وكلموه أيضًا على خبز الجراية المرتبة لفقراء الأزهر فأطلق لهم دراهم تعطى للخباز يعمل بها خبزًا.

وفي ثامنهم كتبوا مراسلة على لسان المشايخ وأرسلوها الى علي باشا باسكندرية مضمونها طلبه لمنصبه والحضور الى مصر ليحصل الاطمئنان والسكون وتأمين الطرقات ويبطل أمر الاهتمام بالعساكر والتجاريد ولأجل الأخذ في تشهيل أمور الحج وإن تأخر عن الحضور ربما تعطل الحج في هذه السنة ويكون هو السبب في ذلك الى غير ذلك من الكلام.

وفي عاشره سافر جعفر كاشف الابراهيمى رسولاً الى أحمد باشا الجزائر بعكا لغرض باطني لم يظهر.

وفي هذه الأيام كثرت الغلال بالساحل والعرضات ووصلت مراكب كثيرة وكثر الخبز بالأسواق وفي منتصفه فتحوا طلب مال الميري ومال الجهات ورفع المظالم عن سنة تاريخه وعين لطلبها من البلاد أمراء كبار ووجهت الغربية والمنوفية لعسكر الأرنؤد فزاد على ذلك حق الطرق للمعينين للطلب والاستعجالات وتكثير المغارم والمعينين وكلفهم على من يتوانى في الدفع هذا وطلب الفردة مستمر حتى على أعيان الملتزمين ومن تأخر عن الدفع ضبطوا حصته وأخذوها وأعطاها لمن يدفع ما عليها من مياسير الممالك فربما صالح صاحبها بعد ذلك عليها واستخلصها من واضع اليد إن أمكنه ذلك.

وفي أواخره نبهوا على تعمير الدور التي أخربها الفرنسيين فشرع الناس في ذلك وفردوا كلفها على الدور والحوانيت والرباع والوكائل وأحدثوا على الشوارع السالكة دروبًا كثيرة لم تكن قبل ذلك وزاد الحال وقلد أهل الأخطاط بعضهم كما هو طبيعة أهل مصر في التقليد في كل شيء حتى عملوا في الخطة الواحدة دربين وثلاثة واهتموا لذلك اهتمامًا عظيمًا وظنوا ظنوتًا بعيدة وأنشأوا بدنات وأكتافًا من أحجار منحوتة وبوابات عظيمة ولزم لبعضها هدم حوانيت اشتروها من أصحابها وفردوا أثمانها عن أهل الخطة.

وفي أواخره أيضًا نجزت عمارة عثمان بك البرديسي في الأبراج والبوابات التي أنشأها بالناصرية فإنه أنشأ بوابتين عظيمتين بالرحبة المستطيلة خارج بيته الذي هو بيت حسن كاشف جركس إحدهما عند قناطر السباع والأخرى عند المزار المعروف بكعب الأحبار وبنى حولهما أبراجًا عظيمة وبها طيقان وبداخلها مدافع أفواهاها بارزة تضرب إلى خارج ونقل إليها مدافع الباشا التي كانت بالأزبكية فسبحان مقلب الأحوال.

وفيه نزل إبراهيم بك والبرديسي وحسين بك اليهودي إلى بولاق وأخذوا ما وجدوه بساحل الغلة وأرسلوه إلى بحري فارتج الناس من ذلك وعزت الغلال وزاد سعرها بعد الانحلال.

شهر شعبان سنة 1218 أوله يوم الأربعاء وفيه وصل كاتب ديوان علي باشا الذي يقال له ديوان أفندي وعلى يديه مكاتبه وهي صورة خط شريف وصل من الدولة مضمونه الرضا عن الأمراء المصرية بشفاعة صاحب الدولة الصدر الأعظم يوسف باشا وشفاعة علي باشا والي مصر وأن يقيموا بأرض مصر ولكل أمير فائظ خمسة عشر كيسًا لا غير وحلوان المحلول ثمان سنوات وأن الأوسبة والمضاف والبراني يضم إلى الميري وأن الكلام في الميري والأحكام والثغور إلى الباشا والروزنامجي الذي يأتي صحبة الباشا والجمارك والمقاطعات على النظام الجديد للدفتردار الذي يحضر أيضًا فلما قرئ ذلك بحضرة الجمع من الأمراء والمشايخ أظهروا البشر وضربوا مدافع ثم اتفق الرأي على إرسال جواب ذلك الفرمان فكتبوا جوابًا مضمونه مختصرًا أنه وصل إلينا صورة الخط الشريف وحصل لنا بوروده السرور بالعفو والرضا وتمام السرور حضوركم لتتظم الأحوال وأعظمها تشهيل الحج الشريف وأرسلوه ليلة الاثنين ثانية صحبة رضوان كتحدا إبراهيم بك ومحمود باشجاويش الانكشارية وصحبتهم من الفقهاء السيد محم ابن الدواخلي من طرف الشيخ الشرقاوي.

وفي هذه الأيام كثر عيث العسكر وعربتهم في الناس فخطفوا عمائن وثيابًا وقبضوا على بعض أفراد وأخذوا ثيابهم وما في جيوبهم من الدراهم.

وفيه وصل قاضي عسكر مصر وكان معوقًا بالاسكندرية من جملة المحجوز عليهم.

وفي يوم الجمعة عاشره وقف جماعة من العسكر في خط الجامع الأزهر في طلوع النهار وشلحوا عدة أناس وأخذوا ثيابهم وعمائمهم فانزعج الناس ووقعت فيهم كرشة وصلت إلى بولاق ومصر العتيقة وأغلقت الدكاكين واجتمع الناس وذهبوا إلى الشيخ الشرقاوي والسيد عمر النقيب والشيخ الأمير فركبوا إلى الأمراء وعملوا جمعية وأحضروا كبار العساكر وتكلموا معهم ثم ركب الآغا والوالي وأمامه عدة كبيرة من عسكر الأرنؤد وخلافهم والمنادي ينادي بالآمن والأمان للرعية وإن وقع من العسكر والمماليك خطف شيء يضربوه وإن لم يقدروا عليه فليأخذوه إلى حاكمه ومثل هذا الكلام الفارغ وبعد مرور الحكام بالمناداة خطفوا عمائم ونساء.

وفي ليلة الأربعاء ثامنه حضر الوالي إلى قصر الشوك ونزل عند رجل من تجار خان الخليلي يسمى عثمان كجك فتعشى عنده ثم قبض عليه وختم على بيته وأخذ صحبته وخنقه تلك الليلة ورماه في بئر فاستمر بها أيامًا حتى انتفخ فأخرجوه وأخذته زوجته

فدفتته وسببه أنه كان يجتمع بالعثمانيين ويغريهم بنساء الأمراء وأن بعضهم اشترى منه أواني نحاسًا ولم يدفع له الثمن فطالب حريمه أيام محمد باشا فلم تدفع له فعين عليها جماعة من عسكر محمد باشا ودخل بها إلى دارها وطالبها فقالت ليس عندي شيء فطلع إلى داخل الحريم وصحبته العسكر ودخل إلى المطبخ وأخذ قدور الطعام من فوق الكوانين وقلب ما فيها من الطعام وأخذها وخرج.

وفي يوم الأحد ثاني عشره نبه القاضي الجديد على أن نصف شعبان ليلة الثلاثاء وأخبر أن أتباعه شاهدوا الهلال ليلة الثلاثاء وهم عند البغاز على أن الهلال كان ليلة الأربعاء عسر الرؤية جدًا فكان هذا أول أحكامه الفاسدة.

وفي يوم الأربعاء أشيع أن الأمراء في صباحها قاصدون عمل ديوان بيت ابراهيم بك ليلبسوا ستة من الكشاف ويقلدوهم صناجق عوضًا عن هلك منهم وهم سليمان كاشف مملوك ابراهيم بك الوالي الذي تزوج عديلة بنت ابراهيم بك الكبير عوضًا عن سيده وعبد الرحمن كاشف مملوك ابراهيم عثمان بك المرادي الذي قتل بأبي قير الذي تزوج امرأه سيده أيضًا وعمر كاشف مملوك عثمان بك الأشقر الذي تزوج امرأة سيده أيضًا ومحمد كاشف مملوك المنفوخ ورستم كاشف مملوك عثمان بك الشرقاوي ومحمد كاشف مملوك سليمان بك الآغا وتزوج ابنته أيضًا فلما وقع الاتفاق على ذلك تجمع الكشاف الكبار ومماليك مراد بك وآخرون من طبقتهم وخرجوا غضابًا نواحي الآثار ثم اصطلحوا على تلبيس خمسة عشر صنجقًا.

فلما كان يوم الأحد تاسع عشره عملوا ديوانًا بالقلعة وألبسوا فيه خمسة عشر صنجقًا.

وهم أربعة من طرف ابراهيم بك الكبير وهم صهراة سليمان زوج عديلة هاشم ابنة الأمير ابراهيم بك الكبير عوضًا عن سيده واسماعيل كاشف مملوك رشوان بك الذي تزوج بزوجة سيده زينب هانم ابنة الأمير ابراهيم بك أيضًا ومحمد كاشف الغربية وعمر تابع عثمان كاشف الأشقر الذي تزوج بامرأته و خليل آغا كتحدا ابراهيم بك ومن طرف البرديسي حسين آغا الوالي وسليمان خازندار مراد بك وشاهين كاشف مراد ومحمد تابع محمد بك المنفوخ المرادي ورستم تابع عثمان الشرقاوي وعبد الرحمن كاشف تابع عثمان الطنبرجي الذي تزوج بامرأته ومن طرف الألفي عثمان آغا الخازندار وحسين كاشف المعروف بالوشاش وصالح كاشف وعباس كاشف تابع سليمان بك الآغا ولبسوا حسن آغا مراد واليًا عوضًا عن حسين المذكور وفيه ورد بوصول طائفة من الانكليز إلى القصير وهم يزيدون على الألفين.

وفي عشرينه حضر مكتوب من رضوان كتحدا ابراهيم بك من اسكندرية يخبر فيه أنه وصل إلى اسكندرية وقابل الباشا ووعد بالحضور إلى مصر وأنه يأمر بتشهيل أدوات الحج ولوازمه وأطلق أربعة وأربعين نقيرة حضرت إلى رشيد ببضائع للتجار.

وفيه حضر جعفر كاشف الابراهيمى من الديار الشامية وقد قابل أحمد باشا الجزائر وأكرمه ورجع بجواب الرسالة وسافر ثانيًا بعد أيام.

وفيه قلدوا سليمان بك الخازندار ولاية جرجا وخرج بعسكره إلى مصر القديمة وجلس هناك بقصر المحرمجي فاتفق أن جماعة من عسكره الأتراك الذين انضموا إليهم من العثمانية تشاجروا مع العساكر البحرية جماعة حسين بك اليهودي بسبب امرأة رقاصة في قهوة فقتل من الأتراك ثلاثة ومن البحرية أربعة وانجرح منهم كذلك جماعة فحنق حسين بك وتترس بالمقياس وبالمراكب ووجه المدافع إلى القصر وضرب بها عليه وكان سليمان بك غائبًا عن القصر فدخلت جلة داخل القصر من الشباك بين جماعة من الأمراء كانوا جالسين هناك ينتظرون رب المكان ففرعوا وخرجوا من المجلس وبلغ سليمان بك

الخبر فذهب الى البرديسي وأعلمه فأرسل البرديسي يطلب حسين بك فامتنع من الحضور والتجأ الى الألفي فأرسل البرديسي خبرًا الى الألفي بعزل حسين بك عن قبطانية البحر وتولية خلافه فلم يرض الألفي بعزله وقال لا يذهب ولا يعزل وترددت بينهم الرسل وكادت تكون فتنة ثم انحط الأمر على أن حسين بك يطلع الى القلعة يقيم بها يومين أو ثلاثة تطبييًا لخاطر سليمان بك وإخمادًا للفتنة فكان كذلك واستمر على ما هو عليه.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه ألبس ابراهيم بك عثمان كاشف تابع علي آغا كتحدا جاويشان واستقروا به كتحدا جاويشان عوضًا عن سيده وكان شاعرًا من مدة حلول الفرنساوية. وفي

يوم الثلاثاء ثامن عشرينه

ركب حسن بك أخو طاهر باشا في عدة وافرة وحضر الى بيت عثمان بك البرديسي بعد العصر على حين غفلة وكان عند الحريم فانزعج من ذلك ولم يكن عنده في تلك الساعة إلا أناس قليلة فأرسل الى مماليكه فلبسوا أسلحتهم وأرسلوا الى الأمراء والكشاف والأجناد بالحضور وتوانى في النزول حتى اجتمع الكثير منهم وصعد بعض الأمراء الى القلعة وحصل بعض قلقه ثم نزل الى التنه وأذن لأخي طاهر باشا بالدخول إليه في قلة من أتباعه وسأله عن سبب حضوره على هذه الصورة فقال نطلب العلوفة ووقع بينهما بعض كلام وقام وركب ولم يتمكن من غرضه وأرسل البرديسي الى محمد علي فحضر إليه وفأوضه في وفي تلك الليلة نادوا بعمل الرؤية فاجتمع المشايخ عند القاضي وكلموه في ذلك فرجع عما كان عزم عليه ونادوا بها ليلة الخميس فعملت الرؤية تلك الليلة وركب المحتسب بموكبه على العادة الى بيت القاضي فلم يثبت الهلال تلك الليلة ونودي بأنه من شعبان وأصبح الناس مفطرين فلما كان في صبحها حضر بعض المغاربة وشهدوا برؤيته فنودي بالإمساك وقت الضحى وترقب الناس الهلال ليلة الجمعة فلم يره إلا القليل من الناس بغاية العمر وهو في غاية الدقة والخفاء.

شهر رمضان المعظم سنة 1218 استهل بيوم الجمعة في ثانيه قرروا فردة على البلاد برسم نفقة العسكر أعلى وأوسط وأدنى ستين ألفًا وعشرين ألفًا وعشرة مع ما الناس فيه من الشراقي والغلاء والكلف والتعاين وعيت العسكر وخصوصًا بالأرياف.

وفيه نزلت الكشاف الى الأقاليم وسافر سليمان بك الخازندار الى جرجا واليًا على الصعيد وصالح بك الألفي الى الشرقية.

وفي ثامنه وصل الى ساحل بولاق عدة مراكب بها بضائع رومية وبميش وهي التي كان أطلقها الباشا وفيها حجاج وقرمان.

وفيه حضر ساع من اسكندرية وعلى يده مكتوب من رضوان كتحدا ومن بصحبته يخبرون بأن الباشا كان وعدهم بالسفر يوم الاثنين وبرز خيامه وخازنداره الى خارج البلد فورد عليه مكاتبة من أمراء مصر يأمرونه بأن يحضر من طريق البر على دمنهور ولا يذهب الى رشيد فانحرف مزاجه م ذلك وأحضر الرسل الذين هم رضوان كتحدا ومن معه وأطلعهم على المكاتبة وقال لهم كيف تقولون إنني حاكمكم وواليكم ثم يرسلون يتحكمون على أني لا أذهب الى مصر على هذا الوجه فأرسلوا بخبر ذلك.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره غيمت السماء غيمًا مطبقًا وأمطرت مطرًا متتابعًا من آخر ليلة الأربعاء الى سادس ساعة من ليلة الخميس وسقط بسببها عدة أماكن قديمة في عدة جهات وبعضها على سكانها وماتوا تحت الردم وزاد منها بحر النيل وتغير لونه حتى

صار لونه أصفر مما سال فيه من جيل الطفل وبقي على ذلك التغير أيامًا إلا أنه حصل بها النفع في الأراضي والمزارع.

وفي منتصفه ورد الخبر بخروج الباشا من الاسكندرية وتوجهه الى الحضور الى مصر على طريق البر وشرعوا في عمل المراكب التي تسمى بالعقبة لخصوص ركوب الباشا وهي عبارة عن موكب كبير قشاشي يأخذونها من أربابها قهراً وينقشونها بأنواع الأصباغ والزينة والألوان ويركبون عليها مقعدًا مصنوعًا من الخشب المصنع وله شبابيك وطيقان من الخرط وعليه بيارق ملونة وشراريب مزينة وهو مصفح بالنحاس الأصفر ومزين بأنواع الزينة والستائر والمتكفل بذلك أغات الرسالة فلما خرج الباشا من الاسكندرية أرسل محمود جاويش والسيد محمد الدواخلي الى يحيى بك يقولان له إن حضرة الباشا يريد الحضور الى رشيد في قلة وأما العساكر فلا يدخل أحد منهم الى البلد بل يتركهم خارجها فلما وصلوا الى يحيى بك وأرادوا يقولون له ذلك وجدوه جالسًا مع عمر بك كبير الأرنؤد الذي عنده وهم يقرؤون جوابًا أرسله الباشا الى عمر بك المذكور يطلبه لمساعدته والخروج معه أمسكه بعض أتباع يحيى بك مع الساعي فلما سمعوا ذلك قالوا لبعضهم أي شيء هذا وتركوا ما معهم من الكلام وحضروا الى حصر صحبة رضوان كتخدا.

وفي يوم الجمعة سادس عشره ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها لورود الخبر بموت حسين قبطان باشا وتولية خلفه.

وفي عشرينه أشيع سفر الألفي لملاقاة الباشا وصحبته أربعة من الصناجق وأبرز الخيام من الجيزة من جهة انبابة وأخذوا في تشهيل ذخيرة وبقسماط وجبخانه وغير ذلك.

وفي رابع عشرينه عدى الألفي ومن معه الى البر الشرقي وأشيع تعدية الباشا الى بر المنوفية فلما عدوا الى البر الشرقي انتقلوا بعرضهم وخيامهم الى جهة شبرا وشرعوا في عمل مخابر العيش في شلقان.

وفيه حضر واحد بيان آغا يسمى صالح أفندي وعلى يده فرمان فأنزلوه ببیت رضوان كتخدا ابراهيم بك ولا يجتمع به أحد.

وفي غايته وصل الباشا الى ناحية منوف وفردوا له فردًا على البلاد وأكلوا الزروعات وما أنبتته الأرض وانقضى هذا الشهر وما حصل به من عريضة الأرنؤد وخطفهم عمائم الناس وخصوصًا بالليل حتى كان الإنسان إذا مشى يربط عمامته خوفًا عليها وإذا تمكنوا من أحد شلحوا ثيابه وأخذوا ما معه من الدراهم ويطرصدون لمن يذهب الى الأسواق مثل سوق انبابة في يوم السبت لشراء الجبن والزبد والأغنام والأبقار فيأخذون ما معهم من الدراهم ثم يذهبون الى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون من ذلك للبيع فامتنع الفلاحون عن ذلك إلا في الناد خفية وقل وجوده وغلا السمن حتى وصل الى ثلثمائة وخمسين نصف فضة العشرة أرطال قباني وأما التبن فصار أعز من التبر وبيع قنطاره بألف نصف فضة إن وجد وعز وجود الحطب الرومي حتى بلغ سعر الحملة ثلثمائة فضة وكذا غلا سعر باقي الأحطاب وباقي الأمور المعدة للوقود مثل البقمة وجلة البهائم وحطب الذرة ووقفت الأرنؤد لخطف ذلك من الفلاحين فكانوا يأتون بذلك في آخر الليل وقت الغفلة وبييعونه بأعلى الأثمان وعلم الأرنؤد ذلك فرصدوهم وخطفوهم ووقع منهم القتل في كثير من الناس حتى في بعضهم البعض وغالبهم لم يصم رمضان ولم يعرف لهم دين يتدينون به ولا مذهب ولا طريقة يمشون عليها إباحية أسهل ما عليهم قتل النفس وأخذ مال الغير وعدم الطاعة لكبيرهم وأميرهم وهم أخبث منهم فقطع الله دابر الجميع وأما ما فعله كشاف الأقاليم في القرى القبلية والبحرية من المظالم والمغارم وأنواع الفرد والتساويف فشيء لا تدركه الأفهام ولا تحيط به الأقلام وخصوصًا سليمان كاشف البواب بالمنوفية فنسأل الله العفو والعافية وحسن العاقبة في الدين والدنيا والآخرة.

استهل شهر شوال بيوم السبت 1218 وفي ثانيه سبع رجلاً تاجراً من وكالة التفاح ثلاثة من العسكر فهرب منهم الى حمام الطنبدي فدخلوا خلفه وقتلوه داخل الحمام وأخذوا ما في جيبه من الدراهم وغيرها وذهبوا وحضر أهله وأخذوه في تابوت ودفنوه ولم ينتطح فيه شاتان وقتل في ذلك اليوم أيضاً رجل عند حمام القيصرلي وغير ذلك.

وفيه وصل الباشا الى ناحية شلقان وصحبته عساكر كثيرة انكشارية وغيرهم وأكثرهم من الذين خرجوا مطرودين من مصر وصحبته نحو ستين مركباً في البحر بها أثقاله ومتاعه وعساكر أيضاً.

وفيه ركب الألفي والأمراء ما عدا ابراهيم بك والبرديسي فإنهما لم يخرجاً من بيوتهما وذهبوا الى مخيمهم بشبرا وخرج أيضاً محمد علي وأحمد بك وأتباعهم وأبقوا عند بيوتهم طوائف منهم.

وفيه وقعت مشاجرة بين الأرندية جهة بيوت سوارى العسكر بسبب امرأة قتل فيها نحو خمسة أنفار بالأزبكية.

وفي ثالثه أوقفوا على أبواب المدينة جماعة من العسكر بأسلحتهم فانزعج الناس وإرتاعوا من ذلك وأغلقوا الدروب واليوابات ونقلوا أمتعتهم وبضائعهم من الدكاكين وأكثروا من اللغط وصار العسكر الواقفون بالأبواب يأخذون من الداخل والخارج دراهم ويفتشون جيوبهم ويقولون لهم معكم أوراق فيأخذون بحجة ذلك ما في جيوبهم.

وفي رابعه غيروا العسكر بأجناد من الغز المصرية فجلس على كل باب كاشف ومعه جماعة من العسكر فكان الكاشف الذي على باب الفتوح يأخذ ممن يمر به دراهم فإن بزي الفلاح بأن كان لابس جبة صوف أو زعبوط أخذ منه ما في جيبه أو عشرة أنصاف إن كان فقيراً وإن كان من أولاد البلد ومجمل الصورة أو لابس جوخة ولو قديمة طالبه بألف نصف فضة أو حبسه حتى يسعى عليه أهله ويدفعوها عنه ويطلقه وسدوا باب الوزير وباب المحروق وقفلوا باب البرقية المعروف بالغريب بعد أن كانوا عزموا على سده بالبناء ثم تركوه بسبب خروج الأموات.

وفيه نودي بوقود القناديل ليلاً على البيوت والوكائل وكل ثلاثة دكاكين قنديل وفي صباحها خامسه شق الوالي وسمر عدة حوانيت بسبب القناديل وشدد في ذلك.

وفيه انتقل الألفي ومن معه من الأمراء الى ناحية شلقان ونصبوا خيامهم قبال عرضي الباشا فحضر إليه بعض أتباع الباشا وكلموه عن نزوله في ذلك المكان ونصب الخيام في داخل الخيام ودوسهم لهم فقال لهم هذه منزلتنا ومحطتنا فلم يسع الباشا وأتباعه إلا قلعهم الخيام والتأخر فهذه كانت أول حقارة فعلها المصرية في العثمانية ونصب محمد علي وأحمد بك وعساكرهم جهة البحر ثم أن خدم الألفي أخذوا جمالاً ليحملوا عليها البرسيم فنزلوا بها الى بعض الغيطان فحضر أميرأخور الباشا بالجمال لأخذ البرسيم أيضاً فوجدوا جمال الألفي وأتباعه فنهروهم وطردوهم فرجعوا الى سيدهم وأخبروه فأمر بعض كشافه بالركوب إليهم فركب رامحاً الى الغيط وأحضر أميرأخور الباشا وقطع رأسه قباله صيوان الباشا ورجع الى سيده بالجمال ورأس أميرأخور فذهب أتباع الباشا وأخبروه بقتل أميرأخور وأخذ الجمال فحنق وأحضر رضوان كتحدا ابراهيم بك وتكلم معه ومن جملة كلامه أنا فعلت معكم ما فعلت وصالحت عليكم الدولة ولم تزل تضحك على ذقني وأنا أطاوعك وأصدق تمويهاتك الى أن سرت الى ههنا فأخذتم تفعلون معي هذه الفعال وتقتلون أتباعي وترذلوني وتأخذون حملتي وجمالي فلاطفه رضوان كتحدا في الجواب واعتذر إليه وقال له هؤلاء صغار العقول ولا يتدبرون في الأمور وحضرة أفندي شأنه العفو والمسامحة ثم خرج من بين يديه وأرسل الى أتباع الألفي فأحضر منهم الجمال

وردها الى وطاق الباشا وحضر إليه عثمان بك يوسف المعروف بالخازندار وأحمد آغا شوبكار فقابلاه وأخذا بخاطره ولم يخرج إليه أحد من الأمراء سواهما.

وفي خامسه نادوا بخروج العساكر الأرنؤدية الى العرضي وكل من بقي منهم ولم يكن معه ورقة من كبيره قدمه هدر وصار الوالي بعد ذلك كلما صادف شخصًا عسكريًا من غير ورقة قبض عليه وغيبه واستمر يفتش عليهم ويتجسس على أماكنهم ليلاً ونهارًا ويقبض على من يجده متخلفًا والقصد من ذلك تمييز الأرنؤدية من غيرهم المتدخلين فيهم وكذلك من مر على المتقيدين بأبواب المدينة وذلك باتفاق بين المصرية والأرنؤدية لأجل تميزه من بعضهم وخروج غيرهم.

وفيه أطلعوا السيد على القبطان أبا علي باشا الى القلعة وفي سادسه خرج البرديسي الى جهة شلقان ولم يخرج ابراهيم بك ولم ينتقل من بيته فنصب خيامه على موازاة خيام الألفي وباقي الأمراء كذلك الى الجبل والأرنؤدية جهة البحر وقد كان الباشا أرسل الى محمد علي وكبار الأرنؤدية وغيرهم من قبائل العربان ومشايخ البلاد المشهورين مكاتبات قبل خروجه من الاسكندرية يستميلهم إليه وبعدهم ويمنيهم إن قاموا بنصرته ويحذرهم وبخوفهم إن استمروا على الخلاف وموافقة العصاة المتغلبين فنقل الأرنؤدية ذلك الى المصرية وأطلعوهم على المكاتبات سرًا فيما بينهم واتفقوا على رد جواب المراسلة من الأرنؤدية بالموافقة على القيام معه إذا حضر الى مصر وخرج الأمراء لملاقاته والسلام عليه فيكون هو وعساكره من أمامهم والأرنؤدية المصرية من خلفهم فيأخذونهم بواسطة فيستأصلونهم والموعود بشلقان.

وسهلوا له أمر الأمراء المصرية وأنهم في قلة لا يبلغون ألفا ولول بلغوا ذلك فمن المنضمين إليهم من خلاف قبيلتهم وهم أيضًا معنا في الباطن ودبروا له تدبيرًا ومناصحات تروج على الأباليس منها أن يختار من عسكره قدر كذا من الموصوفين بالشجاعة والمعرفة بالسباحة والقتال في البحر ويجعلهم في السفن قبالة في البحر وأن يعدوا بالعساكر البرية الى البر الشرقي من مكان كذا ويجعل الخيالة والرجالة معه على صفة ذكروها له ولما وصل الى الرحمانية أرسل لها الأرنؤد مكاتبة سرًا بأن يعدي الى البر الشرقي ويبنوا له صواب ذلك.

وهو يعتقد نصحتهم فعدي الى البر الشرقي فلما حضر الى شلقان رتب عساكره وجعلهم طوابير وجعل كل بيناباشا في طابور وعملوا متاريس ونصبوا المدافع وأوقفوا المراكب بما فيها من العساكر والمدافع بالبحر على موازاة العرضي فخرج الألفي كما ذكر بمن معه من الأمراء المصرية والعساكر الأرنؤدية وأرسل الى الباشا بالانتقال والتأخر فلم يجد بدءًا من ذلك فتأخر الى زفينة ونزل ونصب هناك وطاقه ومتاريسه وفي وقت تلك الحركة تسلل حسين بك الإفرنج ومن معه من العساكر بالغلايين والمراكب واستعلوا على مراكب الباشا واحتاطوا بها وضربوا عليهم بالبنادق والمدافع وساقوهم الى جهة مصر وأخذوهم أسرى وذهبوا بهم الى الجيزة بعدما قتلوا من كان فيهم من العساكر المحاربين وكبيرهم يسمى مصطفى باشا أخذوه أسيرًا أيضًا وكان بالمراكب أناس كثيرة من التجار وصحتهم بضائع وأسباب رومية كان الباشا عوقهم بسكندرية فنزلوا في المراكب ليصلوا ببضائعهم وطمعًا في عدم دفعهم الجمر في فوقعوا أيضًا في الشرك وارتكبوا فيمن ارتبك ولما تأخر الباشا عن منزلته واستقر بأراضي زفينة أحاطت به المصريون والعربان وتحلقوا حوله ووقفوا لعرضه بالرصد فكل من خرج عن الدائرة خطفوه ومن الحياة أعدموه وأرسل إليه الألفي علي كاشف الكبير فقال له حضرة ولدكم الألفي يسلم عليكم ويسأل عن هذه العساكر المصحوبين بركابكم وما الموجب لكثرتها وهذه هيئة النابذين لا مسالمين والعادة القديمة أن الولاة لا يأتون إلا بأتباعهم وخدمهم المختصين بخدمتهم وقد ذكروا لكم ذلك وأنتم بسكندرية فقال: نعم وإنما هذه العساكر

متوجهة الى الحجاز تقوية لشريف باشا على الخارجي وعندما نستقر بالقلعة نعطيهم جماكيهم ونشلهم ونرسلهم فقال: إهم أعدوا لكم قصر العيني تقيمون به فإن القلعة خربها الفرنسيين وغيروا أوضاعها فلا تصلح لسكنائكم كما لا يخفاكم ذلك وأما العسكر فلا يدخلون معكم بل ينفصلون عنكم ويذهبون الى بركة الحاج فيمكثون هناك حتى نشهل لهم احتياجاتهم ونرسلهم ولسنا نقول ذلك خوفاً منهم وإنما البلدة في قحط وغلاء والعساكر العثمانية منحرفوا الطباع ولا يستقيم حالهم مع الأرندية ويقع بينهم ما يوجب الفشل والتعب لنا ولكم.

وفي ليلة الجمعة رابع عشره حصل خسوف للقمر جزئي بعد رابع ساعة من الليل ومقدار المنخسف أربع أصابع وثلاث وانجلى في سابع ساعة إلا شيئاً يسيراً.

وفي ذلك اليوم أرسل البرديسي الى شيخ السادات تذكرة صحة واحد كاشف من أتباعه يطلب عشرين ألف ريال سلفة فلافه وردة بلطف فرجع الى مخدومه وأبقى بيت الشيخ جماعة من العسكر فوبخه على الرجوع من غير قضاء حاجة وأمره بالعود ثانياً فعاد إليه في خامس ساعة من الليل وصحبته جماعة أخرى من العسكر فأزعجوا أهل البيت وأرسلت عديلة هانم ابنة ابراهيم بك الى المعينين تأمرهم أن لا يعملوا قلة أدب وأرسلت الى أبيها لأن منزلها بجواره فاهتم لذلك وأرسل خليل بك الى البرديسي فكفه عن ذلك بعد علاج وسعي ورفع المعينين.

وفي ليلة الخميس عشرينه وصلت أخبار ومكاتبات من الأمراء الذين ذهبوا بصحبة الباشا يخبرون فيها بموت الباشا بالقرين فضربوا مدافع كثيرة بعد العشاء ونصف الليل ومضمون ما ذكروه في المراسلة أن الباشا أراد أن يكسبهم بمن معه ليلاً وكان معهم سائس يعرف بالتركي فحضر إليهم وأخبرهم فتحذروا منهم فلما كبسوههم وقعت بينهم محاربة وقتل منهم عدة من المماليك وخازندار محمد بك المنفوخ وانجرح المنفوخ أيضاً جرحاً بليغاً وأصيب الباشا وصاحبه من غير قصد والليل ليس له صاحب فقضى عليه وكان ذلك مقدوراً وفي الكتاب مسطوراً وأنكم ترسلوا لنا أماتاً بالحضور الى مصر ولا ذهبنا الى الصعيد هذا ما قالوه والواقع أنهم لما سافروا معه كان بصحبته خمسة وأربعون نفساً لا غير والعساكر التي كانت سافرت قبله نجعت الى الصالحية أو ذهبت حيث شاء الله وكان أمامه عسكر المغاربة وخلفه الأمراء المصرية فلما وصلوا الى أراضي القرين ونزلوا هناك عمل المغاربة مع الخدم مشاجرة وجسموها الى أن تضاربوا بالسلاح فقامت الأجناد المصرية من خلفهم فصار الباشا ومن معه في الوسط والتحموا عليهم بالقتال ففر من أتباعه أربعة عشر نفساً الى الوادي وثلاثة عشر رموا بأنفسهم في ساقية قريبة منهم من حلة الروح وضرب الباشا بعض المماليك منهم بقرايينة فأصابته وقتل معه ابن أخته حسن بك وكتخداه وباقي الثمانية عشر.

فلما سقط الباشا وبه رمق رأى أحد الأميرين فقال له: في عرضك يا فلان إن معي كفتاً داخل الخرج فكفني فيه وادفني ولا تتركني مرمياً فلما انقضى ذلك أعطى ذلك الأمير لبعض العرب دنائير وأعطاه الكفن الذي أوصاه عليه وقال له: اذهب الى مقتلهم وخذ الباشا فكفنه وادفنه في تربة ففعل كما أمره وحفروا لباقهم حفراً ووارهم فيها وانقضى أمرهم هذا أخبار بعض تلك البلاد المشاهدين للواقعة وكل ذلك وبال فعله وسوء سريرته وخبت ضميره فلقد بلغنا أنه قال لعسكره: إن بلغت مرادي من الأمراء المصريين وظفرت بهم وبالأرندة أبحث لكم المدينة والرعي ثلاثة أيام تفعلون بها ما شئتم والدليل على ذلك ما فعله بالاسكندرية مدة إقامته بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في أموالهم وبضائعهم وتسلبت عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق وترذيله لأهل العلم وإهانتهم لهم حتى أنه كان يسمى الشيخ محمد المسيري الذي هو أجل مذكور في الثغر بالمزور وإذا دخل عليه مع أمثاله وكان جالساً اتكأ ومد رجله قصداً لإهانتهم.

كان أصله من الجزائر مملوك محمد باشا حاكم الجزائر فلما مات محمد باشا وتولى مكانه صهره أرسله بمراسلة الى حسين قبطان باشا وكان أخوه المعروف بالسيد علي مملوكًا للدولة ومذكورًا عند قبطان باشا ومتولي الريالة فنوه بذكره فقلده قبطان باشا ولاية طرابلس وأعطاه فرمانات ويرق فذهب إليها وجيش له جيوشًا ومراكب وأغار على متوليها وهو أخو حمودة باشا صاحب تونس وحاربه عدة شهور حتى ملكها بمخامرة أهلها لعلمهم أنه متوليها من طرف الدولة وهرب أخو حمودة باشا عند أخيه بتونس فلما استولى علي باشا المذكور على طرابلس أباحها لعسكره ففعلوا بها أشنع وأقبح من التمرلكنية من النهب وهتك النساء والفسق والفجور وسبه حريم متوليها وأخذهن أسرى وفضحهن بين عسكره ثم طالبهم بالأموال وأخذ أموال التجار وفرد على أهل البلد وأخذ أموالهم ثم أن المنفصل حشد وجمع جموعًا ورجع الى طرابلس وحاصره أشد المحاصرة وقام معه المغرضون له من أهل البلدة والمقروضون من علي باشا فلما رأى الغلبة على نفسه نزل الى المراكب بما جمعه من الأموال والذخائر وأخذ معه غلامين جميلين من أولاد الأعيان شبه الرهائن وهرب الى اسكندرية وحضر الى مصر والتجأ الى مراد بك فأكرمه وأنزله منزلًا حسنًا عنده بالجيزة وصار خصيصًا به وسبب مجيئه الى مصر ولم يرجع الى القبطان علمه أنه صار ممقوتًا في الدولة لأن من قواعد الدولة العثمانية أنهم إذا أمروا أميرًا في الولاية ولم يفلح مقتوه وسلبوه وربما قتلوه وخصوصًا إذا كان ذا مال ثم حج المترجم في سنة سبع ومائتين وألف من القلزم وأودع ذخائره عند رشوان كاشف المعروف بكاشف الفيوم لقراية بينهما من بلادهما ولما كان بالحجاز ووصل الحجاج الطرابلسية ورأوه وصحبته الغلامان ذهبوا الى أمير الحاج الشامي وعرفوه عنه وعن الغلامين وأنه يفعل بهما الفاحشة فأرسل معهم جماعة من أتباعه في حصة مهمة وكبسوا عليه على حين غفلة فوجدوه راقدًا ومعه أحد الغلامين فسبه الطرابلسية ولعنوه وقطعوا لحيته وضربوه بالسلاح وجرحوه جرحًا بالغًا وأهانوه وأخذوا منه الغلامين وكادوا يقتلونه لولا جماعة من جماعة أمير الحاج ثم رجع الى مصر من البحر أيضًا وأقام في منزلته عند مراد بك زيادة عن ست سنوات الى أن حضر الفرنسيين الى الديار المصرية فقاتل مع الأمراء وتغرب معهم في قبلي وغيره ثم انفصل معهم وذهب الى خلف الجبل وسار الى الشام فأرسله الوزير يوسف باشا بعد الكسرة بمكاتبات الى الدولة فلم يزل حتى وقعت هذه الحوادث وقامت العسكر على محمد باشا وأخرجوه ووصل الخبر الى اسلامبول فطلب ولاية مصر على علي ظن بقاء حبل الدولة العثمانية وأوامرها بمصر وليس بها إلا طاهر باشا والأرنؤد وجعل على نفسه قدرًا عظيمًا من المال ووصل الى الاسكندرية وبلغه انعكاس الأمر وموت طاهر باشا وطرد الينكجربة وانضمام طائفة الأرنؤد للمصرية وتمكنهم من البلدة فأراد أن يدبر أمرًا ويصطاد العقاب بالغراب فيجوز بذلك سلطنة مجددة ومنقبة مؤيدة فلم تنفعه التدابير ولم تسعفه المقادير فكان كالباحث على حتفه بظلفه الجادع بيده مارن أنفه ولم يعلم أنها القاهرة كما قهرت جابرة وكادت فراغته.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتहाده وكان صفته أبيض اللون عظيم اللحية والشوارب أشقرهما قليل الكلام بالعربي يحب اللهو والخلاعة.

ولما انقضى أمره وأرسل سليمان بك ومحمد بك مكاتبات الى شاهين بك ونظرائه بما ذكروا أن يأخذوا لهم أمانًا من ابراهيم بك البرديسي فكتبوا لهم أمانًا بعد امتناع منهما وإظهار التغير والغضب والتأسف على التفريط منهما في قتله.

وفي يوم الخميس المذكور عملوا ديوانًا وأحضروا صالح آغا قابجي باشا الذي حضر أولًا.

ونزل بيت رضوان كتحدا ابراهيم بك وقرأوا الفرمان الذي معه وهو يتضمن ولاية علي باشا والأوامر المعتادة لا غير وليس فيها ما كان ذكره علي باشا من الجمارك والالتزام وغيره.

وتكلم الشيخ الأمير في ذلك المجلس وذكر بعض كلمات ونصائح في اتباع العدل وترك الظلم وما يترتب عليه من الدمار والخراب وشكا الأمراء المتآمرون من أفعال بعضهم البعض وتعدى الكشاف النازلين في الأقاليم وجورهم على البلاد وأنه لا يتحصل لهم من التزامهم وحصصهم ما يقوم بنفقاتهم فاتفق الحال على إرسال مكاتبات للكشاف بالحضور والكف عن البلاد.

وأما مصطفى باشا فإنهم أنزلوه في مركب مع أتباع الباشا الذين كانوا بقصر العيني وسفروهم الى حيث شاء الله.

وفيه وصل الألفي من سرحته الى مصر القديمة فأقام في قصره الذي عمره هناك وهو قصر البارودي يومين ثم عدى الى الجيزة ودخل أتباعه بالمنهوبات من الجمال والأبقار والأغنام.

ومعهم الجمال محملة بالقمح الأخضر والفلو والشعير لعدم البرسيم فإنهم رعوا ما وجدوه في حال ذهابهم وفي رجوعهم لم يجدوا خلاف الغلة فرعوها وحملوا باقيها على الجمال ولو شاء ربك ما فعلوه.

وفي ثاني عشرينه وقعت معركة بين الأرئودية وعسكر التكرور بالقرب من الناصرية بسبب حمل برسيم وضربوا على بعضهم بنادق رصاص وقتل بينهم أنفار واستمروا على مضاربة بعضهم البعض نحو سبعة أيام وهم يترصدون لبعضهم في الطرقات.

وفي خامس عشرينه عملوا ديوانًا وقرأوا فرمانًا وصل من الدولة مع الططر خطابًا لعلي باشا والأمراء بتشهيل أربعة آلاف عسكري وسفرهم الى الحجاز لمحاربة الوهابيين وإرسال ثلاثين ألف أردب غلال الى الحرمين وأنهم وجهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر.

وكذلك أحمد باشا الجزار أرسلوا له فرمانًا بالاستعداد والتوجه لذلك فإن ذلك من أعظم ما تتوجه إليه الهمم الإسلامية وأمثال ذلك من الكلام والترفق وفيه بعض القول بالحسب والمروءة بتنجز المطلوب من الغلال وإن لم تكن متيسرة عندكم تبذلوا الهممة في تحصيلها من النواحي والجهات بأثمانها على طرف الميري بالسعر الواقع.

وفيه تقيد لضبط مخلفات علي باشا صالح أفندي ورضوان كتحدا ونائب القاضي وباشكاتب.

وفيه حضر الأمراء الذين توجهوا بصحبة الباشا الى الشرقية وفي هذا اليوم حضر عثمان كاشف البواب الذي كان بالمنوفية وترك خيامه وأثقاله وأعوانه على ما هم عليه وحضر في قلة من أتباعه.

وفيه نقلوا عسكر التكرور من ناحية قناطر السباع الى جهة أخرى وأخرجوا سكانًا كثيرة من دورهم جهة الناصرية وأزعجهم من مواطنهم وأسكنوا بها عساكر وطبجية.

وفيه أنزلوا السيد علي القبطان من القلعة الى بيت علي بك أيوب كما كان وهذا السيد علي.

هو أخو علي باشا المقتول كما ذكر وأصله مملوك وليس شريف كما يتبادر الى الفهم من لفظ سيد أنها وصف خاص للشريف بل هي منقولة من لغة المغاربة فإنهم يعبرون عن الأمير بالسيد بمعنى المالك وصاحب السيادة.

وفي سادس عشرينه أنزلوا محمل الحاج من القلعة مطويًا من غير هيئة وأشيع في الناس دورانه الى بيت ابراهيم بك صحبة أحد الكشاف وطائفة من المماليك واتفق الرأي على سفره من طريق بحر القلزم صحبة محمود جاويش مستحفظان ومعه الكسوة والصرة وكان حضر الكثير من حجاج الجهة القبلية بجمالهم ودوابهم ومتاعهم فلما تحققوا عدم السفر حكم المعتاد.

باعوا جمالهم ودوابهم بالرميلة بأبخس الأثمان لعدم العلف بعدما كلفوها بطول السنة وما قاسوه أيضًا في الأيام التي أقاموها بمصر في الانتظار والتوهم.

شهر ذي القعدة سنة 1218 استهل بيوم الاثنين فيه أنزلوا حسين قبطان ومن معه من عسكر الأرنؤد من القلعة وكانوا نحو الأربعمئة فذهبوا الى بولاق وسكنوا بها بعدما أخرجوا السكان من دورهم بالقهر عنهم.

ولم يبق بالقلعة من أجناسهم سوى الطبقية المتقيدين بخدمة المصرية.

وفيه ألبس ابراهيم بك كتخده رضوان خلعة وأشيع أنه قلده دفتردارية مصر وذهب الى البرديسي فخلع عليه أيضًا وكذلك الألفي وذلك إكرامًا له وتنويهاً بذكره جزاء فعله ومجيئه بالباشا وتحيله عليه. وفي

ليلة الجمعة خامسه وصلت مكاتبات من يحيى بك البرديسي

حاكم رشيد يخبر فيها بوصول محمد بك الألفي الكبير الى ثغر رشيد يوم الأربعاء ثالثه وقد طلع على أبي قير وحضر الى ادكو ثم الى رشيد في يوم الأربعاء المذكور وقصده الإقامة برشيد ستة أيام.

فلما وصلت تلك الأخبار عملوا شنگًا وضربوا مدافع كثيرة بعد الغروب وكذلك بعد العشاء وفي طلوع النهار من جميع الجهات من الجيزة ومصر القديمة وبيت البرديسي والقلعة.

وأظهروا البشر والفرح وشرعوا في تشهيل الهدايا والتقادم وأضمرؤا في نفوسهم السوء له ولجماعته المتأمرين حسدًا لرئاسته عليهم وخمولهم بحضوره فهاجت حفائظهم وكتموا حقدهم وتناجوا فيما بينهم وبيتوا أمرهم مع كبار العسكر وأرسل البرديسي كتابًا الى مملوكه يحيى بك نابعه حاكم رشيد يأمره فيه بقتل الألفي هناك وركب هو الى المنيل وعدى شاهين بك ومحمد بك المنفوخ واسماعيل بك صهر ابراهيم بك وعمر بك الإبراهيمي الى بر الجيزة ليلة الأحد ونصبوا خيامهم ليستعدوا الى السفر من آخر الليل صحبة الألفي الصغير وعدى أيضًا قبلهم حسين بك الوشاش الألفي ونصب خيامه بحري منهم فلما كان في خامس ساعة من الليل أرسلوا الى حسين بك يطلبونه إليه فحضر مع مماليكه وقد رتبوا جماعة منهم تأتي بخيول ومشاعل من جهة القصر فقالوا له: أين الخيول فإننا راكبون في هذا الوقت للملاقة.

وها هو أوك الألفي قد ركب وهو مقبل فنظر فرأى المشاعل والخيول فلم يشك في صحة ذلك ولم يخطر بباله خيانتهم له فأمر مماليكه أن يذهبوا الى خيولهم ويركبوا ويأتوه بفرسه.

فأسرعوا الى ذلك وبقي هو وحده ينتظر فرهسه فعاجلوه وغدروه وقتلوه بينهم وأرسلوا الى ابرديسي بالخبر وكان محمد علي وأحمد بك والأرنؤدية عدوا قبلي الجيزة ليلا وكمنوا بمكان ينتظرون الإشارة ويتحققون وقوع الدم بينهم فلما علموا ذلك حضروا الى القصر وأحاطوا به وكان طبعي الألفي مخامراً أيضاً فعطل فوالي المدافع واستمروا في ترتيب الأمراء على القصر الى آخر الليل فحضر الى الألفي من أيقظه وأعلمه بقتل حسين بك وإحاطتهم بالقصر.

فأراد الاستعداد للحرب وطلب الطبعي فلم يجده وأعلموه بما فعل بالمدافع فأمر بالتحميل وركب في جماعته الحاضرين وخرج من الباب الغربي وسار مقبلاً فركب خلفه الأمراء المذكورون وساروا مقدار ملقتين حتى تعبت خيولهم ولم يكن معهم خيول كثيرة لأنهم لم يكونوا يظنون خروجه من القصر واشتغل أكثر أتباعهم بالنهب لأنه عندما ركب الألفي وخرج من القصر دخله العسكر والأجناد ونهبوا ما فيه من الأثقال والأمتعة والفرش وغيرها.

وكان كاتبه المعلم غالي ساكتاً بالجيزة وكذلك كثير من أتباعه ومقدميه فذهبوا الى دورهم فنهبوها وأخذوا ما عند كاتبه المذكور من الأموال ثم نهبوا دور الجيزة عن آخرها ولم يتركوا بها جليلاً ولا حقيراً حتى عروا ثياب النساء وفعلوا بها مثل ما فعلوا بدمياط وأصبح الناس بالمدينة يوم الأحد لا يعلمون شيئاً من ذلك إلا أنهم سمعوا الصراخ ببیت حسين بك جهة التبانة وقيل إنه قتل ببر الجيزة فصار الناس في تعجب وحيرة واختلفت رواياتهم ولم يفتحوا دكاكينهم ونقلوا أسبايهم منها وظلوا غالب اليوم لم يعلموا سر قتل حسين بك إلا من صراخ أهل بيته وكل ذلك وقع وابراهيم بك جالس في بيته ويسأل ممن يدخل إليه عن الخبر وأحضر محمود جاويش المعين للسفر بالمحمل وصير في الصرة والكتبة واشتغل معهم ذلك اليوم في عدد مال اصرة وحسابها ولوازم ذلك وبعد العصر أشيع المرور بالمحمل فاجتمع الناس للفرجة فمروا به من الجمالية الى قراميدان قبل الغروب وأصبح يوم الاثنين ثامن ركب ابراهيم بك وأمرأؤه الى قراميدان وسلم المحمل واجتمع الناس للفرجة على العادة فمروا به من الشارع الأعظم الى العادلية وأمامه الكسوة في أناس قليلة وطبل وأشاير وعينوا للذهاب معه أربعمائة مغربي من الحجاج رتبوا لهم جامكية ثلاثين نفرًا من عسكر الأرنؤد هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الألفي الكبير فإنه لما حضر الى رشيد يوم الأربعاء ثالثه كما تقدم قابله يحيى بك وعمل له شنگًا وطعامًا وما يليق به وسأله عن مدة إقامته برشيد فقال له أريد الإقامة ستة أيام حتى نستريح ونزل ببیت مصطفى عبد الله التاجر ولم يكن معه إلا خاصة مماليكه وجوخداره تتمة ستة عشر فاستأذنه يحيى بك في إرسال الخبر الى مصر ليأتي الأمراء الى ملاقاته فلم يرض بذلك ثم أنه لم يقم برشيد إلا ليلة واحدة وأنزل أمتعته في أربع مراكب من الرواحل وانتقل آخر الليل الى بيت البطروشي القنصل وأمر بتنقيط المتاع الى مراكب النيل وأهدى له البطروشي غرابًا من صناعة الانكليز مليح الشكل نزل هو به وسار الى مصر وكان قصده الحضور بغتة فعندما يصلهم الخبر يصبحون يجدونه في الجيزة ولما وصل الخبر بحضوره وعملوا الشنك جهاز له الألفي الصغير بحض الاحتياجات وأرسلها في الذهبية والقنجة صحبة الخواجا محمود حسن وخلافه.

فنزلوا من بولاق وانحدروا بعد الظهر من يوم السبت فاجتمعوا به عند نادر نصف الليل فلما أصبح الصباح حضر إليه سليمان كاشف البواب وقابله ورجع معه الى منوف العلا فأقام هناك يوم الأحد وبات هناك ودخل الحمام وسار منها بعد طلوع النهار وهم يسحبون المراكب باللبان لمخالفة الريح فلم يزل سائرًا الى الظهر فلاقاه عدة من عسكر الأرنؤد الموجهة إليه في أربعة مراكب في مضيق التربة فسلم عليهم فرودا عليه السلام فسألهم بعض أتباعه بالتركي وقال لهم: أين تريدون فقال نريد الألفي فقال لهم ها هو الألفي فسكتوا ثم تلاغى الملاحون مع بعضهم فأعلموهم الخبر فنقلوه الى الألفي فكذب

ذلك وقال: هذا شيء لا يكون ولا يصح إن إخواننا يفعلون ذلك معي وأنا سافرت وتغربت سنة لأجل راحتنا ولعلها حادثة بينهم وبين العسكر ثم أن طائفة منهم أدركت الغراب الذي قدمهله البطروشوي وكان متأخرًا عن المراكب فصعدوا إليه وأخذوا ما فيه من المتاع فأخبروه بذلك ونظر فرائهم يفعلون ذلك.

فأرسل إليهم بعض من معه من الأتراك ليستخبر عن شأنهم وأمرهم ولم ينتظر رجوعه بالجواب ولكنه أخذ بالحزم ونزل في الحال إلى القنجة مع المماليك وصحبته الخواجا محمود حسن وأمرهم أن يمسكوا المقاذيف ففعلوا ذلك وهو يستحثهم حتى خرجوا من التربة إلى البحر فلاقاهم طائفة أخرى في سفينتين وفيهم سراج باشا تابع البرديسي وكان بعيدًا عنهم فأعماهم الله عنه وكانهم لم يظنوه إياه ولم يزل يجد في السير حتى وصل إلى شبرا الشهابية.

فنظر إلى رجل ساع وأعلمه أنه مرسل من بيت سليمان كاشف البواب بخبر الواقع فعند ذلك تحقق الخبر وطلع إلى البر وأمر بتغريق القنجة ومشى مع المماليك على أقدامهم وتخلف عنه الخواجا محمود حسن بشبرا فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا إلى ناحية قرنفل.

ودخل إلى نجع عرب الحويطات والتجأ إلى امرأة منهم فأجارته ولبت دعوته وركبته فرسًا وأصحبت معه شخصين هجانين وركب معهما وصار إلى قرب الخانكة ليلاً والمماليك معه مشاة فقابلهم جماعة من عرب بلي وكبيرهم يقال له سعد ابراهيم فاحتاطوا به فاشتغل المماليك بحربهم فتركهم وسار مع الهجانة إلى ناحية الجبل ومضى فسمع الأجناد القرييون منهم وفيهم البرديسي صوت البنادق بين العرب والمماليك فأسرعوا إليهم وسألوهم عن سيدهم فقالوا إنه كان معنا وفارقنا الساعة فأمر البرديسي من معه من المماليك والأجناد أن يسرعوا خلفه ويتفرقوا في الطرق وكل من أدركه فليقتله في الحال فذهبوا خلفه فلم يعثر به أحد منهم وخرم عليه سعد ابراهيم بجماعة قليلة من طريق يعرفها فرمى لهم ما معه من الذهب والجوهر والكرك الذي على ظهره فاشتغلوا به وتركهم وسار وغاب أمره.

وفي حال جلوسه عند العرب مر عليهم طائفة من الأجناد سائرين لأنهم لما فعلوا فعلتهم في الجيزة لم يبق لهم شغل إلا هو وأخذوا في الاحتياط عليه ما أمكن فأرسلوا عسكرًا في المراكب وأنشئت طوائفهم في الجهات البحرية شرقًا وغربًا فذهبت طائفة منهم إلى الشرقية وطائفة إلى القليوبية وكذلك المنوفية والغربية والبحيرة وسلخوا طريق الجبل الموصلة إلى قبلي وذهب حسين بك ورستم بك إلى صالح بك الألفي الذي بالشرقية وذهب شاهين بك إلى سليمان كاشف البواب من البر الغربي ليقطع عليه الطريق وذهب علي بك أيوب ومحمد علي على جهة القليوبية ليلحقه بمنوف فلما وصل إلى دجوة تعوق بسبب قلة المعادي فلما وصل إلى منوف فوجدوه عدى إلى الجهة الأخرى فأخذوا متروكاته التي تركها وهي بعض خيول وجمال وخمسين زلعة سمن مسلي وعملوا على أهل البلد أربعة آلاف ريال قبضوها منهم ورجعوا وكان عندما بلغه الخبر الإجمالي لم يكذب المخبر وذلك بعد مفارقة الألفي له بنحو ثلاث ساعات فعدى في الحال إلى الجهة الغربية بأنقاله وعساكره فوجد أمامه شاهين بك فأرسل يطلب منه أمانيًا فأجابه إلى ذلك وأرسل إلى مصر من يأتي بالأمان واطمأن شاهين ليلاً فلما أصبح شاهين بك وجده قد ارتحل فرجع بخفي حنين وعدى إلى القليوبية فبلغه خبر الألفي وما وقع له مع العرب فطلبهم فأخبروه أنه غاب عنهم في الجبل من الطريق الفلاني.

فقبل عليهم وأحضرهم صحبتهم مشنوقين في عمائمهم ووجد المماليك فقبض عليهم وأرسلهم إلى البرديسي.

وأما مراكبه فإنه عندما نزل الى القنجة وفارقها أردكها العسكر الذين قابلوه في المراكب.

ونهبوا ما فيها وكان بها شيء كثير من الأموال وظرائف الانكليز والأمتعة والجوخ والأسلحة والجواهر فإنه لما وصل الى اقرالي أكرمه إكرامًا كثيرًا وأهدى إليه تحفًا غريبة وكذلك أكابره وأعطاه جملة كبيرة من المال على سبيل الأمانة يرسل له بها غلالًا وأشياء من مصر واشترى هو لنفسه أشياء بأربعة آلاف كيس يدفعها الى القنصل بمصر وأرسل له بها القرالي بوليصة وأهدى له صورة نفسه من جوهر ونظارات وآلات وغير ذلك وأما الألفي الصغير فإنه ذهب الى جهة قبلي وفرد الفرد والكلف على ابلاد ومن عصي عليه أو توانى في دفع المطلوب نهبهم وحرقهم وأما صالح بك الألفي فإنه لما وصل إليه الخبر وقدم الموجهين إليه ركب في الحال من زنكلون وترك حملته وأثقاله فلم يدركوه أيضًا.

وفي يوم الثلاثاء أحضروا ممالك الألفي الكبير وجوخداره الى بيت البرديسي وأرسل ابراهيم بك والبرديسي مكاتبات الى الأمراء قبلي وهم سليمان بك الخازندار حاكم جرجا.

وعثمان بك حسن بقنا ومحمد بك المعروف بالغربية ابراهيمي يوصونهم ويحذرونهم من التفريط في الألفي الصغير والكبير إن وردا عليهما وأما شاهين بك فإنه عدى الى الشرقية واجتهد في التفتيش ثم رجع يوم الثلاثاء المذكور وأمامه العرب المتهمون بأنهم يعرفون طريقه وأنهم أدركوه فأعطاهم جوهرًا كثيرًا وتركوه وأحضروا صحبتهم حقًا من خشب وجدوه مرميًا في بعض الطرق فأحضر البرديسي ممالك الألفي وأراهم ذلك الحق فقالوا نعم كان مع أستاذنا وفي داخله جوهر ثمين وأرسلوا عدة من الممالك والهجانة الى الطريق التي ذكرها العرب وأحضر البرديسي ابن شديد وسأله فأخبره أنه لم يكن حاضرًا في نجعه وأن أمه أو خالته هي التي أعطته الفرس والهجانة فوبخه ولامه فقال له: هذه عادة العرب من قديم الزمان يجيرون طنيهم ولا يخفرون ذمتهم فحبسه أيامًا ثم أطلقه وقيل إنه مر عليه علي بك أيوم ومحمد علي ومن معهم من العسكر وهو في خيش العرب وهو يراهم وأعماهم الله عن تفتيش النجع وعن السؤال وفي ذلك اليوم خرج عثمان بك يوسف وحسين بك الوالي وأحمد آغا شويكار الى جهة الشرقية ومرزوق بك الى اقليوبية يفتشون على الألفي.

وفيه شرعوا في تشهيل تجريدة الى الألفي الصغير وأميرها شاهين بك وصحبته محمد بك المنفوخ وعمر بك وابراهيم كاشف.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره سافرت قافلة الحجاج بالمحمل الى السويس.

وفي يوم السبت حضر علي بك أيوب ومحمد علي من سرحتهما على غير طائل.

وفيه سافر قنصل الانكيز من مصر بسبب هذه الحادثة فإنه لما وقع ذلك اجتمع بابراهيم بك والبرديسي وتكلم معهما ولامهما على هذه الفعلة وكلمهما كلامًا كثيرًا منه أنه قال لهما: هذا الذي فعلتماه لاجل نهب مال القرالي ومطلوب مني أربعة آلاف كيس وهي البوليصه الموجهة الى الألفي وغير ذلك فلاطفاه وأرادا منعه من السفر فقال: لا يمكن أني أقيم ببلدة هذا شأنها.

وطريقتنا لا نقيم إلا في البلدة المستقيمة الحال ثم نزل مغضبًا وسافر وأراد أيضًا قنصل الفرنسيين السفر فمنعاه.

وفي يوم السبت طلب العسكر جماكيهم من الأمراء وشددوا في الطلب واستقلوا الأمراء في أعينهم وتكلموا مع محمد علي وأحمد بك وصادق بك كلاً كثيراً فسعوا في الكلام مع الأمراء المصرية فوعدهم الى يوم الثلاثاء ومات بقطر المحاسب كاتب البرديسي يوم الأحد فلما كان يوم الثلاثاء اجتمع العسكر ببيت محمد علي وحصل بعض قلقه فحولهم على القبط بمائتي ألف ريال منها خمسون على غالي كاتب الألفي وثلاثون على تركة بقطر المحاسب والمائة والعشرون موزعة عليهم فسكن الاضطراب قليلاً.

وفي يوم الثلاثاء المذكور رجع مرزوق بك من القليوبية.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره توفي ابراهيم أفندي الروزنامجي وفيه حصل رجاءات وقلقات بسبب العسكر وجماكيهم وأرادوا أخذ القلعة فلم يتمكنوا من ذلك وقفل الناس دكاكينهم .

وقتلوا رجلاً نصرانياً عند حارة الروم وخطفوا بعض النساء وأمتعة وغير ذلك وركب محمد علي ونادى بالأمان.

وفي يوم السبت عشرينه حضر سليمان كاشف البواب بالأمان ودخل الى مصر.

وفي يوم الأحد أفرجوا عن كشاف الألفي المحبوسين.

وفيه حضر عثمان بك يوسف من ناحية الشرقية واستمر هناك حسين بك الوالي ورستم بك وذهب المنفوخ واسماعيل بك الى ناحية شرق اطفح لأنه أشيع أن الألفي ذهب عند عرب المعازة فقبضوا على جماعة منهم وحبسوهم وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحي وأعطوهم وفيه شرعوا في عمل فردة على أهل البلد وتصدى لذلك المحروقي وشرعوا في كتب قوائم لذلك وزعوها على العقار والأملك أجرة سنة يقوم بدفع نصفها المتساجر والنصف الثاني يدفعه صاحب الملك.

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه شرح كتاب الفردة والمهندسون ومع كل جماعة شخص من الأجناد وطافوا بالأخطاط يكتبون قوائم الأملاك ويصقعون الأجر فنزل بالناس ما لا يوصف من الكدر مع ما هم فيه من الغلاء ووقف الحال وذلك خلاف ما قرروه على قرى الأرياف فلما كان في عصر ذلك اليوم نطق أفواه الناس بقولهم الفردة بطالة وباتوا على ذلك وهم ما بين مصدق ومكذب.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه أشيع إبطال الفردة مع سعي الكتبة والمهندسين في التصقيع والكتابة وذهبوا الى نواحي باب الشعرية ودخلوا درب مصطفى فضج الفقراء والعامّة والنساء وخرجوا طوائف يصرخون وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويندبن وينعين ويقلن كلاً على الأمراء مثل قولهن: ايش تأخذ من تفليسي يا برديسي وصبغن أيديهن بالنيلة وغير ذلك فاقتدى بهن خلافن وخرجوا أيضاً ومعهم طبول وبيارق وأغلقوا الدكاكين وحضر الجمع الكثير الى الجامع الأزهر وذهبوا الى المشايخ فركبوا معهم الى الأمراء ورجعوا ينادون بأبطالهم وسر الناس بذلك وسكن اضطرابهم وفي وقت قيام العامة كان كثير من العسكر منتشرين في الأسواق فداخلهم الخوف وصاروا يقولون لهم: نحن معكم سوا سوا أنتم رعية ونحن عسكر ولم نرض بهذه الفردة وعلوفاتنا على الميري ليست عليكم أنتم أناس فقراء فلم يتعرض لهم أحد وحضر كتحدا محمد علي مرسلاً من جهته الى الجامع الأزهر وقال مثل ذلك ونادى به في الأسواق وفرح الناس وانحرفت طباعهم عن الأمراء ومالوا الى العسكر.

وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية فإن محمد علي لما حرش العساكر على محمد باشا خسروا وأزال دولته وأوقع به ما تقدم ذكره بمعونة طاهر باشا والأرنؤد ثم بالأتراك عليه حتى أوقع به أيضًا وظهر أمر أحمد باشا وعرف أنه إن تم له الأمر ونما أمر الأتراك لا يبقون عليه فعاجله وأزاله بمعونة الأمراء المصرية واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا ثم محاربة محمد باشا بدمياط حتى أخذه أسيرًا ثم التحيل على علي باشا الطرابلسي حتى أوقعوه في فخهم وقتلوه ونهبوه كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصًا البرديسي فإنه تأخى معه وجرح كل منهما نفسه ولحس من دم الآخر.

واغتر به البرديسي وراج سوقه عليه وصدق وتعصد به واصطفاه دون خشداشينه وتحصن بعساكره وأقامهم حوله في الأبراج وفعل بمعونتهم ما فعله بالألفي وأتباعه وشردهم وقص جناحه بيده وشتت البواقي وفرقهم بالنواحي في طلبهم فعند ذلك استقلوهم في أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم وعملوا خيانتهم وسفهاؤهم رأيتهم واستضعفوا جانبهم وشمخوا عليهم وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة مع الأحجام خوفًا من قيام أهل البلد معهم ولعلمهم بميلهم الباطني إليهم فاضطروهم إلى عمل ذهه الفردة ونسب فعلها للبرديسي فثارت العامة وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد علي والعسكر من ذلك وساعدوهم في رفعها عنهم فمالق قلوبهم إليهم ونسوا قبائحهم وأبتهلوا إلى الله في إزالة الأمراء وكرهوهم وجهروا بالدعاء عليهم وتحقق العسكر منهم ذلك وانحرف الأمراء على الرعية باطنًا بل أظهر البرديسي الغيظ والانحراف من أهل مصر وخرج من بيته مغضبًا إلى جهة مصر القديمة وهو يلعن أهل مصر ويقول لابد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات وأفعل بهم وأفعل حيث لم يمتثلوا لأوامرنا ثم أخذوا يدبرون على العسكر وأرسلوا إلى جماعتهم المتفرقين في الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور فأرسلوا إلى حسين بك الوالي ورستم بك من الشرقية واسماعيل بك صهر إبراهيم بك ومحمد بك المنفوخ لياتينا من شرق اطفح والفريقان كانوا لرصد الألفي وانتظاره وأرسلوا إلى سليمان بك حاكم الصعيد بالحضور من أسبوط بمن حوله من الكشاف والأمراء وإلى يحيى بك حاكم رشيد وأحمد بك حاكم دمياط وأصعدوا محمد باشا المحبوس إلى القلعة وعلم الأرنؤدية منهم ذلك فبادروا واجتمعوا بالأزبكية في يوم الأحد ثامن عشر منه فارتاع الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب وذهب جمع من العسكر إلى إبراهيم بك واحتاطوا بمهمات بيته بالداودية وكذلك بيت البرديسي بالناصرية وتفرقوا على بيوت باقي الأمراء والكشاف والأجناد وكان ذلك وقت العصر والبرديسي عنده عدة كبيرة من العسكر المختصين به ينفق عليهم ويدر عليهم الأرزاق والجماكي والعلوفات ومنهم الطبجية وغيرهم.

وعمر قلعة الفرنسييس التي فوق تل العقارب بالناصرية وجددها بعد تخريبها ووسعها وأنشأ بها أماكن وشحنها بالآلات الحرب والذخيرة والجبخانه وقيد بها طبجية وعساكر من الأرنؤدية وذلك خلاف المتقيدين بالأبراج والبوابات التي أنشأها قبالة بيته بالناصرية جهة قناطر السباع والجهة الأخرى كما سبق ذكر ذلك فلما علم بوصول العساكر حول دائرته وكان جالسًا صحبة عثمان بك يوسف فقال وقال له: كن أنت في مكاني هنا حتى أخرج وأرتب الأمر وأرجع إليك وتركه وركب إلى خارج فضربوا عليه الرصاص فخرج على وجهه بخاسته وهجنه ولوازمه الخفيفة وذهب إلى ناحية مصر القديمة وذلك في وقت الغروب وكان العسكر نقبوا نقبًا من الجنيينة التي خلف داره ودخلوا منه وحصلوا بالدار فوجدوه قد خرج بمن معه من المماليك والأجناد فقاتلوا من وجدوه وأوقعوا النهب في الدار وانضم إليهم أجناسهم المتقيدون بالدار وقبضوا على عثمان بك يوسف ومماليكه وشلحوهم ثيابهم وسحبوهم بينهم عرايا مكشوفي الرؤوس وفي سابع ساعة من الليل أرسل محمد علي جماعة من العسكر ومعهم فرمان وصل من أحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية بولايته على مصر فذهبوا به إلى القاضي وأطلعوه عليه وأمره أن يجمع المشايخ في

الصباح ويقرأه عليهم ليحيط علم الناس بذلك فلما أصبح أرسل إليهم فقالوا لا تصح الجمعة في مثل هذا اليوم مع قيام الفتنة فأرسله إليهم واطلعوا عليه.

وأشيع ذلك بين الناس وأما إبراهيم بك فإنه استمر مقيمًا ببيته بالداودية وأمر مماليكه وأتباعه أن يجلسوا برؤوس الطرق الموصلة إليه فجلس منهم جماعة وفيهم عمر بك تابعه بسبيل الدهشة المقابل لباب زويلة وكذلك ناحية تحت الربع والقريبة وجهة سويقة لاجين والداودية.

وصار العسكر يضربون عليهم وهم كذلك ودخل عليهم الليل فلم يزالوا على ذلك الى اصباح.

واضمحل حالهم وقتل الكثير من المماليك والأجناد ووصل إليهم خبر خروج البرديسي فعند ذلك طلبوا الفرار والنجاة بأرواحهم وعلم إبراهيم بك بخروج البرديسي وأنه إن استمر على حاله أخذ فركب في جماعة في ثاني ساعة من النهار وخرجوا على وجوههم والرصاص يأخذهم من كل ناحية فلم يزل سائرًا حتى خرج الى الرميلة وهدم في طريقه أربعة متاريس.

وأصيب بعض مماليك وخيول وخدامين وأصيب رضوان كتخداه وطلعت روحه عند الرميلة.

فأنزلوه عند باب العزب وأخذوا ما معه من جيوبه ثم شالوه الى داره ودفنوه وقبضوا على عمر بك تابع الأشقر الابراهيمى من سبيل الدهيشة هو ومماليكه وأما الذين بالقلعة من الأمراء فإنهم أصبحوا يضربون بالمدافع والقنابر على بيوت الأرئود بالأزبكية الى الضحوة الكبرى فلما تحققوا خروج إبراهيم بك والبرديسي ومن أمكنه الهروب لم يسعهم إلا أنهم أبطلوا الرمي وتهيؤوا للفرار ونزلوا من باب الجبل ولحقوا بإبراهيم بك فقام عليهم عسكر المغاربة ومنعوه من أخذهم ونهب المغاربة الضريخانة وما فيها من الذهب والفضة والسبائك حتى العدد والمطارق وتسلم العسكر القلعة من غير مانع ولم تثبت المصرية للحرب نصف يوم في القلعة ولم ينفع اهتمامهم بها طول السنة من التعمير والاستعداد وما شحنوه بها من الذخيرة والجبخانه وآلات الحرب وملأوا ما بها من الصهاريج بالماء الحلوة وقام أحمد بك الكلارجي وعبد الرحمن بك الابراهيمى وسليم أغا مستحفظان من وقت مجيئهم الى مصر متقيدين ومرتبطين بها ليلاً ونهارًا لا ينزلون الى بيوتهم إلا ليلة في الجمعة بالنوبة إذا نزل أحدهم أقام الآخران وطلع محمد علي إليها ونزل وبجانبه محمد باشا خسرو ورفقاؤه وأمامهم المنادي ينادي بالأمان حكم ما رسم محمد باشا ومحمد علي وأشيع في الناس رجوع محمد باشا الى ولاية مصر فبادر المحروقي الى المشايخ فركبوا الى بيت محمد علي يهنون الباشا بالسلامة والولاية وقدم له المحروقي هدية وأقام على ذلك بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فكان مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة فإنه حضر الى مصر بعد كسرتة بدمياط في آخر ربيع الأول وهو آخر يوم منه وأطلق في آخر يوم من ذي القعدة وخرج الأمراء على أسوأ حال من مصر ولم يأخذوا شيئًا مما جمعوه وكنزوه من المال وغيره إلا ما كان في جيوبهم أو كان منهم خارج البلد مثل سليم كاشف أبي دياب فإنه كان مقيمًا بقصر العيني أو الغائبين منهم جهة قبلي وبحري وأما من كان داخل البلد فإنه لم يخلص له سوى ما كان في جيبه فقط ونهب العسكر أموالهم وبيوتهم وذخائرهم وأمتعتهم وفرشهم وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم وسحبوه من شعورهن وتسلبوا على بعض بيوت الأعيان من الناس المجاورين لهم ومن لهم بهم أدنى نسبة أو شبهة بل وبعض الرعية إلا من تداركه الله برحمته أو التجأ الى بعض منهم أو صالح على بيته بدرهم يدفعها لمن التجأ إليه منهم ووقع في تلك الليلة واليومين بعدها ما لا يوصف من تلك الأمور وخربوا أكثر البيوت وأخذوا أخشابها ونهبوا ما كان بحواصلهم من الغلال والسمن والأدهان وكان شيئًا كثيرًا

وصاروا يبيعونه على من يشتريه من الناس ولولا اشتغالهم بذلك لما نجا من الأمراء المصرية الذين كانوا بالبلدة أحد ولو رجع الأمراء عليهم وهم مشغلون بالنهب لتمكنوا منهم ولكن غلب عليهم الخوف والحرص على الحياة والجبن وخابت فيهم الظنون وذهبت نفختهم في الفارغ وجازاهم الله بغيهم وظلمهم وغرورهم وخصوصًا ما فعلوه مع علي باشا من الحيل حتى وقع في أيديهم ثم رذلوه وأهانوه وقتلوا عسكره ونهبوا أمواله ثم طردوه وقتلوه فإنه وإن كان خبيثًا لم يعمل معهم ما يستحق ذلك كله وأعظم منه ما فعلوه مع أخيهم الألفي الكبير بعدما سافر لحاجتهم وراحتهم وصالح عليهم ورتب لهم ما فيه راحتهم وراحة الدولة معهم بواسطة الانكليز وغاب في البحر المحيط سنة وقاسى هول الأسفار والفراطين في البحر فجاوزه بالتشريد والتشتيت والنهب وقتل أتباعه وحبسهم وبصلهم واتخذوهم أعداء وأخصامًا من غير جرم ولا سابقة عداوة معهم إلا الحسد والحقد وحذرًا من رئاسته عليهم وكانت هذه الفعلة سببًا لنفور قلوب العسكر منهم واعتقادهم خيانتهم وقتلهم في أعينهم فإن الألفي وأتباعه وكانوا يرون في أنفسهم أن الشخص منهم يدوس برجله الجماعة من في غفلتهم ومشغلون بما هم فيه من مغارم الفلاحين وطلب الكلف فلما أرسلوا لهم بالحضور لم يسهل بهم ترك ذلك ولم يستعجلوا الحركة حتى يستوفوا مطلوباتهم من القرى إلى أن حصل ونزل بهم ما نزل ولم يقع لهم منذ ظهورهم أشنع من هذه الحادثة وخصوصًا كونها على يد هؤلاء وكانوا يرون في أنفسهم أن الشخص منهم يدرس برجله الجماعة من العسكر وأحسنوا ظنهم فيهم واعتقدوا أنهم صاروا أتباعهم وجندهم مع أنهم كانوا قادرين على إزالتهم من الإقليم وخصوصًا عندما خرجوا من المدينة لملاقاة علي باشا وأخرجوا جميع العسكر وحازوهم إلى جهة البحر.

وحصنوا أبواب البلد بمن يثقون به من أجنادهم ورسموا لهم رسومًا امتثلوها فلو أرسلوا لهم بعد إيقاعهم بعلي باشا أقل أتباعهم وأمروهم بالرحلة لما وسعتهم المخالفة حتى ظن كثير ممن له أدنى فطنة حصول ذلك فكان الأمر بخلاف ذلك ودخلوا بعد ذلك وهم بصحبتهم ضاحكين من غفلة القوم ومستبشرين برجوعهم ودخولهم إلى المدينة ثانيًا وعند ذلك تحقق لذوي الفطن سوء رأيهم وعدم فلاحهم وزادوا في الطنبور نغمة بما صنعوه مع الألفي وكان العسكر يهابون جانبه ويخافون أتباعه ويخشونهم وخصوصًا لما سمعوه بوصوله على الهيئة المجهولة لهم داخلهم من ذلك أمر عظيم استمر في أخلاطهم يومًا وليلة إلى أن أجلاه البرديسي ومن معه بشؤم رأيهم وفساد تدبيرهم وفرقوا جمعهم في النواحي حرصًا على قتل الألفي وأتباعه فعند ذلك زالت هيبتهم من قلوب العسكر وأوقعوا بهم ما أوقعوه ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله.

شهر ذي الحجة الحرام استهل بيوم الثلاثاء سنة 1218

فيه تقلدوا علي آغا الشعراوي واليًا على مصر.

وفيه نهبوا بيت محمد آغا المحتسب وقبضوا عليه وحبسوه.

وفي ليلة الأربعاء أنزلوا محمد باشا خسرو وإبراهيم باشا إلى بولاق وسفروهما إلى بحري ومعهما جماعة من العسكر وكانت ولايته هذه الولاية الكذابة شبيهة بولاية أحمد باشا الذي تولى بعد قتل طاهر باشا يومًا ونصفاً وكان قد اعتقد في نفسه رجوعه لولاية مصر حتى أنه لما نزل من القلعة إلى بيت محمد علي نظر إلى بيته من الشباك مهدومًا منخربًا فطلب في ذلك الوقت المهندسين وأمرهم بالبناء وذلك من وساوسه يقال إن السبب في سفره إخوة طاهر باشا فإنهم داخلهم غيظ شديد ورأى محمد علي نفرتهم وانقباضهم من ذلك وعلم أنه لا يستقيم حاله معهم وربما تولد بذلك شر فعجل بسفره وذهابه.

ومن الاتفاقات العجيبة أيضًا أن طاهر باشا لما غدر بمحمد باشا أقام بعده اثنين وعشرين يومًا وكذلك لما غدر المصرية بالألفي لم يقيموا بعد ذلك إلا مثل ذلك.

وفيه صعد عابدي بك أخو طاهر باشا بالقلعة وأقام بها.

وفي ليلة الخميس ثالثه أطلقوا عثمان بك يوسف وسافر الى جماعته جهة قبلي يقال إنه افتدى نفسه منهم بمال وأطلقوه ومعه خمسة مماليك وأعطوه خمسة جمال وأربعة هجن وخيلاً.

وفيه أفرجوا عن محمد آغا المحتسب وأبقوه في الحسبة على مصلحة عملوها عليه وقام بدفعها وركب وشق في المدينة وعمل تسعيرة ونادى بها في الشوارع والأسواق وأما الأمراء فإنهم باتوا أول ليلة جهة البساتين وفي ثاني يوم ذهبوا الى حلوان وحضر إليهم حسين بك الوالي ورستم بك من الشرقية ومروا من تحت القلعة وانفصلوا من العسكر الذين كانوا معهم في المطرية وتركوا لهم الحملة ووصل إليهم أيضًا يحيى بك من ناحية رشيد وأحمد بك من دمياط وذهبوا إليهم ووصل يحيى بك من ناحية الجيزة وأحضر معه عربات كثيرة من الهنادي وبنى علي وغيرهم ونزلوا بإقليم الجيزة ونهبوا البلاد وأكلوا المزروعات واستمروا على ذلك وانتشروا الى أن صارت أوائلهم بزاوية المصلوب وأواخرهم بالجيزة.

وفيه كتبوا مكاتبات من نساء الأمراء المصرية بأنهم لا يتعرضون لأحد من العساكر الكائنة بقبلي وإن قتل منهم أحد اقتصوا من حريمهم وأولادهم بمصر.

وفي يوم الجمعة حضر محمد بك المبدول بأمان ودخل الى مصر.

وفي يوم الأحد سادسه أصدوا عمر بك وبقيه الكشاف وبعض الأجناد المصرية الى القلعة.

وفي عدى كثير من العسكر الى بر الجيزة ووقع بينهم وبين العرب بعض مناوشات وقتل أناس كثيرة من الفريقين.

وفي سابعه ظهر محمد بك الألفي الكبير من اختفائه وكان متواريه بشرقية بليس برأس الوادي عند شخص من العربان يسمى عشية فأقام عنده مدة هذه الأيام وخلص إليه صالح تابعه بما معه من المال وكان البرديسي استدل على مكانه وأحضر أناسًا من العرب وجعل لهم مالًا كثيرًا عليه وأخذوا في التحيل عليه فحصلت هذه الحوادث وجوزي البرديسي بنيته وخرج من مصر كما ذكر وكانوا في تلك المدة يشيعون عليه إشاعات مرة بموته ومرة بالقبض عليه وغير ذلك فلما حصل ما حصل وانجلت الطرق من المراسدين اطمأن حينئذ.

وركب في عدة من الهجانة وصحبته صالح بك تابعه ومروا من خلف الجبل وذهب الى شرق اطفيح ونزل عند عرب المعازة وتواتر الخبر بذلك.

وفي تاسعه وصل أحمد باشا خورشيد الى منوف فتقيد السيد أحمد المحروقي وجرجس الجوهري بتصلح بيت ابراهيم بك بالداودية وفرشه.

وفي ليلة الاثنين رابع عشره وصل الباشا الى ثغر بولاق فضربوا شنگًا ومدافع وخرج العساكر في صباحها والوجاقلية وركب ودخل من باب النصر وأمامه كبار العساكر بزيتهم.

ولم يلبس الشعار القديم بل ركب بالتخفية وعليه قبوط مجرور وخلفه النوبة التركية ودخل الى الدار التي أعدت له بالداودية وقدموا له التقادم وعملوا بها تلك الليلة شنكا وسواريح.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره مر الوالي وأمامه المنادي وبيده فرمان من الباشا ينادي به على الرعية بالأمن والأمان والبيع والشراء.

وفي منتصفه حضر عبد الرحمن بك الابراهيمي وكان في بشبيش بناحية بحري فطلب أمائاً وفي يوم الجمعة تحول الباشا من الداودية الى الأزبكية وسكن بيت البكري حيث كان حريم محمد باشا فركب قبل الظهر في موكب وذهب الى المشهد الحسيني وصلى الجمعة هناك.

ورجع الى الأزبكية.

وفيه فتحوا طلب مال الميري من السنة القابلة لضرورة النفقة فاغتنم الملتزمون لذلك لضيق الحال وتعطل الأسباب وعدم الأمن وتوالى طلب الفرد من البلاد فلو فضل للملتزم شيء لا يصل إليه إلا بغاية المشقة وركوب الضرر لو ثوب الخلائق من العربان والفلاحين والأجناد والعساكر على بعضهم البعض من جميع النواحي القبلية والبحرية ثم أن الوجاقلية وبعض المشايخ راجعوا في ذلك فانحط الأمر بعد ذلك على طلب نصف مال الميري من سنة تسعة عشر وبواقي سنة سبعة عشر وثمانية عشر وكذلك باقي الحلوان الذي تأخر على المفلسين.

وكتبوا التنايه بذلك وقالوا من لم يقدر على الدفع فليعرض تقسيطه على المزداد هذا والأجناد والعرب محيطة ببر الجيزة والعسكر من داخل الاسود لا يجسرون على الخروج إليهم.

وحجزوا المراكب الواردة بالغلل وغيرها حتى لم يبق بالسواحل شيء من تلك الغلة أبداً. ووصل سعر الأردب القمح إن وجد خمسة عشر ريالاً.

وفي يوم الأحد عشرينه وصل العسكر الذين كانوا صحة سليمان بك حاكم الصعيد فدخلوا الى البلدة وأزعجوا كثيراً من الناس وسكنوا البيوت بمصر القديمة بعدما أخرجوهم منها وأخذوا فرشهم ومتاعهم وكذلك فعلوا ببولاق ومصر عندما حضر الذين كانوا ببكري.

وفيه قلدوا الحسبة لشخص عثمانلي من طرف الباشا وعزلوا محمد آغا المحتسب وكذلك عزلوا علي آغا الشعراوي وقلدوا الزعامة لشخص آخر من أتباع الباشا وقلدوا آخر أغات مستحفظان.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشرينه خرجت عساكر كثيرة وعدت الى البر الغربي ووقعت في صبحها حروب بينهم وبين المصرية والعربان وكذلك في ثاني يوم ودخلت عساكر جرحى كثيرة وعملوا لهم متاريس عند ترسة والمعتمدية وتترسوا بها والمصرية والعربان يرمحون من خارج وهم لا يخرجون إليهم من المتاريس واستمروا على ذلك الى يوم الأحد سابع عشرينه.

وفي ذلك اليوم ضربوا مدافع ورجع محمد علي والكثير من العساكر وأشيع ترفع
المصرية الى فوق ووقع بين العربان اختلاف وأشاعوا نصرتهم على المصرية وأنهم
قتلوا منهم أمراء وكشافًا ومماليك وغير ذلك.

وفي ذلك اليوم شنقوا شخصًا بباب زويلة وآخر بالحانية وهما من الفلاحين ولم يكن لهما
ذنب قيل إنه وجد معهما بارود اشترياه لمنع الصائلين عليهم من العرب فقالوا إنكم
تأخذونه وفيه نزل جماعة من العسكر جهة قبة الغوري ومعهم نحو ثلاثين نفرًا بجمالهم
فقرطوا القمح المزروع وكان قد بدا صلاحه فطارت عقول الفلاحين واجتمعوا وتكاثروا
عليهم وقبضوا على ثلاثة أشخاص منهم وهرب الباقيون فدخلوا بهم المدينة ومعهم
الأحمال وصحبته طبل وأطفال ونساء وذهبوا تحت بيت الباشا فأمر بقتل شخص منهم
لأنه شامي وليس بأرنؤدي ولا انكشاري فقتلوه بالأزبكية فوجدوا على وسطه ستمائة
بندقي ذهب وثلثمائة محبوب ذهب والله أعلم وانقضت السنة وما حصل بها من الحوادث.

وأما من مات فيها ممن له ذكر فمات الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ أحمد اللحام
اليونسي المعروف بالعريشي الحنفي حضر من بلدته خان يونس في سنة ثمان وسبعين
ومائة وألف وحضر أشياخ الوقت وأكب على حضور الدروس وأخذ البيلي والشيخ محمد
الجناحي والصبان والفرماوي وغيرهم وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العريشي ولازمه
وبه تخرج وحضر على شيخ الوالد في الدر المختار من أول كتاب البيوع الى كتاب الإجارة
بقراءته وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ولم يزل ملازمًا للشيخ عبد الرحمن ملازمة
كلية.

وسافر صحبته الى اسلامبول في سنة تسعين لبعض المقتضيات وقرأ هناك الشفاء
والحكم بقراءة المترجم وعاد صحبته الى مصر ولم يزل ملازمًا له حتى حصل للعريشي
ما حصل ودنت وفاته فأوصى إليه بجميع كتبه واستمر عوضه في مشيخة روائق الشوام
وقرأ الدروس في محله وكان فصيحًا مستحضرًا متفلسفًا من المعقولات والمنقولات
وقصدته الناس في الإفتاء واعتمدوا أجوبته وتداخل في القضايا والدعاوى واشتهر ذكره
واشترى دارًا واسعة بسوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشعرية وتكمل بالملابس
وركب البغال وصار له أتباع وخدم وهرعت الناس والعامة والخاصة في دعاويهم
وقضايهم وشكاويهم إليه وتقلد نيابة القضاء لبعض قضاة العساكر أشهرًا ولما حضرت
الفرنساوية الى مصر وهرب القاضي الرومي بصحبة كتخدا الباشا كما تقدم تعين
المترجم للقضاء بالمحكمة الكبيرة.

وألبيه كلهبر ساري عسكر فرنساوية خلعة مثمنة وركب بصحبة قائمقام في موكب
الى المحكمة وفوضوا إليه أمر النواب بالأقاليم ولما قتل كلهبر انحرف عليه فرنساوية
لكون القاتل ظهر من رواق الشوام وعزلوه ثم تبينت براءته من ذلك الى أن رتبوا
الديوان في آخر مدتهم ورسم عبد الله جاك منو باختيار قاضي بالقرعة فلم تقم إلا على
المترجم فتولاه أيضًا وخلعوا عليه وركب مثل الأول الى المحكمة واستمر بها الى أن
حضرت العثمانيون وقاضيههم فانفصل عن ذلك ولازم بيته مع مخالطة فصل الخصومات
والحكومات والإفتاء ثم قصد الحج في هذه السنة فخرج مع الركب وتمرض في حال
رجوعه وتوفي ودفن بنبط رحمه الله.

ومات الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح المحقق الشيخ علي المعروف بالخياط
الشافعي حضر أشياخ الوقت وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج
واشتهر بالعلم والصلاح وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وانتفع به الطلبة وانقطع للعلم
والإفادة ولما وردت ولاية جدة لمحمد باشا توسون طلب إنسانًا معروفاً بالعلم والصلاح

فذكر له الشيخ المترجم فدعاه إليه وأكرمه وآسأه وأحبه وأخذه صحبته الى الحجاز وتوفي هناك رحمه الله.

ومات الرئيس المبجل المذهب محمد أفندي باش جاجرت الروزنامة وأصله تربية محمد أفندي كاتب كبير الينكجيرية وتمهر في صنعة الكتابة وقوانين الروزنامة وكان لطيف الطبع سليم الصدر محبوباً للناس مشهور بالذوق وحسن الأخلاق مهذباً في نفسه متواضعاً يسعى في حوائج إخوانه وقضاء مصالحهم المتعلقة بدفاترهم قانعاً بحاله مترفعاً في مأكله وملبسه واقتنى كتباً نفيسة ومصاحف وتجمع بيته الأحباب ويدير عليهم سلاف أنسه المستطاب مع الحشمة والوقار وعدم الملل والغفار ولما اختلفت الأحوال وترادفت الفتن ضاق صدره من ذلك واستوحش من مصر وأحوالها فقصد الهجرة بأهله وعياله الى الحرمين وعزم على الإقامة هنا فلما حصل هناك رأى فيها الاختلاف والخلل كذلك بسبب ظلم الشريف غالب وأتباعه وإغارة الوهابيين على الحرمين وفتن العربان فلم يستحسن الإقامة هناك واشتاق لوطنه فعزم ومات الأمير حسين بك الذي عرف بالوشاش وهو من مماليك محمد بك الألفي وكان يعرف أولاً بكاشف الشرقية لأنه كان تولى كشوفيتها وكان صعب المراس شديد البأس قوي الجنان.

قلبه مع نحافة جسمه أعظم من جبل لبنان لا يهاب كثرة الجنود وتخشى سطوته الأسود ولما أجمعوا على خيانة الألفي وأتباعه قال لهم ابراهيم بك الكبير على ما بلغنا لا يتم مرامكم بدون البداءة بالمترجم فإن أمكنكم ذلك وإلا فلا تفعلوا شيئاً فلم يزالوا يديرون عليه ويتملقونه له ويظهرون له خلاف ما يبطنون حتى تمكنوا من غدره على صورة المتقدمة وسبب تلقيه بالوشاش أنه كان طلع لملاقاة الحجاج بمنزلة الوش في سنة ورود الفرنسية فلما لاقى الحجاج وأمير الحاج صالح بك رجع صحبتهم الى اشام وحصل منه بعد ذلك المواقف الهائلة مع الفرنسية مع أستاذه ومنفرداً في الجهات القبلية والشامية ولما انجلت الحوادث وارتحلت الفرنسية من الديار المصرية واستقرت المصريون بعد حوادث العثمانية تأمر المترجم في ستة عشر صنحاً المتأمرين وظهر شأنه واشتهر فيما بينهم ونفذت أوامره فيهم ونغص عليهم وناكدهم وعاندهم وأغار على ما بأيديهم حتى ثقلت وطأته عليهم فلم يزالوا يحتالون عليه حتى أوقعوه في حبال صيدهم وهو لا يخطر بباله خيانتهم وغدروهم بينهم كما ذكر.

ومات الأمير رضوان كتحدا ابراهيم بك وهو أغنى مماليكه رباه وأعتقه وجعله جوخداره.

وكان يعرف أولاً برضوان الجوخدات واستمر في الجوخدارية مدة طويلة ولما رجع مع أستاذه في أواخر سنة خمس ومائتين وألف بعد موت اسمعيل بك وأتباعه الى مصر أرخى لحيته وتقلد كتحداية أستاذه وتزوج ببعض سراريه وسكن دار عبيد بك بناحية سوبقة العزى ثم انتقل منها الى دار مكة على بركة الفيل تجاه بيت شكر فره وعمرها وصارت له وجهة بين الأمراء والأعيان وياشر فصل الخصومات والدعاوى وازدحم الناس بيته واشتهر ذكره وعظم شأنه وقصدته أرباب الحاجات وأخذ الرشوات والجعالات وكان يقرأ ويكتب ويناقش ويحاجج ويعاشر الفقهاء وبياحثهم ويميل بطبعه إليهم ويحب مجالستهم ولا يمل منهم وعنده حلم وسعة صدر وتؤدة وتأن في الأمور وإذا مهر له الحق لا يعدل عنه وعنده دهقنة ومداهنة وقوة خرم ولما حضر علي باشا الطرابلسي على الصورة المتقدمة كان المترجم والمتعين في الإرسال إليه فلم يزل يتحيل عليه حتى انخدع له وأدخل رأسه الجراب وصدق تمويهاته وحضر به الى مصر وأوردوه بعد الموارد وجاز بذلك منقبة بين أقرانه ونوه بعد بشأنه وخلعوا عليه الخلع وعرضوا عليه الإدارة فأبأها واستمر على حالته معدوداً في أرباب الرياسة وتأتي الأمراء الى داره ولم يزل حتى ثارت العسكر على من بالبلدة من الأمراء.

وحصروا ابراهيم بك بيته وخرج في ثاني يوم هاربًا والمترجم خلفه والرصاص يأخذهم من كل ناحية فأصيب في دماغه فمال عن جواده واستند على الخدم وذلك جهة درب الأحمر فلم يزل في غشوته حتى خرجت روحه بالرميلة فأنزلوه عند باب العزب واحتاط به المتقيدون بالباب وأخذوا ما في جيوبه ثم أحضروا له تابوتًا وحملوه فيه الى داره فغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة سامحه الله فإنه كان من خيار جنسه لولا طمع فيه ولقد بلوته سفرًا وحضرًا يافعًا وكهلًا فلم أر ما يشينه في دينه عفوًا طاهر الذيل وقورًا محتشمًا فصيح اللسان حسن الرأي قليل الفضول بعيد النظر.

ومات العمدة الشريف السيد ابراهيم أفندي الروزنامجي وهو ابن أخي السيد محمد الكماحي الروزنامجي المتوفى سنة سبعة ومائتين وألف وأصلهم روميون الجنس وكان في الأصل جرجيًا ثم عمل كاتب كشيدة وكان يسكن دارًا صغيرة بجوار دار عمه واستمر على ذلك حامل الذكر فلما توفي عمه السيد محمد انتبذ عثمان أفندي العباسي المنفصل عن الروزنامة سابقًا يريد العود إليها عن شوق وتطلع لها وطنه شغور المنصب عن المتأهل إليه سواه فلم تساعد الأقدار لشدة مراسه وسأل ابراهيم بك عن شخص من أهل بيت المتوفى فذكر له السيد ابراهيم المرقوم وخوله وعدم تحمله لأعباء ذلك المنصب فقال لابد من ذلك قطعًا لطمع المتطلعين والتزم بمراعاته ومساعدته وطلبه ونقله من حضيض الخمول الى أوج السعادة والقبول فتقلد ذلك وساس الأمور بالرفق والسير الحسن واشترى دارًا عظيمة بدرب الأغوات وسكنها واستمر على ذلك الى أن ورد الفرنسية الى مصر فخرج مع من خرج هاربًا الى اشام ثم رجع مع من رجع ولم يزل حتى تمرض وتوفي في يوم الأربعاء سادس عشر القعدة من السنة رحمه الله.

واستهلت سنة تسعة عشر ومائتين وألف فكان ابتداء المحرم بيوم الخميس فيه ركب الوالي العثملي وشق من وسط المدينة فمر على سوق الغورية فأنزل شخصًا من أبناء التجار المحتشمين وكان يتلو في القرآن فأمر الأعوان فسحبوه من حانوته وبطحوه على الأرض وضربوه عدة عصي من غير جرم ولا ذنب وقع منه ثم تركه وسار الى الأشرقية فأنزل شخصًا من حانوته وفعل به مثل ذلك فانزعج أهل الأسواق وأغلقوا حوانيتهم واجتمع الكثير منهم وذهبوا الى بيت الباشا يشكون فعل الوالي.

وسمع المشايخ بذلك فركبوا أيضًا الى بيت الباشا وكلموه فأظهر الحنق والغيط على الوالي ثم قاموا وخرجوا من عنده فتبعهم بعض المتكلمين في بيت الباشا وقال لهم: إن الباشا يريد قتل الوالي والمناسب منكم الشفاعة فرجعوا الى الباشا وشفعوا في الوالي وأرسل سعيد أغا الوكيل وأحضروا له المضروب وأخذ بخاطره وطيب نفسه بكلمات ورجع الجميع كما ذهبوا وظنوا عزل الوالي فلم يعزل.

وفيه رجع المصرية والعربان وانتشروا بإقليم الجيزة حتى وصلوا الى انبابة وضربوها ونهبوها وخرج أهلها على وجوههم وعدوا الى البر الشرقي وأخذ العسكر في أهبة التشهيل والخروج لمحاربتهم.

وفي يوم الجمعة ثانيه سافر السيد علي القبطان الى جهة رشيد وخرج بصحبته جماعة كثيرة من العساكر الذين غنموا الأموال من المنهوبات فاشتروا بضائع وأسبابًا ومتاجر ونزلوا بها صحبتهم وتبعهم غيرهم من الذين يريدون الخلاص والخروج من مصر فركب محمد علي الى وداع السيد علي المذكور ورد كثيرًا من العساكر المذكورة ومنعهم عن السفر.

وفي سادسه خرج محمد علي وأكابر العسكر بعساكرهم وعدوا الى بر انبابة ووصلوا ونصبوا وطاقهم وعملوا لهم عدة متاريس وركبوا عليها المدافع واستعدوا للحرب فلما كان يوم الأحد حادي عشره كبس المماليك والعربان وقت الغلس على متاريس العسكر

وحملوا على متراس حملة واحدة فقتلوا منهم وهرب من بقي وألقوا بأنفسهم في البحر فاستعد من كان بالمتاريس الأخرى وتابعوا رمي المدافع وخرجوا للحرب ووقع بينهم مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو أربع ساعات ثم انجلت الحرب بينهم وترفع المصرية والعربان وانكفوا عن بعضه وفي وقت الظهر أرسلوا سبعة رؤوس من الذين قتلوا من المصرية في المعركة وشقوا بهم المدينة ثم علقوها بباب زويلة وفيهم رأس حسين بك الوالي وكاشفين ومنهم حسن كاشف الساكن بجارة عابدين ومملوكان وعلقوا عند رأس حسين بك الوالي المذكور صليباً من جلد زعموا أنهم وجدوه معه وأصيب اسمعيل بك صهر ابراهيم بك ومات بعد ذلك ودفن بأبي صير.

وفي ثاني عشره حصلت أعجوبة ببيت بالغربية به بغلة تدور بالطاحون فنزقوها بالإدارة فأسقطت حملاً ليس فيه روح فوضعوه في مقطف ومروا به من وسط المدينة وذهبوا به الى بيت القاضي وأشيع ذلك بين الناس وعاینوه.

وفي يوم السبت سابع عشره حضر علي كاشف المعروف بالشغب بثلاث معجمات وتشديد الشين وفتح الغين وسكون الباء رسوياً من جهة الألفي ووصل الى جهة البساتين وأرسل الى المشايخ يعلمهم بحضوره لبعض أشغال فركب المشايخ الى الباشا وأخبروه بذلك فأذن بحضوره فحضر ليلاً ودخل الى بيت الشيخ الشرقاوي فلما أصبح النهار أشيع ذلك وركب معه المشايخ والسيد عمر النقيب وذهبوا به الى بيت الباشا فوجدوه راكباً في بولاق فانتظروه حصة الى أن حضر فتركوا عنده علي كاشف المذكور ورجعوا الى بيوتهم واختلى به الباشا حصة وقابله بالبشر ثم خلع عليه فروة سمور وقدم له مركوباً بعدة كاملة وركب الى بيته وأمامه جملة من العسكر مشاة وقدم له محمد علي أيضاً حصاناً.

وفي شرعوا في عمل شركفك للحرب بالأزبكية.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره ورد ططري وعلى يده بشارة الباشا بتقليده ولاية مصر ووصول القابجي الذي معه التقليد والطوخ الثالث الى رشيد وطوخان لمحمد علي وحسن بك أخي طاهر باشا أحمد بك فضربوا عدة مدافع وذهب المشايخ والأعيان للتهنئة.

وفي يوم الثلاثاء قتل الباشا ثلاثة أشخاص أحدهم رجل سروجي وسبب ذلك أن الرجل السروجي له أخ أجير عند بعض الأجناد المصرية فأرسل لأخيه فاشترى له بعض ثياب ونعال وأرسلها مع ذلك الرجل فقبضوا عليه وسألوه فأخبرهم فأحضروا ذلك الرجل السروجي وأحضروا أيضاً رجلاً بيطاراً متوجهاً الى بولاق معه مسامير ونعال فقبضوا عليه واتهموه أنه يعدي الى ابر الآخر ليعمل لأخصامهم نعال للخليل فأمر الباشا بقتله وقتل السروجي والرجل الذي معه الثياب فقتلوه ظلماً.

وفي يوم الأربعاء حضر القابجي الذي على يده البشرى وهو خازن دار الباشا وكان أرسله حين كان بسكندرية ويسمون لها المجسدة ولم يحضر معه أطواخ ولا غير ذلك فضربوا له شنكاً ومدافع.

وفيه خلع الباشا على السيد أحمد المحروقي فروة سمور وأقره على ما هو عليه أمين الضربخانة وشاه بندر وكذلك خلع على جرجس الجوهري وأقره باش مباشر الأقباط علي ما هو عليه.

وفيه تحقق الخبر بموت يحيى بك وكان مجروحاً من المعركة السابقة.

وفي يوم الخميس عمل الباشا الديوان وحضر المشايخ والوجاقلية وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع ومضمونه: إننا كنا صفحنا رضينا عن الأمراء المصرية على موجب

الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة علي باشا والصدر الأعظم فخانوا العهود ونقضوا الشروط وطلقوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا علي باشا المولى عليهم وقتلوه ونهبوا أمواله ومتاعه فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركبًا بحرية وكذلك أحمد باشا الجزار بعساكر البرية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم له وقتلهم وإخراجهم فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الأول وصفحنا عنهم صفحًا كليًا وأطلعنا لهم السفر والإقامة متى شاؤوا وأينما أرادوا من غير حرج عليهم ولينا حضرة أحمد باشا خورشيد كامل الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ووفور العقل والرئاسة الى غير ذلك وعملوا شنگًا وحرقة وسوارخ بالأزبكية ثلاث ليال ومدافع تضرب في كل وقت من الأوقات الخمسة من القلعة وغيرها.

وفيه تواترت الأخبار بأن الأمراء القبالي عملوا وحسات وقصدهم التعدية الى البر الشرقي.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه عدى الكثير منهم على جهة حلوان وانتقل الكثير من العسكر من بر الجيزة الى بر مصر فخاف أهل المطرية وغيرها وجلوا عنها وهربوا الى البلاد وحضر كثير منهم الى مصر خوفًا من وصول القبالي.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه سافر الشيخ الشرقاوي الى مولد سيدي أحمد البدوي واقتدى به كثير من العامة وسخاف العقول وكان المجروقي وجرجس الجوهري مسافرين أيضًا وشهلوا احتياجاتهم واستأذنوا الباشا فأذن لهم فلما تبين لهم تعدية المصرية الى الجهة الشرقية امتنعوا من السفر ولم يمتنع الشيخ الشرقاوي ومن تابعه.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه وصل فريق منهم الى جهة قبة باب النصر والعدالية من خلف الجبل ورمحوا خلف باب النصر من خارج وباب الفتوح ونواحي الشيخ قمر والدمرداش ونهبوا الوايلي وما جاوره وعبروا الدور وعروا النساء وأخذوا دسوتهم وغلالهم وزروعهم وخرج أهل تلك القرى على وجوههم ومعهم بعض شوالي وقصاع ودخل الكثير منهم الى مصر.

وفي يوم الأربعاء جمع الباشا ومحمد علي العسكر واتفقوا على الخروج والمحاربة وأخرجوا المدافع والشركفلكات الى خارج باب النصر وشرعوا في عمل متاريس وفي آخر النهار ترفع المصرية والعرب وتفرقوا في إقليم الشرقية والقليوبية وهم يسعون في الفساد ويهلكون الحصاد فما وجدوه مدروسًا من البيادر أخذوه أو قائمًا على ساقه رعوه أو غير مدروس أحرقوه أو كان من المتاع نهبوه أو من المواشي ذبحوه وأكلوه وذهب منهم طائفة الى بليس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ونقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه وقتلوا من معه من العسكر وأخذوه أسيرًا ومعه إثنان من كبار العسكر ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين وحضر أبو طويلة شيخ العائد عند الأمراء ولامهم وكلمهم على هذا النهب وقال لهم: هذه الزروعات غالبها للعرب والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب وأن هبود العرب المصاحبين لكم ليس لهم رأس مال في ذلك فكفوههم وامنعوههم وبأيتكم كفايتكم وأما النهب فإنه يذهب هدرًا فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهنادي وغيرهم قوله.

هبود العرب اغتاظوا منه وكادوا يقتلونه ووقع بين العربان منافسة واختلاف وكذلك حصروا كاشف القليوبية فدخل بمن معه جامع قليوب وتترس به وحارب ثلاث ليال وأصيب كثير من المحاربين له ثم تركوه ففر بمن بقي معه الى البحر ونزل في قارب وحضر الى مصر وأخذوا حملته ومتاعه وجبخته وطلبوا مشايخ النواحي مثل شيخ الزوامل والعائد وقليوب وألزموهم بالكلف وفردوا على القرى الفرد والكلف الشاقة مثل

ألف ريال وألفين وثلاثة وعينوا بطلبها العرب وعينوا لهم خدماً وحق طرق خلاف المقرر عشرين ألف فضة وأزيدز ومن استعظم شيئاً من ذلك أو عصى عليهم حاربوا القرية ونهبوها وسبوا نساءها وقتلوا أهلها وأحرقوا جرونها وقلل الوردون الى المدينة بالغلل وغيرها فقلت من الرقع وازدحم الناس على ما يوجد من القليل فيها واحتاج العسكر الى الغلال لأخبازهم لأنهم لم يكن عندهم شيء مدخر فأخذوا ما وجدوه في العرصات فزاد الكرب ومنعوا من يشتري زيادة على ربع من الكيل ولا يدركه إلا بعد مشقة بستين نصفاً وإذا حضر للبعض من الناس غلة من مزرعته القريبة لا يمكنه إيصالها الى داره إلا بالتجوه والمصانعة والمغرم لقلقات الأبواب وأتباعهم فيحجزون ما يرونه داخل البلد من الغلة متعللين بأنهم يريدون وضعها في العرصات القريبة منهم فيعطونها للفقراء بالبيع فيعطونهم درهم ويطلقونهم.

وفي أواخره طلبوا جملة أكياس لنفقة العسكر فوزعوا جملة أكياس على الأقباط والسيد أحمد المحروقي وتجار البهار ومياسير التجار والملتزمين وطلبوا أيضاً مال الجهات والتحرير وباقي مسميات المظالم عن سنة تاريخه معجلة.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه خرج الكثير من العسكر ورتبوا أنفسهم ثلاث فرق في ثلاث جهات وردوا الخيول إلا القليل ووقع بينهم مناوشات قتل فيها أنفار من الفريقين.

شهر صفر الخير سنة 1219 استهل بيوم الجمعة فيه نادوا على الفلاحين والخدامين البطالين بالخروج من مصر وكل من وجد وفي ثانيه طاف الأعوان وجمعوا عدة من الناس العتالين وغيرهم ليسخروهم في عمل المتاريس وجر المدافع.

وفي خامسه قبض الوالي على شخص يشتري طربوشاً عتيقاً من سوق العصر بسويقة لاجين.

واتهمه أنه يشتري الطرايش للأخصام من غير حجة ولا بيان ورمى رقبته عند باب الخرق ظلمًا.

وفي سابعه نزل الأرئود من القلعة وتسلمها الباشا وطلع إليها وضربوا لطلوعه عدة مدافع ورجع الى داره آخر النهار.

وفيه أشيع قدوم سليمان بك حاكم جرجا ووصوله الى بني سوف وفي عقبه الألفي الصغير أيضاً.

وفيه هجم طائفة من الخيالة في طلوع الفجر على المذبح السلطاني وأخذوا ثورين أحدهما من المذبح والآخر من بعض الغيطان وهرب الجزارون.

وفي يوم السبت تاسعه طلع الباشا الى القلعة وسكن بها وضربوا له عدة مدافع.

وفيه حضر كاشف الشرقية المقبوض عليه ببليس ومعه إثنان وقد أفرج عنهم الأمراء المصرية وأطلقوهم فلما وصلوا الى الباشا خلع عليهم وألبسهم فراوي جبراً لخطرهم.

وفيه وصل الخبر بوقوع حرب بين العسكر والمصرية والعربان وحضر عدة جرحى وكانت لواقعة عند الخصوص وبهتيم وجلا أهل تلك القرى وخرجوا منها وحضروا الى مصر بأولادهم وقصاعهم فلم يجدوا لهم مأوى ونزل الكثير منهم بالرميلة.

وفيه حضر أناس من الذين ذهبوا الى مولد السيد البدوي وفيهم عرايا ومجاريح وقتلى وقد وقفت لهم العرب وقطعت عليهم الطرق فتفرقوا فرقاً في البحر والبحر وحصر العرب طائفة كبيرة منهم بالقرطيين وحصل لهم ما لا خير فيه وأما الشيخ الشرقاوي فإنه ذهب الى المحلة الكبيرة وأقام بها أياماً ثم ذهب مشرقاً الى بلده القرين.

وفيه حضر مصطفى آغا الأرنبودي هجائاً برسالة من عند الألفي وفيها طلب أتباعه الذين بمصر فلم يأتوا لهم في الذهاب إليه واحتجوا بعدم تحقق صداقته للعثمانية.

وفيه ورد الخبر بتوجه سليمان بك الخازندار حاكم جرجا الى جهة بحري وأنه وصل الى بني سويف وأن الألفي الصغير في أثره بحري منية ابن خصيب والألفي الكبير مستقر بأسسوط يقبض في الأموال الديوانية والغلال وأشيع صلحه مع عشيرته سرّاً ومظهر خلاف ذلك مع العثمانية.

وفي يوم الأحد عاشره أحضروا جماعة من الوجاقلية عند كتخدا الباشا فلما استقروا في الجلوس كلموهم وطلبوا منهم سلفة وحبسوا رضوان كاشف الذي بباب الشعيرة وطلبوا منه عشرين كيساً وكذلك طلبوا من باقي الأعيان مثل مصطفى آغا الوكيل وحسن آغا محرم ومحمد أفندي سليم وإبراهيم كتخدا الرزاز وخلافهم مبالغ مختلفة المقادير وعملوا على أقباط ألف كيس وحلف الباشا أنها لا تنقص عن ذلك وفردوا عن البنادر مثل دمياط ورشيد وفوة ودمنهوور والمنصورة وخلافها مبالغ أكياس ما بين ثمانين كيساً ومائة كيس وخمسين كيساً وغير ذلك لنفقة العسكر وأحضر الباشا الروزنامجي واتهمه في التقصير.

وفي يوم الاثنين أرسل الباشا الوالي والمحتسب الى بيت الست نفيسة زوجة مراد بك وطلبها فركبت معها وصحبتهام امرأتان فطلعا بهن الى القلعة وكذلك أرسلوا بالتفتيش على باقي نساء الأمراء فاخترى غالبهن وقبضوا على بعضهن وذلك كله بعد عصر ذلك اليوم فلما حصلت الست نفيسة بين يديه قام إليها أجلاً ثم أمرها بالجلوس وقال لها على طريق اللوم يصح أن جاريتك منور تتكلم مع صادق آغا وتقول له يسعي في أمر المماليك العصاة وتلتزم له بالمكسور من جامكية العسكر فأجابته إن ثبت أن جاريتي قالت ذلك فأنا المأخوذة به دونها فأخرج من جيبه ورقة وقال لها وهذه وأشار الى الورقة فقالت: وما هذه الورقة أرنيتها فإني أعرف أن أقرأ لأنظر ما هي فأدخلها ثانياً في جيبه ثم قالت له أنا بطول ما عشت بمصر وقدري معلوم عند الأكابر وخلافهم والسلطان ورجال الدولة وحريمهم يعرفوني أكثر من معرفتي بك ولقد مرت بنا دولة الفرنسيين الذين هم أعداء الدين فما رأيت منهم إلا التكريم.

وكذلك سيدي محمد باشا كان يعرفني ويعرف قدرتي ولم ير منه إلا المعروف وأما أنت فلم يوافق فعلك فعل أهل دولتك ولا غيرهم فقال ونحن أيضاً لا نفعل غير المناسب فقالت له وأي مناسبة في أخذك لي من بيتي بالوالي مثل أرباب الجرائم فقال أنا أرسلته لكونه أكبر أتباعي فأرساله من باب التعظيم ثم اعتذر إليها وأمرها بالتوجه الى بيت الشيخ السحيمي بالقلعة وأجلسوها عنده بجماعة من العسكر وأصبح الخبر شائعاً بذلك فتكدرت خواطر الناس لذلك.

وركب القاضي ونقيب الأشراف والشيخ السادات والشيخ الأمير وطلعوا الى الباشا وكلموه في أمرها فقال لا بأس عليها وإني أنزلتها ببيت الشيخ السحيمي مكرمة حسماً للفتنة لأنها حصل منها ما يوجب الحجز عليها فقالوا نريد بيان الذنب وبعد ذلك إما العفو أو الانتقام فقال: إنها سعت مع بعض كبار العسكر تستميلهم الى المماليك العصاة ووعدتهم بدفع علوفاتهم وحيث أنها تقدر على دفع العلوفة فينبغي أنها تدفع العلوفة فقالوا له إن ثبت عليها ذلك فإنها تستحق ما تأمرون به فيحتاج أن تتفحص على ذلك فقام إليها الفيومي والمهدي وخاطباها في ذلك.

فقلت هذا كلام لا أصل له وليس لي في المصرية زوج حتى أني الخاطر بسببه فإن كان قصده مصادرتي فلم يبق عندي شيء وعلي ديون كثيرة فعالوا إليه وتكلموا معه وراددهم فقال: الشيخ الأمير للترجمان قل لأفندينا هذا أمر غير مناسب ويترتب عليه مفسد وبعد ذلك يتوجه علينا اللوم فإن كان كذلك فلا علاقة لنا بشيء من هذا الوقت أو نخرج من هذه البلدة وقام قائمًا على حيله يريد الذهاب فأمسكه مصطفى آغا الوكيل وخلافه وكلموا الباشا في إطلاقها وأنها تقيم بيت الشيخ السادات فرضي بذلك وأنزلوها ببيت الشيخ السادات وكانت عذيلة هانم ابنة ابراهيم بك عندما وصلها الخبر ذهبت الى بيته أيضًا.

وفيه شنقوا شخصًا على السبيل بباب الشعرية شكوا منه أهل حارته وأنه يتعاطى القيادة ويجمع بين الرجال والنساء وغير ذلك.

وفي يوم الخميس رابع عشره كتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق بطلب ميري سنة تاريخه المعجلة بالكامل وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها ثم اضطروهم الحال بطلب الباقي وعملوا قوائم بتوزيع خمسة آلاف كيس استقر منها على طائفة القبطة خمسمائة كيس بعد الألف وجملة على الملتزمين خلاف ما أخذ منهم قبل ذلك وعلى الست نفيسة وبقية نساء الأمراء ثمانمائة كيس.